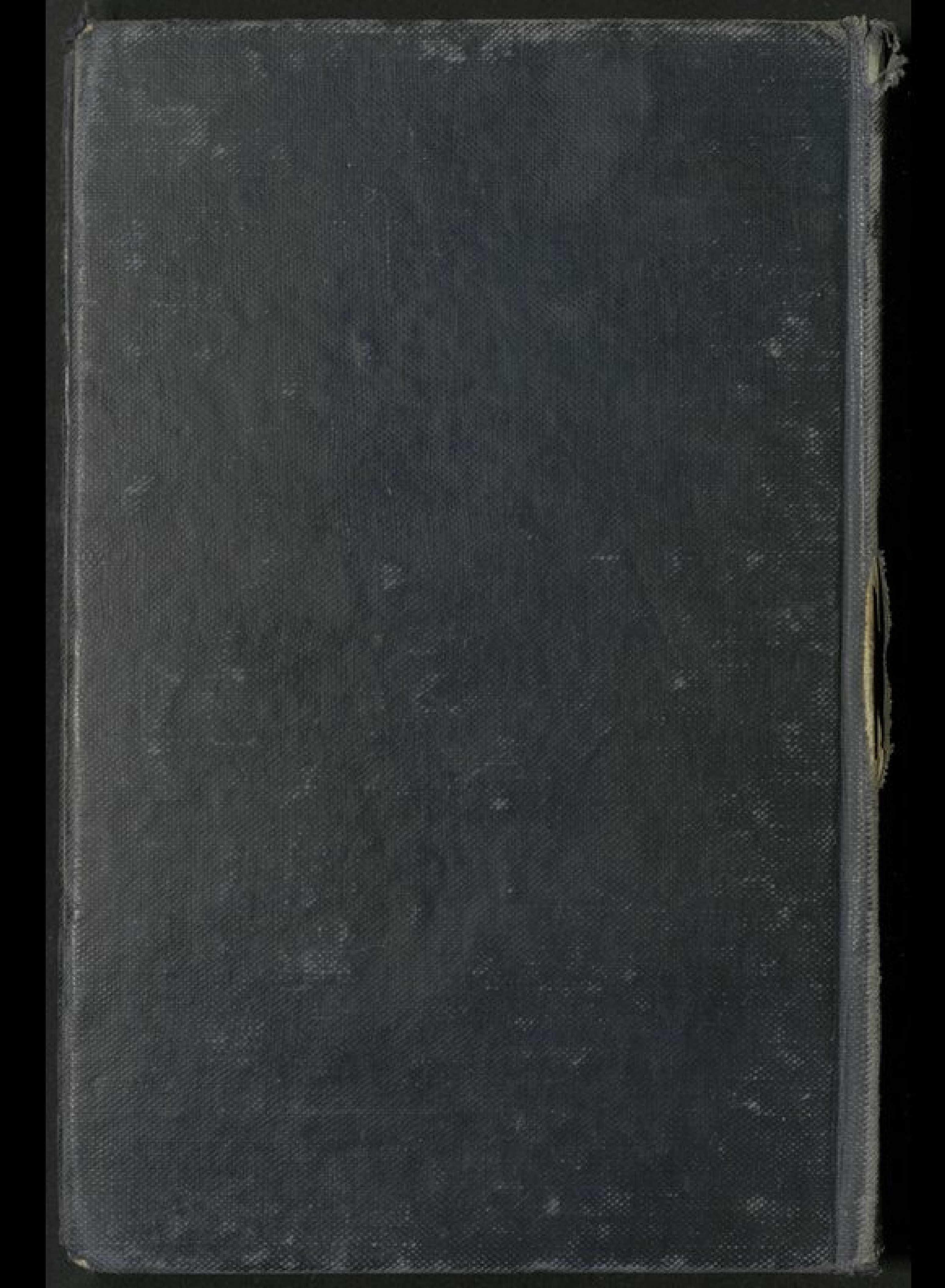
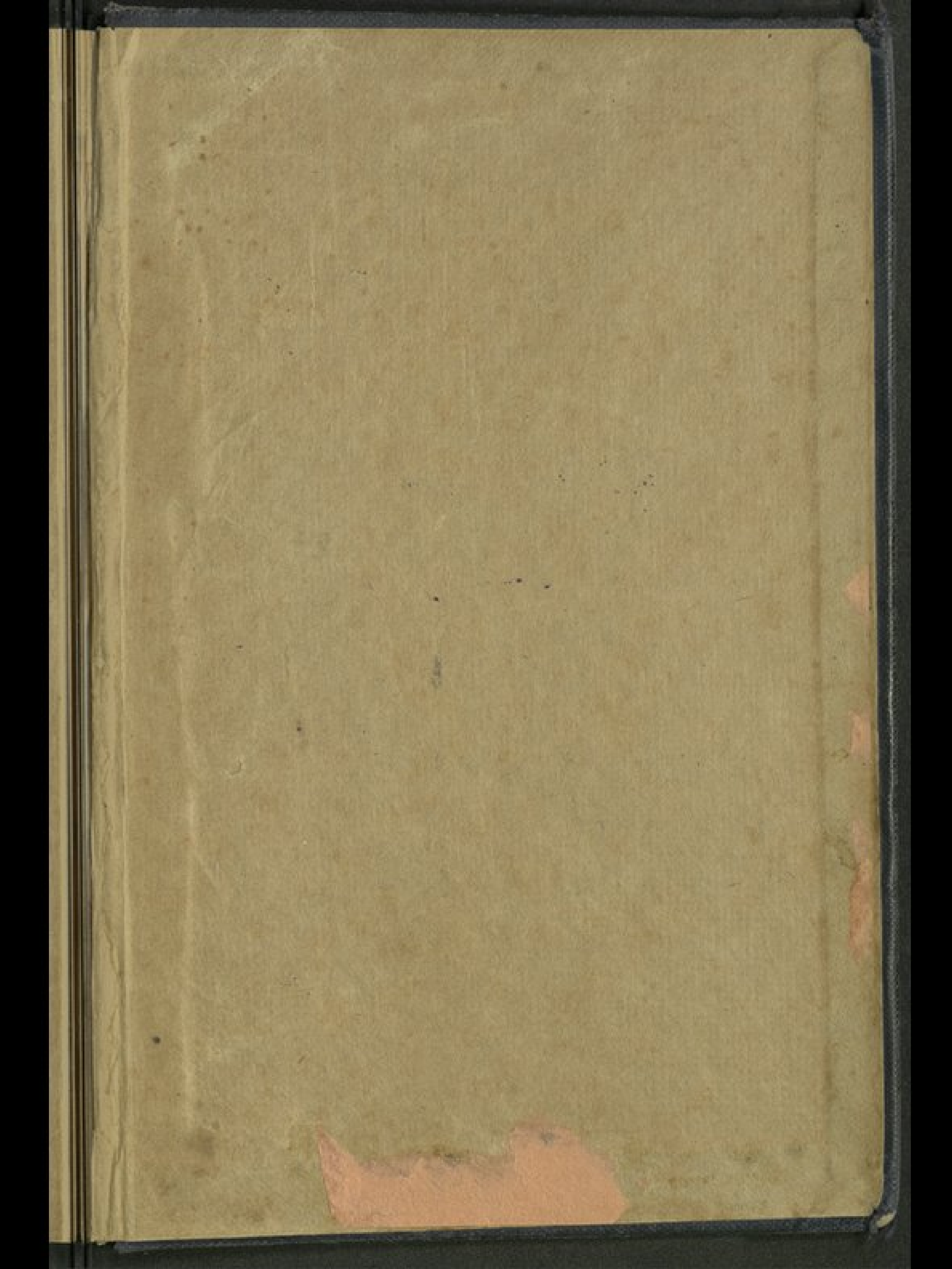






تاريخ دول الاسلام

تأليف

رزق الله منقريوس الصدفى

سكرتير شركة الخواجات تيمستوكلي يني وبشرى حنا
المقاولين بالمنيا

الجزء الاول

من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه (حديث)

مطبعة الهلال بشارع نوبار نمرة ٤ بمصر
سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٣ م

اهداء الكتاب

جرت عادة الكتاب أن يهدوا كتبهم لذوي الحيثيات اقراراً بفضلهم وهي طريقة مستحسنه لحفظ ذكرى من يجب على ابناء الوطن حفظ ذكرهم لحسن خدمتهم للوطن بمالهم وجاههم وعلى هذا المبدأ وجب علي اهداء كتابي لجنابكم . ولكن شتان بين اهدائي واهدائهم لان كتابي هذا هو منكم واليكم لانه لولا تنشيطكم اياي ومساعدتكم لي لما أمكنني ان أخرج الكتاب من حيز الفكر الى حيز الوجود فلا فضل لي اذاً في ذلك . ولذا جعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك والاقرار بالتقصير عما يجب لك براً أتوصل به اليك فلا زال فضلكم منهلا مورودا وحماكم من جميع الورى مقصوداً واتضرع الى المولى أن يطيل بقاءكم مخدوماً بايدي الاقدار معصوماً من عوادي الليل والنهار

رزق الله منقريوس

خطبة الكتاب

حمداً لمن جعل سير المتقدمين عبرة للمتأخرين . أما بعد فقد عنيت منذ حداثتي بعلم التاريخ لا لقصد التأليف بل لمجرد الاستفادة والوقوف على أحوال الامم ومصير ابناء الزمان . ثم نبهتني كتابات حضرة جورجي افندي زيدان للاستزادة من تاريخ الاسلام على الخصوص فشمرت عن ساعد الاجتهاد والزمت عيني السهاد حتى حصلت منه على طرف صالح فحدثتني نفسي بالتطفل على موائد المؤلفين وادراج اسمي بين المؤرخين . ورأيت اللغة العربية في حاجة الى كتاب شامل لتاريخ دول الاسلام في المشرق والمغرب من بدء نشأته الى هذه الايام . فعن لي ان أجمع من شتيت ما اطلعت عليه من الكتب كتاباً يفي بالمرام فاقدمت على ذلك مع قصر الباع طمعاً في طلاوة الجديد وان كان من سقط المتاع . وانا مع ذلك لم أدرس هذا العلم على استاذ فان أصبت فرمية من غير رام وان أخطأت فارجو القراء عذراً فالعذر من شيم الكرام

وقد قدمت في الكتاب وضعاً الدولة التي ظهرت مقدماً طبعاً غير ناظر في ذلك الى الاقاليم فراراً من التكرار لان كثيراً من الدول ملكت في وقت واحد عدة جهات



المقدمة

التاريخ معرفة أحوال الامم وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع اشخاصهم وانسابهم ووفياتهم الى غير ذلك . وموضوعه أحوال الاشخاص الماضية . وفائدته العبرة بتلك الاحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلب الزمن ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب بنظائرها من المنافع

والاصل في معنى « التاريخ » التوقيت أي معرفة الوقت وتعينه باعتبار اليوم والشهر والسنة ومرجعه الى التقاويم . وللامم تقاويم مختلفة باختلاف الدول والاعصر يعبرون عنها بالحساب أو التاريخ فيقولون التاريخ الشمسي والهجري والاسرائيلي ويريدون النقطة التي تؤرخ منها تلك الامم . فالمسيحيون يؤرخون من ميلاد المسيح والمسلمون من الهجرة النبوية . وأول من عين تاريخ الهجرة عمر بن الخطاب حين كتب اليه ابو موسى الاشعري يقول : « يأتينا من قبل امير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل فقد وقفنا على صك محله شعبان فما ندري أي الشعبانين أهو الماضي ام القابل » وقيل رفع لعمر صكٌ محله شعبان فقال أي شعبان هذا أهو الذي نحن فيه أو الذي هو آتٍ : ثم جمع وجوه الصحابة وقال لهم . ان الاموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك . فقال الهرمزان (وهو ملك الاهواز وقد اسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر واسلم على يديه) ان للعجم حساباً يسمونه ماه روز ويسندونه الى من غلب عليهم من الاكاسرة . فعربوا لفظة ماه روز بمؤرخ ومصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التصريف . ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك . فقال لهم عمر ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة . فقال لهم بعض من حضر من مسلمي اليهود : ان لنا حساباً مثله مسنداً للاسكندر . فما ارتضاه الآخرون لما فيه من التطويل

وقال قوم تكتب على تاريخ الفرس : قيل ان تواريخهم غير مسندة الى مبدأ معين بل كلما قام منهم ملك ابتدؤا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله . فاتفقوا على ان يجعلوا تاريخ الاسلام من لدن هجرة النبي لان وقت الهجرة متفق عليه بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه

وعلم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأرفعها منزلة وذكراً وأنفعها عائدة وذخراً ولله درّ ابن الخطيب اذ يقول :

وبعد فالتاريخ والاخبار فيه لنفس العاقل اعتبار
وفيه للمستبصر استبصار كيف اتى القوم وكيف صاروا
يجري على الحاضر حكم الغائب فيثبت الحق بسهم صائب
وينظر الدنيا بعين النبل ويترك الجهل لاهل الجهل

وقال آخر

ليس بانسان ولا عاقل من لا يعي التاريخ في صدره
ومن روى اخبار من قد مضى أضاف أعماراً الى عمره

وقال آخر

اذا عرف الانسان أخبار من مضى توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر
فكن عالماً اخباراً من عاش وانقضى وكن ذا نوال واغتنم آخر العمر

وقد قسم بعضهم علم التاريخ الى خاص وعام والذي أراه ان التاريخ يكون عاماً أو خاصاً بالنسبة الى سواه فربما كان التاريخ الواحد عاماً بالنظر الى تأليف وخاصاً بالنظر الى تأليف آخر الا أن الخاص ينفرد بتاريخ الفرد والعام بتاريخ العالم وتاريخ كل دولة خاص لانه لم يحو غيرها وعام بالنسبة لافراد تلك الدولة وهكذا يقال في تاريخ كل قطر أو مملكة أو دول تجمعها جامعة واحدة كالدين مثلا . فتاريخ الدول الاسلامية خاص لانه لم يحتو على باقي تواريخ العالم غير الاسلامية وعام لاحتوائه على تواريخ دول مختلفة اللغة والجنس والمذهب

وكتب التاريخ في كل لغة كثيرة جداً لميل الطبع اليه بل هي اكثر من سائر المؤلفات ومع كثرتها في العربية حتى لا يقل عددها عن بضعة آلاف فالمتداول منها قليل جداً بالنسبة لذلك العدد لضياع معظمها في أثناء الاجيال الاسلامية الوسطى وقلة عنايتنا بما بقي منها وتقاعدنا عن مطالعة هذا العلم مثل تقاعدنا عن سائر العلوم لاننا أخذنا قشور التمدن الحديث وتركنا اللب فنقضي أوقاتنا الثمينة فيما هو تافه ونترك النافع كأن على أعيننا غشاوة فلنا أعين ولا نبصر ولنا اذن ولا نسمع تتقدم الامم ونحن نتأخر هكذا قضي علينا

أما الاغلاط والأوهام التي تعرض للمؤرخين فاكثر من أن تحصى . وقد أفرد لها ابن خلدون باباً في مقدمة كتابه الكبير فراجعه ان أردت . ولكنه حمل حملة منكرة في الباب المذكور على مؤرخي المشرق المسلمين لانهم ذكروا في تواريخهم من اسباب نكبة الرشيد للبرامكة مسألة جعفر والعباسة وعلل عدم امكان وقوع ذلك بقرب العباسة من عصر البداوة وعصر النبي (صلعم) ولكن العباسة كانت في عصر بلغت فيه المدنية مبلغاً بعيداً ولم تكن تعتقد ما أتته ذنباً واخوها الرشيد قد عقد عليها لجعفر عقداً شرعياً

ومما لاحظته وساءني كثيراً ان الذين انيط بهم تصحيح تاريخ ابن خلدون وطبعه لغويون لا تاريخيون لانهم اجتهدوا في تنقيح الالفاظ العربية فقط أما العبارات التاريخية فلم يلتفتوا اليها ودليلي على ذلك كثرة الاغلاط في أسماء الاعلام والسنين الموجودة في هذا الكتاب النفيس وتكرار لفظة « بياض بالاصل » مما يفسد المعنى في كثير من الاحيان فعسى ان يلتفتوا الى ذلك في الطبعة الثانية فيقابلوه نسخة كاملة يستعينون بها على سد ذلك النقص ويعهدوا تصحيحه الى عارف بالتاريخ هذا ما عنّ لي ان أكتبه في هذا الموضوع والله ولي التوفيق

١ - جغرافية بلاد العرب

شبه جزيرة العرب واقعة في الجزء الغربي من قارة آسيا يحدها شمالاً بلاد فلسطين وسوريا وشرقاً العراق والجزيرة وخليج العجم وجنوباً بحر الهند وغرباً بوغاز باب المندب والبحر الاحمر وبوغاز السويس وتقسم الى خمسة أقسام وهي (١) اليمن (٢) الحجاز (٣) تهامة (٤) نجد (٥) اليمامة . أما بلاد اليمن فتقسم الى خمسة أقسام . وهي حضرموت وشحر ومهرة وعمان ونجران . ومن مدنها صنعاء وعدن ونجران وزبيد وفرضة مخا المشهورة على شاطىء البحر الاحمر ومأرب وغيرها

والحجاز هو ما يلي البحر الاحمر من تهامة وتسمى حجازاً لانه حاجز بين نجد وتهامة ومن مدنه مكة والمدينة وجدة وغيرها وفيه الطائف وهو أخصب اقليم في الحجاز كثير الفواكه والبساتين ويسكن في بلاد الحجاز عدة ولايات مستقلة لا تعيش في خيام كباقي عرب السهول بل لهم مدن وقرى مبنية بالحجارة ولهم حصون وقلاع يدافعون بها عن أنفسهم . ومن هذه الولايات ولاية خيبر وهي على الشمال الشرقي من المدينة وأهلها يهود

وتهامة واقعة على شاطىء البحر الاحمر بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً .
ونجد واقعة شمال اليمن وجنوب الشام وغرب العراق وشرق الحجاز وأرضها في غاية الخصب ويخرج منها كثير من الفواكه خصوصاً التمر وبها تربى الخيول الجميلة ومن مدنها رياض وايانا

وأما اليمامة فهي بين نجد واليمن وتتصل بالبحرين شرقاً وبالحجاز غرباً وتسمى أيضاً العروض لاعتراضها بين اليمن ونجد . ومن محصولات بلاد العرب الحنطة والذرة والفوة والشعير والقطن والبن والفلفل والسنامكي والبلسم والعود والمر والبخور والمن والتمر وهو أساس قوت أهل بلاد العرب وفيها من الحيوانات الاسد والضبع والنمر والذئب والوعل والجاموس والغزلان والحمير والقردة والجمال والهجن والخيل . ومعادنها قليلة جداً وفي بعض الاماكن منها معادن نحاس وحديد ورصاص وفحم حجري وعقيق واللؤلؤ في خليج فارس

٢ - في أصل العرب و بعض صفاتهم

العرب من الامم العريقة في القدم يتصل نسبهم الى يقطان الى سام بن نوح وهم فرقتان بدو وحضر . أما البدو فهم سكان البراري والقفار الذين يعيشون على ألبان الأبل والنعم ولحومها و ينتقلون من مكان الى مكان في طلب المعاش

أما الحضر فهم سكان المدن والقرى ومن هؤلاء قامت دول وممالك شنت الغارات على مجاوريهم حتى تطاولوا على فراعنة مصر قبل المسيح بنحو الفي سنة وانتصروا عليهم وتملكوا مصر الوسطى والسفلى زهاء ثلاثة قرون وكانوا يدعون بالملوك الرعاة وهذا من أقوى الادلة على قدميتهم وشدة بأسهم في ذلك الزمان وجميعهم ينقسمون الى أربعة أقسام متعاقبة

أولا — العرب العاربة أو البائدة ومنهم عاد وطسم وجديس وغيرهم وانقرضوا جميعاً ولم يبق من نسلهم أحد على وجه البسيطة

ثانياً — العرب المستعربة وهم من ولد قحطان ومنهم التبابعة ملوك اليمن

ثالثا — العرب التابعة للعرب المستعربة من ولد عدنان الذي هو من ذرية اسماعيل ويسمون عدنانية أو اسماعيلية

رابعاً — العرب المستعجمة وهم عرب هذا العصر الذين فسدت لغتهم على تمادي الايام باختلاطهم مع الاجانب واندراس ماكان لهم من السطوة في الجاهلية والاسلام وهم طوائف عديدة يسكنون الخيام ويجولون في البراري والقفار وأشهرهم صخر وعنزة

ومن صفات العرب الشهامة والنجدة وحفظ العهود والافتخار بشدة البأس وعلو الهمة والسخاء والكرم والضيافة للقريب والغريب والمحافظة على شرف ناموسهم وعرضهم فكان عندهم الموت اسهل من العار والفضيحة حتى أدى بهم ذلك الى قتل البنات قبيل البلوغ تخلصاً من عار ربما لحق أهلهن بسببهن وهي بئست العادة . وكانوا كثيري المذاهب والاديان فمنهم موحدون وعبدة اصنام ومن اصنامهم اللات والعزى ومنهم من عبد عطارد والشمس والقمر وعبدوا غيرها من الكواكب والاشجار مما لا يدخل تحت حصر

وكان لهم شهرة فائقة في الفصاحة والبراعة ونظم الشعر وبهم تضرب الامثال الى وقتنا الحاضر ونبغ منهم من الشعراء جماعة كثيرة نطقوا بأفضل ما قيل من الاشعار العربية ومن اشهر اشعارهم المعلقات السبع التي اعتنوا بها اعتناء خصوصياً وكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة

٣ – ملوك العرب قبل الاسلام

من اعظم دول العرب في الزمن القديم التبابعة ملوك اليمن وأول من ملك منهم قحطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح وذلك قبل المسيح بنحو الفي سنة ثم ملك بعده ابنه يعرب وكان ملكا شديد البأس حارب الحجاز وتغلب عليها واسر عدة من ملوكها وضرب عليها الخراج وأقر أخاه جرهماً عاملاً عليها ورجع ظافراً منصوراً . وكان يعرب مغرماً بالبناء وهو أول من ابتدأ بعمارة المدن في اليمن وملك ثلاثاً وثلاثين سنة ومات وملك بعده ابنه يشجب ثم ابنه عبد شمس الملقب بسبا وكان ملكا عظيما محباً للحروب وشن الغارات واغار على بابل وافتتحها وغنم غنائم كثيرة حملها الى بلاد اليمن وفيه يقول الشاعر :

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها   الى الغرب منها عبد شمس بن يشجب

سعى بالجياد الاعوجية والقنا   الى بابل في مقنب بعد مقنب

وملك ٣٥ سنة وملك بعده عدة ملوك لا يعلم لهم اخبار ولا وقائع ومنهم شمر يرعش وهو أعظم ملوك هذه الدولة . جلس على سرير المملكة حوالي سنة ٨٠٠ ق م وكان جباراً قوياً محباً لاقتحام المخاطر قصد بلاد الشرق في جيش مؤلف من ٣٠٠ الف مقاتل فدخل أرض العراق وتقدم طالباً بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس فتملكها وافتتح مدناً وحصوناً كثيرة ودخل مدينة السغد فهدمها وخربها فقيل لها بالفارسية شمركند أي شمر أخربها . ثم بنيت ثانية وبقي عليها ذلك الاسم بعد تصرف قليل فسميت سمرقند وهي من المدائن المشهورة ووجدوا في بعض قصورها المتهدمة عموداً مكتوباً عليه بالحميرية هذا ما بناه شمر يرعش لسيده شمس

ولما استتب الامر لشمر يرعش في بلاد فارس سار تواً الى بلاد الصين وسمع ملكها وقتئذ بقدومه فخاف جداً وحار في أمره ولم يدر ما يخلصه من هذه الداهية وكان له وزير عاقل حكيم ذو تبصر في عاقبة الامور فقال له . هون عليك واعلم اني وهبتك وبلادي نفسي وأنا أتولى ارجاع هذا الجيش القادم عنك . فقال له افعل ما بدالك . فجدع الوزير أنف نفسه وشق ثيابه وسار قاصداً جيش شمر يرعش وهو في تلك الحالة وكان على ست مراحل من المدينة . فوصل اليه واعلمه بنفسه وان ملكهم ظلوم غشوم وفعل بي ما ترى . فلما علمت بمجيئك حمدت المقادير التي ستخلصنا من هذا الملك وأنا الذي أقود جيوشك وعلى يدي يتم لك الفتح ان شاء الله فانخدع شمر يرعش لكلام ذلك الوزير وظنه صادقاً وامر جيوشه باتباعه ليتم له بواسطته النصر المبين فقادهم الى فلوات مقفرة وأراض موعرة وأبعدهم عن طريق بلاده الى صحراء جرباء لا ماء فيها فمات كل ذلك الجيش عطشاً ومات شمر يرعش والوزير أيضاً . فخلص بنفسه بلاده كما تعهد لملكه . وكانت مدة حكم شمر يرعش ٣٧ سنة وبعد موته ملك بعده ابنه أبومالك وبموته انتقل الملك الى ولد أخيه كهلان وتولى منهم جملة ملوك . ثم رجع الملك الى ذرية شمر يرعش وكان آخر ملوكهم سيف بن ذي يزن وكان أبوه ذهب يستنجد كسرى لاستخلاص بلاده من أيدي الحبشة الذين كانوا استولوا عليها من نحو ٧٠ سنة فوعده كسرى باجابة طلبه ولكنه لم يفعل الى أن مات بباب كسرى وكان سيف مع أمه في حجر ابرهة العامل من قبل ملك الحبشة وهو يحسب انه ابنه ففي يوم ما سب ابن لابرهة سيفاً وسب اباه فسأل سيف أمه عن أبيه فقصت له أمره وما كان من وعد كسرى له وعدم تنفيذ وعده . فلما علم سيف ذلك سار قاصداً بلاد الروم يستنجد ملكهم لقتال الحبشة فلم يتيسر له ذلك فعزم على الذهاب الى كسرى وسار من وقته قاصداً بلاد فارس حتى اذا رأى كسرى ماراً في موكبه اعترضه وقال : لي عندك حق وميراث : فأخذه كسرى وبعد انتهاء الموكب سأله : أي حق لك يا فتى وأي ميراث تدعيه : فقال له : أنا ابن الرجل اليماني الذي أتى يستنجدك في استخلاص بلادنا من أيدي الحبشة فوعدته ومات ببابك ولم تتم له الوعد فوجب ذلك الوعد ميراثاً لي أطالبك به : فحن له كسرى وقال : لكن بلادكم بعيدة عنا بعداً شاسعاً فضلاً عن وعورة المسالك

فكيف أغرر بجيشي ومالي : فخرج سيف من لدنه وجعل ينثر ذهباً على الناس فعلم كسرى بذلك فاستحضره وقال له ما الذي دعاك أن تفعل ذلك قال لاني جئت استنجدك رجالا لا مالاً وجبال بلادنا كلها ذهب وفضة فعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه أعرف ببلاده مني واستشار وزراءه في تسيير الجند لانقاذ اليمن من أيدي الاحباش فقر رأيهم على ارسال بعض المساجين وجمعوا له نحو ٨٠٠ مسجون بقيادة شخص يسمى وهرز فساروا بحراً حتى وصلوا اليمن فأمر وهرز بحرق المراكب التي أحضرتهم لكي لا يطمع أحد في الرجوع وجمع سيف بن ذي يزن من عشيرته خلقاً كثيراً فحاربوا الاحباش واستخلصوا منهم البلاد وأرسل وهرز الى كسرى ينبئه بما أوتيه من النصر وأرسل اليه أموالا وذخائر جمة فارسل اليه كسرى أن يملك سيف بن ذي يزن على البلاد وكان ذلك بعد المسيح بنحو خمسمائة وستين سنة

ومن ملوك العرب ملوك بني كنده الذين منهم امرؤ القيس الشاعر المشهور صاحب المعلقة التي يقول في مطلعها :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي من أفصح أقوال العرب واشتهرت شهرة هذا مقدارها حتى صارت الامثال تضرب بها فيقال أشهر من قفانبك

ومن ملوك العرب أيضاً ملوك العراق الذين أولهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الانبار ثم مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم مات وملك بعده جذيمة الابرش وكان جذيمة الابرش أفضل ملوك العرب رأياً وأثبتهم جأشاً وأكثرهم شناً للغارات استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وكان به برص فكنت عنه العرب فقيل الوضاح والابرش اكراماً له . وكان مسكنه الحيرة وهي بلدة قديمة على شاطىء البحر . وكان بينه و بين عمرو بن الظرب ملك الجزيرة ومشارف الشام عداوة عظيمة سببت بينهما حروباً دارت فيها الدائرة على عمرو بن الظرب فقتل فيها وملك بعد عمرو ابنته الزباء وتدعى نائلة وكانت عاقلة أديبة وعزمت مذ تبوأت تخت المملكة على أخذ ثار أبيها من جذيمة الابرش فعملت الفكرة في هلاكه فرأت أن تستعمل معه الحيلة بدلا من الحرب فارسلت اليه تدعوه الى نفسها وملكها وقالت له انها لم تجد ملك النساء الا قبحاً

في السماع وضعفاً في السلطان وانها لم تجد كفؤاً لها ولملكها غيره فلما وصل كتاب الزباء اليه وكان وقتئذ ببقة (بلدة على شاطيء الفرات) جمع اليه ثقاته واستشارهم فاجمع رأيهم على أن يذهب اليها و يستولي على ملكها وكان بينهم رجل يدعى قصير بن سعد تخالفهم في الرأي . وقال رأي فاتر وعدو حاضر (فذهبت مثلا) وقال لجذيمة . الرأي عندي ان تكتب اليها فان كانت صادقة تحضر اليك والا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له . ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح (فذهبت مثلا) ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي واستخلفه على بلاده وسار في وجوه أصحابه وأخذ معه قصيراً فلما نزلوا الفرضة قال لقصير ما الرأي . قال ببقة تركت الرأي (فذهبت مثلا) فاستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف . فقال يا قصير ما ترى . قال خطر يسير وخطب كبير (فذهبت مثلا) وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا (وكانت فرساً لجذيمة لا تجارى) فاني راكبها ومسايرك عليها . فلقيته الكتائب وحالت بينه و بين العصا وغدروا به وقتلوه ومن معه ونجا قصير هرباً على متن العصا وقدم الى عمرو بن عدي وأخبره بواقعة الحال وقال له استعد لاخذ الثأر من الزباء . فقال كيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو (فذهبت مثلا) فاجاب قصير اني سأدبر لك الحيلة في أخذ ثارك من الزباء . فقال افعل ما بدالك فجدع قصير أنفه وخرج كأنه هارب حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيراً بالباب . فامرت به فادخل عليها فاذا أنفه قد جدع فقالت . ما الذي أرى بك يا قصير فقال . زعم عمرو اني غدرت بخاله و زينت له المسير اليك ففعل بي ما ترين فاقبلت اليك . فاكرمته ونال عندها منزلة عظمى ولما تحقق قصير منزلته عندها طلب منها ان ترسله الى الحجاز لاحضار أمواله . وقال لها دعيني أذهب وأحمل لك معي من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين ارباحاً وأموالاً لا غنى للملوك عنها فارسلته وزودته بأموال كثيرة للمتاجرة فأتى عمراً وأخذ منه ضعف المال الذي معه واشترى به خزاً وديباجاً وزبرجداً وياقوتاً وأتى به اليها فتمكن منها وصار عندها بمنزلة عظيمة فسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما أحببت منها فأخذ جانباً عظيماً وأتى عمراً بها وقال قد عملت ما علي

وبقي ما عليك قال وما هو . قال الرجال بالصناديق فانتخب عمرو من فرسانه ألف رجل وألبسهم السلاح وأخذ معه ألف صندوق وسار بهم حتى اقترب من قصر الزباء ومدينتها فأمر جماعته فتأهبوا بسلاحهم ودخلوا الصناديق وأقفلوها من داخل ووضعت الخدام الصناديق على الجمال وربطوها بالحبال حتى لايشك كل من يراها انها قافلة ثم سبقهم قصير الى المدينة وكانت الشمس قد مالت الى المغيب فدخل اليها وحياها وقال لها قد أتيتك أيتها الملكة بتجارة عظيمة وأموال جسيمة فصعدت الى سطوح قصرها وجعلت تنظر الجمال وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا اجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا أم الرجال جثما قعودا

ثم أمرت بالصناديق فأدخلت قصرها وقت المساء وقالت غداً ننظر ما أتيتنا به . فلما انتصف الليل فتحت الرجال الصناديق وخرجت وفي أيديهم السيوف وهجموا على القصر وقتلوا جميع من كان فيه من الغلمان والجواري فلما أحست الزباء بالخطر أسرعت الى نفق كانت أعدته لمثل هذه الساعة وكان قصير يعرفه ووصفه لعمرو فسار اليه فلما رأت عمراً يطلبها مصت سماً كان في خاتمها . وقالت بيدي ولا بيد عمرو (فذهبت مثلا) وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ورجع الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن اخته عمرو ولم يزل الملك في ذريته من بعده حتى المنذر بن النعمان بن ماء السماء الذي حاربه خالد ابن الوليد وأخذ منه الحيرة

ولكون تاريخ العرب قبل الاسلام كباقي التواريخ القديمة محاطاً بظلمة كثيفة فقد اكتفيت بمن ذكرت ممن اشتهر من ملوك العرب قبل الاسلام كتمهيد لتاريخ الاسلام الذي هو المقصود بالذات في هذا المؤلف وقبل ان أختم كلامي عن تاريخ العرب قبل الاسلام أذكر بعضاً من حروب العرب المشهورة في عصر الجاهلية فأقول :

(حرب البسوس) من أعظم حروب العرب حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب ابني وائل بسبب قتل كليب سيد القبيلتين المذكورتين كان من خبرها ان رجلاً من بني جرم يقال له سعد بن شمس الجرمي نزل بالبسوس بنت

منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس (وهما اللتان ضربت بهما العرب المثل . فقالت أشأم من سراب . وأشأم من البسوس) فخرج كليب يوماً يتفقد الابل وكانت ابله مختلطة بابل جساس فوجد سراب فأنكرها ورماها بسهم فجرحها وأتت الناقة الى صاحبها مجروحة فصرخ بالذل فسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها وصرخت واذلاه وكان جساس قريباً منها فسمع صراخها وطيب خاطرها وقال لها اني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة (يريد كليباً) وترصد لكليب واذ رآه يوماً ما خارجاً بلا سلاح تبعه حتى بعد عن الحي فرماه بسهم فقتله وهرب وكان همام بن مره أخو جساس ومهلهل أخو كليب يشربان في ذلك اليوم فارسل جساس بخبر أخاه ليتحذر من مهلهل فاتت الجارية التي أرسلها لابلاغه الخبر فوجدتهما على هذه الحالة فاشارت الى همام فتبعها وأسرت اليه ما حصل . فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً فذكر له ما قالته الجارية . فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغداً أمر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى أهله . ولما شاع أمر كليب في القبيلة أخذوا جثته ودفنوه واستعد مهلهل لاخذ ثار أخيه . وكان اسمه عدي وانما سمي المهلهل لانه أول من هلهل الشعر وكذب فيه . وحصل بين القبيلتين عدة وقائع كان النصر في أغلبها للمهلهل . وما زالت الحرب بينهما سجالا حتى انتهى الحال بقتل جساس . فعند ذلك كف المهلهل عن القتال ورحل الى اليمن ليطفىء جمرة الحرب بعد ان دامت أربعين سنة

وللعرب أيضاً حروب كثيرة وأيام مشهورة كيوم الكلاب الاول . ويوم أواره . وحرب داحس الذي يقال له حرب سباق الخيل بين بني عبس وفزارة بسبب السباق بين داحس فرس قيس بن زهير سيد بني عبس والغبراء فرس حذيفة بن بدر سيد بني فزارة واختلفوا على السباق وقامت بينهما الحرب ودامت سنين طويلة ثم اصطلحت عبس وفزارة وانفرد قيس بن زهير عن بني عبس وساح في الارض حتى أتى الى عمان فتنصر بها ومات

ويوم شعب جبلة . ويوم ذات نكيف . ويوم الغبيط . ويوم مبايض .

وحرب سالم وشيبان . ويوم الاباد . ويوم التفسار . ويوم الجمار . و يوم ظهر الدهناء . الى غير ذلك من الحروب والايام التي يطول شرحها و الاقتصار اكتفيت بما ذكر تلميحاً خوف الاطالة

٤ — مبدأ الاسلام

ولد حضرة صاحب الدعوة الاسلامية في النصف الاخير من القرن السادس المسيحي (سنة ٥٦٩ ب) وبظهوره يبتدىء الاسلام . وهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خذيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . مات أبوه عبد الله وأمه حامل به وماتت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وهو ابن ست سنوات فكفله جده عبد المطلب . ولكنه لم تطل مدة كفالته فمات وسن محمد ثماني سنوات فكفله عمه أبو طالب بوصية من جده عبد المطلب اليه بذلك . وكان عمه أبو طالب صاحب تجارة كباقي قريش فاصطحب محمداً في سفراته التجارية فاشتهر منذ حداثته بالذكاء والفطنة والامانة . وبلغ خديجة بنت خويلد بن أسد ما اشتهر به محمد من الامانة وكانت خديجة المذكورة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتعطيهم جزءاً من الارباح . فأرسلت اليه ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أكثر مما كانت تعطي غيره فاجاب طلبها وخرج في تجارتها مع عبدها ميسرة حتى قدم الى الشام فأصاب أرباحاً كثيرة فازدادت اعجاباً به . فعرضت عليه نفسها فلما أرسلت الى النبي (صلعم) أخبر أعمامه وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها فوسعت حاله وصار من أهل الرخاء واليسار . ولما بلغ الاربعين من عمره مال الى الخلوة والاعتزال فكان يذهب الى غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع الى أهله ويتزود لمثلها . وفي رمضان من تلك السنة كان بغار حراء ومعه خديجة امرأته فرأى رؤيته الاولى فاسرع الى خديجة وقال لها ظهر لي جبريل

وقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله . ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق (الآية) فقرأت . فلما سمعت خديجة خديثه أخذته الى ابن عم لها يقال له ورقة ابن نوفل وكان عالماً قرأ الكتب وخالط أهل التوراة والانجيل . وقالت له اسمع حديث ابن أخيك فقص النبي على ورقة ما رأى . فقال لها هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران . فاطمأن محمد بما سمع ولكنه لم يجسر على إظهار دعوته لتأكيده بان ذلك مخالف لقريش كل المخالفة لانه ينهى عن عبادة أصنامهم وفي ذهاب تلك الاصنام ذهاب ثروتهم وتجارتهم فسعى محمد في بث دينه سراً في أهله الاقربين فكان أول من أسلم علي بن أبي طالب وكان غلاماً لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره . ولكن هذه الطريقة السرية لم تف بالغرض المطلوب لانه في ظرف ثلاث سنين لم يؤمن به الا نفر قليلون بينهم أبو بكر الصديق وكان من وجهاء قريش وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهما . وأخيراً عزم على إظهار دعوته على أن يبدأ بعشيرته الاقربين فارسل الى أعمامه بني عبد المطلب وهم نحو الاربعين ودعاهم الى بيت عمه أبي طالب فلما فرغوا من الطعام همّ محمد يتكلم فابتدره عمه ابو لهب وكان أشدهم وطأة عليه فأسكته فسكت ولم يتكلم هذه المرة ولكنه لم ييأس بل أعاد الوليمة مرة أخرى وبعد ان أكلوا وقف محمد خطيباً وقال : يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل بما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى ان أدعوكم اليه فأيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي : فأحجم القوم عنها جميعاً الا علي بن أبي طالب فانه قال . أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبة علي ثم قال . ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فله اسمعوا وأطيعوا . فاستخف القوم بكلامه وقاموا يضحكون ويقولون لابي طالب . قد أمرك ان تطيع ابنك

وبعدئذ جاهر النبي بدعوته وسبّ الاصنام وعابديها وسفه الاحلام وتابعيها ونسب أهله وآباءهم الى الكفر والضلال فلما علموا بهذه المجاهرة أجمعوا على مقاومته ولكنهم لم يجدوا اليه سبيلاً لانه كان في كفالة عمه أبي طالب . فجاء جماعة من أشرافهم الى أبي طالب وبينهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والاسود بن المطلب والعاص بن وائل وغيرهم وقالوا له يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب

آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما ان تكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه . فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً وردهم رداً رقيقا

ثم رأوه لا يزال يسب آلهتهم فعادوا الى أبي طالب وقد اشتد حنقهم عليه وأخذ منهم الغيظ كل ماخذ . وقالوا له . انا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك حتى يهلك أحد الفريقين . فاستعظم أبو طالب فراق أهله وعداوتهم له فاعلم محمداً بما قالت قريش وقال له . ابق على نفسك وعليّ ولا تحملني ما لا طاقة لي به . فظن محمداً ان عمه يخذله . فقال ياعماه « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك ما تركته » ثم بكى وقام فلما همّ بالانصراف ناداه عمه أبو طالب فاقبل عليه وقال له اذهب يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله ما أسلمك أبداً

ولم تثن هذه المعاملة السيئة عزم النبي عن اظهار دعوته بل ازداد تصريحاً بها سراً وجهراً ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب فاشتد ساعد النبي بهما لانهما كانا من أهل الجاه والقوة ولما آيس سائر أعمامه من وساطة عمه أبي طالب استحسنوا ان يسترضوه بالحيلة فبعثوا اليه وقد اجتمع كبارهم في ندوة . فجاء فاستقبلوه بالبشاشة غير المعهودة فيهم وقالوا له « انا والله لا نعلم رجلاً من العرب جاء قومه مثل ما جئت قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين واحتقرت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق قبيح الا قد جئت به فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا تطلب مالاً أو ملكاً أو شرفاً نعطيك ما تشاء ونملكك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك نبذل لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك أو نعذر فيك »

فقال لهم « مابي ما تقولون وما جئت ما جئتكم أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني رسولا وأنزل عليّ كتاباً وأمرني ان أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا وفي الآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » فلما لم يجدوا لاسترضائه سبيلا ولا بالحيلة جعلوا يسومون

الذين اتبعوه وأسلموا أنواع العذابات والمسلمون صابرون على ذلك . ولما اشتد أذى قريش على المستضعفين من الاسلام أشار عليهم النبي ان يهاجروا الى بلاد الحبشة فهاجروا اليها تباعاً حتى بلغ عدد المهاجرين ٨٣ رجلاً ما عدا النساء والاطفال وهي الهجرة الاولى . فلقي المهاجرون من النجاشي ترحاباً عظيماً لم يكونوا يحلمون به وهم في مكة وأرسلت قريش الى النجاشي ان يسلمهم المسلمين فلم يفعل

ثم جعل النبي يعرض نفسه على العرب في المواسم وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم الى الاسلام تبعه عمه أبو لهب فاذا فرغ النبي من كلامه يقول لهم أبو لهب « يا بني فلان انما يدعوكم هذا الى أن تستحلوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له »

ولكن كل ذلك لم يكن يضعف همة النبي في اظهار دعوته وما زال يعرض نفسه على كل قادم يسمع انه ذو شرف ونسب حتى بايعه نفر من أهل يثرب (المدينة) وهي بيعة العقبة الاولى أو بيعة النساء فكانوا سبباً في انتشار الاسلام (وهم الانصار) وفي هذه الاثناء مات أبو طالب (قبل الهجرة بثلاث سنوات) وكانت خديجة ماتت قبله بمدة قصيرة فعظمت المصيبة على النبي وانتهزت قريش الفرصة بعد وفاة أبي طالب وصاروا يسومون النبي من الاهانات ما لا يحتمل حتى كان ينثر بعضهم التراب على رأسه ويطرح عليه بعضهم رحم الشاة وهو يصلي . فصار يسترحمهم ولا راحم

فنشط أهل المدينة النبي أن يهاجر الى مدينتهم على أن ينصروه ويكون في منعة فهاجر الى المدينة (سنة ٦٢٢ ب م) ومعه من بايعه من قبيلته « وهم المهاجرون » تمييزاً عن الفئة الاخرى من الصحابة وهم الانصار وبهذه الهجرة يؤرخ المسلمون وقائعهم الى الآن . واشتد ساعد الاسلام في المدينة وتحولوا الى الانتقام من أهل مكة فارسل النبي عبد الله بن جحش في ثمانية من المهاجرين ليرصد قريشاً ويعلم أخبارهم فمضى عبد الله ونزل بنخلة بين مكة والطائف فمرت عير لقريش تحمل زبيباً فقتلوا واسروا رجالها وغنموا مامعهم وهذه أول غنيمة في الاسلام

(غزوة بدر الكبرى) وفي السنة التالية علم النبي بقدوم قافلة عظيمة لقريش

من الشام وفيها أموال كثيرة يخفرها ثلاثون رجلا يرأسهم أبو سفيان بن حرب كبير أهل مكة وقتئذ . فامر النبي أصحابه بزو القافلة وغنم أموالها فعلم أبو سفيان ذلك فأرسل يستنجد أهل مكة فجاءه ٩٥٠ رجلاً بينهم مائة فارس وكان المسلمون ٣١٣ بينهم ٧٠ من المهاجرين والباقون من الانصار . وبلغ المسلمون بعد خروجهم من المدينة ان القافلة قاربت آبار بدر (واليها تنسب الغزوة) فسبقوهم الى هناك ونصبوا للنبي عريشا جلس فيه وتهيأوا للحرب وعلم النبي ما سيكون من عظم التأثير لهذه الواقعة فاستحث قومه واستوثق منهم فوجدهم لا يقلون عنه رغبة في الحرب حتى الموت وابتدأ القتال بالمبارزة ثم دارت رحى الحرب فكان النصر للمسلمين بعد ان قتل منهم أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقتل من القرشيين ٧٠ رجلا كلهم أشراف بطون قريش وخصوصاً بني أمية وبني مخزوم وبني أسد . وأسر منهم سبعون رجلاً منهم عقبة بن أبي معيط فأمر النبي بقتله لما كان من أذاه له بمكة وفر من بقي من قريش تاركين الامتعة والاموال فغنمها المسلمون وفرقها النبي عليهم بالسواء ولم يأخذ لنفسه شيئاً ولما اخذل أهل مكة انكسرت شوكتهم وقلت هيبتهم وعظم أمر المسلمين وخصوصاً بموت أبي لهب وهو لم يحضر واقعة بدر بل أرسل بدلاً عنه فلما سمع بانكسار قومه مات مقهوراً

وتبع غزوة بدر الكبرى غزوات كثيرة يقصر المقام عن استيفائها مطولاً فنقتصر على ذكرها وهي غزوة بني قينقاع وغزوة الكدر وغزوة السويق وغزوة أحُد «التي خذل فيها المسلمون بخيانة عبد الله بن أبيّ بن ابي سلول» وغزوة حمراء الاسد وغزوة الرجيع وغزوة ذات الرقاع وغزوة بدر الثانية وغزوة الخندق وتدعى غزوة الاحزاب التي فيها حاصر الاحزاب المدينة فاعياهم الخندق الذي حفره النبي وعادوا خاسرين وغزوة بني قريظة وغزوة بني لحيان وغزوة ذي قرد وغزوة بني المصطلق من خزاعة وغزوة خيبر وغزوة ذات السلاسل وغزوة الخبط وغزوة مؤتة وعقب غزوة مؤتة هذه فتح مكة كما سترى

(فتح مكة) وبعد شهرين من حدوث غزوة مؤتة عزم النبي على فتح مكة فسار في أصحابه وبلغ عددهم عشرة آلاف نفر فسمع أبو سفيان خبر قدوم هذا الجيش لفتح مدينتهم فخرج ومعه حكيم بن خزام وبديل بن ورقاء الخزاعي

ليتجسسوا فلقيهم العباس بن عبد المطلب فقال له أبو سفيان ما وراءك . فقال له . هذا رسول الله أتاكم في عشرة آلاف . فقال له وما الرأي الآن . فنصحه العباس ان يذهب الى النبي ويستأمن فلم يجد أفضل من هذا الرأي لعجز قريش عن مقاومة جيش عظيم كهذا . ثم روا جميعا قاصدين مكان النبي فرأى أبو سفيان صدق قول العباس فقال له . لقد صار ابن أخيك عظيما . ثم وفدوا على النبي فاكرم وفادتهم وأسلم أبو سفيان ومن معه فأمنهم النبي على أنفسهم والداخل في بيوتهم كالمحتمي بالمسجد ورجع أبو سفيان الى مكة واخبرهم بما فعل وطلب منهم ان يسلموا ويطلبوا الامان فغضبوا جداً مما فعل وأهانوه اهانة عظمى حتى ان امرأته هند مسكت لحيته وقالت « يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق » ثم دخل المسلمون مكة بعد ان فتحوها وقصد النبي الكعبة وطاف بها سبعا وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » وأمر بالاصنام وصور الانبياء التي كانت معلقة بالكعبة فكسرت ومن ذلك الحين تحولت الكعبة من بيت أصنام الى مسجد يعبد الله فيه ويحج اليه المسلمون من أربعة أقطار المعمور سنوياً وبعد ان استتب الامر للنبي في مكة وأسلم كل من فيها أرسل سراياه الى ما حولها داعياً الناس الى الاسلام ثم غزا حنين والطائف وأسلم أهلوها

ثم ذاع خبر النبي وفتوحاته وغزواته وما كان من قوته وصولته فاتته قبائل العرب اسراباً ودخلوا تحت طاعته وأسلموا ولم يمض طويل زمان حتى أسلمت كل جزيرة العرب ودانت للنبي

ثم حول النبي شكيمة فتوحاته الى خارج جزيرة العرب فجهز جيشاً من ثلاثين ألفاً بينهم عشرة آلاف فارس لفتح الشام واستخلاصه من أيدي الروم فساروا حتى وصلوا الى بلدة تدعى تبوك (واليها تنسب هذه الغزوة) بعد ان اعياهم التعب لشدة ما لاقوه في الطريق امدم وجود ماء فجاءهم يوحنا بن دربة صاحب ايلة (مدينة في رأس خليج العقبة) وصالحهم على الجزية . وفي هذه الاثناء أرسل النبي خالد بن الوليد الى كيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانياً من كندة فوجده خالد يصيد بقراً فقتل أخاه حساناً وأخذ من كيدر قباء ديباج مخوص بالذهب فارسله الى النبي فجعل المسلمون يلمسونه

ويتعجبون منه . ثم عادوا ولم يفتحوا شيئاً من بلاد الروم . وكانت غزوة تبوك هذه آخر غزوة حضرها النبي اذ في السنة الحادية عشرة للهجرة توفي النبي صاحب الشريعة الاسلامية . ومما يجب ذكره ان في السنة التاسعة للهجرة كاتب الملوك يدعوهم الى الاسلام فبعث الى النجاشي ملك الحبشة عمر بن أمية بكتاب فقبله والى المقوقس عامل الروم على مصر حاطب بن أبي بلتعة بكتاب فاكرم المقوقس وفادته ورده بهدية الى النبي فيها مارية القبطية والدة ابراهيم بن النبي . والى هرقل قيصر الروم دحية بكتاب والى كسرى ملك الفرس عبد الله بن حذافة بكتاب فمزقه كسرى فدعى عليه النبي قائلاً « مزق الله ملكه » والى كثيرين غير من ذكرنا خصوصاً ملوك شبه جزيرة العرب . ويحسن بنا أن نأتي بنص كتاب من هذه الكتب أنموذجاً لها لانها وان اختلفت في الوضع واللفظ فمعناها واحد فاليك صورة الكتاب الذي أرسله الى المقوقس وهذا نصه

« من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا إشهدوا بانا مسلمون »

الخلفاء الراشدون

٥ — خلافة أبي بكر الصديق

من سنة ١١ — ١٣ هـ أو من سنة ٦٣٢ — ٦٣٤ م

مات النبي ولم يوص بالخلافة لاحد بعده فاجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة (لذلك دعي حديث السقيفة) فلما سمع أبو بكر ذلك أتاهم ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وقال لهم ما هذا فقالوا منا أمير ومنكم أمير. فقال لهم أبو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح فقام عمر في

الحال وبايع لابي بكر وبايعه الناس إلا أن بعض الانصار لم ترق لهم هذه المبايعة وقالوا لا نبايع إلا علياً وكان قد تخلف عن مبايعة أبي بكر علي وبنو هاشم والزبير وطلحة وقال الزبير. لا أغمد سيفاً حتى يبايع علي. فقال عمر بن الخطاب خذوا سيفه واضربوا به الحجر براً بيمينه وما زال بهم حتى ألزمهم بمبايعة ابي بكر واستتب له الامر وانقضى الاشكال

تسلم ابو بكر الصديق منصب الخلافة والاسلام في خطر شديد وارتباك ما عليه من مزيد ولكنه كان أهلاً لهذا المنصب الخطير وأصدق دليل على ذلك حسن بلائه في من ارتد عن الاسلام كما ستراه حتى أعاد الى الاسلام رونقه

واليك أول خطبة قالها ثاني يوم مبايعته ليتبين لك فضل ذلك الرجل اذ وقف على المنبر خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه . والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق ان شاء الله تعالى . لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »

(أخبار الردة) بعد وفاة نبي الامة الاسلامية ارتدت أغلب قبائل العرب عن الاسلام . وادعى كثيرون من المرتدين النبوة مستعينين على اظهار دعوتهم بقبائلهم منهم طليحة الاسدي الذي لما رأى كثرة أنصاره تطاول الى الهجوم على المدينة وهي يومئذ عاصمة الخلافة الاسلامية وكاد يفتحها لولا حكمة أبي بكر الذي لم يكن يغفل عن عمل التدابير اللازمة لهلاك المشركين فانتصر المسلمون انتصاراً باهراً وفر المشركون . ومنهم مسيلمة من بني حنيفة في اليمامة . وسجاح من تميم . ولما رأى أبو بكر أمر الردة عم واستفحل عقد أحد عشر لواء لاحد عشر قائداً وبثهم في أطراف جزيرة العرب ولم تمض سنتان حتى استتب الامر لابي بكر وعادت المياه الى مجاريها

ولما تلاشى أمر الردة أرسل أبو بكر الى خالد بن الوليد وكان أميراً على لواء من الاحد عشر ان يغزو العراق والحيرة وكان على الحيرة أياس بن قبيصة الطائي بعد النعمان بن المنذر بن ماء السماء فذهب خالد بجيشه الى العراق وكان عليه ابن

صلوبا فصالحه على عشرة آلاف دينار ثم سار الى الحيرة فدعاهم خالد الى الاسلام أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاختاروا الجزية فصالحهم على تسعين ألف دينار وكانت العراق والحيرة في ذلك الحين من ضمن مملكة الفرس وكانت المناذرة عمالاً للاكاسرة على العراق فكانت هذه أول جزية أخذت من الفرس في الاسلام . وسار خالد بن الوليد متقدماً يفتح المدائن من الفرس الواحدة بعد الاخرى . فبعد ان استتب له الامر في الحيرة سار الى الانبار وفتحها وفتح أيضاً عين التمر . (وكان خالد المذكور من مشاهير قواد المسلمين حتى دعي سيف الله) ثم أرسل الى أبي بكر ينبئه بما أوتيه من الفتح والنصر وأرسل اليه كثيراً من الغنائم والسبايا التي غنمها

(بدء فتوح الشام) عزم النبي في حياته على غزو الروم وفتح الشام كما مر بك في سيرته ولكن لم يتيسر له ذلك فاتبع أبو بكر خطوات النبي وسعى في تنفيذ وعمل كل ما كان في عزم النبي ان يعمله ومن ذلك فتح الشام فسير جيشاً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح يتألف من ثلاثة وثلاثين ألف مقاتل بينهم أشهر قواد المسلمين مثل عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل وغيرهم وزودهم أبو بكر بالنصائح قبل سفرهم فقال لهم « عليكم بتقوى الله في السر والعلانية واذا قدمتم على جندكم فاحسنوا صحبتهم وابدأوهم بالخير . واذا وعظتموهم فاوجزوا فان كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً . واصلحوا أنفسكم يصلح لكم الناس وصلوا الصلوات في أوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها واذا قدم عليكم رسل الاعداء فاكرموهم واقللوا لبثهم حتى يخرجوا من عسكركم وهم جاهلون به . وأكثروا حرسكم وبددوهم في عسكركم واكثروا مفاجأتهم بمحارسهم بغير علم منهم بكم فان وجدتموه غفل عن محرسه فاحسنوا أدبه وعاقبوه . وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له » ولا يخفى فوائد مثل هذه النصائح خصوصاً اذا كانت من شخص كأبي بكر جمع بين الدين والدنيا . فهو امام المسلمين ديناً وقائدهم دنيا . فسارت هذه الجيوش هكذا — أبو عبيدة الى الجابية — ويزيد بن أبي سفيان الى البلقاء — وشرحبيل الى الاردن — وعمرو ابن العاص الى العربة . فبلغ الروم قدوم هذه الجيوش لفتح بلادهم فاسرع هرقل

باعداد الجيوش اللازمة ليتمكن من هزيمة المسلمين وهم على مثل هذه الحال من التشتت والتفريق مع كثرة جنوده وقلة جنود المسلمين وأدرك عمرو بن العاص الخطر المحدق بهم لانه يمكن للروم ارسال جيش اضعاف جيش المسلمين لكل سرية من سراياه وحينئذ يتمكنون من كسر جيش المسلمين بل ملاشاته فارسل الى أبي عبيدة بن الجراح يقول له « ان الرأي لمثلنا الاجماع فاننا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلة وان تفرقنا لا تقوم فرقة بمن قابلها لكثرة عدونا » فكتب هذا الى أبي بكر يستشيره فيما رآه ابن العاص فاجاب مثل رأي عمرو فاجتمع المسلمون في اليرموك واجتمع الروم هناك أيضاً . وفي هذه الاثناء ارسل أبو بكر الى خالد ابن الوليد وكان حينئذ في الحيرة كما تقدم يأمره بلحاق اخوانه بالشام فسار خالد في عشرة آلاف مقاتل حتى أتى اليرموك فوجد الروم قد امتنعوا في حصن اليرموك وخندقوا حوله وقد عجز المسلمون عن فتحه فضلاً عن خوار عزائمهم لكثرة الروم وقلتهم وسمع بعضهم يقول « ما أكثر الروم وأقل المسلمين » فقال له « ما أقل الروم وأكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان »

وصار جيش المسلمين بعد حضور خالد ثلاثة وأربعين ألفاً وفي قول خمسين ألفاً وكان الروم المحصورون في اليرموك مائتين وأربعين ألفاً . فخطب خالد بن الوليد فيهم يحرضهم على القتال وحارب الروم بمثل نظام جيوشهم بان رتب الجند كراديس جعل على كل كردوس منها قائداً ولم تكن هذه الطريقة معروفة عند المسلمين من قبل . فانتصر المسلمون انتصاراً باهراً وفتحوا حصن اليرموك وهرب جيش الروم مع كثرته . وأبلى جيش المسلمين في هذه الواقعة بلاء حسناً حتى ان النساء قاتلن فيها وبلغت خسائر جيش المسلمين في واقعة اليرموك ثلاثة آلاف رجل بين قتيل وجريح . وفي أثناء هذه الواقعة وقبل فتح اليرموك توفي أبو بكر الصديق وقيل في وفاته انه مات مسموماً في طبخة ارز .. وقيل بل استحم في يوم شديد البرد فحمّ ومات بعد ان أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر

٦ - خلافة عمر بن الخطاب

من سنة ١٣ — ٢٣ هـ أو من سنة ٦٣٤ — ٦٤٤ م

بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر وكان من أحسن الناس سيرة وعدلاً متصفاً بالزهد والاستقامة وكان عظيم من العدالة شديد الحرص على حماية الدين وحقوق الخلافة . قال ذات يوم وهو يخطب على المنبر . « أيها الناس من رأى فيّ اعوجاجاً فليقوّمه » فقام رجل من وسط الجماعة وقال « والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » . فقال . الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه

وأول عمل باشره انه أمر بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة مكانه في قيادة جيشه وفي أيامه اتسعت فتوحات المسلمين أكثر مما في أيام غيره من الخلفاء واليك البيان

(فتح الشام) تركنا جيش المسلمين وقد فتح اليرموك بقيادة بطله الشهير خالد بن الوليد وفتح اليرموك لم يكن في زمن أبي بكر بل في بدء خلافة عمر بن الخطاب انما ذكرناه هناك تتمة للحديث ونوهنا عن ذلك كما مرّ بك وبعد ان هزم الروم وولوا هاربين وصلوا الى فحل واحتموا بها واتاهم فيها المدد فسمع أبو عبيدة ذلك وبان أهل دمشق تحصنوا أيضا وأتاهم المدد فارسل الى عمر يستشيره في أي الحصنين يبدأ بالهجوم فاشار عليه ان يبدأ بفتح دمشق لانها حصن الشام وبيت ملكهم ومفتاحه وان يشغل أهل فحل بسرية تناوشهم حتى اذا انتهى من فتح دمشق يعود اليها ويهون عليه فتحها . فاستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير ابن كعب وسار تواً قاصداً دمشق اتباعاً لاوامر الخليفة وأرسل كتيبة لمناوشة أهل فحل وحاصرها من جميع الجهات وشدد عليها الحصار وضرب أسوارها بالمنجنيق . وكان خالد بن الوليد لا ينام حتى يعرف أسرار دمشق والطريقة التي تعجل فتحها (ولم يكن وصله خبر عزله الى الآن) فعلم ذات يوم ان أهل دمشق في عيد لمناسبة مولود ولد لكبيرهم فانتهز الفرصة والدمشقيون غافلون عن الدفاع وأخذ حبالاً عملها كهيئة السلالم وصعد على السور ومعه القعقاع

ابن عمرو ومزعور بن عدي وغيرهم وكان قد أوصى الجماعة اذا سمعوهم يكبرون أن يرقوا السلم ويقصدوا الباب . فلما وصل هو وجماعته الى أعلى السور انحدر هو داخل المدينة وأشار الى من على السور أن يكبروا فكبروا فتراكمت الجنود على السلالم وعلوا السور ودخلوا المدينة وفتحوا أبوابها وأهلها لاهون بولائمهم فاعملوا فيهم قتلاً ونهباً فطلبوا الصلح والامان فأمنوهم . ولما فتحت دمشق سار أبو عبيدة الى فحل بعد ان استخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان . ورتب جيشه هكذا — المقدمة عليها خالد بن الوليد — وهو « أبو عبيدة » الميمنة — عمرو بن العاص الميسرة — وقائد الفرسان ضرار بن الازور وقائد المشاة شرحبيل بن حسنة . وساروا على هذه التعبية حتى وصلوا فحل وكان الروم قد بثقوا ماء غزيراً حول فحل فوحلت الارض لكي يمنعوا جيش المسلمين من مهاجمتهم . فاعيت هذه الاوحال المسلمين عن التقدم الى الحصن فظن فيهم الروم ضعفاً وخرجوا من الحصن هاجمين على المسلمين فاشتد القتال بينهم وانهزم الروم شر هزيمة وكانت الاوحال التي جعلوها حول فحل لضرر المسلمين من أعظم أسباب هزيمتهم وفوز المسلمين

ثم سار أبو عبيدة وخالد ومن معهم قاصدين حمص والفوز حليفهم وفي طريقهم صالحهم أهالي بيسان وطبرية على الجزية وبلغ هرقل ملك الروم ان جيش المسلمين سار قاصداً حمص فارسل اليهم جيشاً كثيفاً ليعيق حركاتهم فالتقى الجيشان بمرج الروم واقتتلوا اقتتالا شديداً كان الفوز فيه للمسلمين طبعاً . ثم سار أبو عبيدة بجيشه المنتصر حتى وصل بعلبك فحاصرها فطلب أهلها الامان فأمنهم وصالحهم وسار عنهم قاصداً حمص فوصلها ووجد الروم على تمام الاستعداد لرد هجماتهم فالتحم الجيشان والتقى الشجعان وهرب الجبان وما زالوا على هذه الحالة والروم يطاولونهم ولا يقاتلونهم الا في الايام الشديدة البرد ولقي المسلمون عناء شديداً لشدة البرد فطال حصار حمص والمسلمون صابرون الى انقضاء الشتاء ببرده القارس فاستعد المسلمون للهجوم النهائي على المدينة وكبروا تكبيرة تزعزعت لها أسوار حمص وأردفوها بأخرى ازعجت قلوب الروم داخل الاسوار حتى خرجوا طالبين الصلح فصالحهم أبو عبيدة ففتحوا له أبواب المدينة وأثرت هذه الانتصارات المتوالية في سكان المدن الاخرى فاتوا أفواجاً أفواجاً طالبين الصلح

راغبين في دفع الجزية هكذا فعل أهل حماة ومعرة حمص

ثم استخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت وتقدم يقاتل الروم ويفتح مدائنهم الواحدة بعد الاخرى ففتح اللاذقية وقنسرين وحلب وانطاكية وغيرها من مدائن الشام وبعد ان فتح أعظم وأكبر مدن الشام وجه التفاته الى بيت المقدس (اورشليم) فقدم اليها بجيشه الظافر وحاصر المدينة فلما رأى أهل بيت المقدس ان مدينتهم واقعة في أيدي المسلمين لا محالة طلبوا الصلح على ان يكون على يد الخليفة عمر بن الخطاب فكتب اليه ابو عبيدة بذلك فقدم الشام بعد أن استخلف علي بن أبي طالب على المدينة . واستقبله رؤساء الجيوش الاسلامية ابو عبيدة وشرحبيل وخالد على الخيول المطهمة وعليهم الديباج والحرير فنزل الخليفة وأخذ حجارة وجعل يرميهم بها ويقول « ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم اياي تستقبلون في هذا الزي وانما شبعتم منذ سنتين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم » فاعتذروا له وساروا جميعاً حتى بيت المقدس وصالح الخليفة أهله وعاد بسبب الطاعون . ومازالت الجيوش الاسلامية تفتح مدائن الشام وسواحله حتى صار الشام جزءاً من المملكة الاسلامية والعامل عليه أبو عبيدة بن الجراح

(فتح بلاد فارس) بعد ان فتح خالد بن الوليد الحيرة والعراق أتاه كتاب أبي بكر أن يلحق باخوانه في اليرموك كما مر ذكر ذلك في حينه فقبل مبارحة الحيرة استخلف عليها المثنى بن الحارثة الشيباني وكان من شجعان قواد المسلمين فاستقام له الامر وأطاعه الاهالي وهابوه . وأرسل اليه شهريز ملك فارس عشرة آلاف مقاتل بقيادة هرمز ليستخلص منه الحيرة فخرج المثنى بجيشه لمقاتلته وارسل شهريز الى المثنى كتابا يقول له فيه « قد بعثت اليكم جنداً من وحش أهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك الا بهم » فرد عليه المثنى يقول « انما أنت أحد رجلين إما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين فضيحة عند الله والناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي انكم انما أضررتم بهم والحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير » فتأمل أيها القارىء الكريم شجاعة هذا مقدارها كانت بالحقيقة كافية لان تجعل الفرس أن يجزعوا ويتهيبوا لقاء المسلمين وهذه صفة قائدهم والتقى الجيشان ببابل وبعد قتال

شديد انهزم الفرس وولوا مدبرين فتعقبهم المسلمون حتى المدائن فلما سمع شهربز بانهزام جيش هرمز مات مقهوراً أما المثنى فبعد هذه الواقعة أرسل الى أبي بكر يخبره بها ويستمده حتى يتسنى له فتح باقي بلاد فارس فابطأ عليه خبر أبي بكر فسار بنفسه الى المدينة بعد ان استخلف مكانه بشير بن الخصاصية فوصل المدينة وكان أبو بكر مريضاً فاخبره الخبر وتوفي أبو بكر بعد قليل وصارت الخلافة الى عمر بن الخطاب فامد هذا بمن انتدبهم لهذه الغاية بقيادة أبي عبيد بن مسعود فساروا جميعاً قاصدين بلاد فارس يتقدمهم المثنى . وكانت بلاد فارس في ذلك الوقت كشعلة نار بسبب الثورات الداخلية بعد موت ملكهم حتى انه ملك عليهم في مدة قصيرة تسعة ملوك كل منهم يدعي الحق لنفسه فتثور عليه البلاد فتقتله ويملك غيره وفي هذه الاثناء جهز المسلمون على الفرس وافتتحوا بلادهم ومن ضمن الذين تملكوا من هؤلاء التسعة الملكة بوران تبوأت تخت المملكة بمساعدة قائد جيوش الفرس رستم وأشركته في الملك فاستتب لهم الحال على نوع ما . فوجه رستم بعض التفاته الى ما يتهدد حياة المملكة من الخارج فارسل الى الدهاقين الذين دخلوا تحت طاعة المسلمين ان يثوروا عليهم وأرسل اليهم خطباء تهيجهم وكل ذلك ليمهد الطريق لجيشه الذي عزم على ارساله لرد هجمات المسلمين وفي هذه الاثناء وصل المثنى الحيرة وانتظر حتى تكامل الجيش ثم فضل ان ينتقل الى خفان لئلا يقطع عليه الفرس خط الرجعة فوصلها ثم مكث أياماً ريثما يستريح الجيش من تعب السفر حتى يكون قادراً على ملاقاة عدو شديد كالفرس . ثم تفقد جيش الفرس فعلم انه نازل بالنمارق فسار اليه المثنى وأبو عبيد ومعهم جيوش المسلمين فالتقوا بالفرس بالنمارق ودارت رحى الحرب وحمي وطيسها وانجلت الواقعة عن انهزام الفرس وأسر قائدهم المدعو جابان أسره أحد المسلمين المدعو مطر لكنه تمكن من خدع مطر واغراه بأن يؤمنه على أن يعطيه مالاً ومماليك فخلى سبيله ولكنه وقع في أيدي المسلمين أيضاً وأرسلوه الى أبي عبيد وعرفوه انه جابان قائد جيش الفرس وطلبوا اليه أن يأمرهم بقتله فقال لهم أبو عبيد « اني أخاف الله ان اقتله وقد أمنه رجل مسلم والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم » فاطلقوا سراحه وهربت جيوش الفرس الى كسكر والمسلمون يعقبونهم وأتى الفرس المدد وهم بكسكر فالتقى الجيشان

بمكان يدعى السقاطية واقتتلوا قتالا شديداً وفاز المسلمون فوزاً مبيناً وولى الفرس الادبار

فلما علم رستم بانهزام جيش فارس عظم عليه الامر جداً وأرسل جيشاً كثيفاً بقيادة بهمن جاذويه الملقب بذي الحاجب وفي مقدمة جيوشه الفيلة فادركوا المسلمين وفصل بينهما الماء فارسل بهمن الى أبي عبيد يقول له : اما ان تعبروا الينا أو نعبر اليكم . فاستشار من معه فاشاروا عليه أن يطلب منهم العبور فلم يوافقهم أبو عبيد على هذا الرأي وقال لا يكون الفرس أجرأ على الموت منا فعبر وعبر الناس معه على جسر عقدوه لهذه الغاية فما عتم المسلمون أن وصلوا البر الآخر حتى حملت عليهم الفيلة فنفرت خيولهم منها ولم تكن تعودت مقابلة الفيلة واشتد الامر بالمسلمين جداً وأصلاهم الفرس بالنشاب ناراً حامية فلما راى أبو عبيد ضيق الموقف ترجل وصرخ في الجيش أن اقصدوا الفيلة وابقروا بطونها واقلبوا عنها أهلها وقصد هو الفيل الابيض فبقر بطنه وفعل القوم مثل فعله ولكن قتل الفيل الابيض أبا عبيد فخارت قوى المسلمين بقتله فحض المثنى الجماعة على الصبر وحسن الجهاد وما زال كذلك حتى جرح فرجع المسلمون وعبروا الماء الى الشاطىء الآخر وكادوا يغرقون لولا شجاعة المثنى . ودعيت هذه الواقعة واقعة الجسر

فبلغ عمر بن الخطاب ما أصاب المسلمين بفارس بواقعة الجسر فاستحث همم الناس وأسرع بارسال المدد الى المثنى واتخذ المثنى البويب قاعدة لاعماله الحربية فلما تكامل ورود جيش المسلمين وامدادهم تكامل جيش الفرس أيضا فارسل قائد الفرس الى المثنى أن اعبروا الينا او نعبر اليكم وكان بينهم الفرات فطلب منه العبور فعبر الفرس يتقدمهم الفيلة ايضاً والتحم الجيشان وكأن الخيل قد تعودت مقابلة الفيلة فلم تنفر منها مثل ذي قبل واشتد القتال وجال المثنى في جيشه محرضاً يحث الجبان ومن يجده محتاجاً للحث حتى تم الفوز للمسلمين فاعملوا السيف في الفرس فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . قيل بلغ عدد القتلى مائة ألف ومكثت الجثث ملقاة مدة طويلة ولم ينج من الفرس في هذه الواقعة إلا كل طويل العمر

وهيجت هذه الهزيمة الشنيعة احقاد الفرس على رستم والفيرذان وكانا على

أهل فارس وقالوا لهما بتباغضكم وتضاغنكم قد أخربتم البلاد واطمعتم الاعداء وطلبوا ان لا يملك عليهم الا ملك من آل كسرى فوجدوا يزدجرد مختبئاً فملكوه عليهم وأطاعوه واهتم اهتماماً شديداً بالجيش وجند كل من قدر على تجنيده وأرسله بقيادة رستم نفسه للفتك بالمسلمين . ومما يدل على شديد اهتمامه انه جعل أشخاصاً يقفون الواحد مقابل الآخر على بعد معلوم بشرط ان يسمع أحدهم كلام الآخر من ايوانه الى مركز الجيش حيث يقيم رستم حتى يعلم أخبار حركاته باسرع ما يمكن . ولما علم المثنى باستعداد الفرس استعداداً تاماً اسرع باخبار عمر بن الخطاب ليمده باهل القوة وبين له صعوبة المركز فجمع عمر جيشاً مؤلفاً من أربعة آلاف مقاتل وعزم ان يسير بنفسه مدداً للمثنى فنهاه الناس عن ذلك فارسل سعد بن أبي وقاص على الجيش وما زال يمده بما في الامكان حتى بلغ عدد جيشه ثمانية آلاف جندي ومات المثنى قبل وصول سعد بن أبي وقاص من جراحة أصابته وقبل موته اوصى المعنى أخاه بقول يقوله لسعد وللمسلمين وهو « ان يقاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة »

وما زال سعد سائراً هو ومن معه حتى وصل القادسية وجمع اليه جيش المثنى فكان جميع جيش المسلمين بالقادسية بضعة وثلاثين ألفاً . وارسل سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب يستشيره في ما يعمل ويعلمه بعظيم استعداد الفرس فارسل اليه يقول لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث الى ملك الفرس رجالا من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونهم فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم » فارسل سعد رجالا بينهم النعمان بن مقرن والمغيرة بن زرارة وعاصم ابن عمر وغيرهم من فصحاء قومه فساروا حتى وصلوا ايوان كسرى يزدجرد فبلغ كسرى قدومهم فاستدعى وزراءه وجمعهم وادخل رسل المسلمين اليه وأحضر ترجماناً بينهم وقال للترجمان سل هؤلاء « ما الذي أتى بهم بلادنا لغزونا أمن أجل انهم وجدونا قد تشاغلنا عنهم بامورنا الداخلية اجترأوا علينا » فترجم الترجمان للمسلمين قول يزدجرد فنظر النعمان بن مقرن الى من معه وقال لهم ان أذنتم لي أتكلم وإلا فليتكلم أحدكم فأذنوا له بالكلام فقال . « ان الله رحمنا فارسل إلينا

رسولاً ينهانا عن الشر و يأمرنا بالخير ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقه وتباعد عنه فرقة ثم أمرنا ان نبتدئ بمن خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا وهم على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدي بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف . فنحن ندعوكم الى ديننا الذي هو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فاذا أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر أشر منه . الجزية فان أبيتم فالمناجزة . وان أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه فنرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم »

فقال له يزدجرد « اني لا أعلم أمة في الارض كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم . وقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم ولا تطمعوا أن تقدموا لفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتاً الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم » فقام مغيرة بن زرارة وقال « أيها الملك ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما أرسلوا به قالوا ولا كل ما تكلمت به أجابوك عنه فجاوبني لاكون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك لي وأما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ماوصفت وأشد » ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال النبي نحو قول النعمان وأمرهم بمقاتلة من خالفهم أو الجزية . ثم قال له « اختران شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وان شئت فالسيف او تسلم فتنجي نفسك » فقال لهم يزدجرد « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم » وطلب ان يضعوا على اشرفهم وقر تراب وان يسوقوهم حتى يخرجوا من باب المدائن فأتى الفرس بوقر تراب كطلب ملكهم فعندئذ قال لهم عمر بن العاصم أنا اشرف القوم أنا الرئيس والمتقدم فيهم فوضعه على عنقه وقال لهم اخرجوا واذهبوا الى صاحبكم وأعلموه اني مرسل لكم رستم ليدفنه واياكم في خندق القادسية فخرج رسل سعد حتى أتوه وقالوا له ابشر فوالله لقد أعطانا الله مقاليد ملكهم . وكان لشجاعة رسل سعد تأثير شديد في قلوب الفرس فهيبوهم حتى ان رستم أراد ان يتخلص من قيادة

الجيش الذي سيزحف الى القادسية لمقاتلة المسلمين فلم يجد لذلك سبيلا لان يزدجرد أصرّ إلا أن يكون هو قائداً لتلك الحملة . فلما لم يجد بداً من ذلك قبل مضطراً فسار بجيش جرار من الفرس حتى وصل الى القادسية وودّ أن ينتهي الامر بينهم بلا قتال فطلب الى سعد ان يرسل اليه أحد رؤسائهم ليتخابروا فيما فيه خير الطرفين فأرسل اليه سعد كطلبه واحداً بعد آخر ولم تجد هذه المخابرات الودية فائدة لان طلبات المسلمين انحصرت في احدى ثلاث خصال إما أن يدخل الفرس في الدين الاسلامي أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون وإلا فالسيف يحكم بين الفريقين . فلما رأى رستم أنه لا بد من الحرب أشعل نارها وهو متهيب منها فدارت رحى الحرب بين الفريقين ثلاثة أيام متوالية لم يظهر أحد الفريقين على الآخر حتى كانت ليلة الهرير هجمت فيها جنود المسلمين بقلوب لا تهاب الموت حتى أجلوا الفرس من مواقفهم فظهر الخلل في صفوفهم ووقع رستم قتيلاً في هذه الليلة . فتراجعت جيوش الفرس وطلبت الفرار والمسلمون يتعقبونهم حتى أفنوا منهم خلقاً لا يحصي عدده إلا الله وغنموا منهم غنائم عظيمة جداً ولم تقم للفرس بعد واقعة القادسية هذه قائمة . فهي أشبهت واقعة اليرموك التي حصلت بين المسلمين والروم بالشام . ولم يحضر سعد بن أبي وقاص هذه الواقعة . ومع أن عدم حضوره كان لسبب الدمامل التي كانت في جسمه لم يسلم من انتقاد الناس حتى أن امرأته قالت في احدى ليالي هذه الواقعة « ومثناه ولا مثنى للخيل اليوم » وامرأته هذه تدعى سلمى وكانت امرأة المثنى من قبله فلطمها على وجهها وقال لها . أين المثنى من هؤلاء الشجعان الذين ترينهم واذا كنت وأنت ترين ما بي من الالم لا تعذريني فكم بالحري يلومني من لم ير جراحي من المسلمين . وكانت هذه الواقعة سنة ١٤ هجرية . وما زال نجم المسلمين بعد هذه الواقعة في صعود ونجم الفرس في نحوس وأفول حتى افتتح المسلمون أغلب مدن الفرس كبابل والموصل وحلوان وتكريت وقرقيسا وباقي مدن الجزيرة حتى انتهوا أخيراً الى فتح المدائن وفيها ايوان كسرى فانهزم الفرس هزيمة شنيعة وفر يزدجرد محتمياً بملك الترك وغنم المسلمون من المدائن تحفاً لا تقدر فقسمها سعد على الجيش بعد ان أرسل الخمس الى عمر بن الخطاب وأرسل له تاج كسرى وسلاحه وبعضاً من ملبوسه ومفروشه ليريه للمسلمين .

واستتب الامر للمسلمين في فارس والجزيرة وأرمينية وكرمان واذربيجان وهمذان واصبهان وخراسان وطبرستان والري وغيرها وصار سعد عاملا عليها واتخذ الكوفة مركزاً له

(فتح مصر) في السنة الثامنة عشرة للهجرة ذهب عمر بن الخطاب الى الشام لعقد الصلح مع أهل بيت المقدس كما تقدم فبعد افتتاحه خلا به عمرو بن العاص ورغبه في أن يسيره لفتح مصر فتخوف أمير المؤمنين من القدوم على هذا الامر فصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى ولكن عمرو بن العاص لم يزل يحسن له أمرها (وكان قد دخلها في الجاهلية ورأى عظمتها) فقال له «يا أمير المؤمنين انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي أكثر الارض أموالا وأعجزها عن الحرب والقتال» فعقد له على أربعة آلاف رجل أشداء وقال له «سر فاني مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله فان أدركك كتابي وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره»

فسار عمرو ومن معه قاصدين أرض الفراعنة حتى اذا وصل رفع (أو رفح) أتاه كتاب عمر بن الخطاب فخاف أن يكون قد أمره فيه بالانصراف عن مصر وكان قريباً من العريش فجد السير حتى وصلها ففض كتاب عمر وتلاه على جماعته ونصه «بسم الله الرحمن الرحيم من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله وبركاته . أما بعد فان أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها وان أدركك وقد دخلتها أو شيئاً من أرضها فامض واعلم اني ممدك» فسأل عمرو من معه أين نحن الآن فقالوا له بالعريش فقال لهم وهل هي من أرض الشام أو مصر فقالوا بل مصر قال . فسيروا اذاً على بركة الله . وما زال عمرو سائراً بمن معه حتى وصلوا الفرما فوجد بها جيوش الروم فهزمهم وسار الى بلبيس وكانت مدينة حصينة حاربها عمرو شهراً حتى تمكن من فتحها . وعلم عمرو ان الاربعة آلاف رجل ليست كافية للاجهاز على قوات الروم فأرسل يستمد عمر بن الخطاب أما هو فسار سيراً ضعيفاً ريثما يأتيه المدد حتى وصل أم دنين وحاصر أهلها وأبطأ عليه فتحها فأمده عمر بأربعة آلاف رجل أخر فتمكن من فتح أم دنين وتقدم سائراً في داخلية البلاد حتى قدم ومن معه

الى حصن بابلون وفي هذه الاثناء أمدهم عمر بأربعة آلاف رجل أخر فبلغ جيش المسلمين المحاصرين لحصن بابلون بقيادة عمرو بن العاص اثني عشر ألف مقاتل

وكان الروم قد خندقوا حول الحصن وأحاطوه بالاشواك الحديدية. ونصب عمرو المنجنيق وضرب به الحصن ولكنه لم يتمكن من فتحه حتى خرج من وسط الجماعة الزبير بن العوام وقال إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلماً في جانب الحصن ثم صعد عليه بعد أن أمرهم اذا سمعوه يكبر أن يجيبوه جميعاً فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر والسيف بيده وتحمج الناس على السلم حتى كاد ينكسر فلما كبر الزبير وكبر من معه لم يشك أهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعاً فهرب من في الحصن من الروم وأزالوا الجسر الموصل بين البر والحصن فصار المسلمون محصورين في الحصن. وأشار المقوقس على جماعة الروم والقبط أن ينتهزوا فرصة انحصار المسلمين ويصطلحوا معهم على شيء يرضى به الفريقان. فطلبوا من عمرو بن العاص أن يرسل مندوبين من قومه ليتخابروا الصلح. فبعث عمرو عشرة من أصحابه أحدهم عبادة بن الصامت وكان أسود اللون طويلا وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وان لا يقبل سوى احدى ثلاث خصال اما الاسلام أو الجزية أو السيف. فركبوا السفن وأتوا الى المقوقس ودخلوا عليه فتقدم عبادة ليتكلم فقال المقوقس « نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فاني اهاب سواده » فقالوا له « ان هذا الاسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمتقدم فينا وانا نرجع جميعا الى قوله » فقال المقوقس لعبادة « تقدم يا أسود كلمني برفق فاني أهاب سوادك وان اشتد علي كلامك ازددت لك هيبة » فتقدم اليه عبادة وقال « قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفتهم من أصحابي الف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني وأفظع منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب منهم لي واني قد وليت وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً وكذلك أصحابي وذلك انما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلباً للاستكثار منها الا ان الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا. وما يبالي أحدنا ان كان له قنطار ذهب أم كان لا يملك الا درهماً لان غاية أحدنا

من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصر على هذا . لان نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء وانما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا ربنا وأمر به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه »

فنظر المقوقس الى من حوله وقال « هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لأهيب منه عندي ان هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الارض وما أظن ملكهم الا سيغلب الارض بأسرها » ثم حول المقوقس نظره مخاطباً عبادة وقال « أيها الرجل قد سمعت كلامك وما ذكرت عنك وعن أصحابك لعمري ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت ولا ظهرتم على من ظهرتم عليهم الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها . وقد توجه الينا لقتالكم من جميع الروم مما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل وانا نعلم انكم لن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد أقمتم بين ظهرانينا شهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بايديكم ونحن تطيب أنفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار تقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم ما لا قوام لكم به » فقال عبادة « يا هذا لا تغرنّ نفسك ولا أصحابك بالباطل أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ان كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا اذ كان أمكن لنا في رضوانه وجنته وما من شيء أقر لاعيننا ولا أحب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ على أحد الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا وانها أحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . وما من رجل الا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا

الى أهله و ولده وليس لاحد منا هم في ما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله و ولده وانما همنا ما امامنا . واما أننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لانفسنا منها أكثر مما نحن فيه . فانظر الذي تريد فبينه لنا فليس بيننا و بينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبكم اليها الا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك بالباطل . بذلك أمرني الامير وبها امره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل الينا . اما أن أجبتم الى الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه و رسله وملائكته . أمرنا الله ان نقاتل من خالفه و رغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله . فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولا نستحل اذاكم ولا التعرض لكم وان أبيتم الا الجزية فادوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا و بقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في كل شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم اذا كنتم في ذمتنا وكان لكم عهد الله علينا . وان أبيتم فليس بيننا و بينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا و بينه غيره . فانظروا لانفسكم »

فقال المقوقس « هذا ما لا يكون أبداً ما تريدون الا أن تأخذونا لكم عبيداً ما كانت الدنيا » فقال عبادة « هو ذاك فاختر ما شئت » فقال المقوقس « ألا تجيبونا الى خصلة غير هذه الخصال الثلاث » فقال عبادة وهو رافع يديه الى السماء « لا ورب هذه السماء وهذه الارض ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم »

فتشاور المقوقس ومن معه في الامر ومع انه هالهم أن يكونوا عبيداً للعرب لكن المقوقس شحذ قريحته في اقناعهم ان ذلك أفيد لهم . فقال المقوقس لعبادة : اذهب ارسل لنا اميركم في جماعة منكم حتى اجتمع معه ومعي بعض من جماعتي فاذا اتفقنا كان بها والا رجعنا على ما كنا عليه . فقام عبادة ومن معه . ورجعوا الى عمرو وأخبروه بما تم فذهب ومعه بعض من أصحابه وقابل المقوقس وجماعته وبعد ان دارت بين الطرفين مناقشة انتهى الامر فيما بينهم على الجزية

وكتب عمرو بن العاص أماناً للقبط بذلك وأرسل المقوقس الى هرقل يعلمه بما تم فارسل اليه هرقل جواباً شديد اللهجة يستجبنه فيه على ما عمل وانه غير قابل بما تم . فقابل المقوقس عمراً وأعلمه بجواب هرقل وأكد له بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن القبط انهم قابلون عقد الصلح الذي تم بين الطرفين وتبرأ من الروم . فطلب منه عمرو ان يثبت هو والقبط حسن ولائهم لهم بان يمهدوا لهم السبيل للوصول الى الاسكندرية لمنازلة الروم . ففعلوا له ما طلب . فسار العرب بقيادة ابن العاص الى الاسكندرية وحاصروها حصاراً شديداً دام مدة طويلة لان ورود المؤونة لم ينقطع عن الاسكندرية بحراً فاستحث عمرو همة العرب وحضهم على الهجوم على المدينة فهجموا بقلوب لا تهاب الموت فوقع عمرو واثنان من قواده هما سلمة بن مخلد ووردان اسرى فخاطبهم حاكم الاسكندرية الرومي قائلا . اخبرونا ما الذي جاء بكم الينا وما الذي حملكم على قتالنا . فأجابه عمرو بقلب لا يهاب الردى « لقد أتينا كم ندعوكم الى الاسلام فيكون لكم ما لنا أو ان تدفعوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فلا يمكننا الكف عن قتالكم فان الله يأمرنا به الا اذا أجبتمونا الى احدى الخصلتين »

فداخل قلب الحاكم شك لشجاعة المتكلم وأيقن انه من كبار قواد العرب ، فقال لمن في مجلسه من الروم « لا يمكننا تخلية سبيل هؤلاء لانه يظهر لي انهم من قواد القوم » وكان وردان عارفاً باللغة اليونانية ففهم ما قاله الحاكم فضرب عمراً مستهزئاً وناداه منتهراً « ما هذا الهذيان يا رجل ومن أنت حتى تنطق بما نطقت به أو ان تنسب الى أسيادك ما قد نسبت ؟ من أقامك متكلماً عنهم أو ما أدراك بمقاصدهم وما أنت إلا أحد صعاليكهم فاصمت ولا تعد للتداخل فيما لا يعنيك » فاختلف ظن الحاكم لما علم انه من صعاليك القوم . واستسمح مسلمة خاطره حتى يطلقهم ليرسلوا أميرهم ليتفق معه على عقد الصلح فاطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة . وبينما هم في الطريق قال مسلمة لعمرو « والله ما نجاك من الموت إلا لطمة وردان » فوصلوا عسكرهم وهم على نية تشديد الحصار . وفي هذه الاثناء مات هرقل ملك الروم . ولما رأى المحصورون بالاسكندرية ان حصارها طال عليهم هاجروا بحراً والذين لبثوا في المدينة لم يقووا على رد هجمات العدو فدخلها عمرو فاتحاً يوم الجمعة غرة محرم سنة ٢٠ هـ الموافق ٢٢

دسمبر سنة ٦٤ م وأقام فيها احتفالا عظيما تذكاراً للنصر الذي أوتيه وكتب الى أمير المؤمنين يبشره بتمام الفتح وكانت الاسكندرية في ذلك الوقت عاصمة مصر فتم بفتحها فتح البلاد واستتب الامر فيها للمسلمين . فأقر الخليفة عمرو ابن العاص عاملا عليها فحول التفاته الى اصلاح داخلية البلاد فبنى الفسطاط . وجامع عمرو ونظم المدلية وحفر خليج أمير المؤمنين الموصل النيل والبحر الاحمر وسيأتي ذكره

(فتح طرابلس الغرب وبرقة) وفي سنة ٢٢ هـ سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه أهلها على الجزية ثم سار قاصداً طرابلس الغرب فحاصرها شهراً فامتنعت عليه ولم يظفر بها الى ان وفق الله لجماعة من المسلمين خرجوا للصيد فوجدوا مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فتبعهم عمرو بجيشه فهرب الروم الموجودون بالمدينة بما خف حمله الى السفن التي كانت راسية حينئذ على شاطئ البحر بمرسى المدينة فاستولى المسلمون على المدينة . ثم سير عمرو جيشاً الى مدينة سبرة فدخلها عنوة وغنم كثيراً مما فيها . ثم صالحهم أهلها على الجزية

(طاعون عمواس) وفي خلافة عمر بن الخطاب حدث بالشام طاعون عمواس الذي أهلك من عظماء الاسلام من لم يكن يهاب الموت في الحروب فكان ممن مات به أبو عبيدة بن الجراح وهو العامل على الشام ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهل بن عمرو وعتبة بن سهل وغيرهم . ثم فشا في البصرة وأهلك خلقاً كثيراً واستمر عدة شهور قيل بلغ عدة من هلك به ٢٥ ألف نفس

(عام الرمادة) وفي خلافته أيضاً في سنة ١٨ هـ حصل قحط شديد ببلاد العرب لم ير مثله حتى كان الرجل يذبح الشاة فيعافها لقبحها . وكانت الريح تحمل تراباً كالرمادة فسميت سنة القحط هذه بعام الرمادة . فلما اشتد بالمسلمين الامر راسل الخليفة يستحث عمرو بن العاص بارسال مؤونة لاخوته من مصر فاحتفر خليج أمير المؤمنين الموصل بين النيل والبحر الاحمر وسير فيه المراكب تحمل الغلال الى المدينة . فعادت أنفس المسلمين اليهم باغاثة عمرو لهم

(وفاة عمر بن الخطاب ووصيته) في سنة ٢٣ هـ خرج الخليفة يوما الى

السوق فلقيه فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فشكا له زيادة الخراج الذي يدفعه . فقال له الخليفة : كم خراجك ؟ فقال : درهمان . وقال وصناعتك . قاله أبو لؤلؤة حداد نجار نقاش . فقال الخليفة ليس الدرهمان بكثيرين عليك وهذه صناعتك . فحقدها أبو لؤلؤة عليه . وفي يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . طعن أبو لؤلؤة الخليفة طعنات متوالية فاصابت احداها تحت سرته وهي التي كانت السبب لوفاته . فلما أيقن الخليفة ان المنية أنشبت أظفارها فيه استدعى علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وسعد وعبد الرحمن والزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله وجعل الخلافة شورى بينهم وأوصى كلاً منهم بالوصاية الحكمية اللازم اتباعها اذا آلت اليه الخلافة من بعده . وقال لعبد الله ابن عمر « ان اختلف الجماعة فيمن يكون الخليفة بعدي فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف » ثم مات الخليفة عمر بن الخطاب وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ودفن بجانب قبر النبي . وبعد دفنه بثلاثة أيام اجتمع الستة الاشخاص الذين اختارهم وتشاوروا فيما بينهم وبعد جدال بايعوا عثمان بن عفان

٧ — خلافة عثمان بن عفان

من سنة ٢٣ هـ — ٣٥ هـ أو من سنة ٦٤٤ — ٦٥٥ م

عثمان بن عفان ويكنى أبا عمر بويع بالخلافة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان متزوجاً رقية ابنة رسول الله وولد له منها عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر . وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله طريقته . وكان كلفا بأهله فعزل ولاة الامصار وولاهم عوضاً عنهم . فعزل أبا موسى الاشعري أحد أعيان الصحابة عن ولاية البصرة وولى عوضا عنه خاله عبد الرحمن بن عامر ثم عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن أبي سرح أخاه في الرضاعة وآوي الحكم

ابن العاص بن أميـة طريد النبي وأعطاه ماية الف درهم . وفي أيامه اتسعت فتوحات المسلمين عما كانت عليه عند خلافته ففي بلاد فارس أرسل عثمان عبد الله ابن عامر الى اصطخر وبها يزدجرد ملك الفرس فغادرها هذا الاخير هارباً الى دار أبجرد فارسل عبـد الله في أثره مجاشع بن مسعود . نركب المفارة حتى أتى كرمان وأخذ على طريق سجستان يريد الصين . وجاء مجاشع سجستان ثم رجع الى فارس لما لم يدرك يزدجرد . وخاف يزدجرد جداً واستمد طرخان التركي لنصرته . ولما أتى اليه استخف به وطرده . وعنـد انصرافه كر طرخان على يزدجرد فولى يريد المدينـة فلقيه ماهويه مرزبان مرو وقتله . وبموته استتب الامر للمسلمين في كل أرض فارس بعد ان دوخوا البلاد قتلاً ونهباً . و بعد ان افتتحوا ما لم يفتتحوه في خلافة عمر بن الخطاب . وفي بدء خلافة عثمان كاتب روم القسطنطينية روم الاسكندرية أن ينقضوا صلح المسلمين ويستخلصوا مصر منهم فاجابوهم الى ذلك فسارت جيوش الروم من القسطنطينية قاصدة الاسكندرية في المراكب تحت قيادة منويل الخصي فلما وصلت جموع الروم الى الاسكندرية منعهم المقوقس والقبط من الدخول الى المدينة فنزلوا في ساحلها وانضم اليهم من نقض من الروم ثم ساروا قاصـدين الفسطاط فالتقتهم جيوش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص (ولم يكن عزل بعد) عند نقيوس ودارت رحى الحرب بين الفريقين فانهزم الروم وولوا الادبار فتبعتهم الجيوش الاسلامية حتى الاسكندرية ثم أمر عمرو بهدم سور الاسكندرية فهدم . وبعد هذه الواقعة عزل عثمان عمراً وولى بدلاً عنه عبد الله بن سعد . وفي سنة ٢٧ ﻫ غزا عبد الله بن سعد افريقية وتغلب عليها وقتل ملكها جرجير وضم البلاد الى حكمه

(فتح قبرس) وفي سنة ٢٨ ﻫ سار معاوية بن أبي سفيان من الشام وعبد الله ابن سـعد من مصر لغزو جزيرة قبرس فصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار جزية سنوية يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون من ذلك . وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراءهم وعليهم أن يؤذنوا للمسلمين بمسير عـدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم

(مقتل عثمان) ولم ترق اعمال عثمان في أعين الناس فتكاتبوا من الامصار على خلعه وتوالت الاخبار الى أهل المدينة فجاءوا الى عثمان فلم يجدوا عنده علماً

بشيء ، فقال لهم أشيروا عليَّ وأنتم شهود . فقالوا له « نشير عليك أن ترسل رجالاً ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم » فارسل بعضا ممن يريدهم فاتوه بالاخبار وكان بين الذين أرسلهم عمار بن ياسر أرسله الى مصر فلم يرجع مع من رجع حتى ظنوا انه قد مات فوصل جراب من عبد الله بن سعد يذكر ان عماراً « قد استماله قوم وانقطعوا اليه » فكتب عثمان الى أهل الامصار « أني اخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع اليَّ أهل المدينة ان أقواماً يشتمون ويضربون فمن ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدَّقوا فان الله يحب المتصدقين »

وفي سنة ٣٥ هـ بعث الى عماله بالامصار فقدموا عليه في الموسم وهم عبد الله ابن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية فادخلهم أمير المؤمنين وأدخل معهم سعيد ابن العاص وعمراً وقال « ويحكم ما هذه الشكاية والله اني لخائف أن يكونوا صادقين وما يضرّ هذا الامر الاّ بي » فأرادوا أن يظهروا له براءتهم فقال لهم « لكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الامر الذي يخاف على هذه الامة كائن وان بابه عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواساة الاّ في حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد علي حجة وقد علم الله اني لم آل الناس خيراً وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها . سكتوا الناس وأظهروا لهم حقوقهم فاذا تموطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها »

ثم قاموا جميعاً بعد انتهاء الموسم ورجعوا الى المدينة فلما وصلوها أرسل عثمان فدعا عليا وطلحة والزبير وعنده معاوية . فقال معاوية بعد حمد الله « أنتم أصحاب رسول الله وخيرته وولاة أمر هذه الامة اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريباً . . . . ولا تطمعوا الناس في أمركم فوالله ان طمعوا فيه ما رأيتم منها أبداً الا ادباراً » فانتهره علي قائلاً « مالك ولذلك لا أم لك » فقال معاوية « دع أمي فهي ليست بشر امهاتكم (وقد أسلمت وبايعت النبي) واجبني عما أقول لك » فقال عثمان « صدق ابن أخي انا اخبركم عني وعما وليت ان صاحبيَّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً وان رسول الله كان يعطي قرابته وانا في رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه فان

رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمري لامركم تبع » فقالوا له « قد أصبت وأحسنت ، قد أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً . وأعطيت مروان خمسة عشر ألفا » فأخذها منهما فرضوا وخرجوا راضين . وبعد خروجهم حاول معاوية ان يحمل الخليفة على الذهاب معه الى الشام أو ان يترك عنده حرساً خوف غيلته فأبى كلا الامرين . ثم خرج معاوية من عنده قاصداً السفر فوجد نفراً من المهاجرين فيهم علي وطلحة والزبير فقال لهم « قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيراً وكاتفوه تكونوا أسعد منه بذلك » ثم ودّعهم ومضى . وما زال سخط المسلمين يزداد على عثمان حتى قرّ رأيهم أخيراً على القدوم اليه الى المدينة فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلدي في ألف رجل وخرج أهل الكوفة وأهل البصرة وكلهم في مثل عدد أهل مصر وكان ذلك في شوال مظهرين الحج فلما وصلوا المدينة واجه المصريون علياً والبصريون طلحة والكوفيون الزبير وعرض كل منهم لمن واجه أمرهم فصاح عليّ بالمصريين وطردهم وهكذا فعل طلحة بالبصريين والزبير بالكوفيين فتفرق أهل المدينة ظناً منهم ان القوم رجعوا عن قصدهم . وكان قصد أهل مصر ان يخلع عنهم عبد الله بن سعد ويولي عليهم بدلاً منه فأجابهم على ذلك باشارة علي وخلع عبد الله بن سعد وولى عليهم محمد بن أبي بكر وكتب له أمراً بالولاية فرجع أهل مصر ومعهم واليهم الجديد وبينما هم في الطريق واذا بعبد على هجين يجد السير فانكروه وقالوا له الى أين قاصد . قال الى والي مصر فقالوا له والي مصر هنا يقصدون محمد بن أبي بكر فقال لهم واليها الآخر عبد الله بن سعد . ففتشوه فوجدوا معه كتاباً الى عبد الله ابن سعد وعليه خاتم عثمان يأمره فيه بتنكيلهم والمثلة بهم . فاخذوا العبد والكتاب وكروا راجعين الى المدينة . فلقيهم علي فقال لهم ما ردّكم بعد ذهابكم فقالوا له أخذنا كتاباً مع بريد بقلتنا والكتاب عليه ختم عثمان » فدخل علي على عثمان وأخبره برجوع المصريين فاشرف عثمان على الجمع وخطب فيهم يريد زجرهم فنادوا من كل ناحية « اتق الله يا عثمان وتب اليه » فرفع الخليفة صوته وقال « أنا أول من اتعظ واستغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فليأت أشرافكم يرون رأيهم فوالله ان ردني الحق عبداً لاستن بسنة العبد ولازلن زل العبد وما

عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضا ولا احتجب عنكم » ثم بكى وبكى الناس

ثم دخل عليه علي ومحمد بن مسلمة وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله أهل مصر فحلف لهما ما كتب ولا علم ثم دخل عليه المصريون فقالوا له « جئنا لقتلك فردنا علي ومحمد وضمنا لنا النزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا رسولك ناقلا كتاباً وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وهو بيد غلامك وعليه خاتمك » فحلف عثمان لا كتب ولا أمر ولا علم. فقالوا. « كيف يجترأ عليك بمثل هذا فقد استحقيت الخلع على كلتا الحالتين اذ لا يحل ان يولى الأمور من ينتهي الى هذا الضعف فاخلع نفسك » فقال « لا أنزع ما ألبسني الله ولكنني أتوب وارجع » فقالوا « رأيناك تتوب وتعود فلا بد من قتلك »

وطلبوا منه أن يسلمهم مروان بن الحكم كاتبه ليقتلوه فلم يرض فخرجوا من عنده وحاصروه في قصره. فارسل الى علي « أترضى ان يقتل ابن عمك ويسلب ملكك » فقال علي لا والله. وأرسل الى باب داره ابنيه الحسن والحسين يحرسانه وما زال محصوراً أربعين يوماً في نهايتها تسلق محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط قصره فضربه أحدهم بمدية كانت معه وقتله الآخر والمصحف في حجره فتلوث قميصه بالدم فهجمت امرأته نائلة لتحميه فاصيبت بضربة قطعت أصابعها ومكث ثلاثة أيام لم يدفن. وكانت وفاته في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية. وكانت خلافته اثنى عشرة سنة إلا إثنى عشر يوما

٨ — خلافة على بن أبي طالب

من سنة ٣٥ — ٤١ هـ أو من سنة ٦٥٥ — ٦٦١ م

لما قتل عثمان بن عفان اجتمع نفر من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً ليبايعوه. فأبى وقال لهم « أكون وزيراً خير من ان أكون أميراً ومن اخترتم رضيته » فألحوا عليه مراراً بذلك وأخيراً قالوا له « إنا لا نعلم أحداً أحق به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله » فقبل طلبهم وخرجوا جميعاً الى المسجد ليبايعوه. وكان أول من بايعه من الناس طلحة

ابن عبيد الله وكان بيده شلل فتشاءم حبيب بن ذؤيب وقال . لا يتم هذا الامر . وتخلف عن مبايعة علي بنو امية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن العقبة والعثمانية من الصحابة . وأول خطبة قالها بعد الحمد له « ان الله أنزل كتاباً هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى يؤدكم الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين . فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل دم امرىء مسلم الا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فان الناس امامكم وإنما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده أنكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم . أطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذا أنتم قليل مستضعفون في الارض »

﴿ نسبه وصفاته ﴾ بويع لعلي بالخلافة يوم مقتل عثمان . وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . ويكنى أبا الحسن . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهو أول خليفة أبواه هاشميان . وكان متزوجا فاطمة بنت النبي . وكان علي من الابطال المشهورين والفرسان المعدودين حتى لم يكن يبارز أحداً إلا وقتله وكان صالحاً ورعاً . ولكنه لم يكن مستعداً بالخلافة

ولم يحصل في أيامه شيء مهم في خارجية البلاد كالغزو والفتح واقتصر كل ما حصل في أيامه على الثورات الداخلية واليك البيان :

(عصيان عائشة وطلحة والزبير) كانت عائشة تؤلب على عثمان وتطعن فيه وكان هواها في طلحة . وكانت يوم مقتله بمكة وبينما هي راجعة الى المدينة استقبلها راكب . فقالت ما وراءك قال قتل عثمان . قالت كأني بالناس يبايعون طلحة . فجاء راكب آخر . فقالت له ما وراءك . قال بايع الناس عليا فصرخت واعثماناه . ما قتله الا علي . لاصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم فقال لها رجل من أخوالها . والله أول من أمال حرفته لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر (تقصد عثمان) قالت انهم استتابوه ثم قتلوه . ثم انصرفت عائشة الى

مكة . وسأل طلحة والزبير علياً أن يولهما البصرة والكوفة فأبى وقال تكونان عندي أتجمل بكما فانى أستوحش لفراقكما فاستأذناه في العمرة فأذن لهما فقدما على عائشة بمكة وعظما لها أمر عثمان . وأعانهما بنو أمية وغيرهم . وخرجوا بعائشة حتى قدموا البصرة فأخذوا ابن حنيف أميرها من قبل علي فنتفوا لحيته وخلوا سبيله . فقصد علياً وقال له بعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد . قال أصبت أجراً وخيراً

ولما تحقق علي عصيان عائشة وطلحة والزبير ومن معهم ونزولهم بالبصرة خرج من المدينة ومعه ٩٠٠ رجل وجاءه من الكوفة ستة آلاف رجل فسار ومن معه قاصداً البصرة فالتقى بالثائرين بالخريبة فدار القتال بينهم ونشبت الحرب فخرج علي ودعا الزبير وطلحة . وقال للزبير ما الذي حملك على هذا . قال . لانى أراك لست أهلا لهذا الامر . وقال لطلحة أجئت بعرس النبي تقاتل بها وخبأت عرسك بالبيت أما بايعتماني ؟ قال بايعناك والسيف على أعناقنا . وفي هذه الاثناء أقبل رجل سعدي من أصحاب علي فقال بأعلى صوته مخاطباً عائشة « يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه لقد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك » ثم اقتتل الناس فهرب الزبير من المعركة فاتبعه عمر جرموز وقتله . وأما طلحة فأصابه سهم كان القاضي عليه . وقتل تسعون رجل على زمام الجمل وجعلت عائشة تنادي البقية البقية . ونادى علي اعقروا الجمل . فضربه رجل فسقط فحمل الهودج موضعاً واذا هو كالقنفذ لما فيه من السهام وجاء علي حتى وقف عليه وقال لمحمد بن أبي بكر انظر أحية هي أم لا . فأدخل محمد رأسه في هودجها فقالت من أنت . قال أخوك البر . فقالت عقق . قال يا أخية هل أصابك شيء فقالت ما أنت وذاك . وانتهى الامر بانتصار علي على أخصامه والثائرين ضده فدخل البصرة بعد انتصاره في هذه الواقعة وتدعى (واقعة الجمل) ووبخ أهلها حتى استتب له الامر فيها

(عصيان معاوية) لما قتل عثمان بن عفان وآلت الخلافة من بعده الى علي ابن أبي طالب كما مر بك عزل جميع عمال الامصار الذين كانوا في زمن عثمان وولى بدلا منهم من رأى من المتقربين . فبعث عثمان بن حنيف على البصرة

(وقد مر بك ما فعله به طلحة والزبير من نتف لحيتـه ورجوعه الى علي) وعمارة بن شهاب على الكوفة وعبـد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سـعد على مصر وسهيل بن حنيف على الشام بدلا عن معاوية . أما سهل فخرج حتى تبوك فلقيته خيل فقالوا له من أنت . قال أمير . قالوا وعلى أي البلاد . قال على الشام . قالوا « ان كان بعثك عثمان فأهلا وسهلا بك وان كان بعثك غيره أي كان فارجع » قال أما سمعتم بالذي كان . قالوا بلى . فرجع الى علي . أما قيس بن سعد فأخذ معه جنداً من المدينة وسار الى مصر واستقام له الامر فيها الا فريقا حيث كان يقيم أحزاب العثمانيـة . (وقبل أن يرسـل علي عماله على الامصار نصحه المغيرة بن شعبة قائلا له « ان حق الطاعة النصيحة وان الرأي اليوم تحوز به ما في غـد وان التصارع اليوم تضيع به ما في الغـد . اقرر معاوية في عمله واقرر ابن عامر في عمله وكذلك باقي العمال في اعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت » فقال له علي « لا أداهن في ديني لا بد من عزلهم جميعاً » فعاد له المغيرة في الغد وقال له انى أشرت عليك بالامس فلم تسمع ورأبي اليوم أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل أمرك » وخرج من عنده وبعـد خروجه دخـل ابن عباس على عليّ وقال له . رأيت المغيرة خارجاً من عندك . فحكى له ما قاله المغيرة أمساً واليوم فقال له أما أمس فنصحك وأما اليوم فغشك »

وكان معاوية قد تحصل على قميص عثمان الملطخ بالدم وأصابع نائلة امرأته فجعل يعلق القميص على المنـبر يوميا ويخطب في الناس ويغرس في أذهانهم ان قاتل عثمان انمـا هو علي . ويحثهم على معاملة القاتل بالقتل . فالتفت حوله دعاته رغبة في الانتقام وبايعه أهل الشام أميراً لا خليفـة . ولمـا سمع معاوية بقول عائشة في علي ونقض طلحة والزبير البيعة ازداد قوة وظن أنهم يكفونه مؤنة قتال علي . الا انه لما انتصر على طلحة والزبير وعائشة في واقعة . لم تنثن همة معاوية في طلب ثار عثمان بل ازداد جرأة على سب علي وعماله . وتبصر معاوية بالامر ملياً فوجد نفسه بين نارين . مصر قد استقام أمرها بشجاعة سعد بن قيس والبصرة قد افتتحها علي وبايعته فلم يجد طريقاً يسلكه أفضل من الحيلة لافساد عمال علي عليه فأرسل الى سعد بن قيس أمير مصر من قبل علي كتابا

بين له فيه ان قاتل عثمان علي وأطال له الحجج بكلام لين وقد دس له السم في ذلك العسل الى أن قال له « ولك سلطان العراقين ما بقيت ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وسلني ما شئت فاني أعطيك وا كتب اليّ برايك » ولكن هذه الحيلة لم تنطل على سعد بن قيس وتحقق خديعة معاوية فأرسل اليه كتاباً يقول « بأن هذا أمر يحتاج لنظر ولا يجوز التسرع اليه » فلما رآه متقاربا متباعداً . أراد أن يطرق هذا الباب لكن من طريق آخر فأرسل من يوهم علي بن أبي طالب ان قيساً مع معاوية ويرسل اليه بآرائه سراً ومع ان علياً لم يصدق هذه الاشاعة لكنه دخله الريب فأرسل الى قيس بأن يحارب حزب العثمانية (الذين في مصر) ويفنيهم وكان حزب العثمانية في مصر هادئاً غير ثائر فلم ير قيس وجها لمحاربتهم فأرسل الى علي يوريه استحسان عدم حربه فظن علي ان ذلك لانه ضلعه معهم فعزله عن ولاية مصر وأرسل اليها بدلاً عنه محمد بن أبي بكر وقد نجح معاوية في هذه الحيلة . وتقوى باتحاد عمرو بن العاص معه

(واقعة صفين) لما عاد علي من البصرة بعد فراغه من واقعة الجمل قصد الكوفة وأرسل الى عامل همذان واذربيجان يطلب منهما البيعة فبايعاه ولم يجد علي أحداً من عمال الامصار لم يبايعه إلا معاوية فأراد أن يرسل اليه من ينصحه ويأخذ البيعة منه فقال جرير بن عبد الله عامل همذان لعلي أرسلني اليه فلي معه ودّ فقال له بعضهم لا تفعل فان هواه مع معاوية . فقال علي . دعه حتى ننظر ما الذي يرجع الينا به . فبعثه وكتب معه كتاباً لمعاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه إياهما . ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته . فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ما طله واستنظره واستشار عمرو بن العاص فأشار عليه أن يجمع أهل الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك . فرجع جرير الى علي وعرفه باجتماع كلمة الشاميين مع معاوية واستعدادهم لاخذ ثار عثمان منه . فلما تحقق علي استعداد معاوية خرج بجيشه قاصداً معاوية وكان هذا قدخرج بجيشه أيضاً قاصداً علياً . فنزل معاوية ومعه جيشه البالغ ٨٥٠٠٠ رجل في صفين وعسكر في موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم علي على شريعة

لم يكن على الفرات أفضل منها ولا أسهل للوارد الى الماء وما عداها اخراق عالية وموضع الى الماء وعرة ووكل أبا الاعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً .
أما ما كان من أمر علي فانه خرج من البصرة في تسعين ألف مقاتل فاجتاز بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة وعقد هناك له جسراً فعبر الى الشام فوجد معاوية قد سبقه الى صفين ولم يجد مورداً للماء للاستسقاء فبات وكل جيشه عطاشى . وقال عمرو بن العاص لمعاوية ان علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية . لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان . وكان علي لا يفتر لحظة عن تجسس حالة جيشه فبينما كان يدور سمع قائلا يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات   وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا علي له صولة   اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير   وطلحة غضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين   وما بالنا اليوم شاة النجف

والقي في فسطاط الاشعث بن قيس رقعة فيها :

لئن لن يجل الاشعث اليوم كربة   من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه   فهبنا أناسا قبل كانوا فمرت

فلما قرأها حمي وأتى علياً . فقال له علي . اخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقي لاصحابك أو تموتوا عن آخركم فسار الاشعث وهو يقول :

لاوردن خيلي الفراتا   شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم سار علي بباقي الجيش وراء الاشتر واذا هو قد هجم على معسكر معاوية وأزال أبا الاعور عن الشريعة بعد ان غرق جمع كثير من معسكر معاوية . واستولى وأزال أبا الاعور عن الشريعة بعد ان غرق جمع كثير من معسكر معاوية . واستولى علي على تلك الشريعة وشرب الجيش وارتحل معاوية عن ذلك الموضع وكاد يموت هو وجيشه عطشاً فقال لعمرو بن العاص . يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل أتراه يمنعنا الماء كما منعناه اياه . فقال عمرو . ولا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى الا أن تدخل في طاعته أو يقطع حبال عاتقك . فارسل معاوية الى

علي يستأذنه في ورود مشرعته واستقاء الناس من طريقه . فاباحه ولم يمنعه .
(فشتان بين علي ومعاوية) وكان شهر محرم قد حل فعزم القوم على ترك القتال فيه وبعد انتهائه دارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها مدة طويلة حتى قيل أن عدة الوقائع التي حصلت بصفين تسعون واقعة وفني خلق كثير من الفريقين وكادت الدائرة تدور على معاوية فأمر برفع المصاحف على الحراب فرفع جيشه خمسمائة مصحف على حرابهم فألهم علي عن رفع المصاحف . فقالوا له بيننا وبينكم كتاب الله . انصبوا حكماً منكم وتنصب حكماً منا ونأخذ عليهما أن يعملا بما بكتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه فوقعت الاجابة من الفريقين واضطر علي الى اجابتهم . واختار علي أبا موسى الاشعري واختار معاوية عمرو ابن العاص فكتبوا القضية على أن يحكم الحكمان بكتاب الله والسنة والجماعة وصيروا الاجل شهر رمضان فسار علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام فلما دخل علي الكوفة اعتزل عنه اثنا عشر ألف من القراء وهم ينادونه . جزعت من البلية ورضيت بالقضية وحكمت الرجال

(أمر الحكمين) ثم اجتمع أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص للتحكيم بموضع بين مكة والكوفة والشام وذلك بعد وقائع صفين بثمانية أشهر ومعهم جماعة من الصحابة والتابعين . فضربا فسطاطاً . وقال عمرو . يجب ان لا نقول شيئاً الا كتبناه حتى لا نرجع عنه . فدعى بكاتب وقال له سر أبداً باسمي . فلما أخذ الكاتب الصحيفة وكتب البسملة بدأ باسم عمرو . فقال له عمرو . امحه وابدأ باسم أبي موسى فانه أفضل مني وأولى بان يقدم (وكانت منه خديعة) ثم قال . ما تقول يا أبا موسى في قتل عثمان . قال قتل والله مظلوماً فقال اكتب يا غلام . ثم قال يا أبا موسى ان اصلاح الامة وحقن الدماء خير مما وقع فيه علي ومعاوية فان رأيت أن تخرجهما وتستخلف على الامة من يرضى به المسلمون فان هذه أمانة عظيمة في رقابنا . قال لا بأس من ذلك . فقال عمرو اكتب ياغلام . ثم ختما الكتاب على ذلك . فلما قعدا في الغد للنظر قال عمرو يا أبا موسى قد أخرجنا علياً ومعاوية من هذا الامر فسم له من شئت . فسمى له عدة لم يرتضهم عمرو فعرف أبو موسى انه يتلعب به فقال . أفعلتها يا كلب لعنك الله . قال له عمرو . بل أنت حمار لعنك الله . ثم قال عمرو للمجتمعين ان هذا خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه

كما أخلع هذا الخاتم من يدي ولكن أثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ثم ركب أبو موسى ولحق بمكة حياء من الناس وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومن ذلك الوقت أخذ معاوية في القوة وعلي في الضعف

ولما علم علي بما تم مع الحكمين حض أهل الكوفة على المسير الى معاوية لقتاله فتقاعدوا وقالوا نستريح ونصلح عدتنا . هذا من جهة وشغله قتال الخوارج عن المسير الى معاوية من جهة أخرى

(فتح معاوية لمصر) لما أخذ عمرو بن العاص البيعة بالخلافة لمعاوية تثاقل عليه ولم يبايعه الا اذا جعله عاملاً على مصر ما دام حياً . فقبل معاوية عمرو على هذا الشرط وكما كان عمرو بن العاص يحض عمر بن الخطاب لفتح مصر صار يحض معاوية لفتحها أيضاً . فمرة ما أرسل معاوية واستدعى اليه عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وغيرهما . وقال لهم أتدرون لما جمعتكم . فقال عمرو بن العاص . دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأي رأيت في افتتاحها فان فيه عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك . فقال معاوية . « أهمك يا ابن العاص ما أهمك » ونظر الى الحضور وقال . لقد أصاب أبو عبد الله فما ترون . فقالوا لا نرى الا ما رأى عمرو فجهز معاوية جيشاً وسيره لافتتاح مصر بقيادة عمرو بن العاص فافتتحها وقتل محمد بن أبي بكر عامل علي عليها . وكان علي أرسل الاشتر مدداً لمحمد بن أبي بكر فلما وصل الى القلزم سقاه رجل عسلاً مسموماً فمات فقال معاوية في ذلك . ان لله جنداً من عسل . ولم يكتف عمرو بن العاص بقتل محمد بن أبي بكر . بل وضعه في جيفة حمار وأحرقه . وبايع أهل مصر لمعاوية واستتب له الامر فيها . أما الامام علي فلم ينفك عن حث الناس ليجمع مدداً آخر ليسيره الى مصر فلم يجتمع معه الا نفر قليل . وفي هذه الاثناء جاءه خبر فتح مصر ومقتل محمد بن أبي بكر فاشتد غيظه وخطب في الناس قائلاً :

« ألا ان مصر قد افتتحها أهل الفجور أولو الجور والظلم الذين حادوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجاً . ألا وان محمد بن أبي بكر قد استشهد فعند الله نحتسبه . أما والله ان كان كما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض

شكل الفاجر ويحب هـدى المؤمن . اني والله ما ألوم نفسي على تقصير واني لمقاساة الحروب لجدير خبير واني لا تقدم على الامر وأعرب وجه الحزم وأقوم فيكم بالرأي المصيب واستعرضكم معاناً وأناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتى تصير بي الامور الى عواقب المساءة فانتم القوم لا يدرك بكم الثار ولا تنقضي بكم الاناور . دعوتكم الى غياث اخوانكم من بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو ولا اكتساب الاجر ثم خرج الي منكم جنيد متذانب كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فأف لكم »

وفي سنة ٤٠ هـ أرسل معاوية بسر بن ارطاة في عسكر الى الحجاز فاتى المدينة وبها ابو أيوب الانصاري عاملاً لعلي فهرب ولحق بعلي ودخل بسر المدينة وسفك فيها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية ثم سار الى اليمن وقتل ألوفا من الناس وهرب منها عبيد الله بن العباس عامل علي وكان له ابنان فذبحهما بسر . وما زال معاوية مجتهداً في تسريب السرايا الى النواحي التي يليها عمال علي وشن الغارات حتى بلغ من القوة شأواً بعيداً وكان كلما ازداد معاوية قوة ازداد علي ضعفاً

(مقتل علي)

وفي رمضان من تلك السنة اجتمع ثلاثة من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكر التميمي والبرك بن عبد الله التميمي وقالوا لو قتلنا أئمة الضلال لارحنا منهم العباد فقال ابن ملجم انا اكفيكم عليا وقال البرك أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا ينثني احد منهم عمن توجه اليه وتواعدوا لسبع عشرة ليلة تمضي من رمضان فلما كانت الليلة الموعودة ذهب ابن ملجم ومعه رجلان يقال لاحدهما وردان وللآخر شبيب ووثبوا على علي وقد خرج الى الصلاة فضربه شبيب ثم ترك السيف وهرب وضربه ابن ملجم في جبهته ضربة قاضية وفر وردان وأمسك القاتل . ولما مات علي أخرجوه من السجن وقتلوه معذباً . أما البرك فوثب على معاوية في تلك الليلة وضربه بالسيف فلم يصدقه وأمسك البرك فقال له اني أبشرك فلا تقتلني فقال بماذا قال ان رفيقي قتل علياً في هذه الليلة . فقال معاوية لعله لم يقدر . فقال

بلى . ان عليا ليس معه من يحرسه . فلم تشفع فيه هذه البشارة فقتله معاوية . وأما عمرو بن بكر فانه تربص تلك الليلة لعمرو بن العاص فلم يخرج للصلاة كالعادة بل كان قد امر خارجة بن أبي حبيب أن يصلي بالناس فظنه عمرو بن بكر انه عمرو بن العاص فقتله . فامسكه الناس واتوا به الى عمرو بن العاص . فقال اردته وأراد الله خارجة فقتلوه

وكان مقتل علي لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠ ﻫ وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة . ولعلي خطب بليغة تشهد بطول باعه مجموعة في كتابه المعروف بنهج البلاغة

٩ ـ خلافة الحسن بن على بن أبي طالب

من سنة ٤٠ ﻫ ـــ ٤١ ﻫ

بويع له بالخلافة بعد مقتل أبيه بالكوفة وأول من بايعه قيس بن سعد الانصاري وقال له ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين . فقال الحسن على كتاب وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط . فبايعه الناس وكان يشترط عليهم اثناء مبايعتهم له أن يكونوا مطيعين يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب وكان أبوه علي قبيل وفاته يحض الناس على قتال معاوية فبايعه اربعون ألفا من عسكره على الموت وبينما هو يتجهز للمسير الى معاوية عاجله القدر فمات مقتولاً كما مر ذكر ذلك . فلما قتل علي وبايع الناس ولده انتهز معاوية هذه الفرصة وسار في جموع أهل الشام قاصداً الحسن فبلغ الحسن ذلك فسار من الكوفة في اثنى عشر ألفا من عسكره حتى وصل المدائن وجعل قيس بن سعد على مقدمته فلما نزل الحسن المدائن أشاع بعضهم موت قيس بن سعد فنفر الجيش بسرادق الحسن ونهبوا بساطا كان يجلس عليه . فازداد الحسن بغضاً للحرب وذعرا من جيشه ووصل المقصورة البيضاء بالمدائن . ومن ذلك الوقت عزم على تسليم أمر الخلافة الى معاوية واستشار أخاه الحسين في ذلك وغيره فنهاه الحسين عن الامر قائلا « انشدك الله ان لاتصدق احدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك » فقال له الحسن . اسكت أنا اعلم بالامر منك ولا بدّ من ذلك

وأرسل الى معاوية شروطا ان هو قبلها تنازل له عن الخلافة وأهم هذه الشروط ان يعطيه ما في بيت مال الكوفة وخراج دار ابجرد وان لا يشتم عليا . فاجابه معاوية الى كل ما طلب إلا شتم علي فلم يجبه اليـه وقال لا بد منه . فطلب منه الحسن ان لا يكون ذلك على مسمع منه فاجابه الى ذلك . فتنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة وبايعه ودخل كلاهما الكوفة . فأوعز عمرو بن العاص الى معاوية ان يجعل الحسن يخطب في الناس ليظهر لهم عيه . فخطب معاوية ثم أمر الحسن أن يخطبهم . فقال . بعد أن حمد الله وأثنى . أيها الناس ان الله هـداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول . فلما قالها قال له معاوية اجلس . وحقدها عليه . ثم قام خطيبا فقال . اني كنت شرطت شروطا أردت بها نظام الالفة . وقد جمع الله كلمتنا وأزال فرقتنا فكل شرط شرطته فهو مردود . فقام الحسن وقال . ألا واني قد اخترت العار على النار . وسار الى المدينة وأقام بها الى أن مات سنة ٤٩ هـ وقيل ٤٧ هـ والله أعلم . وكانت مدة خلافته خمسة أشهر وقيل ستة أشهر . وقيل في موته ان معاوية أرسل الى امرأة الحسن جعدة بنت الاشعث رسولا قال لها . انك ان احتلت في قتل الحسن اعطيتك مائة الف درهم وزوجتك يزيد فدست للحسن السم في الطعام فمات مسموما . فلما مات أرسل معاوية اليها ما اشترط عليه من المال وقال لها لولا اننا نحب حياة يزيد لوفينا لك بتزويجه

١٠ – خلفاء بني أمية

من سنة ٤١ هـ — ١٣٢ هـ أو ٦٦١ م الى سنة ٧٥٠ م

بنو أمية بطن من بطون قريش كما ان بني هاشم بطن منها أيضا الا ان بني أمية كانوا أكثر عدداً من بني هاشم وأوفر رجالاً وكان لهم قبل الاسلام شرف وفخر . فلما مات عثمان بن عفان وهو الخليفة الثالث وكان من بني أمية اختلف الناس على خلافة علي بن أبي طالب ورجعوا الى أمر العصبية الطبيعية وكانت عساكر علي في ذلك الوقت كافية لتوطيد كرسي الخلافة له الا انه لكثرة الحروب والانشقاقات الداخلية ضعفت شوكة بني هاشم فنهض معاوية بن أبي سفيـ

الاموي للرئاسة والاخذ بثأر عثمان وانتهى الامر بمبايعته نهائياً سنة ٤١ ه حين تنازل له الحسن عن الخلافة كما مر مفصلاً

١١ - خلافة معاوية بن أبي سفيان

من سنة ٤١ ه الى سنة ٦٠ ه أو من سنة ٦٦١ م الى سنة ٦٨١ م

هو معاوية بن أبي سفيان واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بويع له الخلافة ببيت المقدس سنة ٤٠ ه وتوطدت دعائمها في سنة ٤١ ه بمبايعة الحسن له وتسليم الامر اليه وهو أول من اتخذ الشام قاعدة ملكه و به تغيرت أطوار الخلافة فبعد ان كانت الخلافة منصباً دينيا صيرها دنيوياً سياسياً . ولما استتب له الامر رتب عماله على الامصار كما يلي :

البصرة — بسر بن ارطاة ثم ابن عامر ثم الحرث بن عبد الله ثم زياد

خراسان — قيس بن الهيثم ثم عبيد الله بن زياد

مصر — عمرو بن العاص ثم عبد الله ابنه ثم معاوية بن حديج ثم عقبة بن عامر ثم مسلمة بن مخلد

المدينة — مروان بن الحكم ثم سعيد بن العاص ثم مروان ثانية

افريقية — عقبة بن نافع ثم مسلمة بن مخلد

اما ما كان في ايام خلافته من الاحداث فينحصر في قسمين القسم الاول احداث داخلية والثاني خارجية . اما القسم الاول الاحداث الداخلية فأهمها قتاله ووقائعه مع الخوارج ففي سنة ٤١ ه سار الى قتاله خمسمائة من الخوارج عليهم فروة بن نوفل فسير اليهم معاوية جيشاً من أهل الشام فانتصر الخوارج عليهم فارسل معاوية الى اهل الكوفة لقتال الخوارج فقاتلوهم حتى قتل فروه بن نوفل كبيرهم فاستعملوا عليهم حوثرة بن وداع وساروا حتى أتوا النخيلة واجتمع اليهم بعض الناس فارسل اليهم عبد الله بن عوف نحو ألفين فقاتلهم ولم ينج منهم إلا خمسون شخصا وما زال معاوية يقاتل الخوارج حتى ضعف أمرهم وأخلدوا الى السكينة بعد ان قتل منهم خلقا كثيراً في عدة سنين . ومنها بناء مدينة القيروان في افريقية بناها عقبة بن نافع حين كان عاملا على افريقية . وكان السبب في

بناها ان أهل أفريقيا كانوا يرتدون اذا فارقهم وكان مقام الولاة في بردبلة وبرقة فرأى عقبة أن يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقراً للعسكر فبنى القيروان وأتمها في خمس سنوات

أما القسم الثاني الاحداث الخارجية فمنها افتتاح السودان سنة ٤٣ ﻫ افتتحها عمرو بن العاص . وفي هذه السنة (٤٣ ﻫ) غزا عبد الله بن سوار العبدي القيقان من بلاد السند فاصاب منها عظيما ورجع الى معاوية وأهداه خيلا قيقانية ورجع لغزوه أيضاً فاستنجدوا الترك فقتلوه . ثم غزاها بعده المهلب بن أبي صفرة . ومنها الغزو في بلاد الروم والقسطنطينية وبيان ذلك انه لما استتب الامر لمعاوية أخذ يرسل سراياه سنوياً لبلاد الروم لغزوها فيصيبون منها مغنما ويعودون ودامت غزواتهم بهذه الكيفية خمس سنوات وفي سنة ٤٨ ﻫ ارسل معاوية جيشا كثيفاً مع سفيان بن عوف لافتتاح القسطنطينية فسار بجيشه الجرار حتى أتى أسوار القسطنطينية . وكان أحد اليونانيين المدعو كلينكيوس من مدينة هيلوبوليس قد اصطنع حراريق نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت ومن عجيب خواصها انها اذا اشتعلت لا تطفأ فأتى باختراعه هذا الى القسطنطينية . وما تم المسلمون ان وصلوا الى خارج المدينة حتى رماهم الروم بهذه النار فاحترق الاسطول الاسلامي الراسي بميناها برمته وخسر الجيش الاسلامي في هذه الغزوة خساراً جمة ورجع بخفي حنين بعد ان نال منه ملك الروم صلحاً أن يدفع له خراج ثلاثين سنة

وقيل ان معاوية أول من خطب قاعداً لانه كان بطيناً بادناً وأول من قدم الخطبة على الصلاة خشية ان يتفرق الناس عنه قبل أن يقول ما بدا له . وقبل موته أخذ البيعة ليزيد ابنه بايعه الشاميون وعارضه أهل المدينة ومكة في هذا الامر فارهبهم معاوية بقتالهم ان لم يبايعوا ليزيد فبايعوا له قهراً ثم مات معاوية في رجب سنة ٦٠ ﻫ بدمشق وعمره ثمانون سنة وكانت مدة خلافته مذ اجتمع له الامر وبايعه الحسن تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً

١٢ — خلافة يزيد بن معاوية

من سنة ٦٠ هـ — ٦٤ هـ أو سنة ٦٨١ — ٦٨٤ م

بويع بالخلافة يوم وفاة أبيه وكان أبوه أخذ له البيعة قبل موته خوفاً من ضياعها منه وسن قانون الوراثة في نسله من بعده الا أن كثيرين لم يروا في يزيد هيبة أبيه ولا قوته ولا بطشه بل رأوه متقاعداً وغير أهل للخلافة فلم يرضوا بمبايعته فارسل أهل الكوفة الى الحسين بن علي بن أبي طالب يحثونه على المسير اليهم ليبايعوه . فارسل لهم الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ له البيعة فبايعه ثلاثون ألفاً . ولما بلغ يزيد مراسلة أهل الكوفة الحسين ومبايعتهم له عزل عنها عامله النعمان بن بشير وأقر عليها عبيد الله بن زياد أمير البصرة واستخلف على البصرة عثمان بن زياد أخا عبيد الله ولما صار عبيد الله الى الكوفة اجتمع عليه مبايعو الحسين وحصروه في قصره فاعمل الحيلة حتى قلب الناس وفرقهم عن مسلم بن عقيل وأحضر مسلم وقتله وأرسل برأسه الى يزيد . وكان الحسين بن علي قد خرج قاصداً الكوفة فلما بلغه مقتل مسلم تخاذل عنه أكثر جموعه وتفرقوا فلما وصلوا الى مكان يقال له شراف التقى بالحر صاحب شرطة عبيد الله في ألفي فارس وكان عبيد الله أرسله لقتال الحسين وشيعته . فقال له الحسين ما أتيت الا بناء على طلبكم مبايعتي فان رجعتم رجعت . فأبا الحر الا أن يسير معه فورد له كتاب عبيد الله بن زياد بان ينزل الحسين على غير ماء فانزله بكربلاء . وقدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف مقاتل لحرب الحسين . فطلب منهم الحسين اما أن يمكنوهم من العود أو يرسلوه الى يزيد . فكتب عمر الى عبيدالله بن زياد بذلك فغضب وأرسل شمر بن الجوشن الى عمر بن سعد يقول له اما أن تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته واما أن تنعزل ويكون الامير على الجيوش شمراً فقال عمر : بل أقاتله ونهض لمقاتلة الحسين ومن معه ليلة الخميس تاسع المحرم فسألهم الحسين مهلة يوم فاجابوه الى ذلك فبات هو ومن معه يصلون الليل كله ويدعون على يزيد . وكان الذين مع الحسين اثنين وثلاثين فارساً وأربعين رجلا . ولما كان يوم الجمعة يوم عاشوراء ركب عمر بن سعد في

الجيش وقاتلوا الحسين وجماعته القلائل . فقاتلوهم مستميتين وثبت الحسين ومن معه الى الظهر واشتد العطش على الحسين وتقدم ليشرب فرماه أحدهم بسهم وقع في فمه ونادى شمر ويحكم اقتلوه فقتلوه واحتز شمر رأسه وجاؤا بجثة الحسين الى عمر بن سعد فامر جماعة فوطئوا ظهر الحسين وصدره بخيولهم وبعث برأسه ورؤوس من قتلوا معه الى عبيد الله بن زياد وهذا أرسلها الى يزيد فجهزهم يزيد الى المدينة فلقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل تبكي وتقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى وجرحى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

واشتد حقد المسلمين على يزيد لقتله الحسين فاتفق اهل المدينة على خلعه وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان فجهز يزيد جيشا مؤلفا من عشرة آلاف مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة فساروا الى المدينة وحاصروها وعمل اهل المدينة خندقا حولها وتقاتلوا شديداً حتى انهزم أهل المدينة وافتتحها مسلم بن عقبة واباح نهبها وسبيها ثلاثة أيام يقتلون الناس وينهبون الاموال ويفسقون في النساء وما زال بها حتى بايع من بها من الناس ان يكونوا عبيدا ليزيد . وكان عبد الله ابن الزبير بمكة فلما سمع بقتل الحسين وما فعله مسلم بن عقبة بالمدينة حض أهل مكة على مخالفة يزيد وما زال يظهر عيوبه وعيوب عماله حتى هاج أهل مكة والحجاز وأرادوا أن يأخذوا الثار من يزيد فبايعوا عبد الله بن الزبير خليفة عليهم وبلغ مسلم بن عقبة هياج الحجازيين ومبايعتهم ابن الزبير فسار في جيشه من المدينة قاصداً مكة فلما انتهى الى المشلل أدركه القدر المحتوم فقضى نحبه بعد ان أقام مقامه الحصين بن نمير وذلك في شهر محرم سنة ٦٤ هـ وحاصر الحصين عبد الله ابن الزبير بمكة وشدد عليها الحصار أربعين يوما ورمى الكعبة بالمنجنيق وأحرقها بالنار وفي هذه الاثناء توفي يزيد وذلك في ربيع الاول سنة ٦٤ هـ فلما بلغ الحصين موته ارتحل الى الشام . واتخذ عبد الله بن الزبير هذا الحصار واحراق الكعبة فرصة مناسبة للطعن في يزيد وعماله حتى استتب له الامر بالحجاز

(فتح المغرب الاقصى) وفي أيام يزيد سنة ٦٢ هـ تم افتتاح المغرب الاقصى وبيان ذلك ان معاوية أبا يزيد كان قد عزل عقبة بن نافع عن افريقية وولاها غيره

فلما عاد الى الشام وعده معاوية بارجاعه الى افريقيـة ولكنه لم يلبث أن مات وصارت الخلافة الى ابنه يزيد فاستعمل يزيد عقبة بن نافع على افريقية فلما وصل الى القيروان جمع جندا كثيفا ثم سار حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها جيش عظيم للروم فقاتلهم عقبة وانتصر عليهم وغنم منهم غنائم كثيرة فاوى الروم الى المدينة وأغلقوا أبوابها فحاصرهم عقبـة ولمـا رأى امتناعها عليه كره المقام عليها فسار الى بلاد الزاب وقصد مدينتها العظمى واسمها اربه فامتنع من بها من الروم وهرب بعضهم الى الجبال . واقتتل الفريقان مراراً حتى انهزم الروم بعـد قتل كثير من فرسانهم . فلما رأى الروم شـدة ماوقع بهم استنجدوا البربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير واتفقوا واقتتلوا قتالا شـديدا واشتد الامر على المسلمين جدا فلما رأى عقبة صعوبة الموقف استحث همة الجيش وهجم مستميتا فانهزم الروم والبربر فتبعهم المسـلمون واعملوا فيهم السيف وغنموا اموالهم وسلاحهم . ثم سار حتى وصل طنجة فلقيه بوليان بطريق الروم وصالحه وأهدى له هدية حسنة وسأله عقبة عن الاندلس فعظم الامر عليه فرجع بمن معه بعد ان قتل كثيرين من البربر في بلادهم وغنم مغانم عظيمة

(وفاة يزيد وشيء من سيرته) وتوفي يزيد بن معاوية في شهر ربيع اول سنة ٦٤ هـ لاربع عشرة خلت منه وعمره ثمان وثلاثون سنة ومدة خلافته ثلاث سنين ونصف وكان شاعراً عربيا فصيحا ربي في بني كلب مع أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية طلقها معاوية حين سمعها تنشد

للبس عباءة وتقر عيني أحب اليَّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الارياح فيـه أحب اليَّ من قصر منيف
وبكر يتبع الاظعان صعب أحب اليَّ من بغل زفوف
وكلب ينبح الاضياف دوني أحب اليَّ من علج عنيف

فقال لها معاوية ما رضيت يا بنت بحدل حتى جعلتني علجا الحقي باهلك فمضت الى كلب ويزيد معها . ومن شعر يزيد

دعوت بماء في اناء فجاءني غلام به خمراً فاوسعته زجرا
فقال هو الماء القراح وانما تبدى بخدي فاوهمك الخمرا

١٣ - خلافة معاوية بن يزيد

ولما توفي يزيد بويع بالخلافة ولده معاوية وكنيته ابو ليل وكان شابا ديناً فلم تكن ولايته الا أربعين يوما وقيل ستين يوما ومات وقيل تسعين يوما وعمره احدى وعشرون سنة . وكان قبل موته جمع الناس وخطب فيهم قائلا « ان جدى معاوية نازع الامر من كان أولى به . ثم تقلده أبي ولقد كان غير خليق به . ولا أحب ان ألقى الله عزوجل بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم » ثم نزل ودخل بيته وأغلق بابه وتخلى بالعبادة حتى مات

١٤ - خلافة مروان بن الحكم

من سنة ٦٤ — ٦٥ ﻫ اوسنة ٦٨٤ م

بايع اهل الحجاز لعبد الله ابن الزبير في سنة ٦٤ ﻫ في مدة خلافة يزيد بن معاوية وكان جيش يزيد محاصرا له بمكة فلما علم الحصين بن نمير قائد الجيش بوفاة يزيد رجع الى الشام ولما لم تطل مدة خلافة معاوية بن يزيد استتب الامر في الحجاز واليمن لعبد الله ابن الزبير وبايعه الناس وأول عمل باشره هدمه الكعبة وكانت حيطانها مالت من رمي المنجنيق واعاد بناها كما كانت أولا وأدخل الحجر بها . ثم أرسل الى مصر عبد الرحمن بن عتبة ليأخذ له بيعة أهلها ويكون عاملا عليها فدخلها عبد الرحمن وأخرج منها شيعة الامويين وبايع أهل مصر لعبد الله ابن الزبير وبايع أهل الكوفة له أيضا فاستعمل عليها عبد الله بن مطيع العدوى فأتى المختار بن ابي عبيد الثقفي الى ابن الزبير وقال له « اني لا أعرف قوما لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتى لاستخرج لك منهم جنداً تغلب بهم اهل الشام » فقال بن الزبير من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة . فقال له كن أنت ذلك الرجل . فبعثه الى الكوفة فنزل ناحيـة منها وجعـل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع ويحث على أخذ ثارهم والمطالبة بدمائهم فمالت اليه الشيعة وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة وأخرج ابن مطيع منه وغلب على

الكوفة وابتنى لنفسه دارا انفق عليها أموالا عظيمة من بيت المال وفرق الاموال على الناس بسخاء حاتمي وكتب الى ابن الزبير يقول انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها وطلب في خطابه من ابن الزبير ان يحتسب له ما أنفقه من بيت المال فابى ابن الزبير ذلك فخلع المختار طاعة ابن الزبير واستقل بالكوفة وكتب الى علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب يرغبه في الخلافة على ان يكون هو وأهل الكوفة اول مبايعيه فلم يجبه علي الى ما طلب . وكان المختار شديد البطش على قاتل الحسين فما زال يسعى حتى قتل كل من قتل الحسين او سعى في قتله فزاد ميل أهل الكوفة اليه وكان يدعي بنزول الوحي عليه واتخذ المختار كرسيا وادعى ان فيه سراً وانه لهم مثل التابوت لبني اسرائيل

وفي سنة ٦٧ ه ارسل المختار جنوده لقتال عبيد الله بن زياد وكان قد استولى على الموصل فانتصرت جنود المختار على ابن زياد وقتلوه . ورأى عبد الله بن الزبير الخليفة بمكة ان أمر المختار يتزايد ويستفحل في العراق فارسل اليه أخاه مصعباً ، وجمع المختار جموعه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا فانهزم المختار وانحصر في قصر الامارة في الكوفة وما زال يقاتل حتى قتل ونزل أصحابه من القصر فقتلهم مصعب ابن الزبير جميعا وكانوا سبعة آلاف . واستمر مصعب عاملا لاخيه في العراق فدانت العراق والحجاز واليمن ومصر لعبد الله بن الزبير . اما الشام فبايعت مروان ابن الحكم من بني أمية وانقسمت الشام الى شيعتين يمنية بايعوا مروان ابن الحكم وقيسية وكبيرهم الضحاك بن قيس بايعوا ابن الزبير وكثر الشغب والمقالات . وتنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم الخلافة فجمع مروان جيشا عظيما من أهل الشام لقتال ابن الزبير ومريديه فانفذ اليه ابن الزبير الضحاك ابن قيس في جيش من القيسية فالتقى الفريقان بمرج راهط في غوطة دمشق واقتتلوا قتالا شديداً استمر عشرين يوما حتى قتل الضحاك بن قيس وقتل معه ثمانون رجلا من أشراف اهل الشام فانهزم القيسية شر هزيمة ودانت الشام كلها لمروان بن الحكم وكانت هذه الواقعة في المحرم سنة ٦٥ ه

(فتح مروان لمصر) وكان مروان أرسل ابنه عبد العزيز في جيش من أهل الشام لفتح مصر فلما انتصر على جيش ابن الزبير في مرج راهط قويت عزيمته وسار كل جيشه الى مصر ومعه عمر بن سعد . فلما علم عبد الرحمن بن

عتبة أمير مصر بقدوم مروان لفتحها استعد للدفاع فحفر حول الفسطاط خندقا عظيما وسار مروان ومن معه حتى نزل قرب المطرية فخرج اليه عبد الرحمن ودارت رحى الحرب بين الفريقين مدة يومين ولم يظفر أحدهما بالآخر وبينما كان الجيشان في شغل بين هجوم ودفاع انتهز عمر بن سعد فرصة انشغال عبد الرحمن بالحرب وسار في نخبة من رجال مروان قاصداً الفسطاط فدخلها وقطع خط الرجعة على عبد الرحمن فاضطر الى طلب الصلح ودخل مروان مصر في ١٠ جمادى أولى سنة ٦٥ هـ وولي ابنه عبد العزيز عليها وبعد ان استمر عاملا بها شهرين رجع الى الشام

(وفاة مروان بن الحكم) وفي رمضان سنة ٦٥ هـ توفي مروان بدمشق وقيل في سبب وفاته انه كان تزوج ام خالد زوجة يزيد بن معاوية لكي تصغر منزلة خالد ولا يتطلب الخلافة لنفسه فدخل خالد عند مروان يوما فقال له مروان يا ابن الرطبة . . . ونسبه الى الحماقة على مسمع من الاشراف لكي يسقط في أعينهم . فخجل خالد ودخل على أمه وأخبرها بما قاله مروان له فقالت له لايعلمن أحد أنك أعلمتني وأنا أكفيك . ثم ان مروان نام عندها ليلة فوضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات . وأراد ابنه عبد الملك أن يقتلها فقيل له يتحدث الناس ان أباك قتلته امرأة فتركها وكانت مدة خلافته سبعة أشهر وأياما وقيل تسعة اشهر

١٥ – خلافة عبد الملك بن مروان

من سنة ٦٥ هـ — ٨٦ او سنة ٦٨٤ — ٧٠٥ م

وبعد وفاة مروان بن الحكم بايع أهل الشام ابنه عبد الملك بن مروان فاقر أخاه عبد العزيز على مصر وكان لاهم له سوى التغلب على ابن الزبير الذى امتدت خلافته في الحجاز واليمن والعراق . وكان مثل هذا الفكر عند ابن الزبير يريد التغلب على عبد الملك واستخلاص الشام ومصر منه وأخذ كل منهما يستعد ليجهز على صاحبه فارسل ابن الزبير الى أخيه مصعب بالكوفة يأمره بالمسير الى الشام ومحاربة عبد الملك بن مروان فجهز جيوشه واستعد للمسير وفي الوقت نفسه

جهز عبد الملك جيشاً عظيما من اهل الشام وسار به قاصداً الكوفة لاستخلاصه من ابن الزبير فتقابل الفريقان بمسكن وقبل الاشتباك كاتب عبد الملك بن مروان أمراء جيش مصعب ابن الزبير يفسدهم عليه ويوعدهم خيرا إن أطاعوه ويهددهم شراً إن هم عصوه فأتى أحدهم الى مصعب وأراه كتاب عبد الملك واكد له أنه كاتب غيره ونصحه أن يستوثق منهم أو يقتلهم لئلا يكونوا سبباً لفشله فلم يسمع نصحه . ثم التحم الجيشان فاقتتلا شديداً . ولكن لم يلبث مصعب حتى رأى أمراء جيشه قد خانوه وانضموا بجيوشهم الى عدوه فتندم لعدم سماعه النصيحة ولات ساعة مندم . ومازال يقاتل حتى قتل هو وولداه ودخل عبد الملك الكوفة واستوثق له الملك بالعراقيين . وتقوت عزيمة عبد الملك بهذا الانتصار وأراد أن يعجل بقطع دابر ابن الزبير وشيعته فجهز الحجاج ابن يوسف في جيش عظيم وأرسله لقتال ابن الزبير بالحجاز فسار الحجاج بجيوش عبد الملك حتى نزل الطائف فكانت بينه وبين أصحاب ابن الزبير وقعات كثيرة كانت الكرة فيها على أصحاب ابن الزبير وأخيرا حاصر ابن الزبير بمكة وطال حصارها مدة سبعة أشهر ورمى البيت الحرام بالمنجنيق . وما زال ابن الزبير يقاتل حتى قتل في جمادى الاخرى سنة ٧٣ هـ فكانت مدة خلافته تسع سنين . وبموته صار الامر لعبد الملك بن مروان وبايعه أهل الحجاز واليمن واقر الحجاج بن يوسف أميراً على الحجاز . ومن أعماله أنه هدم الكعبة وأخرج الحجر عن البيت وبنى البيت على ما كان عليه في زمن الرسول . وفي سنة ٧٥ هـ (سنة ٦٩٥ م) ولى عبد الملك الحجاج على العراق فسار من المدينة الى الكوفة وخرج عليه فى أيام ولايته شبيب الخارجي وكثرت جموعه وجرى بينه وبين الحجاج وقائع يطول شرحها وأخيرا انتصر الحجاج انتصاراً مبينا وتفرقت جموع شبيب عنه وتردى به فرسه من فوق جسر فسقط في الماء وغرق . وخرج على الحجاج أيضا عبد الرحمن بن الاشعث واستولى على العراق ثم على الكوفة وكثرت أنصاره وقويت شوكته فامد عبد الملك الحجاج بالجيوش من الشام فتفرقت جموع عبد الرحمن وانهزم ولحق بالترك فقبض عليه ملك الترك وأرسله مع أربعين من أصحابه الى الحجاج فالقى عبد الرحمن نفسه من سطح ومات وهو في الطريق . وفي سنة ٨٣ هـ بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط

بناء واسط

وفي أيام عبد الملك توالت سطوات المردة على سواحل الشام فارسل عبد الملك الى يوستنيانس يطلب تجديد المعاهدة التي عقدت مع معاوية فعقد الصلح على هذه الشروط . أولا . ان يتعهد يوستنيانس بصد جموع المردة في لبنان ويمنعهم من السطو . ثانيا يدفع عبد الملك الى الرومانيين في كل يوم ألف ذهب وعبداً وفرسا نظير قيامهم بحفظ تعهدهم بالبند الاول . وأرسل الملك يوستنيانس بولس ماجستريانس للتوقيع على هذه الشروط فوقع عبد الملك عليها ووثقوا ذلك بالخط والشهود وبناء عليه أرسل الملك وأخذ اثنى عشر الفاً من المردة فكان في ذلك مضرة كبرى لسطوة الرومانيين الذين استعملوا المردة كسور نحاسي يصد غزوات الشراكسة فنقضه الملك يوستنيانس بسوء تصرفه فطمت بذلك البلايا والمحن من كل نوع على أملاك الرومانيين من ذلك اليوم الى الآن . وفي سنة ٧٩ هـ وقع الطاعون بالشام واشتد بها جداً حتى كاد يفنيها

وضرب عبد الملك بن مروان الدنانير فكان اول من ضربها من المسلمين وذلك في سنة ٧٦ هـ وكان السبب الذي دعاه لضربها أنه كتب في صدور الكتب الى الروم « قل الله أحد » وذكر النبي مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ماتكرهون . فعظم عليه ذلك فاحضر خالد بن يزيد بن معاوية واستشاره فيه فقال له . حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله . ففعل ثم نقش الحجاج فيها . قل هو الله أحد . فكره الناس ذلك لانه قد يمسها غير طاهر وفيها آية القرآن . ثم بالغ في تخلص الذهب والفضة من الغش وزاد ابن هبيرة عليه في أيام يزيد بن عبد الملك . ثم زاد خالد القسري عليهم في أيام هشام . ثم أفرط يوسف بن عمرو من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية

(صفات عبد الملك ووفاته) كان عبد الملك من أفاضل خلفاء بني أمية عاقلا حازما اديبا لبيبا فقيها فكان اذا ذكره العلماء في الشعر زادهم فيه او في الحديث عرفهم مالا يعرفون . وأدركته المنية في منتصف شهر شوال سنة ٨٦ هـ وكان يقول أخاف الموت في شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لي الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت في نفسه وكان عمره ستين سنة ومدة خلافته ثلاث عشرة سنة وأربعة اشهر الا سبعة أيام مذ استبد

بالخلافة بعد مقتل الزبير واحدى وعشرين سنة مذ بايعه أهل الشام الى وفاته. وهو عبد الملك بن مروان بن العاص ابن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف وقبيل موته أوصى بنيه قائلاً أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير ولا تدب بينكم العقارب وكونوا للمعروف مناراً فان المعروف يبقى أجره وذخره وذكره. وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا أقيلوا وان عادوا فانتقموا

١٦ — خلافة الوليد بن عبد الملك

من سنة ٨٦ هـ — ٩٦ هـ أو من سنة ٧٠٥ — ٧١٤ م

لما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال . انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا . فكان أول من عزى نفسه وهناها . وأول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي وهو يقول

الله أعطاك التي لافوقها وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها اليك حتى قلدوك طوقها

وبايعه ثم بايعه الناس . وكان الوليد أفضل خلفاء بني أمية وهو الذي بنى مسجد دمشق المعروف بمسجد بني أمية وكان أصله كنيسة تدعى كنيسة مار يوحنا فهدمها الوليد وجعلها جامعاً وبنى المسجد الاقصى ووسع مسجد المدينة فجعله مائتي ذراع طول في مثلها عرض . ووضع المنابر وأعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس وأعطى كل مقعد وكل ضرير قائداً وكان يمر بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقل ويقول بكم هذه فيقول البقال . بفلس . فيقول زد فيها واتسعت المملكة الاسلامية اتساعا عظيما بتتابع الفتح وتوالي النصر الذي تم في أيامه . وكان عماله في الامصار الحجاج بن يوسف الثقفي أميرا على العراق والمشرق كله وعمرو بن عبد العزيز بالمدينة وموسى بن نصير على افريقية وعبد الله بن عبد الملك على مصر

(فتح بلاد الترك) في سنة ٨٦ هـ ارسل الحجاج بن يوسف قتيبة أميراً من قبله على خراسان فلما قدمها أخذ يحث الجند على الغزو والجهاد وما زال يغزو بلاد الترك والتتار ويغنم الغنائم ويصالح ملوكهم طورا ويرتد أخرى حتى جعل لنفسه هيبة عندهم . وفي سنة ٨٧ هـ غزا بيكند من مدائن بخارى وحارب أهلها وبعد قتال شديد انهزم التتار وغنم قتيبة غنائم كثيرة ورجع الى مرو مقر ولايته . وفي سنة ٩٠ هـ ورد الى قتيبة كتاب الحجاج بن يوسف يأمره بالتوغل في بلاد التتار وافتتاح مدائنهم فسار في جيش عظيم حتى أتى بخارا فلما علم ملكها بقدومه استنجد من حوله من الترك والصغد فاجابوه الى ذلك وجاءت جموعهم لرد قتيبة عن بخارا فحاصرها حصاراً شديداً وما زال يقاتل والنصر متبادل حتى مل الفريقان ثم حث قتيبة رجاله للهجوم النهائي فلم يكن الا قليل حتى انهزم الترك والصغد وولوا الادبار وافتتح قتيبة بخارا فكتب بالفتح الى الحجاج وكان لهذا الانتصار تأثير عظيم جعل ملوك الترك ومصغد تفد الى قتيبة وتطلب صلحه وفي سنة ٩٣ هـ افتتح سمرقند بعد قتال شديد

(الغزو والفتح ببلاد الروم) وفي سنة ٨٧ هـ غزا مسلمة بن عبد الملك الروم واقتتل الفريقان شديداً عند التقائهما بسوسنة فانهزم الروم وفتح مسلمة حصن بواق وحصن الاخرم وحصن بولس . وفي سنة ٨٨ هـ قصد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد مدينة طوانه وقاتلا الروم فانتصر الروم واشتد الامر بالمسلمين فصاح العباس في جيشه يا أهل القرآن فاقبلوا جميعاً هاجمين على جموع الروم حتى انتصروا وفتحوا مدينة طوانة وفي سنة ٨٩ هـ افتتح مسلمة هرقلة وقونية من بلاد الروم

(فتح الاندلس) ولم يكن كل مافتح في زمن الوليد بشيء يذكر في جنب فتح بلاد الاندلس الذي زين تاريخ الوليد وبه اتسعت السلطة الاسلامية اتساعا عظيما وفيه أينعت زهور العلم ولما كان لكل شيء سبب فاليك السبب في فتح بلاد الاندلس والذي جرأ المسلمين على غزوها ثم فتحها . كانت الاندلس أو بالحري اسبانيا مجموع قبائل مختلطة من الاسبانيين الاصليين واللاتين والقوط وكان الحزب المتسلط على البلاط وقتئذ هم القوط . وكان القوطيون يقيمون ملوكهم بالانتخاب فكان ذلك مصدرا للنزاع والتحزبات والحروب فاتفق في أواخر

القرن السابع المسيحي أن ملكاً من هؤلاء القوم يقال له فيتيزا وقع بينه وبين دوك قرطبة نزاع فاستطال على الدوك المذكور وقلع عينيه فنهض ابن الدوك للانتقام من الملك والاخذ بثار أبيه وكان اسمه رودريك (والعرب يسمونه لزريق) وقاتل الملك فيتيزا وانتصر عليه واغتصب منه تاج المملكة سنة ٧١٠ م فذهب أولاد الملك المخلوع وباقي أقاربهم الى بلاد المغرب والتجأوا إلى موسى ابن نصير العامل من قبل الوليد وطلبوا منه أن يقيم حربا على بلاد الاندلس لينتقم من ملكها رودريك فكتب موسى الى الوليد يستأذنه بذلك فاذن له . فارسل موسى اثني عشر ألف مقاتل بقيادة مولاه طارق بن زياد وأكثرهم من البربر وبعضهم من العرب فساروا بحراً قاصدين جبلا منيفا وهو متصل بالبحر فنزلوه . فسمي « جبل طارق » الى اليوم وكذا البوغاز الذي هناك . وكان الكونت جوليان أحد أشراف اسبانيا من جملة خصوم رودريك وذا سطوة وصولة فاتحد سراً مع المسلمين وسهل مساعيهم فاستولى طارق على المدينة التي على حافة الجبل المذكور ثم احرق جميع مراكبه بالنار ليقطع أمل عسكره من الرجوع قبل الانتصار . وحدثت بينه وبين الاسبانيين عدة مناوشات بسيطة الى أن دهمه ملك أسبانيا في تسعين ألف مقاتل واشتبك القتال بين الفريقين في مكان يقال له سهل نهر كودالت وذلك يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ ﻫ وكان يوما هائلا انتشب فيه القتال عند طلوع الفجر وكانت لوائح الثبات والنشاط لائحة على أوجه الفريقين مع أن عدد الاسبانيين كان أكثر من أربعة أضعاف عدد المسلمين وتجلدت الجيوش الاسلامية وصبرت صبراً جميلا حتى ألجأت عساكر الاسبانيين الى الفرار بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وغرق ملكهم رودريك في النهر ولما بلغ موسى بن نصير خبر هذا الانتصار تجهز بجيش جرار وسار بنفسه الى تلك الديار وحاصر مدينة طليلة عاصمة مملكة اسبانيا في ذلك الوقت فافتتحها وما زال يفتح مدائن الاندلس الواحدة بعد الاخرى حتى استتب الامر فيها للمسلمين

وفي سنة ٩٥ ﻫ توفي الحجاج بن يوسف والي العراقيين وخراسان وكانت ولايته عشرين سنة وقيل أنه أحصى من قتلهم فكانوا مائة وعشرين ألفا . وفي

النصف من جمادى الاخر من سنة ٩٦ هـ مات الوليد بن عبد الملك وكان عمره اثنين وأربعين سنة ونصفاً ومدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر

١٧ - خلافة سليمان بن عبد الملك

من سنة ٩٦ هـ — ٩٩ هـ أو من سنة ٧١٤ — ٧١٧ م

وفي اليوم الذي توفي فيه الوليد بويع لاخيه سليمان بن عبد الملك بالرملة وبعد ان أفضى الامر اليه دخل المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى ثم قال « الحمد لله الذي ما شاء منع وما شاء رفع وما شاء وضع . أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل زينتها تقلب بأهلها وتضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها . عباد الله اتخذوا كتاب الله اماماً وارضوا به حكماً واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ماقبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلوا ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس » ثم نزل وكان سليمان فصيحا بليغا يرغب في مجالسة الحكماء والعلماء وكان شديد التأثر دخل عليه أبو حازم الاعرج فقال له سليمان ياأبا حازم مالنا نكره الموت قال . لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون الانتقال من العمران الى الخراب . قال : فاخبرني كيف القدوم على الله . قال . أما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسروراً أما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه محزونا . قال فأي الاعمال أفضل . قال . أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأي القول أعدل . قال . من باع آخرته بدنياه . قال عظني وأوجز . قال ياأمير المؤمنين نزه ربك وعظم أن يراك حيث ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به . فبكى سليمان بكاء شديداً . فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين . فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه ثم خرج وكان سليمان رفيقا بالناس شفوقا عليهم فأطلق الاسرى وأخلى السجون وأحسن الى الناس فلقبوه « مفتاح الخير »

وفي أيامه افتتح يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان بعد حرب شديدة وفي سنة ٩٨ هـ جهز سليمان جيشا مع أخيه مسلمة ليسير به الى القسطنطينية مؤلفا

من مائة وعشرين ألف مقاتل فنزل بمرج دابق في جهة قنسرين ثم أمره أن يقيم على القسطنطينية حتى يفتحها فعبر الخليج وحاصر المدينة وزرع الناس الزرع وأكلوه فلما طال بأهلها الحصار أرسلوا الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فأبى أن يفتحها الا عنوة فقالت الروم للاون البطريق . ان صرفت عنا المسلمين ملكناك علينا فاستوثق منهم وأتى مسلمة وطلب الامان لنفسه وذويه وتعهد له أن يفتح له المدينة فأمنه . فقال له لاون . تنح عن المدينة حتى اذا اطمأن أهلها تكر عليهم راجعا . فارتحل مسلمة وتنحى الى بعض الرساتيق . ودخل لاون المدينة ولبس التاج وجلس على كرسي المملكة . وكان مسلمة لما دنا من المدينة أمر كل فارس أن يحمل معه مدّين من الطعام على عجز فرسه الى القسطنطينية فلما ارتحل عنها أعد لاون السفن والرجال فنقلوا ذلك الطعام في ليلة ولم يتركوا منه الا مالا يذكر . وأصبح لاون محارباً وقد خدع مسلمة خديعة لوكانت امرأة لعيبت بها وبلغ مسلمة الخبر فقفل راجعاً ولما لم يكن لجيشه طعام كاد يهلك حتى اضطروا لاكل الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ولم يبق شيء لم يأكلوه الا التراب ولقي جنده ما لم يلقه جيش آخر حتى كاد الرجل يخاف أن يخرج وحده من البلغاريين والافرنج الذين استجاشهم لاون . ونزل المطر فلم يقدر سليمان أن ينجدهم حتى مات لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ فرحل مسلمة عن القسطنطينية وانصرف

وكانت مدة خلافة سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية أشهر

١٨ – خلافة عمر بن عبد العزيز

من سنة ٩٩ هـ — ١٠١ هـ أو سنة ٧١٧ — ٧٢٠ م

بويع بالخلافة يوم وفاة سليمان بن عبد الملك كوصيته وهو الثامن من خلفاء بني أمية . وكان عمر عاقلاً زاهداً فلما تبوأ كرسي الخلافة أمر بمنع سب علي . وكان خلفاء بني أمية يسبونه في خطبهم على المنابر مذ سنة ٤١ هـ التي خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة . وكتب عمر الى جميع عماله بمنع ذلك وان يستبدلوا في

خطبهم سب علي بقراءة . ان الله يأمر بالعدل والاحسان (الآية) وفي ذلك قال عبد الرحمن بن الخزاعي

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بريًا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وانما تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذي قلت بالذي فعلت فاضحى راضياً كل مسلم
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغه من الاود البادي ثقاف المقوم

وفي أيام عمر سنة ١٠٠ ﻫ خرج شوذب الخارجي واسمه بسطام من بني يشكر في ثمانين رجلا فكتب عمر الى عبد الحميد عامله بالكوفة أن لا يحركهم حتى يسفكوا دماً ويفسدوا في الارض فان فعلوا وجه اليهم رجلا حازماً في جند ثم كتب الى بسطام كتابا يقول فيه . بلغني انك خرجت غضباً لله ولرسوله ولست بذلك أولى مني فهلم الي أناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت في ما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في أمرك . فلما قرا بسطام كتاب عمر بن عبد العزيز أرسل اليه اثنين من أنصاره وكتب اليه يقول

« قد أنصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك » وكان الاثنان اللذان أرسلهما بسطام أحدهما مولى لبني شيبان حبشيا اسمه عاصم والآخر من يشكر فقدما الى عمر فدخلا عليه . فقال لهما عمر أخبراني ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا وما نقمتم علينا . فقال عاصم والله ما نقمنا عليك في سيرتك وانك لتجرى بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك أمراً ان أنت اعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك . فقال عمر وما هو . فقال عاصم رأيناك خالفت اعمال أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير سبيلهم فان زعمت انك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق فتكلم قائلا . أنا أعلم انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها واني أسألكم في أمور فبالله لتصدقني عنها أرأيتما أبا بكر وعمر أليسا من اسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة . قالا بلى . قال فهل علمتم ان أبا بكر حين قبض رسول الله وارتدت العرب قاتلهم وسفك دمهم وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم . قالا نعم . قال أفرأيتم أهل النهروان أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة . قال بلى .

قال فهل علمتم ان أهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا ابن وهب الراسبي وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله فقتلوه ثم صبحوا حياً من أحياء العرب فاستعرضوهم وقتلوا الرجال والاطفال والنساء . قالا قد كان . قال فهل تبرأ أهل البصرة من أهل الكوفة وأهل الكوفة من أهل البصرة . قالا . لا . قال فهل تبرؤون أنتم من احدى الطائفتين . قالا . لا . قال أرأيتم الدين واحداً أم اثنين . قالا بل واحداً . قال فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني . قالا . لا . فكيف وسعكم ان توليتم أبا بكر وعمر وتولى أحدهما صاحبه وتوليتم أهل البصرة وأهل الكوفة وتولى بعضهم بعضاً وقد اختلفوا في أعظم الاشياء في الدماء والفروج والاموال ولا يسعني فيما زعمتم الا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم أرأيتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بدّ منها فان كان كذلك فاخبرني أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون . قال عاصم ما أذكر متى لعنته . قال عمر . ويحك لم لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ويسعني فيما زعمت لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم ويحك انكم قوم جهال ثم أردتم أمراً فاخطأتموه فانتم تردون على الناس ما قبله منهم رسول الله ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده . قالا ما نحن كذلك . قال عمر بل سوف تقرون بذلك الآن هل تعلمون ان رسول الله بعث الى الناس وهم عبدة أوثان فدعاهم الى خلع الاوثان وبالشهادة فمن فعل ذلك حقن دمه وأحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له اسوة المسلمين . قالا نعم . قال ألستم أنتم تلقون من يخلع الاوثان ويتشهد فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك ذلك وأباه من سائر الاديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه . فقال عاصم . ما سمعت قط حجة ابين واقرب مأخذاً من حجتك أما أنا فاشهد انك على الحق وأنا بريء ممن بريء منك . ثم اقام عاصم عند عمر خمسة عشر يوماً ثم مات . أما الآخر فلحق ببسطام واصحابه وقتل معهم بعد وفاة عمر

(الدعوة العباسية) وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ابتدأت الدعوة العباسية ففي سنة ١٠٠ هـ وجه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الدعاة في الافاق فابتدأوا يذيعون دعوتهم سراً حتى وافقهم كثيرون وسنذكر ذلك أكثر وضوحاً في غير هذا الموضع ان شاء الله

وتوفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة ١٠١ هـ لخمس بقين منه وكان عمره تسعا وثلاثين سنة ومدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وكانت شكواه عشرين يوما ولما مرض قيل له لو تداويت . فقال . لو كان دوائي في مسح اذني ما مسحتها نعم المذهوب اليه ربي . وكان موته بدير سمعان

١٩ — خلافة يزيد بن عبد الملك

من سنة ١٠١ هـ — ١٠٥ أو سنة ٧٢٠ — ٧٢٤ م

بويع بالخلافة يوم وفاة عمر بن عبد العزيز وكنيته أبو خالد وفي بدء خلافته قتل عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن شوذبا الخارجي المدعو بسطام وأصحابه وأراح منهم المسلمين وخرج عليه في السنة الاولى من خلافته يزيد بن المهلب والي خراسان في زمن عمر بن عبد العزيز وكان عمر بن عبد العزيز حبسه وفر من الحبس لما بلغه موت عمر ومبايعة يزيد واجتمع اليه جمع كثير فارسل يزيد بن عبد الملك الخليفة أخاه مسلمة فقاتله وقتله وجميع آل المهلب وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة ولما فرغ مسلمة من حربهم ولاه أخوه يزيد على البصرة والكوفة وخراسان . فاستعمل مسلمة سعيد بن عبد العزيز عاملاً على خراسان فاستضعفه الناس وسموه خذينة . وطمعت الترك والصغد في المسلمين فجمعوا جيشاً عظيما وساروا حتى نزلوا بقصر الباهلي . فلما علم سعيد بقصدهم جمع جيوشه وقال لهم . من يخاف فليرجع فرجع كثير من جيشه وسار بمن بقي معه حتى وصل قصر الباهلي وكان الترك قد تحصنوا فيه فحاصرهم وقاتلهم حتى انتصر عليهم فطمع فيهم وغزاهم مراراً وغنم منهم غنائم كثيرة

وفي سنة ١٠٤ هـ تقدم جيش للمسلمين بقيادة ثبيت النهراني لغزو الخزر من بلاد ارمينية فاجتمعت الخزر في جيش عظيم وقاتلوا المسلمين وهزموهم هزيمة شنيعة وطمع الخزر في المسلمين فجمعوا وحشدوا جيوشاً وغزوا بلاد المسلمين مراراً فاستعمل يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبد الله على ارمينية وأمدّه بجيش كثيف وأمره بغزو بلاد الخزر وغيرهم من الاعداء فسار الجراح قاصداً بلاد

الخزر وحصلت بين الفريقين وقائع شديدة كان النصر فيها للمسلمين فافتتحوا مدينة بلنجر وغيرها من بلاد الخزر

وفي هذه السنة (١٠٤ هـ) ولد أبو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد ابن علي أول الخلفاء العباسيين وسيأتي ذكره في غير هذا المحل

وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو وقصف وشغف بحب حبابة المغنية واشتهر بذكرها وقيل كان يزيد قد حج أيام سليمان أخيه فاشترى حبابة باربعة آلاف دينار فقال سليمان لقد هممت أن أحجر على يزيد . فلما سمع يزيد ردها فاشتراها رجل من مصر فلما أفضت الخلافة اليه قالت له امرأته سعده هل بقي من الدنيا شيء تتمناه فقال . نعم حبابة فارسلت واشترتها وأتت بها الى يزيد وأجلستها من وراء ستار وقالت . يا أمير المؤمنين أبقي من الدنيا شيء تتمناه قال . نعم وقد أعلمتك . فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وتركتها عنده . فحظيت سعده عنده وأكرمها . وقال يوماً وقد طرب بغناء حبابة . دعوني أطير . فقالت يا أمير المؤمنين انا لنا فيك حاجة . فقال والله لاطيرن . فقالت فعلى من تدع الامة والملك . قال لها عليك والله وقبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول . سخنت عينك ما أسخفك . وخرج يزيد مرة وحبابة معه الى ناحية الاردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فاستقبلتها بفمها فدخلت حلقها فشرقت وماتت فمكث يبكي عليها ثلاثة أيام ولم يدفنها وهو يشمها ويقبلها حتى أنتنت رائحتها فدفنها فلما دفنها بقي بعدها خمسة عشر يوما ودفن الى جانبها وكانت وفاته لخمس بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ وكان عمره أربعين سنة ومدة خلافته أربع سنين وشهراً

٢٠ – خلافة هشام بن عبد الملك

من سنة ١٠٥ هـ — ١٢٥ هـ أو سنة ٧٢٤ — ٧٤٣ م

بويع بالخلافة يوم وفاة يزيد بن عبد الملك بالرصافة وكان عاقلاً حازماً ذا بطش وهيبة وجمع أموالا كثيرة لم يجمع مثلها خليفة قبله . وقيل له مرة اتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان . قال ولم لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف . وفي أيامه سنة ١٢١ هـ خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي طالباً الخلافة لنفسه

والسبب في ذلك انه دخل يوما على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه . وقال . يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عند تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله . فقال هشام اسكت لا أمّ لك . أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة فقال زيد يا أمير المؤمنين ان لك جوابا ان أحببت أجبتك به وان أحببتَ أمسكت عنه . فقال بل أجب . فقال زيد ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم اسمعيل أمة لام اسحق فلم يمنعه ذلك ان بعثه الله نبياً وجعله للعرب أباً فاخرج من صلبه خير البشر محمداً (صلعم) فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي وقام وخرج من عند هشام وهو يقول

شرّده الخوف وازرى به كذلك من يكره حرّ الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى تنكثه أطراف مرو وحداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة يترك آثار العدا كالرماد

ومضى فدخل الكوفة فبايعه فيها أربعة عشر ألفاً . وكان العامل من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي فجمع العسكر وقاتل زيداً فانتصر عليه وأصاب زيداً سهم في جبهته فمات ودفنه أصحابه فتطلبه يوسف حتى دل عليه فاستخرجه وصلب جثته وبعث برأسه الى هشام . فأمر بنصب الرأس بدمشق ولم تزل جثته مصلوبة حتى مات هشام وولي الوليد فأمر بحرق جثته فحرقت

وفي أيامه غزا أسد بن عبد الله القسري عامله على خراسان الترك غزوات متتابعة وجرى بين الفريقين وقائع كثيرة كان النصر فيها متبادلا حتى انتصر المسلمون أخيراً وقتلوا خاقان ملك الترك وغنموا غنائم كثيرة

وفي أيامه تحركت الخوارج وعصوه وثاروا عليه فقاتلهم هشام حتى أخلدوا الى السكينة بعد قتل ألوف من الفريقين وكثير من أمراء الخوارج

وتفقد هشام مرة بعض ولده فلم يحضر الجمعة فقال له . ما منعك عن الصلاة . قال . نفقت دابتي . قال أفعجزت عن المشي فمنعه الدابة سنة

وتوفي هشام بالرصافة يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة

خمس وعشرين ومائة وعمره ثلاث وخمسون سنة ومدة خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة

٢١ – خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

من سنة ١٢٥ هـ — ١٢٦ هـ أو من سنة ٧٤٣ — ٧٤٤ م

كان يزيد بن عبد الملك قد عقد ولاية العهد من بعده لاخيه هشام بن عبد الملك ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد لانه كان صغير السن فلما تولى هشام الخلافة اكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر منه مجون وشرب الشراب وتهاون في الدين . فاستخف هشام به وأبعده عنه فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه ونزل الازرق وكان يقول لاصحابه . هذا المشؤوم قدمه أبي على أهل بيته فصيره ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون لا يعلم ان لي في أحد هوى الا عبث به . ولم يزل الوليد مقيما في البرية في أسوأ حال حتى مرض هشام مرض الموت فاتاه رجلان الى البرية ونعيا اليه هشاماً وسلما عليه بالخلافة فشكر الله وقال

هلك الاحول المشؤوم وقد أرسل المطر
وملكنا من بعد ذاك فقد أورق الشجر
فاشكر الله انه زائد كل من شكر

وأرسل من وقته الى الخزان قائلاً احتفظوا بما في أيديكم . فافاق هشام وطلب شيئا فلم يجيبوه . فقال انا لله كأنا كنا خزاناً للوليد ومات من ساعته فلم يجد أهله قمقماً يسخنون له فيه الماء فاستعاروه . ولا وجدوا كفناً من الخزائن فكفنه غالب مولاه

وبايع الناس الوليد بعد موت هشام لست مضين من شهر ربيع الاخر سنة ١٢٥ هـ فلما ولي الوليد أجرى على زمني الشام وعميهم وكساهم وأمر لكل انسان بخادم وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزاد الناس في العطاء عشرات ولم يسئل في شيء الا وقال

ضمنت لكم ان لم يعقني عائق بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معاً وزيادة وأعطيته مني عليكم تبرع

فجمعكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

وفي ايامه خرج يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بعد حرق جثة أبيه زيد واتى خراسان واتبعه قوم وأرسل الوليد الى نصر بن سيار عامله بخراسان بقتاله فقاتله ومن معه قتالا شديداً فقتل يحيى بن زيد وكل من تبعه . ولم تغير الخلافة شيئاً من طبع الوليد من مجونه وشربه الخمر وفسقه بل كانت سببا في توصله الى ما لم يكن يوصله بلاها فازداد فجوراً وضلالا وفسقاً وبغيا ولم يردعه رادع حتى انه مرة فتح المصحف فخرج واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . فالقاه ورماه وهو يقول

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

ومما زاد الطين بله انه أفسد عليه بني عميه هشام والوليد فانه أخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق لحيته ورأسه وحبسه بعمان وحبس أخاه يزيد ابن هشام وفرق بين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد فثقل ذلك على رعيته وجيشه وكرهوا أمره ورموه بالفسق والكفر وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لانه كان يتنسك فمال الناس الى قوله وأفسدوا الرعية عليه . وأتت اليمانية الى يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأرادوا مبايعته وخلع طاعة الوليد . فشاور عمر بن زيد الحكمي فقال له لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس فان بايعك لا يخالفك أحد وان أبى كان الناس له أطوع وكان العباس مع كرهه أحوال الوليد غيوراً على مصلحة بني أمية يخاف خروج الامر من يدهم وليس أضر بذلك من الثورات . فاتاه يزيد يشاوره بما في نفسه فدخل اليه واستشاره فزجره وقال . ان عدت لمثل هذا لاشدن وثاقك وأحملنك الى أمير المؤمنين فخرج يزيد من عنده واذاع مبايعته سراً فبلغ العباس ذلك فنهاه عن ذلك وتمثل

اني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بايديكم بطونكم فثم لا حسرة تغني ولا جزع

ولم يغن تخوف العباس فتيلاً لان أمر يزيد كان قد استفحل وتبعه جمع كثير فركب الوليد بمن بقي معه وقاتل قتالا شديداً ثم انهزم عنه أصحابه فدخل القصر وأغلقه فحاصروه . فلما حاصروه دنا من الباب وقال لهم ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم . ألم أعط فقراءكم . فقالوا انا ما ننقم عليك من انفسنا انما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك . قال حسبكم لقد اكثرتم وأغرقتم والله لا يرتق فتقكم ولا يلم شعثكم ولا تجمع كلمتكم فنزل من الحائط عشرة رجال فاحتزوا رأسه وسيروه الى يزيد فنصبه على رمح وطاف به دمشق وسجن ابنيه الحكم وعثمان وكان قتله بالبحراء لليلتين بقيتا من شهر جمادى الاخرى سنة ١٢٦ هـ وكان عمره أربعين سنة ومدة خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً

٢٢ - خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

سنة ١٢٦ هـ — أو سنة ٧٤٤ م

وبعد مقتل الوليد استقل يزيد بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة وكان يلقب بالناقص ليس لنقص في جسمه أو عقله بل لانه أنقص في أعطيات الناس التي كان الوليد زادها ورد العطاء الى ما كان أيام هشام ومع انه كان محمود السيرة ومرضي الطريقة لكن أيام خلافته لم تكن أيام راحة وسلام بل بالعكس ايام ثورات وقلاقل داخلية امتدت في أطراف العالم الاسلامي حتى كادت تقوض دعائمه فما عتم أن استتب له الامر حتى خرج ضده (١) : سليمان بن هشام وكان الوليد قد حبسه بعمان فبعد قتل الوليد خرج من السجن وأخذ ما كان بعمان من الاموال وأقبل الى دمشق وجعل يلعن الوليد وينسبه للكفر ثم قدم على يزيد فاكرم يزيد وفادته ورد اليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم فبايعه . (٢) (أهل حمص) لما قتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها وأقاموا البكاء والنواح على الوليد وهجموا على منزل العباس بن الوليد فهدموا داره ونهبوا ما بها وسلبوا حرمه وأجمعوا على المسير الى دمشق لقتال يزيد فأرسل اليهم عسكراً والتقوا قرب ثنية العقاب فاقتتلوا قتالا شديداً واستولى يزيد عليها وأخذ البيعة عليهم

(٣) أهل فلسطين . ثم اجتمع أهل فلسطين فوثبوا على عامل يزيد بها فاخرجوه وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك وولوه عليهم فدعا الناس الى قتال يزيد ابن الوليد الخليفة فأجابوه الى ذلك . و بلغ الخليفة خروجهم فارسل اليهم جيشا بقيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك وكاتب أشراف فلسطين وقدم جيش سليمان في أثر يزيد بن سليمان فهزمه وسار حتى نزل طبرية وأخذ البيعة بها ليزيد بن الوليد ثم بايعه أهل الرملة أيضاً . (٤) مروان بن محمد . والسبب في ذلك انه كان بحران و بلغه قتل الوليد فسار في الجزيرة مطالباً بدم الوليد فكاتبه يزيد بن الوليد يبايع له و يوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل واذربيجان فبايع له مروان فولاه يزيد ما وعده به

وكانت أم يزيد اسمها شاه فرند ابنة فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى ولذلك كان يقول

انا ابن كسرى وأبى مروان وقيصر جدي وجدى خاقان

وانما جعل قيصر وخاقان جديه لان أم فيروز كانت ابنة كسرى وأمها ابنة قيصر . وأم كسرى ابنة خاقان ملك الترك ثم توفي يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة وكانت خلافته ستة أشهر وليلتين وقبل وفاته عهد بالخلافة الى أخيه ابراهيم بن الوليد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج

٢٣ - خلافة ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك

من سنة ١٢٦ هـ — ١٢٧ هـ أو سنة ٧٤٤ م

قام بالخلافة بعد موت أخيه يزيد غير انه لم يتم له الامر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث أربعة اشهر وقيل سبعين يوماً ثم سار اليه مروان بن محمد بن مروان أمير ديار الجزيرة الى دمشق لخلعه فكان كلما وصل الى مدينة خلع أهلها خلافة ابراهيم بن الوليد وبايعوا مروان وزودوه بالجيوش فلما قرب مروان من دمشق بعث ابراهيم لقتاله جيشاً مؤلفاً من ماية وعشرين الف مقاتل بقيادة سليمان بن هشام وكان جيش مروان ثمانين الفاً فاقتتلوا من ارتفاع النهار الى العصر وكثر عدد القتلى من الفريقين الى

ن انهزم عسكر ابراهيم ووقع فيهم القتل والاسر وهرب سليمان مع من هرب
لى دمشق واجتمع مع ابراهيم وسار كلاهما الى مروان بن محمد فخلع ابراهيم
نفسه وبايع مروان وبايعه أيضاً سليمان وعاش ابراهيم بعد ذلك الى سنة ١٣٢ هـ

٢٤ـ خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

من سنة ١٢٧ — ١٣٢ هـ أو سنة ٧٤٤ — ٧٥٠ م

وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم بويع له بالخلافة في دمشق سنة ١٢٧ هـ بعد انتصاره على جيوش ابراهيم بن الوليد واستتب له الامر بمبايعة ابراهيم له ولم تكن أيامه أكثر سلاماً من أيام سابقيه بل بالعكس وكأني بالبلاد قد اعتادت الثورات الداخلية فيثورون على الخليفة الموجود لسبب او غير سبب حتى اذا قتلوه وبايعوا خليفة آخر قاموا ضد هذا الآخر هكذا كانت أواخر أيام الخلافة الاموية كان المقادر كانت تهيء الامور والاحوال لقبول الخلافة العباسية التي سيرد ذكرها ولله في خلقه شؤون

فما لبث مروان أن بويع بالخلافة حتى انتقضت عليه البلاد وعصوه فكان أول من عصاه أهل حمص فسار اليهم من حران فاغلق أهل المدينة أبوابها فحاصرها وقاتلهم وانتصر عليهم وهدم سورها وصلب جماعة من أهلها حتى اخضع أهلها وبايعوه ولم ينته من اخضاعهم حتى جاءه الخبر بعصيان أهل غوطة دمشق عليه وتوليتهم يزيد بن خالد القسري عليهم وحصارهم لدمشق فارسل اليهم عشرة آلاف فارس مع أبي الورد بن الكوثر وعمر بن الوضاح فلما وصلوا الى قرب دمشق حملوا على أهل الغوطة وخرج من بدمشق عليهم فانهزم أهل الغوطة ونهبهم العسكر وأحرقوا المزة وغيرها من قراهم حتى أخلدوا الى السكينة. وعقب ذلك خلاف أهل فلسطين وفي مقدمتهم ثابت بن نعيم فكتب مروان الى أبي الورد المذكور يأمره بالمسير اليهم فسار واقتتلوا وانهزم ثابت بن نعيم وتفرق أصحابه واسر ثلاثة من أولاده فبعث بهم أبو الورد الى مروان واعلمه بالنصر

وعقب ذلك اجتماع الجند مع سليمان بن هشام وتقويتهم له لخلع طاعة مروان فاجابهم الى ذلك وخلع سليمان طاعة مروان وثار ضده واجتمع معه بقنسرين

سبعون ألفاً من أهل الشام فسار اليه مروان والتقوا بقنسرين وجرى بينهم قتال شديد الى ان انهزم سليمان وعسكره وتعقبتهم خيل مروان يقتلون ويأسرون حتى بلغت القتلى من معسكر سليمان أكثر من ثلاثين الفاً . ووصل سليمان الى حمص فاجتمع اليه أهلها وبقية المنهزمين فلحقهم مروان وهزمهم ثانية وهرب سليمان الى تدمر ورمم سور حمص الذي هدمه مروان فاتبعه مروان وحاصر حمص مدة طويلة ورماها بالمنجنيق حتى صالحه أهلها وسلموا اليه عمال سليمان عليهم وأما سليمان فاجتمع بالضحاك الخارجي وبايعه

(ظهور الخوارج) في سنة ١٢٧ هـ خرج الضحاك بن قيس الشيباني ودخل الكوفة واجتمع حوله كثير من الخوارج وسار الضحاك قاصداً العراق فنزل بالنخيلة وسار اليه عبد الله بن عمر عامل مروان على الكوفة فاقتتلوا قتالا شديداً فانتصر الضحاك على عبد الله بن عمر واستولى على الكوفة وهرب ابن عمر الى واسط فأرسل مروان النضر بن سعيد عاملاً على الكوفة بدلا عن ابن عمر فلم يرض ابن عمر أن يسلم بذلك فحاربه النضر بواسط فعلم الضحاك بخلافهم فسار الى واسط لقتالهم فصالحه عبد الله بن عمر وبايعه . فرجع الضحاك الى الكوفة تاركا ابن عمر بواسط وأرسل أهل الموصل الى الضحاك يبايعونه ويطلبون منه القدوم اليهم ليسلموه المدينة فسار في جماعة من جنوده الى الموصل فقاتله عامل مروان عليها فقتل عامل مروان واستولى الضحاك على الموصل وكورها وبلغ مروان ذلك وهو محاصر لحمص مشتغل بقتال أهلها فأرسل الى ابنه عبد الله وهو عامله على الجزيرة يأمره أن يسير الى نصيبين في من معه ليمنع الضحاك من توسط الجزيرة فسار اليها في ثمانية آلاف مقاتل . وسار الضحاك الى نصيبين في جيش كثيف وحاصر ابن مروان بها . فسار اليه مروان بعد فتح حمص فالتقوا بنواحي كفرتوثا فاقتتلوا قتالا شديداً طول اليوم حتى قتل الضحاك ولم ينخذل أصحابه بقتله بل بايعوا الخيبري واعادوا قتال مروان حتى كادوا ينتصرون عليه انتصاراً باهراً لولا مخاطرة الخيبري الذي هجم في وسط معسكر مروان حتى بلغ خيمته فقتل . وبعد موت الخيبري بايع الخوارج شيبان بن عبد العزيز فاستمر يقاتل مروان اياماً ثم تفرق عنه كثير من اصحابه حتى لم يبق معه الا اربعون الفاً فأشار عليهم سليمان بن هشام ان يرجعوا الى الموصل فتعقبهم

مروان وقاتلهم حتى انهزمت الخوارج وهرب شيبان الى فارس فأرسل مروان من يتعقبه حتى قتل فتفرق أمر الخوارج بقتله

(ظهور عبد الله بن معاوية) وفي هـذه السنة ايضاً (سنة ١٢٧ ﻫ) ظهر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ودعا الى نفسه وتبعه جمع كثير فأرسل اليـه مروان من يقاتله فانهزم عبـد الله فطلب الامان لنفسه فأمنه مروان فسار الى المدائن فلما وصل اليها أتاه أناس من أهل الكوفة وغيرها فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس وأصبهان والري . وأقام بأصبهان وبايعه الناس وأرسل العمال وجبى الاموال ولم يزل بها حتى أتته جيوش مروان بقيادة معن بن زائدة وقاتلوه حتى انهزم ابن معاوية وهرب قاصداً خراسان طمعاً في أبي مسلم الخراساني لانه يدعو الى الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصـل الى نواحي هرات وعليها أبو نصر مالك بن الهيثم عاملا لابي مسلم فلما وصل عبـد الله بن معاوية الى هرات ارسل أبو نصر الى أبي مسلم يعلمه بقدومه فأتاه كتاب أبي مسلم بالقبض عليه وقتله ففعل

ومما تقدم تجد ان المملكة الاسلامية في خلافة مروان بن محمد كانت كشعلة نار بسبب الثورات التي امتدت في كل أطرافها حتى هددتها بالخراب وقد تركنا كثيراً من أخبار تلك الثورات مكتفين بما تقدم ولكن كل ذلك لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب الدعوة العباسية التي ظهرت في زمن هذا الخليفة المشؤم الطالع التى كانت سبباً لملاشاة الدولة الاموية واليك البيان

٢٥ - الدعوة العباسية

كان ابتداء ظهور الدعوة العباسية في الوجود سنة ١٠٠ ﻫ وأول من أظهرها محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فجمع اليـه اثنى عشر نقيباً وهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم والقاسم بن مجاشع وعمران بن اسماعيل ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق وعمرو بن أعين وشبل بن طهمان وعيسى بن اعين واختار أيضاً سبعين رجلاً وكتب لهم كتاباً ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها .

فارسلهم الى الآفاق يذيعون دعوته ويوافونه بالاخبار . وكان مسكنه بالشراة من الشام بقرية يقال لها الحميمة فسار دعاة العباسية وتفرقوا في المملكة الاسلامية يذيعون خبرهم سراً غير متجاسرين على اظهاره حتى كانت سنة ١٢٤ ﻫ وكان محمد علي بن عبد الله بن عباس قد توفي وقام بالامر من بعده ابنه ابراهيم الملقب بالامام قدم بعض نقباء الدعوة العباسية الذين كانوا بالكوفة الى الامام وأهدوا اليه عشرين ألف دينار ومايتي ألف درهم وأبا مسلم الخراساني وقالوا له هذا مولاك فاعجب به ابراهيم الامام وبمنطقه وأدبه فاقام عنده أبو مسلم يخدمه

ثم ان النقباء عادوا الى الامام وسألوه رجلاً يقوم بأمر خراسان فقال اني جربت هذا الاصبهاني وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حجر الارض فدعا أبا مسلم وقلده الامر وأرسله الى خراسان وأمرهم بسماع أمره وطاعته وهو الى ذلك الحين لم يبلغ العشرين من عمره فلم يسمع له أحد فرجع الى الامام واعلمه بعدم سماعهم أوامره فاعاده اليهم وأمره أن يقتل كل من يشك في طاعته وأرسل اليهم يقول اني عرضت هذا الامر على كثيرين فلم يقبل به أحد الا هذا فاسمعوا له وأطيعوا فسار أبو مسلم الى خراسان من ذلك الوقت

وكان عامل مروان على خراسان نصر بن سيار فثار ضده الكرماني (واسمه جديع بن علي الازدي انما سمي الكرماني لانه ولد بكرمان) وأثار معه اليمانية وتغلب على مرو وتنحى نصر عنها ومعه المضرية وفي هذه الاثناء وصل أبو مسلم الخراساني الى خراسان سنة ١٢٩ ﻫ وأخذ باظهار الدعوة العباسية جهاراً فرأى نصر ان هذا الاخير أشد ضرراً على الدولة الاموية من الكرماني وغيره فارسل الى مروان يطلب نجدة وكان مروان مشغولا بقتال الخوارج ومن خالف من أهل البلدان فلم يجب نصراً الى ما طلب فارسل الى مروان كتاباً يظهر فيه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه وانه يدعو الى ابراهيم الامام وكتب بابيات شعر

اری خلل الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب مبدؤها الكلام
لئن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياماً فقل قوموا فقد حان القيام

فلم يجب مروان نصراً بشيء وأراد أن يقطع الشجرة من أصلها وعلم ان ابراهيم الامام نازلا بالحميمة فارسل اليه من أمسكه وسجنه حتى مات بالسجن . وكان لما أمسكه مروان قد كتب الى أهله ينعي نفسه وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع أخيه أبي العباس السفاح وأوصى اليه بالامر فسار السفاح باهل بيته ومنهم أخوه أبو جعفر المنصور وغيره الى الكوفة فاقاموا متخفين . وكان أبو مسلم أرسل الى ابراهيم الامام يعلمه بما تم له بخراسان و يعلمه بخلاف نصر والكرماني وتحاربهما و يستشيره عما يفعل فارسل اليه الامام جواباً يلعنه فيه و يسبه لانه لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني اذا مكناه و يأمره أن لا يدع بخراسان متكلما بالعربية الا قتله

ولما غلب الكرماني على مرو أرسل اليه نصر بن سيار جيشاً لقتاله وما زال القتال دائراً بين الفريقين أياماً فلما استيقن أبو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وان لا مدد لهم جعل يكتب الى شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك على مضر فانهم سيأخذون كتبك فكانوا يأخذونها ويقرأون فيها « اني رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تيقن بهم ولا تظهر اليهم فاني أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحب ولئن بقيت لا أدع لهم شعراً ولا ظفراً » ويرسل رسولا آخر بكتاب فيه ذكر مضر بمثل ذلك و يأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ثم جعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني ان الامام أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم » وسار أبو مسلم حتى خندق بين جيش نصر و بين جيش الكرماني فهابه الفريقان وأرسل الى الكرماني « اني معك » فقبل الكرماني ذلك فانضم أبو مسلم اليه فاشتد الامر على نصر بن سيار وأرسل الى الكرماني يقول « لا تغتر فوالله اني لخائف عليك وعلى أصحابك من أبي مسلم » ودارت رحى الحرب بين الفريقين حتى وجد نصر غرة من الكرماني فضربه ضربة كانت القاضية عليه وصلبه فاقبل ابن الكرماني وقد اجتمع اليه جمع كثير واتخذ أبو مسلم معه أيضاً نصراً حتى أخرجوه من دار الامارة وتغلب ابن الكرماني على مرو ثانية . وكان أمر أبي مسلم قد استفحل وذاع صيته وأتت الناس من مرو وغيرها اليه ولا يعرض لهم نصر بن سيار ولا ابن الكرماني فرأى

نصر ان أمره وأمر ابن الكرماني آخذ في الزوال بينما أمر أبي مسلم آخذ في الظهور فأرسل الى ابن الكرماني يدعوه الى الاتحاد معه على قتال أبي مسلم فعلم ابو مسلم بذلك وكان يومئذ معسكراً بالماخوان فتحول الى ألين خوفاً من أن يقطع عنه نصر الماء . وعظم الامر على أبي مسلم وجمع أصحابه لحربهم فكان سليمان بن كثير بازاء ابن الكرماني فقال له سليمان ان أبا مسلم يقول لك « أما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالامس أباك وصلبه وما كنت أحسبك تجتمع مع نصر في مسجد تصليان فيه » فرجع ابن الكرماني عن رأيه وانتقض صلح العرب . فلما انتقض صلحهم بعث نصر الى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر وكذلك بعث اليه أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن فمال أبو مسلم ومن معه الى مخالفة ابن الكرماني وحاربا نصراً وانتصرا عليه وهرب نصر ودخل أبو مسلم مرو وأخذ البيعة بها للعباسيين وبايع ابن الكرماني مع من بايع واستتب الامر في مرو لابي مسلم ثم أرسل سراياه حتى افتتح كل ولاية خراسان وخاف أبو مسلم من اجتماع كلمة ابني الكرماني عليه فقتلهما وهما علي وعثمان

(ظهور السفاح وبيعته) قد ذكرنا مسير أبي العباس السفاح وأهله الى الكوفة مستخفين . وما زالوا كذلك حتى شهر ربيع الاول سنة ١٣٢ ﻫ فظهر أبو العباس السفاح فسلم عليه الناس بالخلافة وعزوه بأخيه الامام فدخل دار الامارة في صبحة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الاول سنة ١٣٢ ﻫ ثم خرج الى المسجد وصلى بالناس وحضهم على الطاعة . وكان مروان بحران وبلغته هذه الاخبار فسار منها الى الزاب وهو في ماية وعشرين ألفاً فسار اليه أبو عون عامل بني العباس على شهرزور بما عنده من الجموع وأمده السفاح بعساكر مع عمه عبد الله بن علي بن عبد الله . وعقد مروان جسراً على الزاب وعبر الى جهة عبد الله المذكور فالتقاه عبد الله وقد جعل على ميمنته أبا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية فاشتد القتال بين الجيشين حتى انهزم مروان وغرق كثير من جيشه وغنم عبد الله سلاحاً كثيراً وكتب الى السفاح ابن أخيه بالفتح

وهرب مروان ومر بالموصل فسبه اهلها فسار عنها حتى اتى حران واقام بضعاً وعشرين يوما حتى دنا منه عسكر السفاح فحمل اهله وخيله ومضى

منهزماً الى حمص فتعقبه عبد الله بن علي المذكور فسار مروان من حمص الى دمشق ثم الى فلسطين وعبد الله يطارده ثم سار مروان هاربا الى مصر فارسل عبد الله في أثره أخاه صالحاً فادركه صالح في كنيسة بوصير وانهزم أصحابه فطعنه رجل برمح فقتله واحتز رأسه وأحضره الى صالح فارسل صالح رأس مروان الى السفاح وكتب اليه

قد فتح الله مصر عنوة لكم وأهلك الكافر الجعدي اذ ظلما

وبايع أهل مصر لبني العباس وبعد أن استتب الامر بها رجع صالح الى الشام تاركا أبا عون بمصر . وهرب ابنا مروان عبد الله وعبيد الله الى الحبشة وقاتلهما الاحباش فقتل عبيد الله ونجا عبد الله في عدة ممن معه وبقي الى خلافة المهدي فمسكه عامل فلسطين وبعث به اليه

وكانت مدة خلافة مروان بن محمد خمس سنين وعشرة أشهر ونصفا وكان يلقب بالحمار لصبره في الحروب . وبقتله تلاشت الخلافة الاموية من الشرق وتبعتها خلافة بني العباس

الخلفاء العباسيون

٢٦ — خلافة أبي العباس السفاح

من سنة ١٣٢ هـ — ١٣٦ هـ أو سنة ٧٥٠ — ٧٥٤ م

هكذا كانت نهاية الخلافة الاموية وابتداء الخلافة العباسية . ورأى أبو العباس أن قدمه لا تثبت بالخلافة الا اذا قتل بني أمية جميعاً حتى من كان قد أمنهم وبايعوه وساعده على فكره هذا كثيرون من المقربين منه منهم سديف الذي دخل يوماً على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أمنه وأكرمه فقال سديف

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فامر السفاح بسليمان بن هشام فقتل وقتل عبد الله بن علي نحو تسعين رجلاً

اجتمعوا عنده للأكل بناء على طلبه فأمر بهم فقتلوا جميعاً . وهرب عبد الرحمن ابن معاوية الى الاندلس وجدد فيها دولة أموية سنأتي على ذكرها بعد الانتهاء من ذكر خلفاء بني العباس

ولما استتب الامر لابي العباس أرسل العمال الى الامصار من ذويه ومريديه فأقر أبا مسلم على خراسان والعراقيين وأبا عون على مصر وعمه عبد الله بن علي بالشام و بنى الهاشمية بالانبار وجعلها مقر خلافته

وكان العباس من أسخى الناس لم يعد وعداً ويؤخره عن وقته وكان سريعاً الى سفك الدماء وهذا هو سبب تلقيبه بالسفاح . ولم تخل أيام السفاح من القلاقل والثورات لان الامر لم يكن قد استتب له تماماً فخلع كثيرون طاعته وعصوه منهم

(١) حبيب بن مرة المري ومن معه من أهل الثنية وحوران وكان حبيب المذكور من قواد مروان فلما مات مروان وآل الامر لبني العباس خاف على نفسه فاظهر العصيان فسار اليه عبد الله والي الشام وقاتله مراراً ثم صالحه وأمنه

(٢) أبو الورد مجزة بن الكوثر وكان من قواد مروان أيضاً وكان قد بايع عبد الله بن علي ثم انتقض عليه ودعا أهل قنسرين للخروج معه فاجابوه . وكان عبد الله في ذلك الوقت يحارب حبيب بن مرة فصالحه وسار الى أبي الورد ومر على دمشق وترك بها أبا غانم بن ربعي في أربعة آلاف وكان بدمشق أهل عبد الله وأمهات أولاده ونقله فلما سار من دمشق عصى أهلها وقاتلوا أبا غانم وانتصروا عليه ونهبوا أموال عبد الله لكنهم لم يتعرضوا لاهله . وكثر حزب أبي الورد واجتمع اليه على خلاف أبي العباس أهل قنسرين وهؤلاء كاتبوا أهل حمص وتدمر فقدم منهم ألوف . فوجه اليهم عبد الله اخاه عبد الصمد ومن معه واقتتلوا حتى انكشف عبد الصمد وانهزم وسار الى أخيه عبد الله فجمع هذا الاخير الجيش وسار لقتال أبي الورد بنفسه فالتقوا ثانية بمرج الاخرم ودارت رحى الحرب بين الفريقين فانهزم أصحاب أبي الورد وثبت هو وخمسماية معه حتى قتلوا جميعا فامن عبد الله أهل قنسرين وبايعوه ودخلوا تحت طاعته فرجع الى دمشق

(٣) ثم سار أهل الجزيرة على السفاح ولم يكن عليهم رئيس فقدم عليهم

اسحق ابن مسلم العقيلي من أرمينية واجتمع عليه أهل الجزيرة وحاصر موسى ابن كعب نحواً من شهرين فأرسل أبو العباس الى أخيه أبي جعفر بواسط يأمره بالمسير اليهم فسار أبو جعفر ومن معه الى حرّان فرحل عنها اسحق بن مسلم الى الرها وأرسل الى أبي جعفر من يقاتله والتقى الفريقان والتحم الجيشان وكانت الدائرة على أصحاب اسحق فلما بلغته الهزيمة رحل من الرها الى سميساط فتبعه ابو جعفر وكتب الى السفاح ان يمده فأمده بعبد الله ابن علي والي دمشق فقدم أبو جعفر وعبد الله الى سميساط وحاصرا اسحق بها سبعة أشهر حتى كتب اليهما يطلب الصلح على شرط ان يعطياه الامان فكتبا للسفاح بذلك فأمرهما ان يأمناه فامناه وخرج من سميساط آمناً . وولى السفاح اخاه ابا جعفر الجزيرة وارمينية واذربيجان

(٤) وسار بسام بن ابراهيم في خراسان وخلع طاعة السفاح فسار ومن تبعه سراً الى المدائن فوجه اليهم السفاح خازم ابن خزيمة فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم بسام واصحابه وقتل اكبرهم واما بسام فهرب

(٥) وعصى الخوارج ايضا وعليهم في ذلك الوقت شيبان بن عبد العزيز فأرسل اليهم السفاح خازم المذكور في خمسماية مقاتل فقاتلوا شيبان والخوارج حتى قتل شيبان وانهزم الخوارج فرجع خازم وفي اثناء رجوعه لقيتهم عصابة عليها الجلندى من الخوارج ايضاً فقاتلهم خازم وقتل منهم مقتلة عظيمة وقتل الجلندي رئيسهم . وكان بالروم علموا ضعف المسلمين من توالي الثورات فأرسل ملكهم قسطنطين جيشاً لافتتاح ملطية فحاصرها وارسل الى من بها من المسلمين يطلب منهم ان يسلموه البلد ومن يريد منهم ان يرجع الي بلاد المسلمين فله الامان فلم يقبلوا منه ذلك فشدّد عليها الحصار وضربها بالمنجنيق فانهزم المسلمون واذعنوا الى طلب الصلح وسلموا البلد الى الروم ورحلوا عنها الى بلادهم

وتوفي السفاح بالانبار الجديدة (الهاشمية) لثلاث عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ وعمره ثلاث وثلاثون سنة ومدة خلافته من قتل مروان اربع سنين ومنذ بويع بالخلافة اربع سنين وثمانية اشهر وكان موته بالجدري وقبل موته اوصى بالخلافة من بعده لاخيه ابي جعفر المنصور . والسفاح اول من استوزر لان بني امية لم يستوزروا

٢٧ – خلافة أبي جعفر المنصور

من سنة ١٣٦ هـ — ١٥٨ هـ أو سنة ٧٥٤ الى سنة ٧٧٥ م

هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مات أخوه السفاح وهو بمكة للحج ومعه أبو مسلم الخراساني وبموت أخيه انتقلت الخلافة اليه بعهد من السفاح فبويع وهو بطريق مكة . وكان عبد الله بن علي عامل السفاح بالشام لما بلغه موت السفاح لم يبايع لابي جعفر ودعا الناس لصلاة جامعة وخطب فيهم « ان السفاح عهد اليّ بولاية العهد من بعده والسبب في ذلك انه (أي السفاح) لما أراد مطاردة مروان لم يقدم على هذا الامر أحد فقال ان من قام بهذا الامر جعلته ولي عهدي وعلى هذا الشرط طاردت أنا مروان حتى ظفرت به » وصادق كثيرون ممن معه على قوله فبايعه الناس بالشام وسار عبد الله الى حرّان وكان أبو مسلم قد عاد مع أبي جعفر المنصور من الحج . فلما علم المنصور بامر عبد الله أرسل الى أبي مسلم يأمره بالمسير اليه وقتاله . فارسل أبو مسلم الى عبد الله بن علي يقول اني لم أؤمر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام . فقال من مع عبد الله من أهل الشام له . كيف نكون معك وهذا يأتي بلادنا ويقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا فنحن نرجع الى بلادنا ونمنعه ونقاتله . فقال لهم عبد الله . والله ما يريد الشام وما أتى الا لقتالكم . فابوا الا المسير الى الشام فارتحل عبد الله نحو الشام وتبعه أبو مسلم واقتتلوا خمسة أشهر كان النصر فيها أغلبه لعبد الله وأصحابه ورأى أبو مسلم بعض اهل خراسان يتراجعون فارتجز وقال

من كان ينوي أهله فلا رجع فرّ من الموت وفي الموت وقع

وحمل على عبد الله حملة شديدة حتى انهزم عبد الله بن علي وأخوه عبد الصمد ومن معهما وهرب عبد الله حتى أتى الى أخيه سليمان بالبصرة وأقام عنده متوارياً وأما عبد الصمد فسار الى الرصافة واحتمى بعيسى بن موسى فطلب له من المنصور أماناً فأمنه

(مقتل أبي مسلم) وذاع صيت أبي مسلم واستفحل أمره حتى خافه المنصور وقد ذكرنا حج أبي مسلم مع أبي جعفر هذه السنة (١٣٦ ﻫ) فلما انتهى الحج ورجعا تقدم أبو مسلم على أبي جعفر وكان يعطي الحسنات ويحفر الآبار وكان الذكر له ولما مات السفاح وهما في الطريق وبلغ أبا مسلم موته أوسل الى أبي جعفر يعزيه في أخيه ولم يهنه بالخلافة فحقدها المنصور عليه ووشي الى المنصور ان أبا مسلم يأتيه كتابه (كتاب المنصور) فيقرأه ثم يلقي الكتاب من يده الى مالك بن الهيثم فيقرأه ويضحكان استهزاء. فلما حارب أبو مسلم عبد الله بن علي المذكور وغنم غنائم كثيرة بعث أبو جعفر أبا الخصيب الى أبي مسلم ليكتب ما أصاب من الاموال فسار الى أبي مسلم وبلغه طلب المنصور فقال له أبو مسلم. أنا أمين على الدماء خائن في الاموال وشتم المنصور وأراد أن يقتل أبا الخصيب فشفع فيه فخلى سبيله. فرجع أبو الخصيب الى المنصور وبلغه ما كان من أمر أبي مسلم فخاف المنصور أن يذهب أبو مسلم الى خراسان ويمتنع بها وبها شيعته فكتب اليه «اني وليتك الشام ومصر فهي خير لك من خراسان فوجه الى مصر من أحببت واقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فان أحب لقاءك أتيته من قريب» فلما أتاه الكتاب غضب وقال. «يوليني مصر والشام وخراسان لي» فكتب الرسول الى المنصور بذلك. وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف وخرج قاصداً خراسان. فسار المنصور من الانبار الى المدائن وكتب الى أبي مسلم في المسير اليه. فكتب اليه أبو مسلم يقول وهو حين اذ ذاك بالزاب «انه لم يبق لامير المؤمنين أكرمه الله عدواً الا امكنه الله منه وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أخوف ما يكون الوزراء. اذا سكنت الدهما. فنحن نافرون عن قربك. حريصون على الوفاء لك ما وفيت. حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث يقارنها السلامة. فان أرضاك ذلك فانا كاحسن عبيدك وان أبيت الا أن تعطي نفسك ارادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي» فلما وصل كتاب أبي مسلم الى المنصور كتب اليه يقول «قد فهمت مقالتك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فانما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلم ساويت نفسك بهم. فانت في طاعتك ومناصحتك واطلاعك بما حملت من اعباء هذا الامر

على ما أنت به وإيس مع الشريطة التي أوجبت منك سمعاً ولا طاعة . وحمل اليك امير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها أن اصغيت واسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك فانه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده من الباب الذي فتحه عليك » وأرسل المنصور هذا الكتاب مع عيسى بن موسى كالمفهوم من منطوقه لكن قيل ان الذي حمل هذا الكتاب الى أبي مسلم هو أبي حميد الحروري وكان داهية في المكر وأوصاه المنصور أن يأتي أبا مسلم باللين فان لم يأت اللين نفعاً يتهدده بحرب وخيمة العاقبة . فسار أبو حميد ولحق بابي مسلم بحلوان فدفع اليه الكتاب وقال له « ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه منك حسداً وبغياً يريدون ازالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ماكان منك وانك لم تزل أمير آل محمد يعرفك الناس بذلك . وما دخر الله لك من الاجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان » فقال له أبو مسلم « متى كنت تكلمني بهذا الكلام » فقال . انك دعوتنا الى هذا الامر والى طاعة أهل بيت النبي بني العباس وامرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف ما بين قلوبنا واعزنا بنصرنا لهم . ولم تلق رجلاً منهم الا بما قذف الله في قلوبنا حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة افتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد امرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلوني » فاقبل أبو مسلم على أبي نصر مالك ابن الهيثم فقال له . اما تسمع ما يقول لي هذا ما ترى في قوله يا مالك . فقال له مالك لا تسمع قوله . ولا يهولنك هذا منه . فلعمري ما هذا كلامه فامض لامرك ولا ترجع فوالله لئن اتيته ليقتلنك وقد وقع في نفسه شيء لا يأمنك أبداً . واستشار نيزك أيضاً . فقال له مثل قول مالك . فعزم على عدم المسير الى أمير المؤمنين . وقال لابي حميد ارجع لصاحبك ما أنا بذاهب أبداً . فعالجه باللين فلم يفد شيئاً فهدده بالحرب فوجم قليلاً ثم أرسل احد ثقاته الى امير المؤمنين حتى يتجسس له الامور فتلقاه بنو هاشم بكل ما يحب فرجع اليه وحبب له المسير الى الخليفة واستماح خاطره . فعزم أبو مسلم على ذلك وعلم نيزك بفكره فقال له هل اجمعت على الرجوع قال نعم وتمثل :

ما للرجال مع القضاء محالة　　ذهب القضاء بحيلة الاقوام

فرجع أبو مسلم حتى أتى الى أمير المؤمنين في ثلاثة آلاف نفر . فلما قدم أبو مسلم على المنصور أمر الناس بتلقيه فتلقاه بنو هاشم والناس ثم قدم ودخل على المنصور فقبل يده فامره ان ينصرف ويريح نفسه ثلاثة أيام ويدخل الحمام فانصرف . فلما كان الغد استدعى المنصور أربعة من الحرس وأمرهم بقتل أبي مسلم اذا صفق بيديه وتركهم خلف الرواق وأرسل الى أبي مسلم يستدعيه وكان عنده عيسى بن موسى يتغدى فدخل على المنصور . فقال له المنصور . أخبرني عن نصلين أصبتهما مع عبد الله بن علي . قال هذا أحدهما . قال أرنيه . فانتضاه وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه وقال له . أخبرني عن كتابك الى السفاح تنهاه عن الموات أردت أن تعلمنا الدين . قال ظننت ان أخذه لا يحل فلما أتاني كتابه علمت انه أهل بيت معدن العلم . قال فاخبرني عن تقدمك اياي بطريق مكة . قال . كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق . قال . فقولك لمن أشار اليك بالانصراف اليّ بطريق مكة وحين أتاك موت أبي العباس الى ان نقدم فنرى رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى الحقك ولا أنت رجعت اليّ . قال منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت تقدم الى الكوفة وليس عليك من خلاف . قال فجارية عبد الله أردت أن تتخذها قال . لا ولكن خفت أن تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها . قال . فمن ارفقك وخروجك الى خراسان . قال . خفت أن يكون قد دخلك مني شيء فقلت آتي خراسان فاكتب لك بعذري فاذهب ما في نفسك . قال . فالمال الذي جمعته بخراسان . قال أنفقته بالجند تقوية لهم واستصلاحا . قال الست الكاتب اليّ تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة ابنة علي وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعباً — ثم قال — وما الذي دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد فتياننا قبل ان يدخلك في هذا الامر . قال أراد الخلاف وعصاني فقتلته . فلما طال عتاب المنصور قال أبو مسلم لا يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني . قال المنصور . يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت انما عملت في دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلاً . . . فاخذ

أبو مسلم بيده يقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور . ما رأيت كاليوم وما زدتني الا غضباً . فاخذ أبو مسلم يستسمح خاطره فشتمه وصفق بيديه فخرج عليه الحرس فقتلوه فلما رأى أبو مسلم الحرس بسيوفهم قال للمنصور . استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين . فقال له المنصور لا أبقاني الله اذاً أي عدو أعدى لي منك . وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو . فقال المنصور يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك . وكان قتله في شهر شعبان لخمس بقين منه سنة ١٣٧ ولما قتل قال المنصور

زعمت ان الدين لا ينقضي　　فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت تسقي بها　　أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستماية ألف صبراً . فلما قتل دخل عيسى بن موسى على المنصور وقال . يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم . فقال . قد كان ههنا . فقال عيسى قد عرفت نصيحته وطاعته ورأي الامام ابرهيم كان فيه . فقال له المنصور . يا أحمق والله ما أعلم في الارض عدواً أعدى لك منه ها هو ذا في البساط . فقال عيسى . انا لله وإنا اليه راجعون . وكان لعيسى فيه رأي . فقال المنصور لعيسى . خلع الله قلبك وهل كان لك أمر أو نهي أو ملك أو سلطان مع أبي مسلم . ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال . ما تقول في أمر أبي مسلم . قال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل فقال له المنصور . وفقك الله ها هو في البساط . قال يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك . وبعد قتل أبي مسلم كتب المنصور الى أبي نصر بن الهيثم عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده وان يقدم وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم فلما راى الخاتم كاملاً (وكان أبو مسلم أوصاه قائلاً اذا أتاك كتابي عليه خاتمي فاذا كان الخاتم ناقصا فهو مني وان كان كاملاً فلا) فقال فعلتموها وانحدر الى همذان انتهى

وفي سنة ١٤١ هـ خرج الراوندية على المنصور وهم قوم من اهل خراسان على مذهب ابي مسلم يعتقدون بتناسخ الارواح ويزعمون ان روح آدم في عثمان ابن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرائيل هو الهيثم ابن معاوية فلما ظهروا اتوا قصر المنصور وقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور

رؤساءهم وحبس منهم مايتين فغضب اصحابهم واخذوا نعشاً ومشوا به كجنازة حتى بلغوا باب السجن فرموا بالنعش ولم يكن فيه احد وكسروا باب الحبس واخرجوا رؤساءهم وساروا جميعاً وهم نحو ستماية رجل قاصدين المنصور. فتنادى الناس واغلقت الابواب وخرج المنصور ماشياً من القصر لعدم وجود الدابة بالقصر فلما خرج من القصر اتوا اليه بدابة فركبها وسار نحوهم فتكاثروا عليه وكادوا يقتلونه فظهر معن بن زائدة (وكان مستخفياً من المنصور) وقاتل الراوندية فانتصر عليهم وتكاثرت عليهم الناس فقتلوا جميعا ولم ينج احد منهم. وكانت هذه الواقعة سببا لعفو المنصور عن معن بن زائدة لحسن بلائه بالراوندية.

وكان المنصور يتخوف من بني الحسن وخصوصاً من محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي وجدّ عليه الطلب فلم يتمكن من القبض عليه فحبس احد عشر شخصاً من بني الحسن في سجن ضيق حتى كان الواحد منهم يبول ويغوط على الاخر حتى ماتوا جميعاً. فهيجت هذه المعاملة السيئة محمد بن عبد الله فخرج في المدينة وجمع الجموع وتسمى بالمهدي واستولى على المدينة وضواحيها وارسل اخاه ابراهيم الى البصرة في ثلاثين الفاً. فارسل اليه المنصور ابن اخيه عيسى بن موسى فسار حتى اتى المدينة وجرى بين الفريقين قتال فانهزم محمد بن عبد الله وقتل هو وجماعة من اهل بيته واصحابه ثم تعقب عيسى بن موسى ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فانهزم هذا الاخير ايضاً. وبعد هذه الواقعة شدّد المنصور في الطلب على آل علي حتى كاد يفنيهم

وفي سنة ١٤٥ ﻫ ابتدأ المنصور ببناء مدينة بغداد لجعلها مقراً للملك بدلا من الهاشمية لعدم حصانتها فاختار البقعة التي بنى فيها بغداد لاسباب كثيرة لامحل لذكرها وسماها مدينة السلام ثم دعيت فيما بعد ببغداد واستتب الامر للمنصور في في كل العالم الاسلامي ما عدا بلاد الاندلس التي تجددت فيها في سنة ١٣٩ ﻫ دولة اموية سيأتي ذكرها

وابتدأ التمدن الاسلامي في الظهور من أيام هذا الخليفة وابتدأ العرب يطلبون علوم اليونان والفرس ويترجمونها الى اللغة العربية. وفي هذا العصر شرع علماء المسلمين في تدوين الحديث والفقه

وفي سنة ١٥٨ ﻫ سار المنصور ليحج فنزل قصر عبد ربه فانقض في مقامه

هنالك كوكب بعد اضاءة الفجر و بقي أثره بيناً حتى مطلع الشمس . فاحضر المنصور المهدي ابنه وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان وقال له أيضاً . اوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم فان عزك عزهم وذكرهم لك وما اظنك تفعل . وانظر مواليك وأحسن اليهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدة ان نزلت بك وما أظنك تفعل . وانظر هذه المدينة واياك ان تبني المدينة الشرقية فانك لا تتم بناها واظنك ستفعل واياك ان تدخل النساء في امرك واظنك ستفعل هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك ثم ودعه وبكى كل منهما الى صاحبه . ثم سار الى الكوفة وكلما سار منزلا اشتد به مرضه فلما وصل بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨ ه وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة . وقيل في صفته وسيرته انه كان اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من احسن الناس ما لم يخرج الى الناس واشدهم احتمالا لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثيابه هابه الاكابر فضلاً عن الاصاغر . ولم ير في داره لهو ولا شيء من اللعب والعبث قال حماد التركي كنت واقفاً على راس المنصور فسمع جلبة . فقال انظر ما هذا . فذهبت فاذا خادم له جلس وحوله الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فأخبرته . فقال واي شيء الطنبور فوصفته له . فقال ما يدريك انت ما الطنبور . قلت رايته بخراسان . فقام ومشى اليهن فلما راينه تفرقن . فأمر بالخادم فضرب راسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور وأخرجه فباعه . وقيل انه كان كثير التقلب كثير الهواجس لا يستقر على راي

٢٨ — خلافة محمد المهدي بن المنصور

من سنة ١٥٨ ه — ١٦٩ ه او من سنة ٧٧٥ — ٧٨٥ م

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور لما مات ابوه المنصور ببئر ميمون لم يحضره عند وفاته الا خدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته والبسه وسنده وجعل على وجهه كلة خفيفة يرى شخصه منها ولا يفهم امره وادنى اهله منه ثم قرب منه الربيع كانه يخاطبه . ثم رجع اليهم وامرهم عنه ببيعة المهدي بن

المنصور بن محمد الامام ولابن عمه عيسى بن موسى بن محمد الامام من بعده (وكان السفاح جعل البيعة من بعد المنصور لعيسى بن موسى) فبايعوا ثم خرجوا وبعد ذلك خرج اليهم باكيا مشقوق الجيب لاطما رأسه ثم وجه الى المهدي يخبره بوفاة المنصور وبالبيعة له ولابن عمه عيسى بن موسى من بعده . فتكلم جماعة من بني هاشم في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن محمد المهدي من بعد ابيه فسر ذلك المهدي وارسل يطلب قدوم عيسى بن موسى وهو في ذلك الوقت بالرحبة من أعمال الكوفة فعلم بسر هذا الطلب ولم يجب طلب المهدي بالذهاب اليه فاستعمل المهدي على الكوفة روح بن حاتم وأمره بالاضرار بعيسى بن موسى فذهب الى الكوفة ولم يجد للاضرار به سبيلا . فارسل المهدي عمه العباس الى عيسى فلم يحضر فارسل اليه أبا هريرة محمد بن فروخ القائد في الف من أصحابه ذوي البصائر وجعل مع كل واحد منهم طبلاً وأمرهم ان يضربوا طبولهم جميعا عند قدومهم اليه . فوصلوا سحراً وضربوا طبولهم فارتاع عيسى بن موسى روعاً شديداً ودخل عليه أبو هريرة وامره بالشخوص معه فاعتل بالشكوى فلم يقبل منه واخذه معه . فلما قدم عيسى بن موسى أقام أياماً يختلف الى المهدي ولم ير مكروها ثم دخل يوماً وقد اجتمع رؤساء شيعة المهدي وطلبوا منه ان يخلع نفسه ويبايع للمهدي ولابنه موسى الهادي من بعده فلم يقبل فتهددوه وألح عليه المهدي بذلك فقبل أخيراً وبايع للمهدي ولابنه الهادي من بعده فاعطاه المهدي عشرة آلاف دينار وقال في ذلك بعض الشعراء

كره الموت أبو موسى … كان في الموت نجاة وكرم
خلع الملك وأضحى ملبساً … ثوب لوم ما ترى منه القدم

وبمبايعة عيسى بن موسى للمهدي استتب له الامر

وفي أيامه سنة ١٥٩ هـ ظهر المقنع بخراسان وكان رجل قصيراً أعور من أهل مرو يسمى حكيما واتخذ له وجهاً من ذهب على وجهه لئلا يرى فسمي المقنع وادعى الالوهية وكان يعتقد ان الله خلق آدم فتحول في صورته ثم في نوح وهلم جراً الى أبي مسلم الخراساني الذي كان يعتقد فيه انه أفضل من النبي (صلعم) ثم تحول الى هاشم (وهو اسمه) وكان يحسن شيئاً من الشعبذة فاستغوى أهل العقول الضعيفة واستمالهم واجتمع اليه خلق كثير وتحصنوا في قلعة بكش

وجمع فيها الطعام والعلوفة . وبث الدعاة في الناس وادعى احياء الموتى وعلم الغيب فبعث المهدي في طلبه فحوصر حصاراً شديداً فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فماتوا جميعاً . وأحرق القلعة بالنار وقال لاصحابه من أحب ان يرتفع معي الى السماء فليلق نفسه معي في هذه النار فالقى نفسه والقى من معه أنفسهم في النار فاحترقوا جميعاً ودخل العسكر القلعة فوجدوها خالية خاوية

واستوزر المهدي يعقوب بن داود فتمكن فيها حتى كان لا يعمل شيئا الا بأمره فحسده أصحاب المهدي وسعوا فيه فامسكه وحبسه وبقي محبوسا الى خلافة الرشيد وفيه يقول بشار بن برد

بنو أميـة هبوا طال نومكم   ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفة الله بين الناي والعود

وفي سنة ١٦٣ هـ تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع العساكر من خراسان وغيرها وسار ومعه ابنه هرون الرشيد بعد ما استخلف ابنه موسى الهادي على بغداد فلما وصل حلب علم ان بها زنادقه فجمعهم وقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين . وسار عنها مشيعاً لابنه هرون الرشيد حتى جاز الدرب وتوغل الرشيد في بلاد الروم بجيشه ومعه عيسى بن موسى وكاتبه يحي بن خالد ابن برمك فغزاهم وفتح لهم حصوناً وغنم غنائم ورجع سالماً وكان الرشيد يغزو الروم سنوياً ويتوغل في بلادهم شيئاً فشيئاً حتى انه في سنة ١٦٥ هـ بلغ خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ الملكة ايريني امرأة لاون بصفة وصية على ابنها قسطنطين السادس . فلما علمت بقدوم جيش المسلمين وعليهم الرشيد ارتاعت جدًا وطلبت الصلح من الرشيد فصالحها على انْ تدفع له جزية سنوية سبعين الف دينار وان تقيم لهـم الادلاء والاسواق في طريقه . وهـذا الشرط الاخير كان سببا لنجاة جيش المسلمين لانه دخل مدخلاً ضيقا مخوفاً من احد جانبيه جبل وعر ومن جانبه الاخر نهر ساغريس فرجع الرشيد سالما غانماً

وفي سنة ١٦٦ هـ اقام المهدي بريداً بين مكة والمدينة بغالا

وفي سنة ١٦٩ هـ عزم المهدي على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه على الهادي فبعث اليه وهو بجرجان في هـذا المعنى فلم يفعل فبعث اليه في القدوم عليه فضرب الرسول وامتنع من القدوم عليه فسار المهدي

بريده فلما بلغ ماسبذان مات مسموماً والسبب في ذلك انه كان له جارية تدعى حسنة وجارية اخرى يحبها اكثر من حسنة فعمدت حسنة الى كمثرى وسمت منه احسنه وارسلته هدية للجارية الاخرى فاجتاز الخادم بالمهدي وكان يحب الكمثري فأخذ تلك الكمثراء المسمومة واكلها فلما وصلت الى جوفه صاح جوفي . جوفي . ومات فسمعت حسنة بموته فجاءت تبكي وتلطم وجهها وتقول اردت ان انفرد بك فقتلتك ورجعت حسنة وعليها المسوح فقال ابو العتاهية في ذلك

رحن في الوشي واقبلن في المسوح
كل نطاح من الدنيا له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عمرت ماعمر نوح
فعلى نفسك نح ان كنت لابد تنوح

وكان موته في المحرم لثمان بقين منه سنة ١٦٩ هـ . وعمره ثلاث واربعون سنة ومدة خلافته عشر سنين وشهر وكان الرشيد معه يوم موته في ماسبذان

٢٩ — خلافة الهادي بن المهدي

من سنة ١٦٩ هـ — ١٧٠ أو من سنة ٧٨٥ الى ٧٨٦ م

هو موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور بويع بالخلافة يوم وفاة أبيه المهدي . فانه لما مات المهدي بماسبذان أرسل ابنه الرشيد الى أخيه الهادي يعلمه بوفاة أبيه وبعث اليه الخاتم والقضيب وأخذ له البيعة من عسكر المهدى . فلما بلغ الهادي وفاة أبيه رجع الى بغداد كرسي الخلافة . واشتد الهادي في طلب الزنادقة وقتل كثيرين منهم

وفي هذه السنة(١٦٩هـ) ظهر الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن ابي طالب بالمدينة وتبعه جمع كثير وبايعوه وكان عامل الهادي على المدينة عمر ابن عبد العزيز من آل الخطاب فحارب الحسين فانتصر الحسين عليه وازدادت شوكته وكثرت جموعه . وبعد انتصاره على عمر بن عبد العزيز المذكور أقام بالمدينة هو واصحابه أحد عشر يوماً ثم سار الى مكة فالتصق به جماعة من عبيد مكة

وكان قد حج في تلك السنة جماعة من بني العباس فاقتتلوا مع الحسين فانهزم الحسين وهرب اصحابه وقتل هو وقطع رأسه ورؤوس كثيرين من اصحابه حتى بلغت اكثر من مائة رأس

وفي سنة ١٧٠ هـ عزم الهادي على خلع الرشيد من ولاية العهد والبيعة لابنه جعفر فشجعه كثيرون وكاد الرشيد يقبل التنازل عن ولاية العهد و يبايع لجعفر ابن أخيه لولا منع يحيي بن خالد بن برمك له ولم يتمكن الهادي من اتمام مقصده هذا لان المنية عاجلته . وقيل في سبب موته أنه لما ولي الخلافة استبدت أمه الخيزران بالامور فانثال الناس الى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها وكلمته يوماً في أمر فلم يجد الى اجابتها سبيلا فقالت . لابدَّ من الاجابة اليه . فغضب الهادي وقال والله لاقضيتها لك . قالت . اذاً لا أسالك حاجة أبداً . قال لا أبالي فقامت مغضبة . فقال . مكانك . والله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد قوادي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله . ما هذه المراكب التي تغدو وتروح الى بابك اما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أم بيت يصونك . اياك اياك ان تفتحي بابك لمسلم أو ذمي . فانصرفت وهي لا تعقل ثم أمرت جواريها ان يقتلنه . فجلسن على وجهه وهو نائم فمات . وكانت وفاته في منتصف شهر ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ وكان عمره ستاً وعشرين سنة ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر

٣٠ – خلافة هارون الرشيد بن المهدي

من سنة ١٧٠ هـ — ١٩٣ هـ او من سنة ٧٨٦ — ٨٠٩ م

هو هرون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور بن علي بن عبد الله بن العباس بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه موسى الهادي وكان عمره حين ولي اثنين وعشرين سنة فلما مات الهادي جاء اليه يحيى بن خالد البرمكي وهو نائم في فراشه فقال له . قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد . كم تروعني اعجاباً منك بخلافتي فكيف يكون حالي مع الهادي اذا بلغه هذا . فاعلمه بموته واعطاه خاتمه و بينما يحيي بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة اذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبد الله

وهو المأمون ففي ليلة واحدة مات خليفة وتولى خليفة وولد خليفة . وفي هذه السنة ولد محمد الامين بن الرشيد أيضا فكان المأمون اكبر منه وفيها (سنة ١٧٠ ﻫ) استوزر الرشيد يحيي بن خالد البرمكي وقلده أمر الرعية وأعطاه خاتمه وفي ذلك قال ابراهيم الموصلي

ألم تر ان الشمس كانت سقيمة فلما ولى هرون اشرق نورها
بيمن امين الله هرون ذي الندى فهرون واليها ويحيي وزيرها

ويقصر الواصفون عن وصف مناقب هذا الخليفة الذي اقل مايقال فيه انه جعل الخلافة علما هو مسماها فكان انيسا وديعا الى الغاية شديد الرغبة في قضاء حاجات الناس محافظ على راحة رعاياه وذكروا انه كان يطوف في اكثر الليالي متخفيا في اسواق بغداد وشوارعها ليقف على احوال الناس فاذا رأى احداً منهم مظلوماً اعانه وأنصفه . وكان يحب المدح لاسيما من شاعر فصيح : ويرغب في العلم والعلماء ويبذل لهم العطاء . حتى قيل انه لم ير خليفة قبله اعطى منه للمال . وكان لا يضيع عنده احسان محسن (قيل) صنع مرة وليمة عظيمة وزخرف مجالسه واحضر أبا العتاهية الشاعر وقال له . صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا فقال أبو العتاهية

عش ما بدالك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال احسنت ثم ماذا . فقال

يسعى اليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا . فقال

فاذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد . فقال الفضل بن يحيي بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا وأهم ماحدث في أيامه مرتباً حسب السنين هو :

في سنة ١٧٦ ظهر يحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم واشتدت شوكته وكثرت جموعه واتاه الناس من الامصار فاغتم الرشيد لذلك وندب اليه الفضل وبذل له الامان وما يختاره فاجابه يحيي الى ذلك وطلب أماناً من الرشيد

بخطه ويشهد عليه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم فاجاب الرشيد الى ذلك وارسل له الامان مع تحف فقدم يحيي مع الفضل الى بغداد فسر الرشيد لذلك جداً وعظمت منزلة الفضل عنده ولقي يحيي بكل مايحب وأمر له بمال كثير ثم أمسكه وحبسه حتى مات في الحبس . وفي هذه السنة أيضا ظهرت فتنة بدمشق حينئذ عبد الصمد بن علي فجمع الرؤساء وسعوا في الصلح بينهم فأتوا المضرية وكلموهم في الصلح فاجابوهم اليه وأتوا اليمانية وكلموهم فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر في الامر . ثم سار اليمانية الى المضرية وقتلوا منهم نحو سمائة رجل فاستنجد المضرية بني قضاعة وسليما فلم ينجدوهم واستنجدوا بني قيس فنجدوهم وساروا معهم الى العواليك من ارض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وكثر القتال بينهم ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولى عليها ابراهيم بن علي ولكنه لم يتمكن من تسكين هذه الفتنة ودام القتال بينهم نحو سنتين الى أن سار جعفر بن يحيي ابن خالد البرمكي الى الشام سنة ١٨٠ هـ فسكن هذه الفتنة

وفي سنة ١٧٨ هـ خرج الوليد بن طريف التغلبي الخارجي ففتك بابراهيم ابن خازم عامل الرشيد بنصيبين ثم قويت شوكته واستولى على كثير من مدن ارمينية واذربيجان فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخ معن بن زائدة فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه وسيره الى الرشيد

وفي سنة ١٨٢ هـ حملت ابنة خاقان ملك الترك الى الفضل بن يحيي فماتت ببرذعة فرجع من معها الى أبيها واخبروه انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وسار اليها في سنة ١٨٣ هـ فاوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا أمراً عظيماً لم يسمع بمثله في الارض

وفي سنة ١٨٧ هـ أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيي ولما كان لكل شيء سبب فلا بأس من ذكر الاسباب التي هيجت الرشيد عليهم فنقول .

كان الرشيد استوزر يحيي بن خالد بن برمك في أول خلافته كما مر بك ثم استوزر ابنه جعفراً . فصارت الامور اليهم يولون من شاؤا ويعزلون من شاؤا واتسعوا اتساعا عظيما وكثرت اموالهم ومواليهم وضياعهم فكثر حسادهم طبعا ووشوا الى الرشيد بهم . وأظهروا له عوراتهم واستبدادهم بالملك دونه فكان ذلك من اعظم الاسباب ايضاً . انه لما اتفق الفضل مع يحيي بن عبد الله بن

الحسن بن الحسن سنة ١٧٦ هـ على الامان وسيره الى الرشيد دفعه الرشيد الى جعفر بن يحيي وزيره فحبسه ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض امره فقال له يحيي ابن عبد الله اتق الله في امري ولا تتعرض ان يكون غداً خصمك محمداً (صلعم) فوالله ما أحدثت حدثاً ولا آويت محدثاً . فرق له جعفر وقال له اذهب حيث شئت من بلاد الله . فقال وكيف اذهب ولا آمن ان أؤخذ . فوجه معه من أواه الى مأمنه . وبلغ هذا الخبر الفضل بن الربيع (احد حساد جعفر الطامعين في الوزارة) من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد جعفراً للطعام فجعل يلقمه ويحادثه ثم يسأله عن يحيي فقال . هو بحاله في الحبس . فقال بحياتي ففطن جعفر فقال لا وحياتك . وقص عليه امره وقال علمت انه لامكروه عنده . فقال الرشيد نعم ما فعلت ماعدوت ما في نفسي فلما قام من عنده قال قتلني الله ان لم اقتلك .

ومن هذه الاسباب أيضا . ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن اخته العباسة بنت المهدي وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فاني لا أطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك وزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له صبيين وخافت الرشيد فسيرتهما الى مكة مع حوضن . وكان بين العباسة وبعض جواريها نفرة فانهين الى الرشيد ذلك وبحث عن الامر فتحققه فجزم على قتل جعفر . ومنها ان جعفراً ابتنى داراً انفق عليها عشرين الف الف درهم فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه نفقاته على داره فما ظنك بباقي نفقاته وصلاته وغيرها وكان جعفر اذا دخل على الرشيد قام له الغلمان فلما تغير عليه الرشيد آمر مسروراً لينبه الغلمان بعدم الوقوف لجعفر فدخل فلم يقوموا فامتقع لونه ووشى به الى الرشيد انه يكاتب أهل خراسان ليذهب اليهم ويخلع طاعته . فكل هذه الاسباب أو بعضها بعث الرشيد على قتل جعفر . وفي هذه السنة حج الرشيد فلما رجع نزل العمر الذي عند الانبار وأرسل مسرور الخادم ومعه جند الى جعفر وعنده بختيشوع الطبيب وابو زكار المغني وهو في لهو وابو زكار يغني

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق او يغادى
وكل ذخيرة لابد يوماً وان كرمت تصير الى نفاد

فقال له مسرور يا أبا الفضل الذي جئت له هو ذاك قد طرقك اجب امير المؤمنين فوقع جعفر على رجلي مسرور يقبلها وقال . حتى ادخل فأوصي فقال له مسرور . اما الدخول فلا سبيل اليه واما الوصية فاصنع ماشئت فأوصى بما أراد وأعتق مماليكه . وارسل الرشيد رسلاً الى مسرور يستحثه فاخذ جعفراً ومضى به الى دار الرشيد ودخل عليه وهو في فرشه واعلمه بحضور جعفر فقال له الرشيد ائتني برأسه فرجع مسرور الى جعفر واخبره أمر الرشيد فقال . الله الله والله ما أمرك الا وهو سكران فاذهب راجعه ثانية فرجع مسرور الى الرشيد فلما سمع صوته ناداه قائلا . يا ابن السوده ائتني برأسه . فان لم تأتني برأسه قتلتك . فرجع مسرور وقتل جعفراً وحمل رأسه الى الرشيد فأرسل رأسه وجيفته الى بغداد وأمر بنصب رأسه وقطعة من جثته على جسر آخر . وأرسل من أحاط بيحيي ابيه وولده وجميع اسبابه واخذ ما وجد للبرامكة من مال ومتاع وضياع وارسل الى سائر البلاد بقبض اموالهم ووكلائهم وسائر اسبابهم وفي ذلك يقول الرقاشي وقيل ابو النواس

الآن استرحنا واستراحت ركابنا	وامسك من يجدي ومن كاد يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى	وطي الفيافي فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر	ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي	وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً	أصيب بسيف هاشمي مهند

وحبس الرشيد يحيى أبا جعفر والفضل اخاه حتى ماتا . وقيل ان الرشيد بعد فتكه بالبرامكة أمر باخته العباسة فجعلت في صندوق ودلته الى بئر وهي حية وأمر بابنيها فاحضرا فنظر اليهما مليا وبكى ثم أمر بهما فرميا في البئر وطمرها . وفي هذه السنة أيضا غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس بوشاية ابنه وكاتبه فاحضره الرشيد واستنطقه عما سمع عنه فانكر عبد الملك كل ما قيل عنه فاحضر اليه الرشيد كاتبه وابنه فاقرا امامه أنه يريد الوثوب على الرشيد وخلعه . فقال عبد الملك . أما الكاتب فكيف لا يكذب عليَّ من خلفي وهو يبهتني في وجهي أما عن ابني فهو إما مأمور او عاق فان كان مأموراً فمعذور وان كان عاقاً ففاجر كفور . أخبر الله عز وجل بعدوانه

وحذر منه بقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم . فنهض الرشيد وهو يقول . ما أمرك الاّ قد وضح وان أردت أن أحتج عليك لم أجد أعدل من هذين الاثنين ولكن لا أعجل حتى أعلم الذي يرضي الله عز وجل فيك فانه الحكم بيني وبينك . فقال عبد الملك . رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فاني أعلم أنه لا يؤثر هواه على رضا ربه . فحبسه الرشيد ثم أحضره يوماً ما فقال

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ثم شفع فيه عند الرشيد فلم يطلقه من السجن ولكنه أمر باكرامه في الحبس ولم يضيق عليه ومازال محبوسا حتى توفي الرشيد فاخرجه الامين واستعمله على الشام

(غزوة الروم) كان هرون الرشيد قد غزا الروم في ولاية أبيه المهدي فصالحته الملكة ايريني واقتدت المملكة الرومانية بسبعين ألف دينار تدفع سنويا كما مر بك ذكر ذلك في خلافة المهدي فلما كانت سنة ١٨٧ ﻫ التي نحن بصددها خلعت الروم ايريني الملكة وملكت نيقفور . فلما استتب له الامر نفى الملكة ايريني الى جزيرة لسبوس وكتب الى هرون الرشيد « من نيقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب أما بعد فان الملكة ايريني حملت اليك من أموالها ما كنت حقيقيا بان تحمل أضعافه اليها لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما أخذت والا فالسيف بيننا وبينك » فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب غضب جداً وكتب في ظهر الكتاب « من هرون أمير المؤمنين الى نيقفور كلب الروم قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه » وجهز من يومه جيشاً كثيفاً وسار حتى نزل على مقربة من القسطنطينية بعد ان دمر وأحرق المدن التي مرّ بها فارتاع نيقفور جداً وطلب الصلح والامان متعهداً بان يدفع جزية كل سنة فكان أضعف من ايريني وأحمق منها فقفل الرشيد راجعاً ولم يصل الى بغداد الا وأخلف نيقفور وعده وأبى دفع الجزية التي تعهد بدفعها فعاد الرشيد اليه ولم يبال بالثلج والبرد القارص فانتهب ودمر مواضع كثيرة من بلاد الروم في أسيا الصغرى وانتهى الى البوسفور فذاب قلب نيقفور خوفا وجزعا وتذلل للرشيد كل التذلل ودفع الجزية وأقسم بأنه لا يتأخر عن تأديتها فعاد الرشيد ظافراً متفاخراً . على ان ابن نيقفور شجع أباه على اللحاق بجيش

المسلمين والفتك به فجمع جيشه وسار قاصداً هرون الرشيد وانتهى الى فريجية فالتقاه الخليفة ودارت بين الفريقين رحى الحرب فجرح نيقفور وشتت جيشه بعد ان قتل منه نحو من اربعين الف رجل ونهب الرشيد جيشه ودمر كثيراً من مدن اسيا الصغرى وسبي كثيرين وافترض على ملك الروم غرامه ثلثين الف دينار كل سنة . واشترط عليه ان يكون على دنائير الغرامة اسمه واسماء أبنائه الثلاثة ورجع وقد هابته الروم عن ذي قبل

وفي مدة حكمه كان على فرنسا الملك كارلوس الكبير الملقب بشارلمان وكان بينهما مودة والفه وكان الرشيد كثيراً مايكاتبه ويهاديه فمن جملة ما اهداه شطرنج ثمين وساعة شمسية من مخترعات الشرق وكثير من البذور التي لاتوجد في البلاد الافرنجية وارسل له ايضا مفاتيح كنيسة القيامة في القدس مع امر لنوابه ان يعاملو الزوار الذين يأتون لزيارة الارض المقدسة احسن معاملة

وكان الرشيد قد ارسل رافع بن الليث عاملاً على خراسان فبوصوله اليها خلع الطاعة واظهر عصيان وتبعه كثيرون فاغار على مدينة سمرقند فملكها بعد ان قتل عاملها فلما بلغ الرشيد هذا الخبر ساءه جداً وخرج لقتاله وكان مريضا فلما وصل الى مدينة طوس من اعمال خراسان اشتد مرضه ولما زاد عليه الحال التفت الى وزيره الفضل وقال :

احين دنا ما كنت اخشى دنوه رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محسداً فصبراً على مكروه مر العواقب
سأبكي على الحب الذي كان بيننا واندب ايام السرور الذواهب

ثم مات ودفن هناك وكانت وفاته في جمادي الآخرة لثلاث خلون منه سنة ١٩٣ ﻫ وكان عمره سبعاً واربعين سنة وخمسة اشهر ومدة خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وكان أوصى بالخلافة من بعده لابنه الامين وللمأمون من بعده وللمؤتمن من بعده

٣١ – خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد

من سنة ١٩٣ هـ — ١٩٨ هـ اومن سنة ٨٠٩ — ٨١٣ م

بويع بالخلافة صبيحة يوم وفاة الرشيد بعسكر الرشيد بطوس وكان هو ببغداد والمأمون بمرو من اعمال خراسان فكتب صالح بن الرشيد الى اخيه الامين يخبره بوفاة الرشيد وارسل له الخاتم والقضيب والبردة . فلما وصل الرسول الى الامين ببغداد انتقل هذا من قصره بالخلد الى قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعى الرشيد وعزى نفسه والناس ووعدهم خيراً . ولم يكن الامين على شيء من التعقل بل كان ضعيف الرأي جداً منهمكا باللذات والملاهي مدمناً للخمر مشتغلاً بولائمه ومسراته غير ملتفت الى امور الخلافة فشتان بينه و بين ابيه الرشيد . ومما كان من الاحداث في ايامه عصيان اهل حمص عليه في سنة ١٩٤ هـ وقيامهم عاملهم اسحق بن سليمان فانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل عدة من وجوههم وحبس كثيرين حتى سألوه الامان فأمنهم

(بين الامين والمأمون) كان الرشيد قد عهد بالخلافة من بعده لابنه محمد الامين ثم للمأمون من بعده فلما صارت الخلافة الى الامين استوزر الفضل بن الربيع (وزير ابيه بعد جعفر) وكان الفضل يخاف المأمون اذا افضت الخلافة اليه فحسن للامين خلع المأمون من ولاية العهد ومبايعة ابنه موسى فلم يجسر الامين باديء بدء على اظهار هذا الفكر . فاستعمل الفضل كثيرين يحسنون للامين مبايعة ابنه وخلع المأمون فلما كثر عدد مشجعيه في هذا الامر قوى على إظهاره فلما كانت سنة ١٩٤ هـ امر الامين بالدعاء على المنابر لابنه موسى ولقبه بالناطق بالحق وابطل الدعاء للمأمون . فأدى ذلك للتنافر بين الاخوين طبعاً . لانه لما بلغ المأمون ذلك وهو بمرو كما ذكرنا بين اخواله وشيعته اغتاظ جداً . ولكنه كظم غيظه لحين سنوح الفرص . ولم يكن الامين يجهل ان هذا العمل يغيظ اخاه المأمون فاراد ان يتحقق ذلك . فارسل الى المأمون بالشخوص اليه فاستشار المأمون اخصاءه فاشاروا عليه بعدم الذهاب الى الامين خوف اغتياله .

فرجع الرسول الى الامين واخبره بعدم امتثال المأمون لاوامره و بكثرة من معه من شيعته بخراسان . فارسل الامين جيشا لحرب اخيه المأمون مؤلفا من عشرة آلاف مقاتل عليهم علي بن عيسى بن ماهان . وكانت للمأمون عيون ببغداد تأتيه بأخبار الامين فلما علم بتسيير هذا الجيش لحربه جهز جيشاً مؤلفا من اربعة آلاف مقاتل من شجعان خراسان بقيادة طاهر بن الحسين . ومن ذلك الوقت تلقب المأمون بأمير المؤمنين وبايعته شيعته بخراسان . فزحف الجيشان كل الى صاحبه فالتقيا قرب الري فحمل طاهر واصحابه على جيش علي فهزموه وقتل علي فارسل طاهر رأسه الى المأمون فاحسن المأمون الى طاهر واهداه كثيراً وزوده بالجيوش مع هرثمة بن اعين ليقصدا بغداد ويحاربا الامين هناك

وكان الامين لما علم بهزيمة جيشه وقتل علي جهز جيشاً وارسله بقيادة احمد ابن مرشد وعبد الله بن حميد فاختلفا في طريقهما ورجعا ولم يلقيا طاهراً وتقدم طاهر الى بغداد وحاصرها حتى غلت فيها الاسعار جداً ودام الحصار وشدة الحال سنة كاملة . ثم هجم طاهر على بغداد هجوماً نهائياً ونادى مناديه ان من لزم بيته آمن فاخذ الامين امه واولاده عنده بمدينة المنصور وتحصن بها وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه وشدد طاهر عليه الحصار وضيق عليه المنافذ فلما ايقن الامين بالهزيمة ارسل الى هرثمة يطلب الامان فراجع هرثمة طاهراً في ذلك فاباه . وخرج الامين قاصداً هرثمة فارسل اليه هرثمة يقول اني غير مستعد لحفظك فاقم الى الليلة القابلة . فابى الامين الا الخروج ودعا ابنيه وضمهما اليه وقبلهما و بكى وخرج قاصداً هرثمة فلما بلغ الشط وجد حراقة هرثمة فصعد اليها فاحتضنه هرثمة وقبل يديه ورجليه ولكن ذلك لم يرض طاهراً فامر اصحابه فرموا حراقة هرثمة وفيها الامين بالحجارة حتى غرقت ونجا هرثمة لان رئيس الحراقة اخرجه . اما الامين فكان عالماً بالسباحة فلما شعر بقرب غرق الحراقة خلع ثيابه وسبح الى الجانب الآخر ولكنه لم ينج فاخذه بعض أصحاب طاهر وهو عريان . وحبسه طاهر في بيت فلما انتصف الليل فتح الباب ودخل عليه قوم من العجم معهم السيوف مسلولة ارسلهم طاهر لقتل الامين . فلما رآهم الامين انتصب قائما وجعل يقول . انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله . اما من مغيث . اما من احد من الابناء . فلما اقتربوا منه قال ويحكم انا

ابن عم رسول الله انا ابن هرون انا اخو المأمون الله الله في دمي . فدخل عليه رجل منهم وضربه بالسيف ثم دخل البقية وضربوه بسيوفهم وهو يدافع بيديه ولا سلاح معه حتى مات ثم اجتز احدهم رأسه وأرسله لطاهر وسيره هذا الى المأمون واخبره بالفتح . و بعد قتله دخل طاهر المدينة وصلى بالناس وخطب للمأمون وكان قتل الامين لست بقين من المحرم سنة ١٩٨ هـ وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة ومدة خلافته اربع سنين وثمانية اشهر

٣٢ - خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد

من سنة ١٩٨ هـ — ٢١٨ اومن سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ م

كان الخراسانيون قد بايعوا المأمون في حياة الامين وحاربوا معه كما مر بك البيان ولكن لم تصر الخلافة للمأمون رسمياً الا بعد قتل الامين فارسل اليه طاهر الخاتم و القضيب والبردة وهنأه بالخلافة وهو لايزال بمرو ولم يكن المأمون خاملا كاخيه الامين بل كان أهلا للخلافة ملماً بكثير من العلوم حتى قيل أنه لم يل الخلافة أعلم منه وتمم ما عزم فيه جده المنصور من نقل الكتب وترجمتها من اليونانية والسريانية والعبرانية فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن . ثم حرض الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها فاتقن العرب في أيام خلافته علوم الفلسفة والفلك والطب وغيرها . وكان كثيراً مايخلوا بالحكماء و يأنس بمناظرتهم ويتلذذ بمذاكرتهم علما منه بان أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا بما يرغب فيه غيرهم من التنافس في دقة الصنائع العلمية والتباهي باخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى الشهوانية اذ علموا ان البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها

أما ما كان من الاحداث في أيام خلافته . ففي سنة ١٩٨ هـ خالف نصر بن سيار بن شبث على المأمون وقام مطالباً بدم الامين فاجتمع عليه خلق كثير من أهل الطمع وتغلب على كيسوم وسميساط وغيرهما من البلاد المجاورة فلما رأى ذلك قويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه

وما زال يزداد قوة حتى كانت سنة ٢٠٩ هـ وفيها أرسل المأمون عبد الله بن طاهر لقتاله فهزمه وحاصره بكيسوم وضيق عليه فلما رأى نفسه لابد مأخوذاً طلب الامان فامنه وأرسله للمأمون وفي سنة ١٩٩ هـ ظهر ابن طباطبا العلوي وهو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب لعشر خلون من جمادى الاخرى بالكوفة يدعو الى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وكان القيم بامره في الحرب أبو السرايا السري بن المنصور فبايعه اهل الكوفة . وأرسل المأمون اليه الحسن بن سهل بعشرة آلاف مقاتل فهزمهم ابن طباطبا لكنه مات فجأة وقيل أن ابا السرايا سمه ليستبد بالامر وأقام مكانه غلاما من ولد علي بن أبي طالب واستولى على البصرة وواسط وكانت بينه و بين عساكر المأمون عدة وقائع آخرها انهزم بها أبو السرايا من الكوفة في ثمانمائة فارس وتفرق عنه أصحابه فقبض عليه بعضهم وقطع الحسن بن سهل رأسه وأرسله الى المأمون وفي سنة ٢٠٠ هـ ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بمكة واجتمع اليه جماعة من أهل مكة هربوا من . العلويين فاستولى على اليمن وكان يلقب بالجزار لكثرة من قتل

وفي سنة ٢٠١ هـ ماطل الحسن بن سهل عامل المأمون بالمدائن الجند ببغداد في مرتباتهم وأمر علي بن هشام والى بغداد من قبله بذلك فثار الجند وأخرجوا علي بن هشام من بغداد وساروا الى المنصور بن المهدي ليبايعوه بالخلافة ويخلعوا طاعة المأمون فلم يقبل منهم ذلك فبايعوه أميراً عليهم . وكثر العناد في بغداد وتقوى أهل الشرور فيها لضعف الامراء عن مقاومتهم أو لأن ذلك بامرهم ومن صالحهم فكثر النهب والفسق بلا رادع ولا زاجر يردعهم او يزجرهم . فحرك ذلك كثيرين من فضلاء بغداد فتحالفوا وانفروا فيما بينهم جيشا سموه « المتطوعة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فتتبع الاشرار وقتل منهم خلقا كثيراً فهدأت الاحوال نوعاً

وفي هذه السنة عهد المأمون بالخلافة من بعده الى علي بن موسى من آل علي بن أبي طالب ولقبه الرضا من آل محمد وكتب للافاق بذلك قائلاً . أنه لم يجد في بني العباس و بني علي افضل ولا أورع ولا اعلم من علي بن موسى فلذلك جعلته ولي عهد الخلافة من بعدي . وأمر جنده بطرح السواد (شعار العباسيين)

ولبس الثياب الخضراء (شعار العلويين) وكتب بذلك الى الافاق أيضا . فلم يرض آل العباس بما فعل المأمون وقالوا لاتخرج الخلافة منا الى عدونا فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي ببغداد وسموه المبارك . وفي سنة ٢٠٣ ﻫ مات علي ابن موسى الرضا وكان سبب موته أنه أكل عنباً فاكثر منه فمات فجاءة في آخر صفر في مدينة طوس (وقيل سمه المأمون في العنب) فدفنه المأمون عند قبر أبيه الرشيد فكتب المأمون الى أهل بغداد يعلمهم بموته وقال انما نقمتم عليّ بسببه وقد مات فخلع اهل بغداد ابراهيم بن المأمون ودعوا للمأمون بالخلافة . وتخلى عن ابراهيم اصحابه فاختفى وكانت مدة خلافته سنة واحدى عشر شهراً وما زال مختفياً الى سنة ٢١٠ ﻫ حين أخذ وهو متنقب مع امرأتين في زي امرأة فحبسه المأمون ثم أطلقه

وعاد المأمون من خراسان الى بغداد ودخلها سنة ٢٠٤ ﻫ فانقطعت الفتن بقدومه وكان لباسه ولباس اصحابه عند قدومه الخضراء وكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضراء ودام ذلك ثمانية أيام . ثم تكلم بنو العباس وقواد خراسان في ذلك فترك الخضراء ولبس السواد . وفي سنة ٢١٥ ﻫ سار المأمون لغزو الروم ووصل الى منبج ثم الى انطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ففتح بعض الحصون في بلاد الروم وعاد الى دمشق ثم عاد في السنة الثالثة الى بلاد الروم فقتل وسبى وفتح عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار منها الى مصر متعهداً رعاياه ومنظماً أحوال البلاد وعاد من مصر الى دمشق سنة ٢١٧ . وفي سنة ٢١٨ ﻫ كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم في امتحان القضاة بالقرآن فمن أقر أنه مخلوق محدث خلى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمر فيه برأيه . وفي هذه السنة مرض المأمون مرضه الذي مات به لثلاث عشرة خلت من جمادى الاخرى. وكان سبب مرضه أنه كان جالساً على شاطيء البدندون وأخوه أبو اسحق عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما في الماء . فبينما هو متعجب من عذوبة الماء وصفائه وشدة برده اذ جاءته الالطاف من العراق وكان فيها رطب ازاذ كأنما جني تلك الساعة فاكل منه وشرب من ذلك الماء الا وهو محموم وكانت منيته من تلك العلة . فلما مرض خلع أخاه القاسم المؤتمن من ولاية العهد وأخذ البيعة لاخيه ابي اسحق المعتصم بن هرون الرشيد . ولما حضره الموت كان عنده ابن

ماسويه الطبيب وكان عنده من يلقنه . فعرض عليه الشهادة . فاراد الكلام فعجز عنه . ثم تكلم فقال . يامن لايموت ارحم من يموت . ثم توفي من ساعته . فحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم الى طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد . وكانت خلافته عشرين سنة وعمره ثمانيا وأربعين سنة

٢٣ – خلافة أبي اسحق المعتصم بن الرشيد

من سنة ٢١٨ هـ — ٢٢٧ هـ او من سنة ٨٣٣ — ٨٤٢ م

هو ابواسحق محمد بن هرون بويع بالخلافة بعد موت المأمون ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه العباس وخرج الى الجند وقال ما هذا الحب البارد وقد بايعت عمي فسكتوا . وفي سنة ٢١٩ هـ ظهر محمد بن القاسم العلوي بالطالقان بخراسان يدعوا الى الرضا من آل محمد فتبعه جمع كثير فارسل اليه عبد الله بن طاهر أمير خراسان من جهة بني العباس بعض قواده فحصلت بينهم عدة وقائع دارت الدائرة فيها على محمد ابن القاسم فمسكه بعضهم وارسله الى عبد الله بن طاهر وسيره هذا الى المعتصم فحبسه عند مسرور الخادم الكبير وما زال في السجن حتى كان عيد الفطر من هذه السنة فانتهز فرصة اشتغال الناس به وهرب من السجن وجعلوا لمن دل عليه مائة الف فلم يعرف له خبر . وفي هذه السنة وجه المعتصم عجيف بن عنبة في جمادي الاخرى لحرب الزط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا في الارض فساداً وأخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة فحاربهم وانتصر عليهم وقتل منهم خلقا كثيراً فطلب الباقون منهم الامان فأمنهم

وفي أيام المعتصم قوى امر بابك الخرمي المجوسي الذي كان مبدأ ظهوره في خلافة المأمون وما زال يقوى شيئا فشيئا حتى استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة وهزم جيوش المأمون والمعتصم مراراً فلما كانت سنة ٢٢٠ هـ عقد المعتصم للافشين حيدر بن كاوس على الجبال وجهه لحرب بابك بجيش عظيم وزوده بالاطباء لمعالجة الجرحى وبالصيادلة لتركيب الادوية وكان الافشين كثير

الاعتناء بجيشه يتعهد جرحاهم بنفسه فسمع مرة ان الصيادلة لا يطلب منهم شيء كان عندهم اولم يكن الا أخبروا بانه عندهم فاختار عشرين اسما من الادوية القليلة الوجود وأرسل الى الصيادلة من يطلب منهم ادوية مسماة بتلك الاسماء. فبعض منهم انكرها وبعض منهم ادعى معرفتها واخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئا مما في حانوته. فامر الافشين باحضار جميع الصيادلة فمن انكر معرفة تلك الاسماء ولم يكذب اذن له بالمقام في معسكره ونفى الباقين

وسار الافشين بجيشه لمحاربة بابك الخرمي فالتقيا واقتتلا قتالا شديداً فانهزم بابك وتحصن بالبذ فحاصرها الافشين حتى افتتحها فهرب بابك بعائلته الى بلاد الروم في زى التجار. فعرفه سهل بن سنباط بطريق الارمن فأسره. فقدم بابك اليه مالاً كثيرا فدية عن نفسه وعائلته فلم يقبل منه وبعثه الى الافشين بعد ما ركب الارمن من امه واخته وامرأته الفاحشة بين يديه. لانه هكذا كان يفعل بابك المذكور بالناس اذا اسرهم مع حرمهم. وحمل الافشين بابك الى المعتصم فأمر باحضار سياف بابك نفسه فحضر فأمره ان يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط فأمر بذبحه وشق بطنه. وانفذ رأسه الى خراسان. وصلب بدنه بسامرا (التي كان بناها المعتصم وسماها «سر من راى» فتصرف الناس فيه فدعيت سامرا)

وفي سنة ٢٢٥ تغير المعتصم على الافشين بوشاية الوشاة فحبسه حتى مات في السجن. وفي سنة ٢٢٣ هـ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام فبلغ زبطره (مولد المعتصم) فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء واغار على ملطية وغيرها وسبى المسلمات ومثل بمن صار في يده من المسلمين فسمل أعينهم وقطع أنافهم وآذانهم. فبلغ المعتصم ذلك وان امرأة هاشمية صاحت وهي فى أيدي الروم. وامعتصماه. فاستعظمه وجمع العساكر وتجهز جهازاً لم يعد قبله مثله وصار قاصداً بلاد الروم يخرب وينهب في طريقه حتى بلغ عمورية (مدينة في غلاطية) وكان توفيل قد حصن عمورية وقاد جيشه بنفسه (وكان في هذه المدينة مولد توفيل) فحاصر المعتصم المدينة وشدد عليها الحصار وراسله توفيل يطالب الصلح فامسك الخليفة رسله واستمر على رمي المدينة بالمجانق فهدى أحد سكانها الخونة جيش المسلمين الى محل

ضعيف فيها فدخلت عساكر المسلمين منه الى المدينة فذبحوا سكانها واحرقت دورها وكانت أعمر مدينة في المشرق . وبعد ذلك اطلق المعتصم رسل توفيل وقال لهم . قولوا لمولاكم قد أخذت بثأر زبطره . ثم رجع منصوراً غانماً

وفي سنة ٢٢٧ هـ خرج أبو حرب المبرقع اليماني بفلسطين وخالف على المعتصم وكان سبب خروجه أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب فمنعه بعض نسائه فضربها الجندي بسوط فاصاب ذراعها فأثر فيها فلما رجع الى منزله وشكت اليه ما فعل بها الجندي أخذ سيفه وسار نحوه فقتله ثم هرب وألبس وجهه برقعا وقصد بعض جبال الاردن فاقام فيه وكان يظهر نهاراً متبرقعا فاذا جاءه أحد ذاكره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر وعيب الخليفة . فاستجاب له قوم من فلاحي تلك الناحية . وكان يزعم أنه أموي ولما كثر أتباعه دعا أهل البيوتات فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية . وبلغ المعتصم خبره فأرسل اليه رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء الف رجل فلما رأى رجاء كثرة من مع المبرقع كره مواقعته وعسكر في مقابلته حتى كان اوان الزراعة فتشتت من كان مع المبرقع وبقي في زهاء الف او الفين وتوفي المعتصم وولي الواثق وثارت الفتنة بدمشق فأمر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود الى المبرقع ففعل ذلك رجاء المبرقع فناجزه رجاء فالتقى العسكران ودارت الدائرة على المبرقع فأخذه رجاء أسيراً

وفي سنة ٢٢٧ هـ توفي المعتصم لثماني عشرة مضت من ربيع الاول بسامرا وهو الثامن من خلفاء بني العباس ومدة خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية أيام وتولى وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وتوفي عن ثمانية بنين وثماني بنات ولهذا الاتفاق الغريب ولحظ هذا الخليفة في الرقم (٨) دعي (المثمن) . وهو أول من اضاف الى اسمه اسم الله فقيل المعتصم بالله وكان طيب الاخلاق ولكنه اذا غضب لا يبالي من قتل وما فعل . وكان ضعيف القراءة والكتابة ولكنه كان لين العريكة واسع الاخلاق حكي عنه انه انفرد مرة عن أصحابه في يوم مطر فرأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد توحل الحمار ووقع الحمل والرجل ينتظر من يمر عليه ويساعده فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار ورفع الحمل عليه ثم

غسل يده وركب فقال له الشيخ غفر الله لك يا شاب . ثم لحقته أصحابه فأمر له بأربعة آلاف درهم . وكان عمره حين توفي سبعا وأربعين سنة

٣٤ – خلافة الواثق بالله بن المعتصم

من سنة ٢٢٧ — ٢٣٢ هـ أو من ٨٤٢ — ٨٤٧ م

هو هرون الواثق بالله بن المعتصم بويع له بالخلافة يوم وفاة ابيه المعتصم وفي بدء خلافته ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وأفسدوا وحصروا اميرهم فأرسل اليهم الواثق بالله رجاء بن أيوب الحضاري ومن معه وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحو الف وخمسماية رجل وقتل من رجال رجاء ثلثماية رجل ولما صلح أمر دمشق سار رجاء بن أيوب الى فلسطين لقتال أبي حرب المبرقع الخارج فقاتله وهزمه وأخذه أسيراً كما ذكرنا

وفي سنة ٢٣٠ هـ أرسل الواثق بالله بغا الكبير لقتال بني سليم الذين كانوا قد أفسدوا حول المدينة ونهبوا اسواق الحجاز ولم يقدر محمد بن صالح عامل المدينة على اخضاعهم . فخار بهم بغا الكبير وانتصر عليهم وحبس منهم الف وثلثماية رجل واطلق الباقين . و بلغ بغا ان فزارة ومرة تغلبوا على فدك فسار اليهم وارسل اليهم رسولاً يدعوهم للطاعة فخافوا من بغا وهربوا الى الشام بعد ان خلوا فدك فنزل بغا بحيفا . وانتهز المسجونون من سليم بالمدينة فرصة غياب بغا فقتلوا السجانين وحاولوا الهروب فسمعت احدى نساء المدينة صوتهم فأعلمت اهل المدينة بهم فاجتمعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم . ثم قدم بغا الى المدينة ولما علم بقتل اهل المدينة المسجونين شق عليه ذلك . وفي سنة ٢٣١ هـ كان الفدا بين المسلمين والروم على يد خاقان خادم الرشيد واجتمع المسلمون على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس وأمر الواثق خاقان خادم الرشيد ان يمتحن اسارى المسلمين فمن قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة فودي به واعطي ديناراً ومن لم يقل ذلك ترك بأيدي الروم فلما كان يوم عاشورا أتت الروم ومن معهم من الاسارى وكان الامر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون

الاسير فيطلق الروم اسيرا فيلتقيان في وسط الجسر فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا واذا وصل الرومي الى الروم صاحوا كيريا ليسون . حتى فرغوا . فكان عدة اسارى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسا والنساء والصبيان ثمانماية واهل ذمة المسلمين ماية نفس . ولما فرغوا من الفدية غزا المسلمون شاتين فاصابهم ثلج ومطر فمات منهم مايتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير

وفي سنة ٢٣٢ هـ مات الواثق في ذي الحجة لست بقين منه وكانت علته الاستسقاء فعولج بالاقعاد في تنور مسخن فارتاح لذلك فأمرهم من الغد بالزيادة في اسخانه ففعلوا ذلك وقعد فيه اكثر من اليوم الاول فحمي عليه فأخرج منه في محفة فمات فيها ولم يشعر بموته حتى ضرب بوجهه المخفة . ولما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين

الموت فيه جميع الناس مشترك   لا سوقة منهم تبقى ولا ملك
ما ضرّ اهل قليل في تفاقرهم   وليس يغني عن الملاك ما ملكوا

وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة ومدة خلافته خمس سنين وتسعة اشهر

٣٥ - خلافة المتوكل على الله بن المعتصم بالله

من سنة ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ أو من سنة ٨٤٧ — ٨٦١ م

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه الواثق بالله وكان في عزم ولاة الامور أن يبايعوا لمحمد بن الواثق فوجدوه صغيراً لا يليق لهذا المنصب الخطير فبايعوا المتوكل على الله وكان عمره حين ولي ستاً وعشرين سنة . وكان بين المتوكل على الله و بين محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق عداوة شخصية فلما ولي المتوكل الخلافة وكان محمد بن عبد الملك لا يزال وزيراً فامهله المتوكل حتى كان صفر سنة ٢٣٣ هـ فأمر ايتاخ ان يأخذه و يعذبه فذهب ايتاخ واستدعاه وهو يظن ان الخليفة يحتاجه لامر ما فلما وصلا امام منزل ايتاخ ادخل محمد بن عبد الملك الزيات ووكل به من يحرسه وارسل ونهب كل امواله واستصفى كل ممتلكاته في جميع البلاد . وعذبه بالسهر واذا نام نخسه

ثم وضعه في تنور خشب فيه مسامير حديد الى داخل التنور يمنع من يكون فيه من الحركة ولا يقدر على الجلوس فبقي كذلك اياما ومات . وكان ابن الزيات هو الذي عمل هذا التنور وعذب فيه ابن سنباط المصري وأخذ أمواله. وقوي امر ايتاخ بعد قتل ابن الزيات وصارت اليه الامور وعظم امره جداً حتى هم يوما ما بقتل المتوكل ولكنه لم يفعل فاحتال عليه المتوكل بمن يحبب اليه الحج حتى رغب فيه واستاذن المتوكل فولاه امارته فحج ورجع . وكان المتوكل قد كتب لاحد عملائه في طريق الحج بقتل ايتاخ فبينما هو راجع من الحج امسكه ذلك العامل وقتله . وفي سنة ٢٣٤ ﻫ عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد . وهم محمد ولقبه المنتصر بالله . وابو عبد الله محمد ولقبه المعتز بالله . وابراهيم ولقبه المؤيد بالله وعقد لكل واحد منهم لوائين . أحدهما أسود وهو لواء العهد . والآخر ابيض وهو لواء العمل . واقطع المنتصر افريقية والمغرب كله والعواصم وقنسرين والثغور جميعها الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وكل الاراضي التي يرويها الدجلة ومكة والمدينة وحضرموت والبحرين والسند وسامرا وكل توابعها . واقطع المعتز خراسان وطبرستان والفرس وارمينيا واذربيجان . واقطع المؤيد دمشق وحمص ومرج الاردن وفلسطين . وفي سنة ٢٣٥ ﻫ أمر المتوكل أهل الذمة (النصارى واليهود) بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب . وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحدة منهما قدر اربعة أصابع ولونها غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس أزاراً عسلياً ومنعهم من لباس المناطق . وأمر بهدم بيعهم المحدثة وأن يجعل على أبوابهم صورة شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان . وأمرهم أن لا يظهروا صليباً في شعانينهم . وأمر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب بذلك الى الآفاق . ثم أمرهم بعد ذلك أن يقتصروا في ركوبهم على البغال والحمير وان لا يركبوا الخيل والبراذين . وفي سنة ٢٣٦ ﻫ امر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وهدم ما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته وكان شديد البغض لعلي بن أبي طالب

وفي سنة ٢٣٧ ﻫ ولى المتوكل يوسف بن محمد أرمينيا وأذربيجان ولما وصل الى خلاط أتى بقراط بن أشوط البطريق فأمر بأخذه وتقييده وحمله الى المتوكل

فاجتمع بطارقة أرمينيا مع ابن أخي بقراط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة صهر بقراط فوثبوا بيوسف واجتمعوا عليه في قلعة موش في النصف من شهر رمضان وذلك في شدة من البرد فخرج اليهم يوسف وقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه . واما من لم يقاتل فقالوا له . انزع ثيابك وانج بنفسك عريانا ففعلوا ومشوا عراة حفاة وهلك اكثرهم من البرد . فلما بلغ المتوكل هذا الخبر وجه بغا الكبير اليهم طالباً بدم يوسف . فسار واباح على قتلة يوسف فقتل منهم زهاء ثلاثين ألفا وسبي خلقاً كثيراً . ثم سار الى مدينة تفليس وحاصرها ورماها بالنفط والمدينة كانت مبنية من خشب الصنوبر فاحترقت برمتها واحترق بها نحو خمسين الف انسان

وفي سنة ٢٣٨ هـ جاءت ثلثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فاناخ أحدهم في مائة مركب بدمياط وهجموا عليها وملكوها وقتلوا جمعاً كثيراً وسبوا النساء والاطفال من المسلمين واهل الذمة . ومما سهل على الروم امتلاك دمياط لانها كانت خالية من الجند لان عنبسة بن اسحق عامل مصر كان امرهم بالحضور في العيد بمصر فتصادف وصول مراكب الروم في ذلك الوقت . ثم سارت جموع الروم الى اشموم تنيس وكان عليه سور وبابان من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح واخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم احد لتقاعد عنبسة عن المسير اليهم . فكتب يحيى بن الفضل الى الخليفة المتوكل على الله رسالة فيها هذه الابيات

أترضى بان يوطأ حريمك عنوة	وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أتى دمياط والروم وثب	بتنيس رأي العين منه وأقرب
مقيمون بالاشموم يبغون مثلما	أصابوه من دمياط والحرب ترقب
فما رام من دمياط شبراً وما درى	ما العجز ما يأتي وما يتجنب
فلا تنسنا انا بدار مضيعة	بمصر وان الدين قد كاد يذهب

وفي سنة ٢٤١ هـ ثارت البجاة في النوبة وكانوا قد عاهدوا المأمون على الصلح فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة على المراكب في النيل فاجتمع البجاة في عدد عظيم وركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فبعث اليهم محمد بن عبد الله كتابا لفه بثوب فاجتمعوا لقراءته

لحمل عليهم بعد ان وضعوا في اعناق الخيل اجراساً فاذعرت جمال البجاة ولم تثبت امام صوت الاجراس فركب المسلمون اقفيتهم واثخنوا فيهم وقتلوا كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث يطلب الهدنة فصالحوه على شرط ان يطأ بساط امير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل وصولح على اداء الادوات والبقط واشترط عليه ان لا يمنع المسلمين من العمل بالمعدن

وفي سنة ٢٤٤ هـ سار المتوكل الى دمشق وعزم على المقام فيها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلبي في ذلك

اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيه فقد تبكي المليحة بالطلاق

ثم استوبأ البلد فرجع المتوكل الى سامرا ولم يكن مقامه بدمشق الا شهرين وأياماً . وكثرت الزلازل في ايام المتوكل في اماكن مختلفة فهدمت مدناً كثيرة وقتلت خلقاً عظيما . وفي سنة ٢٤٧ هـ قتل المتوكل ليلة الاربعاء ثالث يوم من شوال قتله غلام تركي اسمه باغر . وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة اشهر وعمره أربعين سنة ويقال ان ابنه المنتصر هو الذي حرض باغر على قتله ليتولى الخلافة مكانه . وأخرج المتوكل قبل وفاته احمد بن حنبل من الحبس وصرفه الى بغداد وامره بترك الجدل في القرآن وان الذمة بريئة ممن يقول بخلق او بغير خلق

٣٦ — خلافة المنتصر بن المتوكل

من سنة ٢٤٧ — ٢٤٨ هـ أو من سنة ٨٦١ — ٨٦٢ م

بايع له قتلة ابيه تلك الليلة التي قتل فيها المتوكل . فلما أصبح يوم الاربعاء حضر القواد والكتاب والجند والوجوه والجعفرية فقرأ عليهم احمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس وانصرفوا وفي سنة ٢٤٨ هـ ألحّ وصيف وبغا وباقي الاتراك على المنتصر بخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد لخوفهم ان يموت المنتصر ثم يلي الخلافة أحد أخويه من بعده فينتقم منهم . فقالوا للمنتصر اخلع المعتز والمؤيد ونحن نبايع

ابنك عبد الوهاب فتخوف من ذلك لكنهم ما زالوا به حتى اجابهم وخلعها بالكره منه ومنهما . ثم دعاهما وقال . اترياني خلعتكما طمعاً في ان اعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له والله ما طمعت في ذلك ساعة قط ولكن هؤلاء (وأومأ الى سائر الموالي الاتراك ممن هو قائم وقاعد) الحوا عليَّ في خلعكما . ولم تطل مدة خلافة المنتصر لانه مات يوم الاحد لخمس خلون من ربيع الاخر من هذه السنة (٢٤٨) بالذبحة التي لم تمهله أكثر من ثلاثة أيام . قيل وكان كثير من الناس حين أفضت الخلافة اليه الى ان مات يقولون : انما مدة خلافته ستة اشهر كمدة شيرويه بن كسرى قاتل ابيه . فصدق ظنهم . وكان عمره خمساً وعشرين سنة وستة اشهر ومدة خلافته ستة اشهر

٣٧ – خلافة المستعين بالله بن المعتصم

من سنة ٢٤٨ — ٢٥٢ هـ أو من سنة ٨٦٢ — ٨٦٦ م

ولما توفي المنتصر اجتمع الموالي على الهارونية من الغد وفيهم بغا الكبير و بغا الصغير وأنامش وغيرهم من قواد الاتراك والمغاربة . وتشاوروا في عدم تولية أحد من ابناء المتوكل لئلا يغتالهم . واجمعوا على أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم فبايعوه ليلة الاثنين لست خلون من ربيع الاخر وهو ابن ثمان وعشرين سنة ولقبوه بالمستعين بالله

وفي سنة ٢٤٩ هـ شغب الجند والشاكرية ببغداد لما رأوا من استيلاء الترك على امور المسلمين يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير ديانة ولا نظر للمسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير والشاكرية تظهر انها تطلب الارزاق . ففتحوا السجون وأخرجوا من فيها وأحرقوا أحد الجسرين وقطعوا الآخر وانتهبوا دار بشر وابراهيم ابني هرون وغيرها من دور أهل اليسار وأخرجوا أموالا كثيرة ففرقوها في من نهض لحفظ الثغور وأقبلت العامة من نواحي الجبال وفارس والاهواز وغيرها ورفعوا راية العصيان فلم يحرك ذلك للمستعين ساكناً ثم امتدت الفتنة الى سامرا فثارت العامة وفتحوا السجون وأطلقوا من فيها فقتل من العامة جماعة . وثار الموالي

باناش وزير المستعين فقتلوه ونهبوا من داره اموالاً جزيلة لان المستعين كان قد أطلق له ولوالدته (والدة المستعين) التصرف ببيوت المال

وفي سنة ٢٥١ هـ قتل وصيف وبغا باغر التركي (قاتل المتوكل) حسداً منهما لان المنتصر كان قد أقطعه قطائع كثيرة فعظم . فشغب الجند على المستعين وحصره الشاغبون مع وزيريه في قصره بسامرا فهربوا في حراقة وانحدروا الى بغداد واستقر المستعين بها فأخرج الشاغبون المعتز بن المتوكل من السجن وبايعوه واستولى على الاموال التي كانت للمستعين ولامه بسامرا وانفق على الجند كثيراً ثم أرسل جيشاً مع اخيه المؤيد لحرب المستعين ببغداد وجرى بين الفريقين قتال كثير وحاصروا بغداد فاتفق كبراء الدولة ببغداد على خلع المستعين واكرهوه على ذلك فخلع نفسه من الخلافة سنة ٢٥٢ هـ وخطب ببغداد للمعتز بالله بن المتوكل فلما بايع المستعين للمعتز امر هذا بتوجيه المستعين الى البصرة ومنها الى واسط ثم أمر بقتله فقتل وحمل رأسه الى المعتز وقال بعض الشعراء حين خلع المستعين

خلع الخليفة احمد بن محمد وسيقتل التالي له او يخلع
ويزول ملك بني ابيه ولا ارى احداً تملك منهم يتمتع
ايهاً بني العباس ان سبيلكم في قتل أعبدكم سبيل مهيع
رقعتم دنياكم فتمزقت بكم الحياة تمزقاً لا يرقع

وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر

٣٨ — خلافة المعتز بن المتوكل

من سنة ٢٥٢ هـ — ٢٥٥ هـ أو من سنة ٨٦٦ — ٨٦٨ م

هكذا صارت الخلافة الى المعتز بن المتوكل واستتب له الامر بعد موت المستعين وفي أول سني خلافته خلع أخاه المؤيد من ولاية العهد وحبسه حتى مات بالسجن

وفي سنة ٢٥٣ هـ خرج عبد العزيز بن أبي دلف الخارجي بهمذان واجتمع معه اكثر من عشر ين الف صعلوك فوجه اليه المعتز موسى بن بغا الكبير لمحاربته وانتصر عليه وقتل وهزم جموع عبد العزيز فهرب هذا الى قلعة يقال لها زر

وتحصن بها ودخل عسكر موسى مدينة كرج ونهبوا دار عبد العزيز وحرمه وفي هذه السنة ابدأت دولة يعقوب الصفار بهرات وسنذكر أخباره في غير هذا الموضع

وفي سنة ٢٥٤ هـ استعمل المعتز احمد بن طولون على مصر وآل أمره الى ان استولى على مصر والشام كما تراه ان شاء الله في ذكر الدولة الطولونية

وفي سنة ٢٥٥ هـ سار الاتراك الى المعتز يطلبون أرزاقهم فماطلهم بحقهم فلما رأوا أنه لا يحصل منه شيء دخل اليه جماعة منهم وجروه برجليه الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في الدار وكان يرفع رجلاً ويضع رجلاً لشدة الحر . ثم سلموه الى من يعذبه فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم ادخلوه سرداباً وجصصوا عليه حتى مات وكانت خلافته اربع سنين وسبعة اشهر وعمره اربعاً وعشرين سنة . وفي خلافته استقل عيسى بن الشيخ ابن السليك من ولد جساس بن مرة بالرملة ودمشق وقطع كامان يحمل من الشام الى الخليفة واستبد بالاموال وكان ذلك سنة ٢٥٢ هـ

٣٩ - خلافة المهتدي بن الواثق

من سنة ٢٥٥ — ٢٥٦ هـ أو من سنة ٨٦٨ — ٨٦٩ م

بويع بالخلافة بعد المعتز فظهر في أيامه صاحب الزنج وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم من ولد عبد قيس وجمع اليه الزنج وكانوا يسكنون في البصرة وادعى انه من ولد علي بن ابي طالب وكان أهل البحرين قد أحلوه محل النبي وجبي الخراج ونفذ فيهم حكمه وحارب جيوش المهتدي وانتصر عليها ونهب كثيراً من البلدان وهابته الناس ولم تكن خلافة المهتدي الا أحد عشر شهراً ونصفاً لانه قصد ان يقتل موسى بن بغا وكان معسكراً قبالة بعض الخوارج وكتب بقتله الى بابكيال أحد مقدمي جنده ان يقتله و يصير موضعه فلم يفعل وعوضا عن قتله موسى اتفق معه على قتل المهتدي وسارا اليه فدخل بابكيال عليه فخبه المهتدي ثم قتله وتجهز لقتال موسى بن بغا فبينما هو في الطريق فارقه

كثيرون وانقلبوا عليه ففر ودخل بعض الدور فامسكوه وداسوا خصيته وصفحوه فمات

٤٠ — خلافة المعتمد بن المتوكل

من سنة ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ أو من سنة ٨٦٩ — ٨٩٢ م

لما أمسك المهتدي أحضر العباس بن أحمد بن المتوكل وكان محبوساً بالجوسق فبايعه الاتراك وغيرهم ولقب المعتمد على الله ثم مات المهتدي ثاني يوم بيعة المعتمد وفي ٢٥٦ هـ عزل عيسى بن الشيخ الذي كان قد استبد بدمشق وولاه أرمينية وولى في مكانه على دمشق أما جور فذهب هذا الى دمشق في الف رجل فلما قرب منها ارسل اليه عيسى بن الشيخ ولده منصوراً في عسكر جرار فقاتله فانهزم منصور بن عيسى وقتل في الحرب فخارت عزيمة أبيه عيسى وسار الى أرمينية على طريق الساحل وولى أما جور دمشق . وفي أيامه اشتدت شوكة علي بن محمد بن عبد الرحيم صاحب الزنج الذي ذكرنا خبر ظهوره في خلافة المهتدي وأغار على المملكة الاسلامية فاستولى على الاهواز والبصرة وواسط وغيرها من المدن الكبيرة واعملوا فيها القتل والنهب والتخريب وهزموا جيوش المعتمد مراراً كثيرة حتى خشي منهم جداً وآخر الامر سير المعتمد أخاه الموفق بالله لحرب صاحب الزنج وأصحابه وبعد وقائع كثيرة جداً استمرت سنين عديدة وكان النصر فيها متبادلا بين الطرفين انتصر أخيراً الموفق بالله على صاحب الزنج وأحرق مدينته وقطع رأسه وسيره الى بغداد وارتاحت البلاد من غاراته . ولكن كيف ترتاح البلاد والخلفاء من بني العباس صاروا مثلاً في الضعف فلا يموت مقاوم الا ويقوم الثاني ان لم يكن من الخارج فمن قلب المملكة الاسلامية حتى تجزأت المملكة الاسلامية الى ممالك ملك كلاً منها عائلات مختصة بها كما سنذكره بالتفصيل ان شاء الله في غير هذا المكان من كتابنا هذا . وفي سنة ٢٦٢ هـ اغار يعقوب الصفار (الذي ذكرنا خبر ظهوره في خلافة المعتز بعد ان تغلب على فارس جميعها) على الاهواز فخار به الموفق بالله وبعد قتال شديد انتصر عليه ورجعه الى حيث اتى ولكنه عاود الكرة في السنة التالية واستولى

على الاهواز . وفي سنة ٢٦٤ هـ غزا عبد الله بن رشيد بن كاووس بلاد الروم في اربعة آلاف فارس و بينما هو راجع خرج عليه بطريق سلوقية وبطريق خرشنه وأصحابهما وأحدقوا بالمسلمين . فنزل المسلمون فعرقبوا دوابهم وقاتلوا فقتلوا الاخمسماية فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم وأسر عبد الله ابن رشيد وحمل الى ملك الروم . وضيق الموفق بالله على اخيه المعتمد (الخليفة) حتى انه احتاج الى ثلثمئة دينار فلم يجدها فقال

أليس من العجائب ان مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما منها يسير في يديه

وكان المعتمد قد عهد بالخلافة من بعده لاخيه الموفق بالله فمات قبله وذلك سنة ٢٧٨ هـ وكانت علته النقرس الذي اشتد به حتى لم يقدر على الركوب فعمل له سريرا عليه قبة وكان يقعد عليه وخادم يبرد له رجله بالثلج ثم صارت علة رجله داء الفيل وكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة . فقال لهم . ضجرتم من حملي وما أرغب اليّ لو كنت كواحد منكم أحمل على رأسي وآكل وأنا في عافية . فوصل الى بيته لليلتين خلتا من صفر وشاع موته ولما مات الموفق اجتمع القواد و بايعوا ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد عمه المعتمد ولقب المعتضد بالله . وفي هذه السنة (٢٧٨) تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة وكان ابتدا أمرهم أن رجلاً فقيراً قدم من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة وكان يظهر الزهد والتقشف ويسف الخوص ويأكل من كسبه فاقام على ذلك مدة وكان اذا اتاه رجل ذاكره في أمر الدين وزهده في الدنيا وأعلمه انه يدعو الى امام من أهل بيت النبي (صلعم) فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير واتخذ منهم اثنى عشر نقيباً وأمرهم أن يدعوا الناس الى مذهبهم . فبلغ خبره عامل تلك الناحية فاخذه وحبسه وأقسم أن يقتله وأغلق باب البيت عليه وجعل المفتاح تحت وسادته واشتغل بالشرب . فسمعت جارية له يمينه فشفقت على الرجل . فلما نام العامل أخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته ثم أعادت المفتاح الى مكانه . فلما اصبح العامل فتح الباب ليقتله فلم يجده . وشاع ذلك في الناس وافتتن به أهل تلك الناحية وقالوا رفع . ثم ظهر في ناحية أخرى ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم فقال لهم . لا يمكن أن ينالني أحد بسوء . فعظم في أعينهم ثم خاف على

نفسه فخرج الى ناحية الشام ولم يوقف له على خبر . وسمي باسم رجل كان ينزل عنده اسمه كرمتية ثم خفف فقيل قرمطة . وكان فيما حكي عن القرامطة من مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانه أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال له أنك الداعيــة وأنك الحجة وأنك الناقة وأنك الدابة وأنك يحيى بن زكريا وأنك روح القدس وعرفه أن الصــلات أربع ركعات ركعتان قبــل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها والصوم يومان في السنةوهما المهرجان والنيروز . وان النبيذ حرام والخمر حــلال ولا يؤكل ذي ناب ولا كل ذي مخلب . وان الجمعــة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء . الى غير ذلك . وفي ســنة ٢٧٩ هـ توفي المعتمد على الله ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد فحمل الى سامرا وذفن فيها وكان عمره خمسين ســنة وســتة أشهر ومدة خــلافته ثلاثا وعشرين ســنة وســتة أيام

٤١ — خلافة المعتضد بن الموفق

من سنة ٢٧٩ — ٢٨٩ هـ أو من سنة ٨٩٢ — ٩٠٢ م

في صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بويع لابي العباس المعتضــد بالله بن الموفق . وفي سنة ٢٨٠ هـ سار المعتضد من بغداد يريد بني شيبان بالموضع الذي يجتمعون فيه من الجزيرة فلما بلغهم قصده جمعوا اليهم أموالهم وأغار المعتضد على اعراب عند السن فنهب أموالهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم في الزاب جمع كثير وعجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم والبعير بخمســة دراهم . ثم سار الى الموصل فأتى اليه بنو شيبان يسألونه العفو فامنهم

وفي سنة ٢٨١ هـ بلغ المعتضد ان حمدان بن حمدون عامل الموصــل خطب لهرون الشاري الخارجي فتجهز وسار الى الموصل . فلما بلغ الاعراب الاكراد مسير المعتضد اليهم تحالفوا على قتاله . فاوقع بهم المعتضد وقتل منهم وغرق منهم في الزاب خلق كثير ثم سار قاصداً قلعة ماردين وبها حمدان فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها فنازلها المعتضد وقاتل من فيها يومه ذلك فلما كان الغــد ركب

المعتضد وصعد الى باب القلعة وصاح بابن حمدان فاجابه فقال افتح الباب ففتحه فقعد المعتضد بالباب وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها ثم ظفر بحمدان بعد عوده الى بغداد جاءه مستأمناً اليه . ثم ظفر بهرون الخارجي بعد ذلك وصلبه . وفي سنة ٢٨٢ هـ زفت قطر الندى بنت خمارويه الطولوني صاحب مصر الى الخليفة المعتضد . وجهزها أبوها أحسن جهاز . وذهبت معها عمتها العباسة ابنة احمد ابن طولون مشيعة لها الى آخر اعمال مصر من جهة الشام وضربت فساطيطها و بنيت هناك قرية فسميت باسمها وقيل لها العباسة

وفي سنة ٢٨٣ هـ سارت الصقالبة الى الروم فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وخربوا البلاد فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوهم وأزاحوهم عن القسطنطينية . فلما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فاخذ سلاحهم وفرقهم في البلدان حذراً من جنايتهم عليه . وفي سنة ٢٨٥ هـ ظهر رجل من القرامطة يعرف بابي سعيد بالبحرين واجتمع اليه جماعة من الاعراب والقرامطة وقوي أمره فقاتل ما حوله من القرى ثم سار الى القطيف وأظهر انه يريد البصرة فامر المعتضد ببناء سور على البصرة فعمل . وفي سنة ٢٨٨ هـ وقع الوباء باذربيجان فمات منه خلق كثير الى ان فقد الناس ما يكفنون به الموتى وكانوا يطرحونهم بالطريق . وفيها سارت الروم الى كيسوم فنهبوها وغنموا أموال أهلها وأسروا منها نحو خمسة عشر الف انسان من رجل وصبي وامرأة . وفي سنة ٢٨٩ هـ انتشر القرامطة بسواد الكوفة و بعد قتالهم أخذ رئيسهم وسير الى المعتضد فاحضره وقال له . اخبرني هل تزعمون ان روح الله تحل في أجسادكم . فقال له الرجل . ياهذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك . فقال المعتضد وما تقول فيما يخصني . فقال . أقول أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وأبوكم العباس حي فهل طلب الخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك . ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه . ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس ولم يوص الى العباس ولا أدخله فيهم . فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها . فامر به

المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل . وفي ربيع الثاني من هذه السنة (٢٨٩ هـ) توفي المعتضد لثمان بقين منه . وكان عمره سبعاً واربعين سنة ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وكان المعتضد أسمر نحيف الجسم معتدل الخلق وكان شهما شجاعاً . مقداما حليماً جداً . قال الوزير عبد الله بن سليمان . كنت عند المعتضد يوما وخادم بيده المذبة اذ ضربت قلنسوة المعتضد فسقطت . فكدت أختلط إعظاماً للحال . ولم يتغير المعتضد . وقال هذا الغلام قد نعس . ولم ينكر عليه . فقبلت الارض وقلت . والله يا أمير المؤمنين ما سمعت بمثل هذا ولا ظننت ان حلما يسعه . فقال . وهل يجوز غير هذا أنا أعلم هذا الصبي البائس لو دار في خلده ما جرى لذهب عقله وتلف والانكار ان لايكون الا على المتعمد دون الساهي الخاطىء . ولما حضرته الوفاة انشد

تمتع من الدنيا فانك لاتبقى ... وخذ صفوها ماان صفت ودع الرنقا
ولا تأمننَّ الدهر اني أمنته ... فلم يبق لي خلاًّ ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع ... عدواً ولم امهل على طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كل نازع ... فشردتهم غرباً ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة ... وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهماً فاخمد جمرتي ... فها انا ذا في حفرتي عاجلاً ألقى
ولم يغن عني ما جمعت ولم أجد ... لدى الملك والاحياء في حسنها رفقا
فياليت شعري بعد موتي ما القى ... الى نعم الرحمن أم ناره التى

٤٢ — خلافة المكتفي بالله بن المعتضد

من سنة ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ أو من سنة ٩٠٢ — ٩٠٨ م

لما توفي المعتضد كتب الوزير الى ابي محمد علي بن المعتضد وهو المكتفي بالله وعرفه اخذ البيعة له وكان بالرقة فلما وصله الخبر اخذ البيعة على من عنده من الاجناد ووضع لهم العطاء وسار الى بغداد فدخلها لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ٢٨٩ هـ وفي سنة ٢٩٠ هـ اشتدت شوكة القرامطة المار ذكرهم حتى حصروا دمشق بعد ان هزموا جيش اميرها طغج بن جف (العامل عليها من قبل الدولة

الطولونية بمصر) ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ فقام القرامطة عليهم أخاه الحسين وتسمى أحمد وأظهر شامة في وجهه وادعى انها آية وكثر جمعه فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه اليه فانصرف عنهم الى حمص فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى بالمهدي أمير المؤمنين وعهد الى عمه عبد الله ولقبه المدثر (زعماً منه انه المدثر الذي في القرآن) ثم سار الى حماة والمعرة وغيرها فقتل أهلها حتى الاطفال والنساء وسار الى سلمية فاخذها بالامان ثم قتل أهلها حتى صبيان المكتب . فلما اشتد أمر القرمطي خرج المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل اليه الجيوش

وفي سنة ٢٩١ هـ واقعت جيوش المكتفي القرمطي صاحب الشامة وأصحابه بتمنع (اسم قرية) فانهزم القرامطة وتبعهم عسكر الخليفة يقتلونهم وهرب صاحب الشامة وابن عمه وغلام رومي فامسكوا في البرية وأحضروا الى المكتفي وهو بالرقة فاخذهم معه الى بغداد حيث قطعت رؤوسهم وطيف برأس القرمطي في أسواق بغداد

وفي سنة ٢٩٢ هـ بعث المكتفي الجيش الى الشام فاستولى على دمشق وكان قائد جيش المكتفي محمد بن سليمان . وما زال سائراً حتى قرب على مصر وكان الحاكم عليها من العائلة الطولونية هرون بن خمارويه وقد ثارت عليه البلاد فلم يقدر أن يضبطها . وفي هذه الاثناء هجم محمد بن سليمان بجيشه على مصر فاخترقها حتى بلغ الفسطاط . فستعد هرون للمدافعة ولكن بلا جدوى لان أتباعه كانوا في نقص مستمر وجيش عدوه في زيادة مستمرة . ثم التقى الجيشان فانهزم هرون وأصحابه وقتل هو أيضا في تلك الواقعة وبه انقرضت الدولة الطولونية . وعادت مصر جزءاً من الخلافة العباسية كما كانت من ذي قبل . فاقر المكتفي عيسى النوشري عاملاً له عليها . وفي الوقت الذي توجه فيه محمد بن سليمان من الشام الى مصر لقتال هرون بن خمارويه خرج بالشام خارجي يدعي ابراهيم الخلنجي وكان من قواد بني طولون وقويت شوكته فسار لقتاله احمد بن كيغلغ عامل دمشق . فطمع القرامطة في دمشق لغيبة عاملها فقصدوها وأعملوا فيها نهباً وقتلاً ثم نهبوا طبرية وساروا الى جهة الكوفة فسير المكتفي اليهم جيشاً فاقتتلوا وتمت الهزيمة على جيش الخليفة وقتل منهم خلق كثير وغنم القرامطة

منهم شيئاً كثيراً . ولكن انتصر عامل دمشق على الخلنجي بعد حروب متصلة وقبض عليه وحمل بمن معه الى بغداد

وفي سنة ٢٩٤ ﻫ هجم القرامطة على الحجاج في طريق العراق وقتلوهم عن آخرهم فكانت عدة القتلى عشرين الفاً وأخذوا أموالا عظيمة وكان كبيرهم يسمى ذكرويه فجهز المكتفي اليهم عسكراً واقتتلوا فانهزم القرامطة وقتل منهم خلق كثير وأسر ذكرويه كبيرهم مجرحاً ومات بعد ستة ايام وقدم العسكر برأسه الى بغداد وطيف به

وفي سنة ٢٩٢ ﻫ أغار الروم على مرعش ونواحيها فهرب أهل المصيصة وطرسوس بعد ان أصيب منهم جماعة فعزل المكتفي أبا العشائر عامل الثغور عنها وولى عليها رستم ابن برد . وعلى يده صار الفداء بين الروم والمسلمين فكان جملة من فودي من المسلمين الفاً ومايتي نفس

وفي سنة ٢٩٣ ﻫ اغارت الروم على قورش (وقيل موارس) من اعمال حلب وقاتلهم أهلها وقتل منهم خلق كثير ودخل الروم فاحرقوا جامعها واخذوا من بقي فيها .

وفي سنة ٢٩٤ ﻫ غزا ابن كيغلغ الروم من طرسوس فاصاب منهم اربعة آلاف سبيا واستأمن أحد بطارقة الروم وأسلم . ثم عاود ابن كيغلغ فغنم وقتل كثيراً

وفي سنة ٢٩٥ ﻫ توفي المكتفي بالله في شهر ذي القعدة بعد ان عهد بالخلافة من بعده لأخيه جعفر بن المعتضد ولقبه المقتدر بالله . وكانت مدة خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما وعمره ثلاثاً وثلاثين سنة

٤٣ — خلافة المقتدر بالله بن المعتضد

من سنة ٢٩٥ — ٣٢٠ ﻫ أو من سنة ٩٠٨ — ٩٣٢ م

بويع بالخلافة بعد وفاة المكتفي وكان عمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة فاستصغره الوزير وكثر كلام الناس فيه فعزم على خلعه . وفي سنة ٢٩٦ ﻫ اجتمع القواد والقضاة مع الوزير على خلع المقتدر بالله والبيعة لابن المعتز . ثم ان الوزير

رأى امره موافقاً مع المقتدر فبدا له في ذلك فوثب به الآخرون فقتلوه وخلعوا المقتدر وبايعوا ابن المعتز ولقب المرتضي بالله فوجه الى المقتدر يأمره بالانتقال الى الدار التي كان مقيماً فيها لينتقل هو الى دار الخلافة فاجابه بالسمع والطاعة وسأله الامهال الى الليل فعاد غلمانه الى دار الخلافة (غلمان المرتضي بالله) وقاتلوا غلمان وخدم المقتدر بالله طول النهار وانصرفوا عنهم آخر النهار . فلما جن الليل سار الحسين بن حمدان (أعظم أنصار المرتضي) عن بغداد باهله وماله الى الموصل لا يدري لما فعل ذلك ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن . ولما رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وغلام له وساروا نحو الصحراء ظناً منهم ان من بايعهم من الجند يتبعونه . فلما لم يتبعهم أحد رجعوا واختفوا ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد وثار العيارون والسفل ينهبون الدور فخرج المقتدر بالعسكر وقبض على جماعة وقتلهم وكتب الى أبي الهيجاء بن حمدان يأمره بطلب أخيه الحسين فانهزم الحسين وأرسل أخاه ابراهيم يطلب له الامان فاجيب الى ذلك ودخل بغداد فخلع عليه المقتدر وعقد له على قم وقاشان فسار اليها . وعاد المقتدر الى الخلافة واستتب له الامر فيها . وأهم ما كان من الحوادث في أيام المقتدر ابتداء دولة الفاطميين التي قامت على أنقاض دولة الاغالبة ودولة الادارسة بالمغرب والدولة الاخشيدية بمصر في سنة ٢٩٧ هـ بقيام عبيد الله المهدي وسنذكر أخبارها تفصيلاً فيما يلي من كتابنا هذا ان شاء الله

وفي سنة ٣٠٣ هـ خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر فجهز الوزير رائقا الكبير في جيش وسيره اليه فالتقيا واقتتلا اقتتالاً شديداً فانهزم رائق وغنم الحسين سواده فسمع ذلك مؤنس الخادم فجد بالمسير نحو الحسين فهرب الحسين نحو أرمينيا مع ثقله وأولاده . وتفرق عسكره عنه فادركه جيش مؤنس وأسروه ومعه ابنه عبد الوهاب وعاد مؤنس الى بغداد ومعه الحسين وابنه فحبسا . واستوزر المقتدر أبا علي محمد بن يحيى ابن خاقان فتحكم عليه أولاده فكان كل منهم يسعى لمن يرتشي منه فكان يولي العمل الواحد عدة من العمال في أيام قليلة فقيل فيه

وزير قد تكامل في الرقاعة ... يولي ثم يعزل بعد ساعة

اذا أهل الرشا اجتمعوا لديه   فخير القوم أوفرهم بضاعة
وليس يلام في هذا بحال   لان الشيخ افلت من مجاعة

فلما رأى المقتدر تخليط الخاقاني وعجزه عن القيام بمهام الوزارة كما يجب عزله عنها وولى مكانه علي بن عيسى . ثم استبدل بعلي بن الفرات ثم عزله وولى مكانه حامد ابن العباس

وفي سنة ٣٠٩ هـ ظهر الحسين الحلاج بن منصور وكان يظهر الزهد ويدعي ان له كرامات حتى قيل انه حرك يوماً يده فانتثر على قوم دراهم . فقال له بعض النبهاء . ممن حضر . أراك تنثر علينا دراهم من المتداولة في أيدي الناس فاذا أمكنك أن تعطيني الآن درهماً عليه اسمك واسم أبيك فاني أؤمن بك ومعي كثير من الموجودين . فقال وكيف وهذا لا يصنع . فقال له . من حضر ماليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع . وكان قد قدم من خراسان الى العراق وسار الى مكة فاقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفا ورئي في جبل أبي قبيس على صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجري منه الى الارض . ثم سار الى بغداد في هذه السنة فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول والربوبية ثم نقل عنه الى الوزير حامد انه أحيا جماعة من الموتى فاحضره الوزير وسأله عن ذلك فانكر وقال أعوذ بالله أن أدعي النبوة أو الربوبية وانما أنا رجل أعبد الله . فلم يتمكن الوزير من قتله حتى أمسك عليه . ان الانسان اذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره مبيتاً طاهراً فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعل الحجاج بمكة ثم يطعم ثلثين يتيما ويكسوهم ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم . فاحضر الوزير والقضاة ووجوه الفقهاء واستفتاهم . فافتوه باباحة دمه فسلمه الوزير الى صاحب الشرطة فضربه الف سوط فما تأوه لها ثم قطع يده ثم رجله ثم رجله الاخرى ثم يده الاخرى وأخيراً قتله وأحرقه والقى رماده في دجلة ونصب الرأس ببغداد . وفي سنة ٣١٤ هـ استشعر مؤنس الخادم خوفاً من المقتدر فامتنع من دخول دار المقتدر . فاجتمع اليه جميع الاجناد وقالوا له لا تخف نحن نقاتل بين يديك الى ان ينبت لك لحية . فوجه اليه المقتدر رقعة بخطه يحلف له على بطلان ما قد بلغه . فقصد دار المقتدر في جمع من القواد ودخل اليه وقبل يده . فحلف له المقتدر على صفا نيته له

وفي سنة ٣١٧ هـ ثارت العساكر والاهالي على المقتدر بسبب استنزاف الوزراء لاموال المملكة وطلبوا الحرية والدستور (كأنهم من متعلمي القرن العشرين) وان لهم الحق في تدبير المملكة كما لغيرهم . فحذرهم الخليفة المقتدر عاقبة الثورة فلم تنفع تحذيراته لهم . وهجموا عليه وهو فى دار الخلافة وأخذوه وحرمه وأرسلوهم الى دار مؤنس الخادم . وأحضروا محمد بن المتعضد و بايعوه بالخلافة ولقبوه بالقاهر بالله فسار من وقته الى دار الخلافة ولم تكن ثورة العساكر الا بسبب انقطاع أرزاقهم فلما تولى القاهر بالله الخلافة طالبوه بحقوقهم فاطلهم . فلما تحققوا منه ذلك هاجوا وماجوا وهجموا على دار الخلافة وقتلوا كثيرين من الخدم بها وكان أبو الهيجاء بن حمدان في ذلك اليوم هناك فقتل أيضاً وهرب القاهر بالله واختفى في البستان وخلت الدار من الناس . أما العساكر فسارت الى بيت مؤنس الخادم طالبين المقتدر ليعيدوه الى الخلافة فهجموا على دار مؤنس واختطفوا المقتدر وحملوه على رقابهم وأتوا به الى دار الخلافة و بايعوه ثانية ولم تكن خلافة القاهر الايومين فقط . ثم احضر القاهر بالله الى المقتدر فأمنه ولم يقتله بل حبسه عند والدته فاحسنت اليه وأكرمته ووسعت عليه .

وفي سنة ٣٢٠ هـ سار مؤنس الخادم الى الموصل مغاضباً ووجه خادمه بشرى برسالة الى المقتدر . فسأله الوزير عن الرسالة فقال . لا أذكرها الا للمقتدر كما أمرني صاحبي . فشتمه الوزير وشتم صاحبه وأمر بضربه وصادره بثلثمائة الف دينار . فلما بلغ مؤنساً ما جرى على خادمه . وهو حين ذاك بحربى ينتظر ان يطيب المقتدر قلبه و يعيده . سار نحو الموصل ومعه جميع القواد . فاجتمع بنو حمدان على محاربته وجندوا له جيشاً مؤلفاً من ثلثين الف مقاتل ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس فالتقوا واقتتلوا فانهزم بنو حمدان واستولى مؤنس على أموالهم وديارهم فبايعه الناس واجتمع معه جيش عظيم لاستنشاره الناس باحسانه اليهم . ثم انحدر الى بغداد ونزل بباب الشماسية . وأشار أصحاب المقتدر عليه بحضور الحرب زعماً منهم ان الناس اذا رأته عادوا جميعهم . فخرج وهو كاره و بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة والناس حوله . فوقف على تل عال بعيد عن المعركة فارسل اليه

قواده يسألونه التقدم . فلما تقدم من موضعه انهزم أصحابه قبل وصوله اليهم فاراد الرجوع فلحقه قوم من المغاربة وشهروا عليه سيوفهم . فقال ويحكم أنا الخليفة . قالوا قد عرفناك يا سفلة . وضربه واحد بسيفه على عاتقه فسقط الى الارض وذبحه بعضهم ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه . وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة الى أن مر به رجل فستره بحشيش ثم حفر له في موضعه ودفن ولما حمل رأس الخليفة الى مؤنس بكى ولطم وجهه ورأسه وأنفذ الى دار الخلافة من منعها من النهب وكانت خلافة المقتدر خمسا وعشرين سنة

٤٤ — خلافة القاهر بن المعتضد

من سنة ٣٢٠ — ٣٢٢ ﻫ أو من سنة ٩٣٢ — ٩٣٤ م

لما قتل المقتدر استعظم مؤنس قتله وقال الرأي عندي أن ننصب ولده أبا العباس فانه تربيتي وهو صبي عاقل فيه دين وكرم ووفاء بما يقول فاعترض عليه اسحق النوبختي وقال . بعد الجهد استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود الى تلك الحال لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا . وما زال حتى رد مؤنساً عن رأيه . وذكر له أبا المنصور محمد بن المعتضد . فأجابه مؤنس الى ذلك كارهاً لعلمه بشر أبي المنصور وظلمه . ومع ذلك كان النوبختي في تنصيب أبي المنصور كالباحث عن حتفه بظلفه فانه قتله كما سيأتي ذكره . وأمر مؤنس باحضار محمد ابي المنصور بن المعتضد فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠ ﻫ ولقبوه القاهر بالله . ولما استقر الامر للقاهر استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق ولعلي بن بليق وأخذ منه كتابة بعدم التعرض لهم في أرواحهم وأموالهم ثم اشتغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحزبه ثم أحضر أم المقتدر عنده (وكانت مريضة بالاستسقاء) فسألها عن مالها فاعترفت له بما عندها من المتاع والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجواهر فضربها ضرباً مؤلماً وعلقها برجليها وضرب المواضع الغامضة من بدنها . فاقسمت له انها لا تمتلك غير ما ذكرت وقالت لو كان عندي لما سلمت ولدي

للقتل . ولم تعترف بشيء . وصادر القاهر جميع حاشية المقتدر وأصحابه ووكل على بيع املاك المقتدر بعد أن حل وقوفها فبيع جميع ذلك . وفي سنة ٣٢١ هـ استوحش مؤنس و بليق الحاجب وعلي بن بليق والوزير أبو علي بن مقلة من القاهر وضيقوا عليه ووكلوا على دار الخلافة أحمد بن زيرك وأمروه بتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها ويكشف وجوه النساء المنقبات . ففعل ذلك وزاد عليه حتى حمل الى دار القاهر لبن فادخل يده فيه لئلا يكون فيه رقعة ولما تحقق القاهر منهم ذلك وعلم أن العتاب لا يجديه نفعاً ان لم يكن وبالا عليه استعمل الحيلة والمكر للايقاع بهم قبل ان يوقعوا هم به . فارسل الى الساجية أصحاب يوسف بن أبي الساج يغريهم بمؤنس و بليق وحلف لهم على الوفاء وزيادة أعطياتهم . فتغيرت قلوبهم و بلغ ابن مقلة تغيير القاهر عليهم واجتهاده لعمل مكيدة يوقعهم بها فذكر ذلك لمؤنس و بليق وابنه فاتفق رأيهم على خلع القاهر الا مؤنساً فانه قال لهم . لست أشك في شر القاهر وخبثه ولقد كنت كارهاً لخلافته وأشرت بابن المقتدر فخالفتموني وقد بالغتم الآن في الاستهانة به وما صبر على الهوان الا لخبث طويته ليدبر عليكم فلا تعجلوا حتى تؤنسوه وينبسط اليكم وبعدئذ افعلوا ما بدا لكم . فقال علي بن بليق وابن مقلة . لانحتاج هذا الامر الى المماطلة والتطويل لان الحجة لنا والدار في أيدينا ولسنا في احتياج ان نستعين في القبض عليه لانه بمنزلة طائر في قفص واتفقوا على أن يدخل علي بن بليق على القاهر ويكون قد أمر جماعة من عسكره بالركوب الى أبواب دار الخليفة فيقبض عليه . ولم يكن القاهر بالله غافلا عن اجرا آتهم هذه لانه استعمل أعينا له تأتيه باخبارهم فحضر ظريف السكري في زي امرأة واجتمع بالقاهر وذكر له جميع ما قد عزموا عليه فاخذ في تدبير حيلة يوقعهم بها اثناء طلبهم الايقاع به فارسل الى الساجية وأحضرهم وفرقهم في الدار وأخفاهم وراء الدهاليز والابواب. فحضر علي بن بليق في عصر ذلك اليوم الى دار الخلافة (وآثار الخمرة ظاهرة عليه) ومعه عدد يسير من غلمانه في سلاح خفيف . وطلب الأذن للدخول على الخليفة فلم يؤذن له بذلك . فغضب وأساء أدبه . فخرج اليه الساجية وشتموه وأباه فالقى نفسه الى طيارة وعبر الى الجانب الغربي واختفى من ساعته . وبلغ الخبر ابن مقلة فاستتر . وأنكر بليق ما فعله الساجية بابنه وحضر الى دار الخليفة ليعاتبه

على ذلك فلم يوصله القاهر اليه وامر بالقبض عليه وعلى ابن زيرك . وأرسل القاهر مؤنساً بالحضور عنده وقال له . أنت عندي بمنزلة الوالد وما أحب أن أعمل شيئاً الا بعد أخذ رأيك فيه . فاعتذر مؤنس عن الحضور بعدم استطاعة الحركة بسبب كبره وضعف جسمه فاظهر له الرسول النصح وقال . ان تأخرت طمع ولو رآك نائماً ما تجاسر على ان يوقظك . فسار مؤنس الى دار الخليفة وما عتم ان دخل باب الدار حتى قبض عليه القاهر وحبسه . فلما حبسه شغب أصحاب مؤنس وتبعهم سائر الجند وطلبوا اخراجه من سجنه . ثم ظفر القاهر بعلي بن بليق فأمر بذبحه فذبح وأخذوا رأسه فوضعوه في طشت ثم مضى القاهر والطشت يحمل بين يديه حتى دخل على بليق فوضع الطشت بين يديه وفيه رأس ابنه . فلما رآه بكي وأخذ يقبله ويترشفه فامر القاهر به فذبح أيضاً وجعل رأسه في الطشت وحمل بين يدي القاهر ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعها بين يديه فلما رأى الرأسين تشهد ولعن قاتلهما . فقال القاهر جروا برجل الكلب الملعون فجروه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت وأمر فطيف بالرؤوس في جانبي بغداد ونودي عليها . هذا جزاء من يخون الامام ويسعى في فساد دولته ثم أعيدت ونظفت وجعلت في خزانة الرؤوس كما جرت العادة . ثم أرسل الى أبي يعقوب النوبختي وهو في مجلس وزيره محمد القاسم فاخذه وحبسه ثم قتله . ثم رأى الناس من شدة القاهر ما جعلهم يندمون على مساعدتهم له ولات ساعة مندم . وفي سنة ٣٢٣ هـ ابتدأت دولة بني بويه وسنذكرها فيما بعد ان شاء الله

وفي هذه السنة خلع القاهر بالله من الخلافة وذلك ان ابن مقلة كان مستتراً والقاهر يتطلبه وكان يراسل قواد الساجية والحجرية ويخوفهم من شر القاهر ويذكر لهم غدره ونكثه مرة بعد أخرى كقتل مؤنس وبليق وابنه بعد الامان لهم الى غير ذلك . وكان ابن مقلة يجتمع بسيما زعيم الساجية تارة في زي أعمى وتارة في زي امرأة ويغريه بالقاهر . ثم ان ابن مقلة أعطى منجماً لسيما مائتي دينار حتى يقنعه أن طالعه يقتضي أن ينكبه القاهر . وأعطى شيئاً لمعبر لسيما كان يعبر له المنامات حتى يحذره من القاهر فارسل اليه يعلمه الخبر ليكون على حذر فذهب الرسول فوجده نائماً وقد شرب أكثر ليلته فلم يقدر على اعلامه بذلك . فزحف الحجرية والساجية الى الدار فلما سمع القاهر الاصوات والضوضاء

استيقظ وهو مخمور وطلب مهرباً . فقيل له . ان الابواب جميعها مشحونة بالرجال . فهرب الى سطح حمام . فاخذه من هناك وحبسوه وكانت خلافته عاما واحداً وسبعة أشهر . ثم عاش خاملاً الى ان مات سنة ٣٣٨ ﻫ

٤٥ — خلافة الراضي بالله بن المقتدر

من سنة ٣٢٢ — ٣٢٩ ﻫ أو من سنة ٩٣٤ — ٩٤٠ م

لما قبض على القاهر كان أبو العباس أحمد بن المقتدر ووالدته محبوسين فأخرجوه وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالراضي بالله وكانت بيعته لست خلون من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ ﻫ وأرادوا علي بن عيسى على الوزارة فقال الراضي . ان الوقت لا يحتمل أخلاق علي وان ابن مقلة اليق بالوقت . ثم احضره واستوزره فلما استوزر أحسن الى كل من أساء اليه وأحسن سيرته . وفي سنة ٣٢٣ ﻫ عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء فارتجوا بغداد . وركب صاحب الشرطة ونادى في جانبي بغداد ألاّ يجتمع من الحنابلة اثنان ولا يصلي منهم امام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشائين . فلم ينفذ فيهم . فكتب الراضي كتاباً ووقع عليه وبعث به ليقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فيه فعلهم ويوبخهم على اعتقاد التشبيه وغيره فمنه . انكم تارة تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وتذكرون الأصابع والكف والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود الى السماء والنزول الى الارض وتنسبوا شيعة آل محمد الى الكفر والضلال وتنكروا زيارة قبور الأئمة وتشنعوا على زوارها بالابتداع ومع ذلك أنتم تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام وتدعون له معجزات الانبياء فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات وما أغواه . وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً جهداً اليه يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعكم ضرباً وتشديداً وتبديداً وقتلاً وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم . وفي هذه السنة (٣٢٣ ﻫ) تولى محمد بن طغج الاخشيد مصر من جهة الراضي فضم اليها الشام

واستقر بها كما ستراه ان شاء الله في ذكر الدولة الاخشيدية . وفي سنة ٣٢٤ هـ قبض الحجرية والمظفر ابن ياقوت على الوزير بن مقلة واعلموا الخليفة بذلك فاستحسنه . ثم اتفقوا على وزارة علي بن عيسى فامتنع فولوا الوزارة أخاه عبد الرحمن ولم يكن أهلا لها فقبض عليه وولوها محمد بن قاسم الكرخي ثم عزلوه واستوزروا سليمان بن الحسين . وانقطع بعض الولاة عن حمل المال الى الراضي . فراسل الراضي محمد بن رائق وكان واليا بواسط وقلده امارة الجيش وجعله أمير الامراء وهو أول من نال هذا اللقب فبطلت الوزارة من بغداد وأعمالها . وأمر الخليفة بان يخطب لابن رائق على المنابر

وفي زمن هذا الخليفة صارت الخلافة رسما دينيا فقط ولم يكن له حل ولا ربط في الامور السياسية وانقسمت المملكة الاسلامية دولا عديدة تولى على كل منها أمير استقل بها ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم فيها لابن رائق وليس للخليفة الا الخطبة والسكة . فكانت البصرة في يد ابن رائق المذكور. وخوزستان في يد البريدي . وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان بيد أبي علي بن الياس . والري واصفهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه وبيد وشمكير ابن زيار يتنازعان عليها . والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان . ومصر والشام في يد الاخشيد . والمغرب وافريقيا في يد القائم العلوي . والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الاموي الملقب بالناصر . وخراسان وما وراء النهرين في يد نصر بن أحمد بن سامان . وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي — هكذا تجزأت تلك المملكة التي باتحادها أرهبت العالم وأخضعت جزءاً كبيراً من المعمورة في مدة وجيزة . وسنفرد ان شاء الله لكل دولة منها جزءاً من هذا الكتاب خاصا بها بعد أن ننتهي من ذكر بقية خلفاء بني العباس ببغداد الذين سنقتصر عند ذكرهم بذكر اهم الحوادث المتعلقة بهم أنفسهم مع ذكر أهم الحوادث المتعلقة بالمشرق في مدتهم

ولما استتب منصب أمير الامراء لابن رائق تحكم على الخليفة وضيق عليه فاشار عليه ابن مقلة بان يقبض على ابن رائق ويقيم مكانه بحكم (وقيل بجكم) والي واسط . وسمع ابن رائق بوشاية ابن مقلة ضده فطلب من الخليفة أن يحبسه فحبسه وضيق عليه جداً حتى مات بالحبس سنة ٣٢٨ هـ وفي هذه السنة

٣٢٨ ﻫ جهز بجكم المذكور جيشا سار فيه من واسط الى بغداد يريد خلع ابن رائق من امارة الامراء . فجهزله ابن رائق عسكراً أيضا . فهزمهم بجكم وهرب ابن رائق الى عكبرا واستتر. واما بجكم فدخل بغداد فاحسن الخليفة الراضي بالله صلته وخلع عليه وولاه امارة الامراء . وكانت امارة ابن رائق سنة وعشرة أشهر. وفي سنة ٣٢٩ ﻫ توفي الراضي بالله في منتصف ربيع الاول وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وكان أديبا شاعراً ومن شعره

كل صفو الى كدر ... كل امن الى حذر
أيها الآمل الذي ... تاه في لجة الغير
اين من كان قبلنا ... درس العين والاثر
لادر درُّ الشيب من ... واعظ ينذر البشر

ومن شعره يرثي اباه المقتدر

ولو ان حيا كان قبراً لميت ... لصيرت احشائي لاعظمه قبرا
ولوان عمري كان طوع مشيئتي ... وساعدني التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثرى ضاجعت في تربة البلا ... لقد ضم منك الغيث والليث والبرا

وكان الراضي آخر خليفة من العباسيين جالس الجلساء وآخر خليفة كانت نفقاته وجراياته وخزائنه ومطابخه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين لان الخلافة أمست لتدبير أمور الدين غالبا كما ذكرنا

٤٦ – خلافة المتقي بالله بن المقتدر

من سنة ٣٢٩ — ٣٣٣ ﻫ او من سنة ٩٤٠ — ٩٤٤ م

لما مات الراضي بالله بقي الامر موقوفا انتظاراً لقدوم ابي عبد الله الكوفي كاتب بجكم أمير الامراء من واسط واحتيط على دار الخلافة فورد كتاب بجكم مع أبي عبد الله الكوفي يأمر فيه أن يجتمع كل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والقضاة والعباسيون ووجوه البلد مع سليمان بن الحسين وزير الراضي

ويتشاوروا في من يقيمونه خليفة عليهم فاجتمعوا واتفقوا على ابراهيم بن المقتدر وبايعوه بالخلافة ولقبوه المتقي بالله : فسير الخلع واللواء الى بجكم الى واسط واقر سليمان على وزارته وليس له منها الا الاسم وانما التدبير كله الى الكوفي كاتب بجكم . وفي هذه السنة (٣٢٩ هـ) أرسل بجكم جيشا لقتال ابي عبد الله البريدي وسار من واسط في أثرهم فأتاه الخبر بنصرة عسكره وهرب البريدي فقصد الرجوع الى واسط فسمع عن محل يوجد به أكراد لهم ثروة عظيمة فشرهت عينه وقصدهم بجماعة قليلة وأوقع بهم فهربوا من بين يديه وجاء صبي من الاكراد من خلفه وطعنه برمح في خاصرته وهو لا يعرفه فمات من تلك الطعنة فاستولى المتقي بالله على دار بجكم وأخذ منها أموالا عظيمة . وأتى البريدي الفرج من حيث لا يحتسب وكانت مدة امارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وأياما . فدخل البريدي بغداد فاستقبله أعيان البلد وأرسل اليه المتقي يهنئه بسلامته . ثم أرسل البريدي الى المتقي يطلب منه خمسمائة الف دينار ليفرقها في الجند فامتنع عليه . فأنفذ اليه يتهدده ويذكره بما جرى على المعتز والمستعين والمهتدي . فأرسل اليه تمام خمسمائة الف دينار . فلما حصل المال في يده لم يعط الجند منه شيئاً . فشغبوا عليه وحاربوه فهرب منهم هو وأخوه وابنه وأصحابه وانحدروا في النهر الى واسط . فاستولى كورتكين الديلمي على الامور ببغداد ودخل الى المتقي فقلده امارة الامراء وخلع عليه . وبعد قليل عاد محمد بن رائق من الشام الى بغداد وصار أمير الامراء

وفي سنة ٣٣٠ هـ قتل ابن رائق وقلد المتقي ناصر الدولة بن حمدان امرة الامراء وخلع على أخيه أبي الحسن علي ولقبه سيف الدولة . وبعد قليل ثار الاتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلا فهرب من معسكره فلما بلغ أخاه ناصر الدولة ذلك سار الى الموصل وكانت امارته ثلاثة عشر شهراً وتولى توزون (ويروى تورون) التركي امارة الامراء . وفي سنة ٣٣٢ هـ ظهر ببغداد لص يعرف بابن حمدي فأعجز الناس وأمنه ابن شيرزاد (وهو من أكابر قواد توزون) وخلع عليه واشترط أن يأخذ منه كل شهر خمسة عشر الف دينار مما يكون قد سرقه هو واصحابه فكان يستوفيها منه بالرواتب وهذا مالم يسمع بمثله من شره . وفي سنة ٣٣٣ هـ استوحش المتقي بالله من توزون أمير الامراء وخاف على نفسه

منه . فارسل المتقى الى ناصر الدولة بن حمدان يطلب منه انفاذ جيش ليصحبوه الى الموصل فانفذهم مع ابن عمه . فخرج المتقي اليهم في حرمه وأهله ووزيره وساروا الى الموصل وأقام المتقي بها عند ابن حمدان . ثم استوحش من ابن حمدان أيضا وسار من الموصل الى الرقة . وأنفذ رسلاً الى توزون يسأله الصلح . فحلف توزون للخليفة والوزير بالامان . وانحدر المتقي من الرقة في الفرات فلما بلغ هيت أقام بها وأرسل الى توزون من يجدد اليمين . فعاد وحلف وسار عن بغداد ليستقبل الخليفة (المتقي) فالتقاه بالسندية ونزل وقبل الارض وقال ها أنا قد وفيت بيميني والطاعة لك . ثم أمسك توزون المتقي ووزيره وحرمه وسمل عيني المتقي وانحدر بهم من الغد الى بغداد فكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وستة أشهر

٤٧ – خلافة المستكفي بالله بن المكتفي

من سنة ٣٣٣ هـ — ٣٣٤ هـ أو من سنة ٩٤٤ — ٩٤٥ م

لما قبض توزون على المتقي أحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفي وولاه الخلافة ولقبه المستكفي بالله وكانت بيعته في صفر سنة ٣٣٣ هـ وكان الذي اوصل أمر أبي القاسم الى توزون امرأة عاقلة . فاتخذها المستكفي بعد ذلك قهرمانة له وسماها علم . وفي سنة ٣٣٤ هـ في المحرم مات توزون أمير الامراء بداره ببغداد وكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما . ولما مات توزون كان ابن شيرزاد بهيت لتخليص أموالها فلما بلغه موت توزون أسرع الى بغداد فاجتمع اليه الاجناد وعقدوا له الرئاسة عليهم وحلفوا له وولاه المستكفي أمرة الامراء وحلف له أيضا . ولما علم معز الدولة بن بويه والي الاهواز بموت توزون سار الى بغداد فلما قرب منها اختفى المستكفي وابن شيرزاد أمير الامراء الذي لم تكن امارته الا ثلاثة أشهر . وقدم حسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة الى بغداد وسارت الاتراك عنها الى الموصل فظهر المستكفي واجتمع بالمهلبي وأظهر له السرور بقدوم معز الدولة ثم وصل معز الدولة واجتمع بالمستكفي وحلف له وخلع عليه ولقبه في ذلك اليوم بمعز الدولة ولقب أخاه عليا

عماد الدولة ولقب أخاه حسن ركن الدولة وأمر بضرب القابهم وكناهم على الدراهم والدنانير . و بعد قليل بلغ معز الدولة ان علم قهرمانة المكتفي عازمة على ازالته . فلما كان يوم ٢٢ جمادى الاخرى من هذه السنة حضر معز الدولة والناس عند الخليفة ثم دخل رجلان من نقباء الديلم فتناولا يد المستكفي فظن انهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه وساقاه ماشيا الى دار معز الدولة فاعتقل بها وأخذت علم القهرمانة وقطع لسانها . وكانت مدة خلافة المستكفي سنة وأربعة أشهر ولما بويع المطيع سلم اليه المستكفي فسمل عينيه و بقي محبوسا الى أن مات سنة ٣٣٨ هـ

٤٨ – خلافة المطيع لله بن المقتدر

من سنة ٣٣٤ — ٣٦٣ هـ و أمن سنة ٩٤٥ — ٩٧٣ م

هو أبو القاسم الفضل بن المقتدر بويع له يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ هـ ولقبوه المطيع لله وأحضر المستكفي عنده فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع وازداد أمر الخلافة ادباراً ولم يبق لهم من الامر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء فلما استولى معز الدولة امرة الامراء زال كل ذلك ولم يبق للخليفة وزير وغاية ما بقي له ان يكون له كاتب يدبر أقطاعه واخراجاته و بالجملة لم يبق بيد المطيع الا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته . وفي سنة ٣٣٦ هـ سار معز الدولة ومعه المطيع لاستخلاص البصرة من يد أبي القاسم البريدى فلما علم بقدومهم هرب وملك معز الدولة البصرة . ثم عاد الى بغداد . وفي سنة ٣٣٧ هـ سار معز الدولة الى الموصل لاستخلاصها من ناصر الدولة فصالحه على أن يؤدي له عن الموصل والشام كلها ثمانية آلاف درهم فقبل معز الدولة ذلك وعاد الى بغداد غانماً . وفي سنة ٣٤٣ هـ مرض معز الدولة مرضاً شديداً خاف على نفسه منه فاحضر ابنه بختيار وقلده ولاية العهد وجعله أمير الامراء من بعده وسمع عمران بن شاهين أمير البطائح أن معز الدولة مات فاستولى على الاموال التي كانت محمولة لمعز الدولة ثم عوفي معز الدولة من مرضه بعد ذلك فجهز في سنة

٣٥٥ ﻫ جيشا لمحاربة عمران بن شاهين وسار حتى وصل واسط فانفذ الجيش مع أبي الفضل العباس بن الحسن . ثم مرض معز الدولة مرضا شديداً أضطره للرجوع الى بغداد واضطر جيشه لمصالحة ابن شاهين . فلما وصل معز الدولة الى بغداد اشتد به المرض ولما أيقن بقرب وفاته عهد الى ابنه بختيار ولقبه عز الدولة وأظهر التوبة وتصدق باكثر ماله وأعتق مماليكه . ثم توفي في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ﻫ فكانت امارته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً و يومين وتولى بعده امرة الامراء ابنه بختيار المذكور و يلقب بعز الدولة ولكنه أساء السيرة واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء وغير ذلك من الامور القبيحة . وفي سنة ٣٥٧ ﻫ أمسك عز الدولة أخاه حبشي بن معز الدولة وكان بالبصرة وحبسه وكثرت حروب عز الدولة مع أمراء البلاد المجاورة له كالموصل وغيرها وكثر شغب جنده عليه ولهم وقائع كثيرة وحوادث يطول شرحها فاغضينا النظر عنها . واستمرت خلافة المطيع لله الى سنة ٣٦٣ ﻫ فاعتراه مرض الفالج وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه فخلع نفسه من الخلافة وسلمها الى ولده عبد الكريم ولقب الطايع لله وكانت مدة خلافة المطيع لله تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر

٤٩ — خلافة الطائع لله بن المطيع

من سنة ٣٦٣ — ٣٨١ ﻫ اومن سنة ٩٧٣ — ٩٩١ م

بعد ان خلع المطيع نفسه من الخلافة لعجزه كما مر بويع بها ابنه عبد الكريم ولقب بالطايع لله وفي سنة ٣٦٤ ﻫ أغار عضد الدولة على العراق واستولى عليه ثم أرسل له بختيار يطلب منه التقدم الى بغداد لفتحها وهو يساعده على ذلك (وكان السبب في ذلك هياج الاتراك ضد بختيار لانه بدد الاموال في غير أبوابها ولم يعطهم رواتبهم) فلما سمع الفتكين (أحد قواد الاتراك) بقدوم عضد الدولة الى بغداد تجهز لرده عنها فحاصره عضد الدولة ببغداد ومنع الميرة عن البلد حتى غلت الاسعار وكثر نهب العيارين المفسدين في المدينة . واضطر الفتكين في أوقات كثيرة أن يكبس البيوت لطلب الطعام فخربت بغداد من توالي هذه الفتن

والحروب . ثم خرج الفتكين من بغداد لقتال عضد الدولة ليجلوه عن المدينة فحصلت بين الفريقين واقعة شديدة دارت الدائرة فيها على الاتراك فساروا عن بغداد الى تكريت فدخل عضد الدولة الى بغداد وقبض على بختيار أمير الامراء لعجزه عن القيام بمهام هذه الوظيفة . وكان المرزبان بن بختيار في ذلك الوقت بالبصرة متوليا لها فلما بلغه قبض عضد الدولة على والده امتنع فيها على عضد الدولة وكاتب ركن الدولة وعمران بن شاهين وغيرهما من الامراء المجاورين له لمساعدته على حرب عضد الدولة فخار بوه وانتصروا عليه وأجلوه عن بغداد وأعادوا بختيار الى امرة الامراء كما كان . ولكنه لم يلبث إلا قليلا حتى عاود عضد الدولة الكرة على بغداد في سنة ٣٦٧ هـ وأرسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وأن يسير عن العراق الى أي جهة أراد الا الموصل فخرج بختيار عن بغداد عازما على قصد الشام ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بالملك فيها ولم يكن قبل ذلك يخطب لاحد ببغداد وضرب على بابه ثلاث نوب . ولم تجر بذلك عادة من تقدمه . أما بختيار فلما سار عن بغداد الى الحديثة أتاه أبو تغلب في عشرين الف مقاتل وساروا جميعا نحو العراق . فبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما فالتقوا بنواحي تكريت فهزمهما وأسر بختيار وقتله . وكانت مدة امارة بختيار احدى عشرة سنة وشهوراً

وفي سنة ٣٦٩ هـ راسل عضد الدولة أخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة يدعوهما الى طاعته وموافقته أما مؤيد الدولة فاجاب راغبا واما فخر الدولة فاجاب جواب المناظر المناوىء فنقم عليه عضد الدولة ذلك وسار نحو همذان وبها فخر الدولة فخافه ذاكراً قتل ابن عمه بختيار فخرج هارباً وقصد جرجان فنزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير والتجأ اليه فامنه وأواه وحمل اليه فوق ماحدثته نفسه . وفي هذه السنة حدث لعضد الدولة صرع وكان هذا قد أخذه بالموصل فكتمه وصار كثير النسيان لايذكر شيئا الا بعد الجهد وكتم ذلك أيضا . ثم رجع عضد الدولة الى بغداد وشرع هذه السنة في عمارة بغداد وكانت قد خربت من توالي الفتن وعمر مساجدها وأسواقها وفرق الاموال على الائمة والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون الى المساجد . وأذن لوزيره نصر بن هرون وكان نصرانيا في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقرائهم وجدد ما دثر من

الانهار وأعاد حفرها وتسويتها . وفيها تجددت الصلة بين الطائع وبين عضد الدولة فتزوج الطائع ابنته وكان غرض عضد الدولة أن تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب وكان الصداق مائة ألف دينار

وفي سنة ٣٧١ ﻫ فتح المارستان العضدي غربي بغداد ونقل اليه جميع ما يحتاج من الادوية . وفي سنة ٣٧٢ ﻫ اشتدت علة عضد الدولة وهو ما كان يعتاده من الصرع فضعفت قوته عن دفعه فخنقه ومات منه في ثامن شوال ببغداد وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفا . وجلس ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار للعزاء فاتاه الطائع معزيا . وكان عمر عضد الدولة سبعا واربعين سنة . وكان قد سير ولده شرف الدولة أبا الفوارس الى كرمان مالكا لها . وكان عضد الدولة عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة ثاقب الرأي محبا للفضائل وأهلها باذلا في مواطن العطاء ومانعا في أماكن الحزم ناظراً في عواقب الامور . وبعد وفاة عضد الدولة تولى الامر بعده ولده صمصام الدولة ابو كاليجار وخلع على أخويه أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه فاقطعهما فارس. وكان أخوهم الاخر شرف الدولة بكرمان فسبقهما الى شيراز فملكها . وفي سنة ٣٧٣ ﻫ مات مؤيد الدولة بجرجان فعاد أخوه فخر الدولة الى مملكته واتفق مع صمصام الدولة وصارا يداً واحدة . وفي هذه السنة استولى باد الكردي الحميدي على الموصل واشتدت شوكته حتى طمع في بغداد وازالة الديلم عنها . فخافه صمصام الدولة وهمه أمره وشغله عن غيره وجمع العساكر فساروا الى باد وخرج اليهم فالتقوا في صفر سنة ٣٧٤ ﻫ فاقتتلوا وانجلت الواقعة عن هزيمة باد وأصحابه وملك الديلم الموصل . وفي سنة ٣٧٠ ﻫ سار شرف الدولة أبو الفوارس ابن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها . فخافه أخوه صمصام الدولة وسار اليه في طيار ومعه بعض خواصه فلقيه وطيب قلبه . فلما خرج من عنده قبض عليه وسار فوصل الى بغداد في شهر رمضان وأخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق أربع سنين . وفي سنة ٣٧٩ ﻫ مرض شرف الدولة فلما اشتدت علته قيل له : الدولة مع صمصام الدولة على خطر فان لم تقتله فاسمله فسمله وحبسه مع أخيه أبي طاهر في بعض القلاع بفارس.

وفيها في مستهل جمادى الأخرى مات الملك شرف الدولة ابو الفوارس شريزيل ابن عضد الدولة مستسقياً وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة . وولي الامر بعده أخوه بهاء الدولة أبو نصر . أما ابنه أبو علي فكان سيره الى بلاد فارس وأصحبه الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الاتراك ولما بلغ موت شرف الدولة المرتبين فى القلعة المسجون فيها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر أطلقوهما ومعهما فولاذ . فساروا الى شيراز واجتمع على صمصام الدولة وهو أعمى كثيرمن الديلم واستولى على فارس وملكها . وأما أبو علي بن شرف الدولة فارسل اليه عمه بهاء الدولة وطيب قلبه فسار اليه فلما وصل عنده أمسكه وقتله

وفي سنة ٣٨١ ﻫ قبض بهاء الدولة على الطائع بن المطيع وحمل الى دار بهاء الدولة فحبس بها وأشهد عليه بالخلع وأخذ بهاء الدولة ما بدار الخلافة من الذخائر . وكان الشريف الرضي موجوداً حين القبض على الطائع لله فقال في ذلك أبياتاً منها

من بعد ما كان رب الملك مبتسما … اليّ أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه … لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني … يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية … قد ضلّ ولاج أبواب السلاطين

وكانت مدة خلافة الطائع لله سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة ايام . ولما وليَ القادر بالله الخلافة حمل اليه الطائع فبقي عنده الى أن توفي سنة ٣٩٣ ﻫ ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته

٥١ — خلافة القادر بالله بن اسحق بن المقتدر

من سنة ٣٨١ — ٤٢٢ ﻫ أو من سنة ٩٩١ — ١٠٣١ م

لما قبض على الطائع لله ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة فاتفقوا على القادر بالله وهو أبو العباس بن اسحق بن المقتدر بن المعتضد وكان بالبطيحة . فارسل اليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه الى بغداد ليتولى الخلافة . فلما وصل اليه الرسل وجدوه في تلك الساعة يحكي مناماً رآه تلك الليلة يدل على

خلافته . فسار القادر بالله الى بغداد واستقبله بهاء الدولة وأعيان الناس وساروا في خدمته حتى دخل دار الخلافة حيث بايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان سنة ٣٨١ ﻫ

وفي سنة ٤٠١ ﻫ توفي بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه وولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع . وفى سنة ٤١١ ﻫ عظم أمر أبي علي مشرف الدولة ابن بهاء الدولة ثم ملك العراق وأزال عنه أخاه سلطان الدولة . وفى سنة ٤١٥ ﻫ توفى سلطان الدولة بشيراز وتولى بعده ابنه أبو كاليجار . وفى سنة ٤١٦ ﻫ توفى مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وملكه خمس سنين وخمسة وعشرين يوما . وخطب ببغداد لاخيه أبي طاهر جلال الدولة . وفى سنة ٤٢٢ ﻫ فى ذي الحجة توفى الامام القادر بالله وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته احدى وأربعون سنة . وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك فلما وليها ألقى الله هيبته في قلوب الخلق فاطاعوه أحسن طاعة . وكان حليما كريما ديناً وكان يخرج من داره فى زي العامة ويزور قبور الصالحين

٥٢ — خلافة القائم بأمر الله بن القادر بالله

من سنة ٤٢٢ — ٤٦٧ ﻫ أو من ١٠٣١ — ١٠٧٤ م

لما مات القادر بالله جلس في الخلافة ابنه القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله وجددت له البيعة وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة ٤٢١ ﻫ . وفي هذه السنة (٤٢٢ ﻫ) حصلت فتنة ببغداد بسبب انقطاع رواتب العمال لاستبداد القواد بالمال فهاجت العساكر حتى خاف جلال الدولة على نفسه وهرب الى عكبرا . وخطب الاتراك ببغداد للملك أبي كاليجار وراسلوه يسألونه القدوم الى بغداد فاستشار أحد وزرائه فنهاه عن ذلك . فلما علموا امتناعه أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا اليه وسألوه العود الى بغداد واعتذروا له عما كان منهم فعاد اليها بعد ثلاثة وأربعين يوما . واختل أمر الخلافة والسلطنة معا ببغداد حتى أن بعض الجند خرجوا في سنة ٤٢٦ ﻫ الى قرية يحيى فلقيهم أكراد فاخذوا

دوابهم وساروا الى قراح الخليفة القائم بأمر الله فنهبوا شيئاً من ثمرته وقالوا للعاملين فيه أنتم علمتم حال الاكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الاكراد لعجزه ووهنه. واجتهد في تسليم الجند لنائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة الى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه والى الفقهاء بترك الفتوى. فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل اولئك الجنود ليجيبوا أن يحملهم الى ديوان الخلافة ففعلوا فلما وصلوا الى دار الخلافة أطلقوا. وكثرت اللصوصية ببغداد الى حد خشي معه السكن فيها اعجز السلطان عن قهرهم وانتشر العرب في البلاد فنهبوا نواحي وقطعوا الطريق و بلغوا الى اطراف بغداد حتى وصلوا الى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء في المقابر. وفي سنة ٤٢٩ ﻫ لقب جلال الدولة بملك الملوك وصار يخاطب بهذا اللقب السامي. وفي سنة ٤٣٤ ﻫ وقعت الوحشة بين الخليفة القائم بأمر الله والملك جلال الدولة لأخذ الاخير اموالاً كانت مقررة للخلفاء من ذي قبل ولم يشأ ردّها. وفي سنة ٤٣٥ ﻫ توفي الملك جلال الدولة في بغداد في سادس شعبان من هذه السنة وكانت مدة ملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً. وتولى بعده أبو كاليجار ولقبه الخليفة بمحيي الدين. وفي أيامه قويت شوكة السلجوقيين الذين كانوا قد ظهروا من مدة وامتلكوا خراسان وجرجان وكرمان فخافهم الملك أبوكاليجار فارسل في سنة ٤٣٩ ﻫ الى السلطان ركن الدين طغرلبك السلجوقي في الصلح فأجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى أخيه يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما ان يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الامير منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة وفي سنة ٤٤٠ ﻫ توفي الملك أبو كاليجار المرزبان ابن سلطان الدولة رابع جمادي الاولى وكانت مدة ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفاً وعشرين يوما. وكانت وفاته بمدينة جناب من كرمان التي كان قصدها لفتحها. فلما بلغ خبر وفاته الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر أحضر الجند واستحلفهم له. وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة له وتلقيبه الملك الرحيم وترددت الرسائل بينهم فاجابه الخليفة الى ما طلب ما عدا الملك الرحيم فان الخليفة امتنع من

اجابته . . وقال لايجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى فاستقر ملكه بالعراق والبصرة وخوزستان . وفي سنة ٤٤١ هـ ملك البساسيري الانبار ودخلها أصحابه . وفي سنة ٤٤٢ هـ ملك السلطان طغرلبك أصفهان . وفي ٤٤٦ هـ استولى طغرلبك على اذر بيجان وفي سنة ٤٤٧ هـ وصل طغرلبك الى بغداد وخطب له . وبامتلاكه بغداد زال ملك بني بويه بعد أن ملك الملك الرحيم آخرهم ست سنين وعشرة أيام . وفي سنة ٤٤٨ هـ زفت ارسلان خاتون واسمها خديجه ابنة داود أخي طغرلبك الى الخليفة القائم بأمر الله . وفي سنة ٤٥٠ هـ سار البساسيري أحد عمال المستنصر بالله خليفة مصر الى بغداد فدخلها وخطب في جوامعها للمستنصر وابعد الخليفة القائم عن بغداد وكان طغرلبك مشتغلا بقتال أخيه ابراهيم نيال فلما قتل أخاه واستراح منه عاد الى العراق لرد الخليفة القائم الى مقره وارسل الى البساسيري يقول له رد الخليفة الى مكانه وأنا أرضى منك بالخطبة فلم يجب البساسيري فسار به طغرلبك وظفر به وقتله . وفي سنة ٤٥١ هـ ورد الخليفة القائم بأمر الله وخرج طغرلبك لملاقاته واجتمع به واعتذر عن تأخره بعصيان أخيه وصحبه الى داره بكل تجلة حتى أخذ بلجام بغلة الخليفة الى أن صار على باب حجرته

وفي سنة ٤٦٣ هـ خرج رومانوس ملك الروم في مائة الف ووافى في تجمل كثير وزي عظيم فوصل الى ملاذكرد من أعمال خلاط . وكان السلطان الب ارسلان بمدينة خونج من اذر بيجان فسار اليه في خمسة عشر الف فارس اذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو . فجد في السير فلما قرب العسكران أرسل السلطان الى رومانوس الملك يطلب منه المهادنة . فقال . لا أهادن الا بالري فانزعج السلطان لذلك . فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال صلى وبكى فبكى الناس لبكائه . وقال لهم . من أراد الانصراف فلينصرف فما هنا سلطان يأمر وينهي والقى القوس والنشاب . وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط . ثم قال ان قتلت فهذا كفني . وزحف الى الروم وزحف الروم اليه والتقى الفريقان واشتد القتال فصبر الشجاع وهرب الجبان وما زالا في أخذ ورد حتى انهزم عسكر الروم وأسر الملك رومانوس أسره بعض المماليك اسمه شادي . وكان قد حضر عنده مع رسول

فعرفه فلما رآه نزل وسجد له وقصد به السلطان . فضربه ثلاث مقارع بيده وقال له . الم أرسل اليك في المهادنة فأبيت . فقال . دعني من التوبيخ وافعل ما تريد . فقال السلطان . ما عزمت ان تفعل بي ان أسرتني . فقال القبيح . قال له . فما تظن اني أفعل بك قال . اما تقتلني واما أن تشهرني في بلادك والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائبا عنك . قال . ما عزمت على غير هذا . ففداه بألف ألف دينار وان يطلق كل أسير عنده من المسلمين واستقر على ذلك واجلسه معه على سريره وأنزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها وأطلق جماعة من البطارقة وخلع عليه وعليهم وسير معه عسكراً يوصلونه الى مأمنه وشيعه فرسخاً . أما الروم فلما بلغهم خبر الواقعة وثب ميخائيل (السابع) على المملكة فملك البلاد . فلما وصل رومانوس الى قلعة دوقية وبلغه الخبر لبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه بما تقرر مع السلطان . وجمع رومانوس ما عنده من المال فكان مائتي الف دينار فأرسله الى السلطان وحلف له انه لايقدر على غير ذلك . وفي أول سنة ٤٦٥ هـ قصد السلطان الب ارسلان محمد ابن داود جغري بك ما وراء النهر فعقد على جيحون جسراً وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمي وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم أن يضرب له أربعة أوتاد ويشد أطرافه اليها . فقال يوسف . يامخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان واخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه خلياه . ورماه السلطان بسهم فأخطأه فوثب يوسف يريده . فقام السلطان عن السرير ونزل عنه فعثر فوقع على وجهه . فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته . ونهض السلطان فدخل في خيمة أخرى . وضرب بعض الفراشين يوسف بمرذبة على رأسه فقتله . ولما جرح السلطان قال . ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي « أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد عليّ فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا استغفر الله تعالى » وتوفي عاشر ربيع الاول من هذه السنة بعد ان أوصى بالسلطنة من بعده لابنه ملك شاه . وكان عمره أربعين سنة وشهوراً ومدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة

الى أن قتل تسع سنين وستة أشهر فلك بعده ابنه ملكشاه كوصية أبيه وكان موجوداً فى عسكر أبيه فخلف له جميع القواد والعساكر بالسمع والطاعة . فسار ملك شاه منها مقاصد أبيه في الغزو والفتح فوصل الري . ثم سمع قاروت بك أخو السلطان الب أرسلان بموته فسار الى الري قاصداً الاستيلاء على ممالكه فكان ملك شاه سبقه اليها كما تقدم فدارت رحى الحرب بينهما فانهزم قاروت بك وأصحابه واستتب الامر للسلطان ملك شاه ثم سار الى ترمز وحصرها وطم عسكره خندقها ورماها بالمنجنيق فخاف من بها وطلبوا الامان فأمنهم . ودخل المدينة وأمر بعمارتها وتحصينها . وسار السلطان ملك شاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وأرسل يطلب المصالحة فأجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملك شاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

وفي سنة ٤٦٦ هـ زادت الدجلة زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء فى الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة فغرق الجانب الشرقي من بغداد وهلك خلق كثير تحت الهدم . وفي سنة ٤٦٧ هـ ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بأمر الله . ولما أيقن بالموت أحضر النقيبين وقاضي القضاة والوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ولي عهده . وكان عمر القائم ستا وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخلافته أربعا وأربعين سنة وتسعة أشهر

٥٢ — خلافة المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم

من سنة ٤٦٧ — ٤٧١ هـ أو من سنة ١٠٧٤ — ١٠٩٤ م

لما توفي القائم بامر الله اجتمع العلماء والاعيان وبايعوا عبد الله بن محمد بن القائم . ولقب المقتدي بامر الله وأول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشد :

اذا سيد منا مضى قام سيد

ثم ارتج عليه فقال المقتدي : قؤول لما قال الكرام فعول

وفي سنة ٤٦٨ هـ أرسل تاج الدولة تتش بن الب أرسلان أحد قواده المدعو اقسيس (بعد ان فتح الرملة و بيت المقدس وكانتا في يد العلويين أصحاب مصر) الى دمشق فحاصرها فغلت الاسعار فبيعت الغرارة باكثر من عشرين دينار فسلموها بالامان وخطب فيها للمقتدي العباسي وكان ذلك آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين . وفي أول سنة ٤٧٢ هـ سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطان شاه بن قاروت بك (وهو ابن عم السلطان) بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة و بالغ في خدمته فاقره السلطان على بلاده وعاد عنه الى اصبهان . وفي سنة ٤٧٣ هـ عصي تكش على أخيه السلطان ملك شاه وانضم اليه سبعة آلاف رجل من أصحاب ملكشاه كان طردهم من خدمته فقوي أمره بهم واستولى على مرو وترمذ وطمع في جميع خراسان فلما سمع ملكشاه خبره أسرع اليه فدخل نيسابور قبل ان يستولي تكش عليها . ولما بلغ تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ فسار اليه السلطان وحاصره بها وشدد عليه الحصار حتى طاب الامان فأمنه وسار عن ترمذ . وفي سنة ٤٧٤ هـ زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة المقتدي بالله بعد ان اشترطوا عليه شروطا قبلها . منها أن لايكون له زوجة ولا سرية غيرها . وفى سنة ٤٧٨ هـ وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام لاستخلاص دمشق فحاصرها و بها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشيء فرحل عنها عائداً الى مصر . وفي سنة ٤٧٩ هـ عاد السلطان ملك شاه الى بغداد بعد ان فتح كثيراً من مدن الجزيرة والشام وأرسل هدايا كثيرة للخليفة فقبلها . وكذلك أرسل اليه نظام الملك وزير ملك شاه بهدايا فقبلها أيضا . وفي سنة ٤٨٢ هـ سار السلطان ملك شاه الى ما وراء النهر و بلغ سمرقند وافتتحها بعد ان فتح كثيراً من المدن غيرها ثم رجع الى بغداد فدخلها في سنة ٤٨٤ هـ . وفي سنة ٤٨٥ قتل نظام الملك وزير السلطان ملك شاه بايعازه وكان عاقلاً حازماً مدبراً للامور لايخلو مجلسه من العلماء وأهل الخير والصلاح . فلما قتل رثاه كثير من الشعراء . فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

فولى السلطان الوزارة لتاج الدولة . وفي هذه السنة نفسها مات السلطان ملك شاه وكان سبب وفاته أنه خرج لصيد وعاد ثالث شوال مريضا لانه اكل لحم صيد فحم فافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل في مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال . وسترت زوجته تركان خاتون موته وكتمته وسارت من بغداد والسلطان معها محمولاً . و بذلت الاموال للامراء واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الدولة وزيرها يتولى ذلك وأرسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة فاجابها وخطب لمحمود وعمره أربع سنين ولقب « ناصر الدنيا والدين » وسارت تركان خاتون من بغداد الى أصفهان وبها بركيارق وهو أكبر أولاد السلطان . فخرج منها هو ومن معه من الامراء وساروا نحو الري . فسيرت تركان خاتون العساكر لقتال بركيارق فانحاز جماعة منهم الى بركيارق فقوي بهم وعاد الى أصفهان وحاصرها . وكان تاج الدولة مع عسكر خاتون فأخذ وحمل الى بركيارق فهجم النظامية عليه وقتلوه . وفي سنة ٤٨٦ هـ قدم بركيارق الى بغداد وخطب له بها بالسلطنة ولقب ركن الدولة . وفي خامس عشر محرم من هذه السنة توفي الامام المقتدي بامر الله فجاءة وقد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه . فقرأه وتدبره وعلم . ثم قدم طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار . فقال لها . ما هذه الاشخاص التي دخلت عليَّ بغير اذن . (قالت) فالتفت فلم ار شيئاً ورأيته قد تغيرت حالته وانحلت قوته وسقط الى الارض ميتا وقالت الجارية عندي ان صحت قتلتك واحضرت الوزير فاعلمته الحال . فشرعوا في البيعة لولي العهد وجهزوا المقتدي ودفنوه . وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر

٥٣ - خلافة المستظهر بالله بن المقتدي

من سنة ٤٨٧ — ٥١٥ هـ أو من سنة ١٠٩٤ — ١١١٨ م

لما توفي المقتدي بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد وبويع له . ولقب المستظهر بالله . وفي هذه السنة كانت الحرب بين السلطان بركيارق وعمه تتش والسبب في ذلك ان تتش بن الب أرسلان صاحب دمشق الشام لما بلغه خبر موت السلطان ملك شاه طمع في السلطنة فجمع العساكر واستولى على هيت والموصل وديار بكر واذربيجان . فلما بلغ السلطان بركيارق استيلاء تتش على اذربيجان وكان في ذلك الوقت بنصيبين سار هو من نصيبين وعبر دجلة وما زال سائراً حتى لم يبق بينه و بين عمه الا تسعة فراسخ ولم يكن معه الا الف رجل وكان عمه في خمسين الف رجل وارسل اليه عمه أحد قواده فحاربه السلطان بركيارق فانهزم السلطان بركيارق وفر هاربا مع ثلاثة من كبار قواده الى أصبهان وكانت لاخيه محمود فمنعه من الدخول اليها ثم صرح له بالدخول بعد ذلك خديعة منه ليقتله فدخل الملك بركيارق أصبهان ووضع تحت الحفظ . ومن غريب الاتفاق ان أخاه السلطان محموداً مرض بعد قليل ثم مات فاستحسن أهل أصبهان أن لايملك عليهم أحد غريب فملكوا عليهم بركيارق . فكان هذا من الفرج بعد الشدة ثم كاتب الامراء والعراقيين والخراسانيين فاستمالهم اليه فقوي حزبه وكثر عسكره بعد ان كان مطروداً . فلما سمع تتش بملك بركيارق لاصبهان أرسل اليه أحد الامراء ليتجسس أحواله فجاء الامير وأخبر بركيارق عزم تتش فجمع بركيارق ما قدر على جمعه من العساكر وسار بهم الى عمه تتش . وانضم اليه في اثناء سيره جموع كثيرة من أماكن متعددة حتى بلغ عسكره ثلاثين الفا فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو حتى قتل . واستتب الامر بعد مقتل تتش للسلطان بركيارق . واذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش و يرحل الى أصبهان في نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو أرسل وراءه تتش عشرين فارسا لامكنهم أسره لانه بقي على ابواب أصبهان أياما . ثم لما دخلها أراد به أخوه وامراؤه شراً فمات أخوه وملك هو بعده و بقي مدة بعد

ملكه يجتهد في جذب الاحزاب اليه فلو زحف اليه عمه تتش في هذه المدة من المؤكد أنه كان ينتصر عليه لقلة جموعه وكثرة من مع تتش فلله درّ من قال

ولله سر في علاك وانما كلام العدا ضرب من الهذيان

وفي سنة ٤٨٩ هـ حكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح . فاحضر الخليفة ابن عيسون المنجم فسأله فقال . ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والان فقد اجتمع ستة منها وليس فيها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة أو بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون . فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد . فاحكمت المسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار فاتفق ان الحجاج نزلوا في وادي المناقب فاتاهم سيل عظيم فاغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد فخلع الخليفة على المنجم . وفي سنة ٤٩٠ هـ جهز السلطان بركيارق العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون . وفي أثناء مسيرهم اليه قتل أرسلان وكان قد قتله أحد غلمانه فقيل له . لم فعلت هذا . قال لاريح الناس من ظلمه . فلما وصل الملك سنجر ومن معه الى الدامغان بلغهم قتل عمه أرسلان أرغون فانتظروا حتى لحقهم السلطان بركيارق الى نيسابور فملكها بغير قتال، وكذلك باقي البلاد الخراسانية فاقر السلطان بركيارق اخاه الملك سنجر عليها . وفي سنة ٤٩١ هـ وصلت جموع الصليبيين الى بلاد المسلمين واستخلصوا منهم كثيراً من البلاد ونظراً لما لهذه الحروب المسماة الحروب الصليبية من الاهمية في تاريخ الاسلام فساذكر السبب فيها والاستعداد باوربا لاجلها وما كان منها الى أن استولى الصليبيون على الشام وصار منهم ملك عليه مقره بيت المقدس وكل ذلك ينحصر في عمل التجريدة الاولى والثانية الصليبية . وأما تغلب المسلمين على الصليبيين واسترجاعهم البلاد منهم الى آخر الحروب الصليبية فستذكر ان شاء الله في ذكر الدولة الايوبية لانها هي التي تولت هذا الامر بقيادة بطلها الشهير الملك صلاح الدين يوسف ابن أيوب

٥٤ - الحروب الصليبية

(التجريدة الاولى) سبب هذه الحروب المهلكة هي التعصبات الدينية العميا فلو اقتدى المسلمون في ذاك العصر الذي نحن بصدده بابي بكر الصديق في الرفق بالنصارى كما أوصى غزاته الاولين أو بعمر بن الخطاب اذ لم يشاء ان يصلي في كنيسة القدس لئلا يقول المسلمون بعده هنا صلى عمر . أو لو تركوا النصارى وما يدينون كما أمروا لنجا المسلمون والنصارى من غوائل الحروب التي خربت بلاد الشام مدة قرنين . ولكن قام في مصر الخلفاء العلويون ونازعوا الخلفاء العباسيين الولاية على سورية وأذاقوا النصارى الامرين بعد ان كانوا يترفون بعدالة هرون الرشيد وأولاده واحفاده . وقام من العلويين الحاكم بامر الله (تجد ترجمة حياته في ذكر الدولة الفاطمية فصل ١٥٤) فعذب النصارى واليهود و بعض المسلمين أيضا ودك معابدهم حتى أحرق كنيسة قبر المسيح . ومنعوا النصارى من ان يحجوا الى القدس الا اذا دفعوا ضريبة فاحشة . وكان النصارى في ذلك الوقت متمسكين بالتقليدات الباباوية تمسكا أعمى حتى كان الشخص يعتقد انه ان لم يحج الى بيت المقدس لايدخل السماء . فدعتهم فروضهم الدينية ان يهتموا بامر بيت المقدس حتى يمكنهم ان يحجوا اليه بلا مانع يمنعهم في أي وقت شاؤا . ولما ظهرت الدولة السلجوقية وقوي أمرها ضايقوا ملك الروم الكسيس كومنانس وانتزعوا أكثر أملاكه وأوشكوا أن يحصروه في قسطنطينية عاصمة ملكه فلجا الى ملوك أوربا وأوفد اليهم وفوداً يستجير بهم و يبالغ في مضايقة المسلمين له وفي احتقارهم الدين المسيحي وسطوهم على الكنائس والاديار و يسألهم الاخذ بناصره والانتصار لدينهم واستنقاذ قبر المخلص من أيديهم و يزين لهم كسب مافي المشرق من الكنوز والذخائر المقدسة والآثار الجليلة

وفي ذلك الوقت ظهر رجل يقال له بطرس الناسك كان متزوجاً وذا أولاد ولكن لاسباب لايعلمها الا الله ترك عائلته وترهب وانفرد سائحاً متنسكا و بعد مدة التصق ببعض الزوار الذين كانوا ذاهبين لزيارة الاراضي المقدسة في فلسطين فزار مدينة أورشليم (القدس) واقام فيها أياماً وزار سمعان بطريرك هذه المدينة وحدثه سائلا اياه عن حالهم فنم اليه البطريرك مايقاسون خاصة من مغالبة المسلمين

على مدينتهم فسأله بطرس . أليس من علاج لهذه الشؤون . فقال البطريرك . آثامنا أبعدت بيننا وبين الهنا فلا يستجيب دعاءنا وكان عقابنا لم يكمل بعد . فاشار عليه السائح أن يرفع رسائل الى الحبر الروماني وأمراء النصارى في المغرب وهو يوصل رسائله اليهم و يصنع مايقدره الله عليه لاجابة سؤاله فراق هذا الكلام للبطريرك وكتب رسائله ودفعها الى بطرس السائح . فأتى رومية ودفع رسالة البطريرك الى البابا أوربانس الثاني فأجله وأبدى ارتياحه الى مساعدة نصارى المشرق . ومضى بطرس السائح يطوي الفيافي بايطاليا وفرنسا حافي القدمين مكشوف الرأس حاملا صليبا مغريا الكبراء والعامة أيضا على نجدة نصارى المشرق. أما الحبر الروماني فعقد مجمعا في بلاسنس بنرمندية اجتمع فيه مئتا أسقف ونحو أربعة آلاف اكليركي وأكثر من ثلاثين الفا من العامة وكان من ضمن الحضور وفود الكسيس ملك الروم فتضرعوا الى الحبر الروماني وأمراء المغرب أن يعدوا ملكهم وينجدوه على اعدائه حبا بخير الكنيسة والدين الذي كاد يتلاشى في المشرق فحث البابا المؤمنين على أن يمدوا ملك الروم . فاقسم كثيرون من الحاضرين أن يسيروا الى القسطنطينية لامداد الملك وعزم الحبر الروماني ان يسير الى فرنسا ويعقد فيها مجمعا فسار اليها بحراً واستدعى الاساقفة الى الاجتماع في كلرمون باوفرينا في الثامن عشر من اكتوبر سنة ١٠٩٥ م فاجتمعوا في اليوم المعين واجتمع بها معهم حشد من الناس يشذ عن العد من الامراء والسفراء والوجهاء والعامة حتى ضاقت بهم المدينة وضواحيها وبعد أن بحث المجمع في كثير من المسائل الدينية والتهذيبية وقررها . عقد المجلس العاشر في ساحة فسيحة في المدينة . فقام بطرس السائح (أو هو الناسك) وخطب في الجماعة خطبة حماسية رنانة وكان فصيحا بليغا شديد الحجة فكان لخطبته وقع شديد في قلوب سامعيه حتى كادوا يحاولون أن يسيروا من كلرمون الى أورشليم . وخطب بعده البابا «أوربانس الثاني» وكان افرنسي المولد فحض أبناء وطنه والمسيحيين أجمع على استنقاذ الارض المقدسة بفصاحة غريبة حتى نهض السامعون أجمعون وضجوا صارخين بفم واحد (ان الله يريد ذلك . ان الله يريد ذلك) فقال البابا فليكن هذا الكلام شعاراً لكم في كل عمل صالح تأتونه وللحال عزم أكثر السامعين على المسير الى المشرق . وكان أويمر (أسقف بوي) أول من أخذ

من يد البابا الصليب « شعار الصليبيين في حملاتهم الى المشرق » . ولاجل تنشيط المسيحيين عامة في أوربا وترغيبهم في الذهاب الى المشرق أشهر البابا المذكور لكل من يتجند في هـذا العمل المبرور (حسب زعمه) انعامات خصوصـية . وكان انعام الاول ابطال التاديبات القصاصـية المفروضـة بقوانين ثقيلة على الخطاة الذين بذهابهم الى بلاد فلسطين كانوا يعفون عن ثقل وصرامة قوانين التوبة التي كانو ملتزمين بممارستها . الانعام الثاني ان المحاربين الصليبيين يعفون من دفع الفوائد . الانعام الثالث . ان كل من يصدر منه اغتصابات غـير عادلة نحو الصليبيين يكون تحت الحرم الكبير (الاناثيما) . الانعام الرابع ان جميع الصليبيين وأفراد عيالهم مع كل نوع من أرزاقهم وأمتعتهم يكونوا تحت حماية الكنيسة الجامعة والرسولين بطرس وبولس

فلما أخذ الاسقف أو عز الصليب من البابا تبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هـذه الاشارة على أسلحتهم وأمتعتهم وراياتهم وبنودهم فسموا لهذا السبب « الصليبيين » وحروبهم " دعيت « الحـروب الصليبية » فعند ذلك ارتحلوا (أثناء سـنة ١٠٩٦م) طالبين القسطنطينية وكانوا أجناسا عديدة وفرقا كثيرة من الايطاليانيين والفرنساويين والنمساوين وغـيرهم من سكان أوروبا . وكان بطرس الناسك المتقدم ذكره وهو متوشح بثوبه الرهباني قائداً للفرقة الاولى فسار بهـم عن طريق المانيا وهو نكاريا و بلغاريا فكانوا ينهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب عليهم الاهالي وقتلوا منهم عدداً كبيراً وبعد أن قاسوا أهوالاً شديدة انتهوا الى القسطنطينية فاذن لهـم ملكها الكسيس أن يقيموا في المدينة الى أن يحضر رفقاؤهم . وقد أصاب الفرقة الثانيـة ما أصاب الفرقة الاولى في الطريق وقتل منها عدد وافر بسبب تعدياتهم ولكنهم وصلوا أخيراً الى القسطنطينية وانضموا مع البقية فكان عـدد من سلم منهم مائة الف مقاتل فنقلهم الملك الكسيس في مراكبه الى سواحل أسـيا ولما انتهوا اليها التقتهم عساكر المسلمين في نواحي نيقية (وكان أميرها حينئذ قلج ارسلان سلطان قونية من السلجوقيين) فهاجمت جيوش الصليبيين المدينة مرات عديدة بلا جدوى لان المدينة كانت حصينة جداً فرجعوا عنها خاسرين بعـد أن قتل

منهم المسلمون خلقاً كثيراً فهكذا كانت نهاية الواقعة الاولى

أما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه المعركة يشتكي من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم الى رؤسائهم ولكن لما بلغته هذه الأخبار المحزنة أقسم بان لايرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حر با صليبية ثانية . وفي هذه الاثناء وصلت الى القسطنطينية جيوش الصليبيين النظامية بقيادة غود فروا دوك برابانت وبوليون وروبرتس دوك نرمندية وروبرتس كنت فلاندرا وبيومند أمير تريدتو ورعوند كونت تولوز وغيرهم من القواد العظام . فاجتازوا الى شواطىء أسيا وعند وصولهم نيقية التقتهم جيوش المسلمين بقيادة قولج أرسلان وكان قد علم بقدوم النصارى الى بلاده فجمع ستين الف فارس نجدة للعساكر الموجودة في نيقية . . فتأججت نار الوغى بينه و بين الافرنج من الفجر الى المساء فانكسر وتشتت شمله وقتل من عسكره كثيرون فدخل الافرنج المدينة . وفي ٢٥ يونيه من سنة ١٠٩٧ م سار الافرنج بجيوشهم من نيقية منقسمين الى عسكرين أحدهما بامرة بيومند والآخر بامرة غودفروا . وبينما عسكر بيومند على مقربة من دوريلا (المعروفة الآن باسكي شهر) وثب عليهم في غرة شهر يوليه قلج أرسلان سلطان قونية السلجوقي بجيش جرار لاينقص عن ثلثمائة الف رجل واستعرت نار الحرب بين الفريقين من الصباح وانتهى جنود السلطان في احدى كراتهم الى معسكر الافرنج فقتلوا النساء والاطفال والشيوخ والمرضى واتصلوا الى أن أحاطوا بالافرنج من كل جهة وسدوا عليهم باب الهرب وكاد اليأس يستحوذ عليهم فاذا طلايع العسكر الآخر الذي بأمرة غودفروا مشرفة عليهم من أعلى جبل قريب منهم فانتعشت قلوب اخوانهم وارتاع أعداؤهم وانكشفوا مرتدين فتتبع الافرنج خطاهم يقتلون منهم فتحصن السلطان قلج في قمة جبل . فاحدق الافرنج بالجبل وضيقوا عليه فانهزم السلطان قلج وهرب مخربا كل البلاد التي رأى أنه لا يستطيع الدفاع عنها . وفي ٣ يوليه سار الافرنج جيشا واحداً مفكرين أن سيرهم معا يقيهم الغدر ولكنهم عرضوا نفوسهم للهلاك جوعا حال مرورهم بالبلاد التي أخربها قلج أرسلان فاصابتهم مجاعة شديدة الجاتهم الى الاقتيات بحب الاشجار وأصول النبات فهلك منهم جمع كثير حتى وصلوا الى مرعش بشق الانفس .

ومنها ساروا الى انطاكية وبها باغي سنان من قبل الدولة السلجوقية فحاصرت جيوش الصليبيين المدينة ثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر ودافع باغي سنان عنها دفاعا حسناً خلد له ذكراً حميداً . وقاست الافرنج العذابات الشديدة في أثناء حصار انطاكية لتوالي المجاعات وفتك الاوبئة والامراض بهم ولولم يخن أحد قواد المسلمين بمدينة انطاكية لما قدر الافرنج على فتحها لانهم رأوا عجزهم عنها بالقتال فاستعملوا الحيلة فاغروا أحد قواد المسلمين بانطاكية ليريهم عورة المدينة وبذلوا له مالا كثيراً فاراهم عورة في المدينة دخلوها منها وهرب باغي سنان فلحق بعضهم به وقتلوه . فلما دخل الافرنج انطاكية عكفوا على الملذات النفسانية والشهوات الجسدانية غير مبالين بعقاب الله تعالى فضعفت عزيمتهم كثيراً وزادت كراهتهم للقتال . فلما علم كربوغا صاحب الموصل بفتح الافرنج لانطاكية جمع عسكره وسار الى الشام وأقام بمرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تتش بن ارسلان صاحب دمشق وطغتكين أتابك وصاحب حمص جناح الدولة وغيرهم من الامراء والقواد وكان بعضهم قد استقل بولايته عن الدولة السلجوقية وساروا جميعاً حتى نازلوا انطاكية وحاصروا الافرنج بها بعد أن ملكوها اثنى عشر يوما فعظم خوفهم ولم يكن لهم ما يأكلون لان حصارهم كان بغتة فلم يكن لهم وقت يجمعون فيه الاقوات فأكلوا الحمير والخيل والبغال حتى الجلود العتيقة أيضا وكان عند الدوك غود فروا قليل من المؤن وزعه على الآخرين ولما نفذ مالديه لم يبق له الا أن يعزيهم و يشجعهم بكلامه . ففر بعضهم وأسلم بعضهم طلباً للقوت فأستحوز اليأس والقنوط على الافرنج بانطاكية حتى أوشكوا أن يكفروا به تعالى فظهر بينهم من يدعي انه رأى رؤيا سماوية تفسيرها انهم سينتصروا على أعدائهم تشجيعا لهم وقال بعضهم انهم في هذه الاثناء وجدوا بانطاكية الحربة التي طعن بها جنب الخلاص فكانت علما لهم فتقوّت قلوبهم نوعا وتشجعوا قليلا وأرسلوا بطرس السائح الى كربوغا يطلبون منه الانصراف عن المدينة والا فالسيف بينهم . فاغتاظ كربوغا لهذه الجسارة وقال له . قل لاصحابك أن يسرعوا باغتنام عفوي والا أخرجتكم بالسيف من انطاكية . فرجع بطرس و بلغ الافرنج بانطاكية ماقاله له كربوغا فاستعدوا للقتال وخرجوا في اثنى عشر صفا وفي مقدمتهم ريموند حاملاً الحربة فساروا الهوينا فلما رآهم كربوغا ظن أنهم خرجوا

طالبين الفرار ولكنه ما لبث حتى رآهم هاجمين هجوم المستميتين ولم تكن الا ساعة حتى انهزم جيش المسلمين شر هزيمة وفر كربوغا في مقدمة الهاربين . فارهب هذا الانتصار قلوب المسلمين حتى كانوا يأتون مصالحين وتنصر بعضهم خوفا من سطوة الصليبيين . ومكث الافرنج بانطاكيه يرسلون سراياهم للاغارة على البلاد المجاورة ريثما يأتي فصل الربيع فيذهبون لاخذ أورشليم التي هي جل مقاصدهم . فاستولوا في مناوشاتهم هذه على معرة النعمان وعرقا وصالحهم في أثناء ذلك منقذ صاحب شيزر وجناح الدولة صاحب حلب . وفي هذه الاثناء بلغ جيش الفاطميين المصريين أسوار أورشليم و بعد قليل استولى على المدينة واستخلصها من أيدي السلجوقيين . و بعد استيلاء خليفة مصر الفاطمي على بيت المقدس أرسل وفداً الى الافرنج بانطاكية يبلغهم انه استولى على اورشليم وان أبوابها مفتوحة لكل الحجاج الذين لاسلاح لهم . فلم يجب الافرنج وفد الفاطمي بشيء الا باسراعهم بالمسير الى أورشليم لاستخلاصها منهم . فوصلوها وحاصروها . ولما علم المسلمون بقدوم الافرنج الى بيت المقدس هاجوا وماجوا وأرغوا وأزبدوا ولكن بالأسف لم يكن هياجهم ليضر بالافرنج بل اقتصروا على سفك دماء المسيحيين السوريين الذين لاسلاح لهم يحميهم واحراق كنائسهم والتنكيل بهم تنكيلا شنيعا . وشدد الافرنج الحصار على أورشليم ونصبوا على المدينة برجين أحدهما من ناحية صهيون والآخر من ناحية الشمال فاحرق المسلمون البرج الاول وقتلوا كل من به فأتاهم المستغيث بأن الافرنج دخلوا المدينة من جهة الشمال فخارت عزائمهم ولبث الافرنج يقتلون المسلمين في المدينة أسبوعا فاحتمى كثير منهم بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الافرنج الامان فسلموا لهم . وغنم الافرنج غنائم جمة وكان فتح بيت المقدس سنة ٤٩٢ ه اوسنة ١٠٩٩ م . وسار المنهزمون من الشام الى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهراوي واجتمعوا بالخليفة فذكروا بالديوان حالتهم بكلام أبكى العيون وأوجع القلوب . وقاموا بالجامع فاستغاثوا و بكوا واشدة ما أصابهم أفطروا في رمضان . فامر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وغيرهم الى السلاطين السلجوقية يستمدونهم . ولكن هؤلاء السلاطين كانوا منشغلين عن ذلك بقتال بعضهم بعضا فيحارب الاخ أخاه والاب

ابنه حتى تمكن الافرنج من البلاد . وقال في ذلك المظفر الابيوردي أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام أضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى ... تواري حياء حسنها بالمعاصم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى ... وتغضي على ذل كماة الاعاجم
فليتهم اذ لم يذودوا حمية ... عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وبعد عشرة أيام من ملك الافرنج أورشليم تفاوضوا بينهم فيمن يملكونه على فتوحاتهم في فلسطين فوقع اختيارهم على غودفروا دوك لوران فملكوه عليهم فجعل أورشليم عاصمة مملكته . ولما سمع المصريون بما تم على أورشليم جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وسار الى عسقلان سنة ٤٩٢ هـ وأرسل الى الافرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويهددهم فكان جوابهم لرسوله اسراعهم بالمسير للمصريين بعسقلان فوافوهم ولم يكن عند المصريين خبر قدومهم ولم يكونوا على أهبة القتال فلما رأوا الافرنج اقتربوا منهم نادوا الى ركوب خيلهم ولبسوا أسلحتهم ولكن الافرنج لم يمهلوهم حتى يتمموا استعدادهم فاعجلوهم وشتتوهم شذر مذر فمضى المنهزمون واستتروا بشجر الجميز فاحرقه عليهم الافرنج فهلك كثير منهم وفر الافضل بمن بقي معه الى مصر وحاصر الافرنج عسقلان فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر الف دينار وقيل عشرين الفا . وأظهر الافرنج في هذه المعركة شجاعة عجيبة حتى أن أمير الرملة المسلم دهش من حمية الافرنج وباح بدهشته للملك غودفروا وأقسم على انه يتنصر حبا بهذا الدين الذي يولي مثل الشجاعة . ولما استتب الامر للافرنج رجع كثير منهم الى بلادهم وابتدأ غودفروا بتوسيع حدود مملكته فاستولى على طبرية وغيرها . وما زال ملكا حازما عاقلا حتى توفي في ١٧ يوليه سنة ١١٠٠ م فخلفه أخوه بودوين الاول الذي كان واليا على أورفا وفي أيامه اتسعت مملكة سورية الافرنجية حتى صارت حدود مملكتهم شمالا الاسكندرونة . وجنوبا ديار مصر ولم يبق مع المسلمين سوى حمص وحماة

ودمشق وحلب مع بعض القرى الحقيرة وحكم بودوين ببسالة ونشاط الى أن أدركته الوفاة سنة ١١١٨ م فخلفه ابن عمه بودوين الثاني الذي كان واليا على ولاية أورفا في زمن بودوين الاول . والآن نقف لهذا الحد لنعود لذكر ما كان من الاحداث في أيام خلافة المستظهر وسنذكر ان شاء الله باقي حوادث الصليبيين وما كان منهم الى آخر التجريدة الثانية في ذكر أيام الخلفاء الذين حصلت في أيامهم تلك الحوادث كل ما حصل في أيامه

(عود) وفي سنة ٤٩٣ ه جرى حرب بين السلطان بركيارق وبين أخيه السلطان محمد وانهزم بركيارق وتنقل في البلاد الى أصفهان ولم يدخلها وسار الى خوزستان وخطب للسلطان محمد ببغداد . وفي سنة ٤٩٤ ه كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق وأخيه السلطان محمد وكان مع بركيارق خمسون الفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر الفا فالتقوا واقتتلوا فانهزم السلطان محمد وسار طالبا خراسان الى أخيه الملك سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وأتاه الملك سنجر في عساكر الدامغان وخرب العسكر البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى أكل الناس بعضهم بعضا بعد فراغهم من أكل الميتة والكلاب وأما الملك بركيارق فبعد أن انتصر على أخيه محمد قويت شوكته وكثرت جموعه فرجع الى بغداد وأعاد خطبته بها ولكنه لم يلبث طويلا حتى وافاه أخوه السلطان محمد بعد أن امده أخوه الملك سنجر كما مر فهرب بركيارق عن بغداد لما علم بقدوم أخيه السلطان محمد بجموع كثيرة فدخل السلطان محمد بغداد واستبشر به الخليفة وأعاد خطبته بها . وبعد أن دامت الحرب بين السلطانين الأخوين مدة هلك في أثنائها جمع كثير من عسكرهما اصلطحا سنة ٤٩٧ ه وتقررت القاعدة أن بركيارق لا يعترض أخاه محمداً في الطبل وان لا يذكر معه على منابر البلاد التي صارت له وهي ديار بكر والجزيرة والشام . وفي سنة ٤٩٧ ه توفى السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض بأصفهان بالسل والبواسير فلما يئس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير اياز أتابكه (مربيه) فاجابوه كلهم بالسمع والطاعة وخطب لملكشاه بجوامع بغداد

وفي سنة ٤٩٩ ه (وقيل سنة ٤٩٨ ه) سار السلطان محمد من اذربيجان الى

الموصل ليأخذها من جكرميش صاحبها وحصرها . فقاتل أهل البلد أشد قتال وكانت الرجال تخرج ويكثرون القتل في العسكر ودام القتال من صفر الى جمادى الاولى . فوصل الخبر الى جكرميش بوفاة السلطان بركيارق فارسل الى محمد يبذل له الطاعة . ودخل اليه وزير السلطان محمد وقال له . المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان فانه لايخالفك في جميع ماتلتمسه منه . وأخذ بيده وقام وسار معه جكرميش فلما رآه أهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويضعون التراب على رؤوسهم فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال . ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودتك . فقبل الارض وعاد وعمل من الغد سماطاً بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار .

وفي سنة ٥٠٠ هـ سار الجاولي سقاو الى الموصل محارباً في الف فارس وخرج اليه جكرميش صاحبها في الفي فارس . فلما اصطفوا للحرب حمل الجاولي من القلب على قلب جكرميش فانهزم من فيه و بقي جكرميش وحده لايقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لايقدر يركب وانما يحمل في محفة فأسر وأحضر عند الجاولي فامر بحفظه وحراسته . ولما بلغ الخبر الموصل أقعدوا في الامر زنكى بن جكرميش . ثم أن الجاولي حصر الموصل وأمر أن يحمل جكرميش كل يوم على بغل و ينادي أصحابه بالموصل ليسلموا البلد و يخلصوا صاحبهم مما هو فيه و يأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه . وكان يسجنه في جب فأخرج يوماً ميتاً . فكتب أصحابه الى الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قتلميش السلجوقي صاحب مدينة قونية يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه فسار في عسكره . فلما سمع جاولي بوصوله رحل عن الموصل فتوجه قلج أرسلان الى الموصل وملكها ونزل بالمعروفة (و يقال بالمغرقة) وأسقط خطبة السلطان محمد وخطب لنفسه وأحسن الى العسكر ورفع الرسوم المحدثة في الظلم ثم سار عنها الى جاولي وهو بالرحبة والتقيا عند نهر الخابور فهزم أصحاب جاولي أصحاب قلج أرسلان والقى قلج أرسلان نفسه في نهر الخابور وحمى نفسه من نشاب أصحاب جاولي فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق . وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية . وسار جاولي الى الموصل وملكها .

وفي سنة ٥٠٢ هـ استولى عسكر السلطان محمد على الموصل وأخذوها من

أصحاب جاولي وفي سنة ٥١١ هـ مرض السلطان محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان فلما يئس من نفسه احضر ولده محموداً وقبله و بكيا . وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك . يعني من طريق النجوم . فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فبارك بالسلطنة . فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وكان السلطان محمد عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعا وأول ما دعي له بالسلطنة ببغداد سنة ٤٩٢ هـ وقطعت خطبته عدة دفعات . فلما توفي أخوه بركيارق اجتمع الناس عليه اثنى عشرة سنة . وفي ٥١٢ هـ توفي الامام المستظهر بالله وكان عمره احدى وأربعين سنة وخلافته أربعا وعشرين سنة . وخطب في ايامه لثلاث سلاطين وهم تاج الدولة تتش بن الب أرسلان والسلطان بركيارق والسلطان محمد ابنا ملكشاه

٥٥ — خلافة المسترشد بالله بن المستظهر

من سنة ٥١٢ — ٥٢٩ هـ أو من سنة ١١١٨ — ١١٣٤ م

لما توفي المستظهر بالله بويع بالخلافة ولده أبو المنصور الفضل ولقب المسترشد بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثاً وعشرين سنة فبايعه أخواه وعمومته بني المقتدى بامر الله . وفي سنة ٥١٣ هـ عصى الملك طغرل على اخيه السلطان محمود والسبب في ذلك ان الملك طغرل كان قد أقطعه والده زنجان وغيرها فلما توفي والده وآلت السلطنة الى أخيه محمود خشي أمره وخاف عصيانه فارسل اليه هدايا وتحف مع الامير كنتغدي وعرفه أن يحسن الى أخيه الملك طغرل المجيء اليه (الى السلطان محمود) فلما ذهب كنتغدي الى الملك طغرل عكس معنى مأموريته وحسن لطغرل العصيان على أخيه محمود فسمع السلطان محمود بذلك فسار اليهما في عشرة آلاف فارس الى مدينة سميران فهرب طغرل وكنتغدي الى قلعة سرجهان ولحقا بكنجة فقصدهما أصحابهما فقويت شوكتهما . أما السلطان محمود فدخل سميران ونهب من مال أخيه ثلثمائة الف دينار فتمكنت الوحشة بينهما . وفي هذه السنة كانت الحرب بين السلطان محمود وعمه الملك سنجر صاحب خراسان

والسبب في ذلك انه لما سمع الملك سنجر بوفاة أخيه السلطان محمد اعتدى على بلاد ابن أخيه السلطان محمود وافتتح كثيراً منها فارسل اليه السلطان محمود يطلب منه التنازل عما فتح وان يدفع مائتي الف دينار سنوياً كجزية . فلما بلغت هذه الرسالة الملك سنجر استعد أكثر من ذي قبل وعزم على الذهاب الى الري . فلما سمع السلطان محمود باستعداد عمه لقتاله جمع عساكره وسار نحوه فالتقيا واقتتلا قتالا شديداً فانهزم السلطان محمود وهرب الى أصبهان ثم دارت المخابرات الودية بينهما للصلح على ما يرضي الفريقين فانتهى الامر بينهما على ان السلطنة في خراسان تكون للملك سنجر حالا ومن بعده لابن أخيه السلطان محمود وأعاد سنجر البلاد التي افتتحها الى السلطان محمود ماعدا الري . وفي سنة ٥١٤ هـ كانت الحرب بين السلطانين الاخوين محمود ومسعود فانهزم مسعود وتشتت شمله . وفي هذه السنة خرج الكرج الى بلاد المسلمين فاجتمع على قتالهم الملك طغرل والامير ايلغازي ودبيس بن صدقة وساروا الى الكرج حتى قاربوا تفليس وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون ثلاثين الفاً فالتقوا واصطفت الطائفتان للقتال فخرج من الكرج مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم . فدخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب جيش صف المسلمين وظن من وراءهم انها هزيمة فانهزموا ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكرج عشرة فراسخ يقتلون و يأسرون فقتل أكثرهم وأسر أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازي ودبيس وعاد الكرج وحاصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة ٥١٥ هـ فملكوها عنوة . وفي سنة ٥١٥ هـ اقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير اقسنقر البرسقي . وفي هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازي ابن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة فسمع والده الخبر فسار اليه مجداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً فامسك عنه وقتل الذين حرضوه على العصيان وأراد قتل ابنه سليمان فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق . واستناب ايلغازي بحلب سليمان بن أخيه عبد الجبار ابن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين . وفي هذه السنة أيضا أقطع السلطان

محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي بن ارتق وفي سنة ٥١٦ هـ توفي الامير ايلغازي بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان ابن عبد الجبار فبقي بها الى ان اخذها منه ابن عمه . وفي سنة ٥١٧ هـ كانت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله و بين دبيس بن صدقة والسبب في ذلك ان دبيسا ارسل الى الخليفة يطلب منه ارسال البرسقي اليه ويهدده بالقتل ان لم يفعل . فأمر الخليفة البرسقي بتجهيز العساكر لقتال دبيس فالتقوا واقتتلوا فانهزم دبيس وهرب الى الملك طغرل واحتمى به . وفي هذه السنة ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة حران وسمع هناك بضعف بدر الدولة صاحب حلب وعدم مقدرته على مقاومة الافرنج فسار الى حلب وضيق على من بها فتسلمها بالامان . وفي سنة ٥١٨ هـ قبض بلك بن بهرام على حسان البعلبكي صاحب منبج وسار اليها فحاصرها وملك المدينة وحاصر القلعة فامتنعت عليه و بينما هو يقاتل من بها اتاه سهم فقتله واضطرب عسكره وتفرقوا وملك اقسنقر البرسقي حلب وقلعتها . وفي سنة ٥٢٠ هـ قتل قسيم الدولة اقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتله الباطنية يوم الجمعة بالجامع وملك بعده بالموصل ابنه عز الدين مسعود ولم يختلف عليه احد . وفي هذه السنة كان الاختلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود والسبب في ذلك ان السلطان ولى شحنكية بغداد شخصا يدعى برنقش فاختلف مع نواب الخليفة لاسباب كثيرة فهدده الخليفة بالقتل ان لم يرجع عن اختلافه مع نوابه . فخاف على نفسه وهرب الى السلطان محمود وأقنعه بالمسير لقتال الخليفة وانه قد قوي امره وصار له عسكر وحضر القتال وان لم يؤخذ على غرة وفي بداية قوته ربما لم يتمكن من اخضاعه فيما بعد ان لم يطمع هو في استرجاع حقوق الخلافة كما كانت قبلاً . فسار السلطان محمود بعساكره الى بغداد وجمع الخليفة عساكره ودارت بين الفريقين مناوشات كاد يظفر الخليفة فيها لولا خيانة بعض قواده الذي انحاز بعسكره الى السلطان محمود فمنذ ذلك دارت المخابرات السلمية بين الطرفين واصطلحا على مايرضيهما واستسمح السلطان محمود خاطر الخليفة ودفع الخليفة الاموال التي تقررت عليه . وفي سنة ٥٢١ هـ اسند السلطان محمود شحنكية بغداد الى اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر . وفيها توفي عز

الدين مسعود بن اقسنقر وتولى أخوه عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها . وفي سنة ٥٢٢ هـ ملك عماد الدين زنكي بن اقسنقر مدينة حلب وقلعتها و بعد سنة ملك مدينة حماة . وفي ٥٢٥ هـ في شوال توفي السلطان محمود بن السلطان محمد بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وولايته ثلاثاً وعشرين سنة وكان حكيماً كريماً عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع المقدرة . قليل الطمع في أموال الرعايا عفيفاً عنها كافاً لأصحابه عن التطرق الى شيء منها . وملك ابنه داود بعده وفي سنة ٥٢٦ هـ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة وأمرهما بقصد العراق فسارا ونزلا بالمنارية من دجيل . وعبر الخليفة المسترشد بالله الى الجانب الغربي فنزل بالعباسية والتقى العسكران بحصن البرامكة فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة و بها جمال الدين اقبال فانهزموا منه وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وعماد الدين وقتل من عسكرهما جماعة وأسر جماعة. وفي سنة ٥٢٧ هـ أرسل المسترشد الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة وزادها أبو الفتوح ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة . فقبض عليه زنكي واهانه ولقيه بما يكره فسمع الخليفة فسار عن بغداد في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها اتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين ونازلها الخليفة في رمضان وقاتلها وضيق عليها فتواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فصلبوا . و بقي الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشيء ولا بلغه عمن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائداً الى بغداد . وفي سنة ٥٢٨ هـ تقرر الصلح بين الخليفة المسترشد واتابك زنكي . وفي سنة ٥٢٩ هـ سار الخليفة المسترشد لقتال السلطان مسعود ومعه جماعة من أمراء الأكابر فواقعهم السلطان مسعود عاشر رمضان فانحازت ميسرة الخليفة مخامرة عليه الى السلطان واقتتلت ميمنة وميسرة السلطان قتالاً ضعيفا ودار به عسكر السلطان وهو ثابت لم يتغير من مكانه وانهزم عسكره وأخذ اسيراً فانزله السلطان مسعود في خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من الخدمة وترددت الرسل بينهما بالصلح وتقرر القواعد على مال يؤديه الخليفة وان لا يعود يجمع العساكر

ولا يخرج من داره واجاب السلطان الى ذلك واركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الا ان يعود الى بغداد فوصل الخبر بقدوم رسول من السلطان سنجر وخرج الناس والسلطان محمود للقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده أربعة وعشرون رجلاً من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه بعد أن جرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ومثلوا به وجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عرياناً وكان قتله يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة على باب مراغة و بقي حتى دفنه أهل مراغة وكان عمره لما قتل ثلاثاً وأربعين سنة وخلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر

٥٦ - أحوال الصليبيين في هذه المدة

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين فيما مضى بوفاة الملك بودوين الاول واقامة بودوين الثاني كنت الرها ملكاً على اورشليم ولم ينته الافرنج من حفلات الملك الجديد الا وقد تألبت جموع من المسلمين من فارس والجزيرة وسوريه وزحفوا الى عدوة العاصي بامرة ايلغازي بن ارتق والي ماردين الذي كان قد تولى على حلب . وعلم بتجمعهم روجه بن ريشار أمير انطاكية فاستمد ملك أورشليم وكنت الرها وكنت طرابلس ولم ينتظر وصولهم بل عاجل المسلمين بالقتال فقتل هو وتشتت شمله وأسر كثيرون من عسكره فعظم ايلغازى في اعين المسلمين بسبب هذا الانتصار ومدحه غير واحد فمن ذلك قول العظيمي

قل ما تشاء فقولك المقبول وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الانجيل

وفي سنة ٥١٥ ﻫ كانت الحرب بين بلك بن بهرام ابن اخي ايلغازى وبين جوسلين صاحب الرها فحاصر بلك مدينة الرها ولما لم يفده حصارها بطائل سار عنها فقصده جوسلين صاحب الرها وسروج فانتصر بلك على الافرنج وقتل منهم كثيرين واسر جوسلين . ولما استولى بلك على حلب من ابن عمه سليمان كما ذكرنا ذلك قبلاً سلم سليمان حصن الاثارب الى الافرنج ليهادنوه على حلب واستولى الافرنج على خرتبرت وخلصوا جوسلين ثم سار بلك اليها واسترجعها من

الافرنج . وتالب المصريون وساروا الى صحراء عسقلان قاصدين أن يزيحوا الافرنج عن فلسطين واستعد الافرنج للدفاع فاقتتلوا شديداً وانهزم المصريون وتتبع الافرنج اثارهم من صحراء عسقلان الى أن دخلوا أسوار عسقلان وكانت صور الى ذلك الحين في أيدي الخلفاء العلويين بمصر وكان الوالي عليها من قبلهم فسمع بتأهب الافرنج لاخذ مدينة صور وعلم ان لامقدرة له على دفعهم فارسل الى الخليفة الآمر بذلك فرأى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق وأرسل اليه بذلك فملك طغتكين صور ورتب بها الجند وغيرهم ماظن فيه الكفاية . فسار الافرنج في سنة ٥١٨ هـ الى صور ونازلوا اهلها وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الافرنج اذا رأوه قريباً منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار حتى أشرف أهلها على الهلاك . فراسل طغتكين الافرنج بتسليمهم المدينة على شرط ان يصرحوا لاهلها بالخروج منها بأمتعتهم فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب المدينة وفارقها أهلها وتفرقوا في البلاد ودخلها الافرنج . وكان فتح صور وهناً عظيماً على المسلمين لانها كانت أحصن مدنهم . وانتشر خبر انتصار الافرنج على صور فسمع صدى التهاليل والشكر في كل مدن النصارى ولاسيما اورشليم وتوفي الملك بودوين الثاني في ٢١ أغسطس سنة ١١٣٠ م بعد ان حكم ثلاث عشرة سنة

٥٧ – خلافة الراشد بالله بن المسترشد

من سنة ٥٢٩ — ٥٣٠ هـ او من سنة ١١٣٤ — ١١٣٥ م

لما قتل المسترشد بالله بويع ولده أبو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله . وفي ٥٢٩ هـ قتل دبيس بن صدقة صاحب الحلة على باب سرادقه بظاهر خونج وكان السلطان أمر غلاما أرمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكث الارض بأصبعه فضرب رقبته وهو لايدري . وفي سنة ٥٣٠ هـ اجتمع الملوك وأصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود وسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد ووصل اتابك عماد الدين زنكي

بعده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد . فلما بلغ السلطان مسعوداً الخبر جمع العساكر وسار الى بغداد وحاصرها نيفاً وخمسين يوماً ولم يظفر بها فعزم على العود الى همذان فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء . وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من أصحابه ودخل السلطان مسعود الى بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخط يده : انني متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر : فافتوا وخلع وقطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد وكانت خلافته أحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً

٥٨ — خلافة المقتفي لامر الله بن المستظهر

من سنة ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ أو من سنة ١١٣٥ — ١١٦٠ م

لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من أعيان بغداد في من يصلح للخلافة فقال الوزير أحد عمومة الراشد وهو رجل صالح ولكني لا أقدر أن أفصح باسمه لئلا يقتل . فتقدم السلطان بعمل محضر في خلع الراشد فعملوا محضراً ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ أموال وأشياء تقدح في الامامة . ثم كتبوا فتوى . ماتقول العلماء في من هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا . فأفتوا ان من هذه صفته لايصلح أن يكون اماما فلما فرغوا من ذلك . أحضروا القاضي أبا طاهر الكرخي فشهد عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه . ثم ذكر الوزير للسلطان أبا عبد الله الحسين بن المستظهر بالله ودينه وعقله وعفته ولين جانبه . فأحضر المذكور وأجلس في الميمنة . ودخل السلطان والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما . وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء والقضاة والفقهاء وبايعوه ثاني عشر ذي الحجة سنة ٥٣١ هـ ولقب المقتفي لامر الله .

وفي سنة ٥٣١ هـ فارق الراشد المخلوع أتابك زنكى من الموصل وسار الى همذان وبها الملك داود . ثم رحل الى أصفهان فلما كان آخر رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في أعقاب مرض قد برىء منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان وكان عمره أربعين سنة . وفي سنة ٥٣٢ هـ وكانت الحرب بين السلطان مسعود والملك داود وكان قد اجتمع مع الملك داود كثير من الامراء لاستشعارهم بالخوف من السلطان مسعود فسار السلطان مسعود اليهم فالتقوا بينجن كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود ثم تفرق عسكره للسلب والنهب وعلم الملك داود ومن معه بتفرق عسكر السلطان مسعود عنه فهجموا عليه وهو في قلة من رجاله فهزموه . وهذا من غريب الاتفاق . فقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان . وفي هذه السنة (٥٣٢ هـ) وصل أتابك زنكي صاحب الموصل الى حماة وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه أمه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق على نهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها . وحمله على التزوج بها ما رآه من تحكها في دمشق فظن أنه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب أمله ولم يحصل على شيء فأعرض عنها . وفي هذه السنة أيضا ملك حسام الدين بن تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتاخ أخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر وهذا آخر من بقي منهم له ولاية

وفي سنة ٥٣٣ هـ ملك أتابك زنكي بن اقسنقر بعلبك . وفي سنة ٥٣٤ هـ ملك زنكي المذكور شهرزور وأعمالها . وفي سنة ٥٤٠ هـ لخمس مضين من ربيع الآخر قتل أتابك عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر قتله جماعة من مماليكه ليلاً غيلة وهربوا الى قلعة جعبر . فصاح من بها من أهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله فاظهروا الفرح . فدخل أصحابه اليه فادركوه وبه رمق وفاضت روحه لوقته وكان قد زاد عمره على ستين سنة وقد وخطه الشيب وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة وكانت الموصل قبل أن يملكها أكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة . وكان الانسان

لايقدر على المشي في الجامع العتيق الا ومعه من يحميه وهو الآن في وسط العمارة. وكانت الموصل من أقل بلاد الله فاكهة فصارت في أيامه و بعدها من أكثر البلاد فواكه ورياحين. ولما قتل أتابك زنكي أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضراً معه وسار الى حلب وملكها . وكان سيف الدين غازي أخوه بمدينة شهر زور وهي أقطاعه . فارسل اليه زين الدين علي كوجك نائب أبيه عماد الدين زنكي بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر واستقر ملك سيف الدين على البلاد و بقي أخوه نور الدين بحلب وهي له . وفي سنة ٥٤٤ ﻫ توفي سيف الدين غازي ابن أتابك زنكي صاحب الموصل بها من مرض حاد فلما اشتد مرضه أرسل الى بغداد واستدعى أوحد الزمان أبا البركات فحضر عنده ورأى شدة مرضه فعالجه فلم ينجع الدواء وتوفي آخر جمادي الآخرى . وكانت ولايته ثلاث سنين . وولي أمر الموصل والجزيرة بعده أخوه قطب الدين مودود . وكان أخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فسار الى سنجار وملكها ولم يحاقنه أخوه قطب الدين ثم اصطلحا وأعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقيت الشام له وديار الجزيرة لاخيه

وفي سنة ٥٤٧ ﻫ توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان عهده الى ملكشاه ابن أخيه السلطان محمود فخطب له الامير خاصبك بالسلطنة ورتب الامور وقررها بين يديه . ثم قبض عليه وأرسل الى أخيه الملك محمد وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه و يخطب لنفسه بالسلطنة . فسار اليه محمد فاجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة . ثم شعر محمد بخبث خاصبك فثاني يوم وصوله لما دخل اليه قتله ومعه زنكي الجاندار والقى رأسيهما و بقيا حتى أكلتهما الكلاب واستقر محمد في السلطنة . وفي هذه السنة توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميافارقين . وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وولي بعده ابنه نجم الدين البي . وفي سنة ٥٠٩ ﻫ ملك نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر مدينة دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن بوري بن طغدكين أتابك . وفي ٥٥٢ ﻫ في رجب كانت بالشام زلازل كثيرة قوية أخربت كثيراً من البلاد فخرب منها حمص وحماة وخيزر

وكفرطاب والمعرّة واقامية وحصن الاكراد وعرقه واللاذقية وطرابلس وانطاكية وأما كثرة القتلى فيكفي فيها ان معلماً كان بمدينة حماة وذكر انه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخرب البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم (قال المعلم) فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له . وفيها في ربيع الاول توفي السلطان سنجر ابن ملك شاه بن الب أرسلان أصابه قولنج ثم بعده إسهال وكان مولده سنة ٤٧٩ ﻫ وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة . وفي سنة ٥٥٤ ﻫ ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة وخرج القورج فوق بغداد فامتلأت الصحارى وخندق البلد ووقع بعض السور فغرق بعض القطيعة وباب الازج والمأمونة ودب الماء تحت الارض الى أماكن فوقعت وأخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي . فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص الماء فكثر الخراب وبقيت المحال لاتعرف وانما هي تلول فأخذ الناس حدود دورهم بالتخمين

وفي هذه السنة في ذي الحجة توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه وملك بعده عمه سليمان شاه بن محمد . وفي سنة ٥٥٥ ﻫ ثاني ربيع الاول توفي الخليفة المقتفي لامر الله وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وعمره ستا وستين سنة . وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان وحكم على عساكره وأصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء ومن عهد المنتصر الى الآن

٥٩ – أحوال الصليبيين في هذه المدة

بعد موت بودوين الثاني اجتمع الروساء والاعيان فاختاروا خليفة له في مملكة أورشليم . فولك كنت انجو وهو صهر بودوين الثاني زوج ابنته وفي سنة ٥٢٤ ﻫ سار زنكي من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب القريب من حلب وكان أهله الافرنج يضايقون أهل حلب . وجمع الافرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا زنكي فرحل عن الاثارب وسار الى ملتقاهم فاقتتل الفريقان أشد القتال فانهزم الفرنج وقتل منهم كثيرون وأسر بعض فرسانهم ثم عاد زنكي

الى الاثارب وأخذه عنوة وقتل وأسر كل من فيه وخرب زنكي الحصن ولايزال خرابا

وفي سنة ٥٢٧ هـ سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق على غفلة من الافرنج فملك قلعة بانياس وقتل وأسر من كان بها من الافرنج . وفي سنة ٥٣٢هـ أو ١١٣٧ م طمع الملك يوحنا كومنانس ملك الروم بالقسطنطينية بالاستيلاء على انطاكية وكانت هذه الامارة وقتئذ في يد ابنة عمرها ثلاث سنين اسمها قسطنا وقد خطبت لريموند بن كنت بواتيا . فعلم ريموند المذكور ان ملك الروم يجهز حملة على انطاكية فاستنجد رئيس عصابة من الارمن وجهز بعض الجنود فلم يجده ذلك نفعاً بل فتح ملك الروم ترسيس وادنة وما جاورهما ثم حاصر عين زربة فقاومه أهلها شديد المقاومة ولكنهم التزموا أن يستسلموا اليه فامنهم وهزم الارمن من المواضع التي كانت بيدهم و بعد أن استحوز على كيليكيا كلها خيم على أبواب انطاكية فارتاع ريموند صاحبها واستنجد فولك ملك ارشليم لكن هذا الملك كان أحوج منه لمن ينجده على زنكي أمير الموصل وحلب فلم ير ريموند مناصاً من أن يسلم المدينة الى ملك الروم ويقر بسيادته . وفي هذه السنة (٥٣٢ هـ) سار ملك الروم المذكور الى بزاغة وهي على بعد ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان ثم غدر باهلها وأسر وسبي فتنصر قاضيها وأربعمائة نفس من أهلها وأقام فيها عشرة أيام ثم سار عنها بمن معه الى حلب وزحف اليها وجرى بينه و بين أهلها قتال كثير فلم يتمكن من فتحها فعاد عنها خاسراً وسار الى الاثارب وملكها . فخرج الامير اسوار نائب زنكي بحلب وأوقع بمن في الاثارب من الروم واستفك اسرى المسلمين وسار ملك الروم الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقاً فارسل صاحب شيزر الى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر بحيث يراه الروم . وأقام ملك الروم محاصراً شيزر أربعة وعشرين يوماً ثم رحل عنها من غير أن ينال منها غرضاً وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم . ثم عاد ملك الروم الى انطاكية ودخلها باحتفال عظيم وبعد أيام استوحش ريموند صاحب انطاكية من ملك الروم فاوعز لاهلها بالثورة فثاروا عليه فسكن ملك الروم هياجهم ورحل عن انطاكية الى القسطنطينية وفي قلبه حزازات من أهل انطاكية .

و بعد أربع سنين من هذه الحادثة أي سنة ١١٤٢ م عاد ملك الروم الى سورية ومعه عمانوئيل أصغر أبنائه و بلغ أسوار انطاكية وأمر جنوده ان ينهبوا بلادها فاندفعوا ينهبون و يقطعون الاشجار و يتلفون الحصاد والاثمار و يحرقون المزارع والقرى . وكان يؤمل أن يستحوذ على انطاكية بهذه الوسيلة فزاد الناس كرهاً له ودار في خلده أن يسير الى أورشليم و يقضي بها فصل الشتاء فسير رسلاً الى الملك فولك يستأذنه بان يزور الاماكن المقدسة و يعده بان ينجده على أعدائه فلم يثق باخلاص ملك الروم ووجس من دخوله أورشليم فاجابه انه يسر بقبوله لكنه يخشى أن القحط الحاصل في بلاده لا يمكنه من تقديم الازودة الكافية لجيشه فان شاء يحضر بعشرة آلاف رجل فقط احتفى بلقياه وتكريم مثواه . فادرك ملك الروم سبب رفض قبوله مع جيشه ولم يشأ أن ينفصل عن جيشه فاعاد رسل أورشليم اليه وأرسل معهم هدايا نفيسة وقفل الى كيليكية يتوقع سنوح فرصة أخرى لاتمام مانوى الا أنه بينما كان يوماً يروح نفسه بالصيد جرح بسهم مسم من جعبته لدى عراكه لاحد الضواري ومات من جرحه في ٨ ابريل سنة ١١٤٣ م وأوصى رؤساء جيشه ان يملكوا بعده ابنه عمانوئيل المذكور فملكوه وعاد الى القسطنطينية

وفي سنة ١١٤٤ م توفي فولك ملك اورشليم عن ابنين هما بودوين وأموري . و بعد وفاته انتخب ابنه بودوين ملكاً على أورشليم تحت اسم بودوين الثالث وكان عمره عند ارتقائه سدة الملك ثلاث عشرة سنة وكان حسن الاخلاق حميد الصفات الا أن المملكة في أيامه بلغت من الضعف مالم تبلغه في أيام من تقدمه من الملوك فتوالت هجمات المسلمين عليها مرة بعد أخرى

وفي سنة ٥٣٩ هـ (سنة ١١٤٥ م) سار عماد الدين زنكي قاصداً مدينة الرها وعلم انه اذا سار توا اليها تجتمع عليه جموع الفرنج مالا طاقة له عليه فيتعذر عليه فتحها فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انه غير قاصد بلادهم فرأوا انه منشغل بغيرهم فاطمأنوا وفارق جوسلين صاحب الرها مدينته وهو جوسلين الثاني ابن جوسلين الاول وكان عاكفاً على ملاذه متقاعداً عن الاهتمام بشؤون امارته . وأقام في طوربال على عدوة الفرات . فبلغ زنكي الخبر فنادى في عسكره بالرحيل وان لا يتخلف أحد عن الرها في يومه . فساروا الى الرها

وهاجم زنكي المدينة بغتة وأقام عليها الحصار ولم تنجدها أرملة فولك ملك أورشليم التي كانت تدبر المملكة لصغر ابنها . وكان ريموند أمير انطاكية عدواً لجوسلين فلم يشاء أن يناصره . فانفرد أهل الرها بمناصبة زنكي آملين أن تنجدهم أمة الفرنج ودافعوا عن المدينة دفاعاً حسناً فتسارع أهلها كباراً وصغاراً حتى الرهبان أيضاً الى أسوار المدينة للذب عنها وكانت النساء يحملن الى المحاربين الحجارة والماء والزاد . وعرض عليهم زنكي عند ثقب الاسوار والابراج أن يسلموا اليه فابو معللين نفوسهم بوصول جوسلين وملك أورشليم واستمروا على ذلك ثمانية وعشرين يوماً فلم يكن منجد ولا معين وفتح عسكر زنكي منافذ في أسوار المدينة ودخلوها ونهب الناس المدينة وقتلوا اهلها . وأعجبت المدينة زنكي فلم يشاء خرابها وأمر برد ما أخذ منها وجعل فيها عسكراً يحفظها وفتح مدينة سروج وسائر الاماكن التي كانت بيد الافرنج شرقي الفرات الا البيرة فانه حاصرها ولم يقدر أن يأخذها حينئذ

٦٠ — التجريدة الصليبية الثانية

بعد أخذ المسلمين مدينة الرها سار أسقف جبلة الى البابا أوجانيوس الثالث يلتمس المساعدة لكنيسة المشرق وكان يروى أخبار أخذ المسلمين مدينة الرها وتتفجر من عينيه الدموع . فارسل البابا رسالة الى لويس السابع ملك فرنسا يحضه فيها على امداد الافرنج الذين بسورية فجمع الملك لويس أعيان وأمراء بلاده وكاشفهم بقصده لامداد الافرنج بسورية . فتألب جموع كثيرة العدد يرأسها الملك لويس ومعه كثيرون من ولاة افرنسة وأعيانها . وكذلك كونراد ملك المانيا ومعه كثيرون من ولاة مملكته فسار الملكان بجموعهما حتى وصلا الى القسطنطينية فاحتفى بهما ملكها احتفاء كاذباً خوفاً من غارتهما على بلاده . ولم يستطع الملك كونراد الاقامة بالقسطنطينية بل طلب من ملكها ان يعطيه الادلاء يهدوه الطريق فاعطاه ما طلب بعد أن أوصى الادلاء أن يضلوه الطريق بدل هدايته وكاتب سلطان قونية ليغتالهم . فسار الملك كونراد بجموعه تحت هداية أولئك الخونة فاقتادوه وجيشه في طرق وعرة خشنة ثم هربوا ولم يبق من يهدي العسكر

الالماني السبيل فتوغلوا في بلاد صعبة المسالك . فجمع سلطان قونية عساكر المسلمين وقصد جموع الالمان وهم في تلك الطرق الوعرة فدهمهم من كل جهة وهم تائهون تعبون لا زاد معهم ولا علف لخيلهم فرجع الالمان القهقرى فتتبعهم الاتراك وفتكوا بهم وكل من تصدى للدفاع وأصاب كونراد نفسه سهمان وهو بين فرسانه وظل القتلى والجرحى والمرضى على قارعة الطريق . وكان جيش المحاربين من الالمانين نحو سبعين الفاً عدا من اتبعهم فلم ينج منهم الا عشرهم وانهزم الملك كونراد وعاد الى نيقية فالتقى هناك بلويس ملك فرنسا فعانق أحدهما الآخر و بكيا ورافق ملك فرنسا الى افسس وعاد الى القسطنطينية ليقيم فيها فصل الشتاء . اما ملك فرنسا فسار في طريق افسس وسارت الملكة اليونورا امرأته في مقدمة الجيش فدخلوا في مضيق فلما تخلصت الملكة من ذلك المضيق رأت سهلاً رحبا أسرعت اليه في من معها لتخيم فيه فوثب الاتراك على قلب الجيش حيث كان الضعفاء والانزال وجهاز العسكر وأعملوا سيوفهم باولئك الضعفاء وكان الملك في ساقة الجيش فسمع الصراخ فاسرع بفرسانه والحم القتال مع الاتراك فنجا من بقي من قلب الجيش . واستمر الملك والاعداء مشتبكين بالقتال الى ان اخذ الملك باغصان شجرة من أعلى جواده ورمى بنفسه على صخر وكان يرد النبال المرشوقة عن بعد بترسه وسيفه عامل بمن دنا منه فانقذته شجاعته وظلام ذلك الليل . ثم لحق بعسكره فوجدهم يبكون على فقده . ثم ساروا نحو أضالية وحصلت مناوشات بينهم و بين المسلمين كان الظفر فيها للفرنسيس ولكن أخرب الاعداء القرى في طريقهم فاصابتهم مجاعة ذبحوا فيها خيولهم وبعد مسيرة اثنى عشر يوما وصلوا أضالية وكان سكانها من الروم (وهي من أملاك الروم) فاغلقوا باب المدينة ومنعوا الفرنج من الدخول . فتقدم لويس السابع لفتح أضالية عنوة فخاف واليها عاقبة اصراره فخرج الى الملك وعرض عليه ان يقدم لهم سفنا يسيرون بها الى انطاكية فقبل منه ذلك فقدم له سفنا لم تكف لكل جيشه فنزل هو ومن اختارهم من العسكر وترك للوالى مبلغا عظيما من المال لينفقه على المرضى من جيشه وعلى تسيير باقي الجيش الى انطاكية . على انه من غداة سفر الملك راسل الوالي الرومي المسلمين لاهلاك الافرنج الذين عنده فساروا اليه في جيش عظيم فدافع الافرنج عن نفوسهم مدافعة الابطال ولكن

أنهكهم التعب والجوع فذهبوا ضحية خيانة الوالي الرومي والله يعلم كم قتل منهم وهرب من بقي منهم تائهين في كيليكية

أما الملك لويس السابع ومن سار معه الى انطاكية فلما وصلوا اليها نسوا ما أصابهم ولم يبالوا بمن خلفوهم باضالية وعكفوا على الملذات والملاهي. وكانت الملكة اليونورا علة ذلك لانها كانت تحب القصف واللهو غير راسخة في الادب. ثم سار الملك لويس من هناك الى اورشليم فتلقاه الملك بودوين الثالث ملك اورشليم باحتفاء عظيم ثم وصل اليها أيضا الملك كونراد ملك الالمان متنكراً في هيئة الحجاج وبعد ان اتم الملكان زيارتهما الدينية تفاوضا فيما يجريانه فاتفقا على حصار دمشق. وفي سنة ٥١٣ هـ (سنة ١١١٨ م) تقدمت جيوش الافرنج الى دمشق وحاصرتها وصبر المسلمون على القتال ببسالة. وكان صاحب دمشق في ذلك الوقت مجير الدين أبق بن محمد بن بوري وليس له من الامر شيء انما الحكم لمعين الدين انز مملوك جده طغتكين وضيق الافرنج على المدينة جداً وضعفت نفوس المسلمين وأيقنوا بعجزهم عن الدفاع وهموا أن يخلوا المدينة والقوا على أبوابها ومداخل الافرنج حجارة عظيمة ليتيسر لهم الفرار بعيالهم وأموالهم قبل أن يدركهم الافرنج. وتيقن الافرنج امتلاك المدينة ولم يبق هم لرؤسائهم الا أن يعرفوا لمن تكون الولاية على دمشق بعد فتحها. ورجح كونت فلاندار على مزاحمية فاخذت الغيرة أشراف الفرنج في سورية من تفضيله عليهم وأخذ بعضهم يعملون على احباط مسعاهم وأشاروا على روساء الجيش أن يتركوا موقفهم و يرتحلوا الى جهة أخرى قاحلة والاسوار تجاهها منيعة. و بينما الاختلافات قائمة بين أمراء الافرنج اذ ورد الخبر بقدوم جيش عظيم من المسلمين بأمرة أمير الموصل وأمير حلب مدداً لدمشق بناء على طلب صاحبها. فلم يخجل الفرنج وملك فرنسا والمانيا ان يرحلوا عن دمشق الى فلسطين. وهناك تحادثوا بان يحاصروا عسقلان فلم يتفق رأيهم. وعاد ملك المانيا الى بلاده خجلا آسفا. و بقي ملك فرنسا في أورشلم الى عيد الفصح سنة ١١٤٩ م ثم عاد الى فرنسا ولم يصنع شيئا يذكر فلم تكن النتيجة من هذه الحملة غير اشتداد الضغائن بين ملوك الافرنج وملك الروم وزيادة قوة المسلمين وجراءتهم ووهن النصارى وذلهم وعلة كل ذلك الحسد والطمع واختلاف الآراء الناشيء عن ذلك

وفي سنة ٥٤٨ هـ (سنة ١١٥٤ م) فتح الملك بودوين الثالث ملك أورشليم عسقلان وكانت الى ذلك الحين من جملة مملكة الظافر بالله العلوي المصري وكانت عسقلان بابا لهم يدخلون منه كلما شاؤا الى مملكة اورشليم براً وبحراً. وكان للوزراء الحكم بمصر والخلفاء معهم الاسم لا معنى تحته فكان هؤلاء الوزراء يرسلون الى عسقلان كل سنة من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كانت هذه السنة قتل ابن السلار الوزير واختلفت الاهواء في مصر وولي عباس الوزارة . فاغتنم بودوين الثالث هذه الفرصة وهم بفتح عسقلان فسار اليها في جموعه فارتاع منهم أهل عسقلان وهربوا الى المدينة فحاصروه الفرنج براً وبحراً وصنعوا برجا من خشب أرفع من الاسوار فالقى العسقلانيون ليلا بين البرج والسور كثيراً من المواد المحرقة فالهبوها فهب هواء حوّل اللهيب نحو المدينة حتى أصبحت حجارة السور كلسا فسقط بعض السور وتسارع فرسان الهيكل من الفرنج ودخلو المدينة واقاموا خفرا على الثلمة في السور لئلا يدخل احد غيرهم فيشاطر الغنيمة والفخر ولما رأى حامية المدينة واهلها عدد الداخلين قليلا وقد اشتغلوا بالنهب عن القتال وثبوا بهم فقتلوا منهم وهزموا باقيهم وسدوا الثلمة فاستولى الكدر والاسف على الفرنج وعادوا الى معسكرهم واستدعي الملك الاعيان والاساقفة للمشاورة فرأى بعضهم الرحيل عن الحصار ورأى غيرهم العود اليه . و بينما المحاورات والمناقشات دائرة بين الافرنج اختلف اهل عسقلان فيما بينهم وادعى كل طائفة منهم ان النصرة كانت جهته وعظم الخلاف حتى قتل من الفريقين قتلى . و بينما اهل عسقلان يفنون بعضهم بعضا قر رأي الافرنج على معاودة الهجوم عليها فهجمو على المدينة هجوما شديداً ولم يقدر أهل عسقلان على حفظها فدخلها الفرنج بعد ان صرحوا لاهلها بالخروج منها بأموالهم واثقالهم

وفي سنة ٥٤٩ هـ (سنة ١١٥٥ م) اخذ نور الدين محمود بن زنكي مدينة دمشق من صاحبها مجير الدين انز بن محمد بن بوري فراسل هذا الاخير الافرنج ليرجموا اليه دمشق و يعطيهم مقابل ذلك حصن بعلبك . وكانت هذه المراسلة أثناء محاصرة نور الدين دمشق . فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا قاصدين

دمشق ليزيحوا عنها نور الدين ولكن قبل وصولهم فتح نور الدين دمشق ورجع الفرنج بخفي حنين

وفي سنة ١١٦٢ م سار بودوين الثالث ملك أورشليم الى انطاكية فاصابته حمى شديدة فحملوه الى طرابلس ثم الى بيروت فتوفي بها في ١٣ من شهر فبراير وأخذت جثته الى أورشليم فدفنت في مدافن أسلافه الملوك وحزن عليه الفرنج كثيراً لانه كان عادلا حليماً شجاعاً صبوراً على الاتعاب ورعاً ولم يكن له ولد فخلفه أخوه أموري

٦١ – خلافة المستنجد بالله بن المقتفي

من سنة ٥٥٥ هـ — ٥٦٦ هـ أو من سنة ١١٦٠ — ١١٧٠ م

لما اشتد مرض المقتفي كان ولي عهده ابنه يوسف وكانت للمقتفي حظية هي أم ولده أبي علي فارادت الخلافة لابنها وأحضرت عدة من الجوارى وأعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولي العهد يوسف المذكور اذا دخل على والده وكان ليوسف خصي صغير يرسله كل وقت يتعرف أخبار والده فرأى الجواري بأيديهن السكاكين فعاد الى يوسف وأخبره فاستدعى استاذ الدار وأخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع وأخذ بيده السيف فلما دخل ثار به الجواري فضرب واحدة منهن فجرحها وكذلك أخرى وصاح فدخل أستاذ الدار ومعه الفراشون فهرب الجواري . وأخذ أخاه أبا علي وأمه فسجنهما وأخذ الجواري فقتل منهن وغرق منهن فلما توفي المقتفي جلس يوسف ابنه للبيعة فبويع له ولقب المستنجد بالله وخطب له في ربيع أول سنة ٥٥٥ هـ وفي سنة ٥٥٦ قتل السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه وكان كثير التهور مغرماً بشرب الخمر حتى شربها في رمضان نهاراً فابغضه عسكره وقتلوه وتولى السلطنة بعده ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فخطب له على منابر بغداد

وفي سنة ٥٥٧ هـ اشترى الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكي من صاحبها بخمسة عشر الف دينار ودامت خلافة المستنجد الى سنة ٥٦٦ التي توفي فيها

تاسع ربيع الآخر وكانت خلافته احدى عشرة سنة وعمره ستاً وخمسين سنة وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعيـة عادلاً . قبض مرة على انسان كان يسمى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصين بخدمتـه وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال المستنجد . أنا أعطيك عشرة آلاف دينار على ان تحضر لي انسانا آخر مثله أحبسه فاكف شره عن الناس . ولم يطلقه . وكان سبب موته انه كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يأمره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين قايماز وصلبهما . وكان قد اشتد مرضه فاجتمع الطبيب بهما واوقفهما على الخط . فقالا له . عد اليه وقل له . اني أوصلت الخط الى الوزير ففعل ذلك . ثم دخل المذكوران على المستنجد ومعهما أصحابهما فحملوه وهو يستغيث الى الحمام والقوه وأغلقوا الباب عليه وهو يصيح الى أن مات

٦٢ - أحوال الصليبيين في هذه المدة

بعد وفاة بودوين الثالث ملك أورشليم أختير للملك في أورشليم اخوه أموري ويسمى ايضا الماريك وتوج في ١٨ من شهر فبراير سنة ١١٦٢ م ومن الاحداث في ايامه انه في سنة ٥٥٨ هـ سنة ١١٦٤ م قصد نور الدين بن زنكي طرابلس ونزل في البقعة تحت حصن الاكراد فكبسه الافرنج فانهزم منهم الى بحيرة حمص وتلاحق به من سلم من المسلمين . وفي سنة ٥٥٩ هـ استنجد شاور المصري الملك أموري على اخراج شيركوه من أرض مصر فارسل أموري عسكراً الى مصر واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحصر شيركوه ببلبيس ودام الحصار ثلاثة اشهر . فاغتنم نور الدين فرصـة غياب عساكر الفرنج بمصر فجمع جيوشه وهجم بهم على حصن حارم ففتحه بعد ان قتل واسر كثيرين وكان من جملة الاسرى البرنس صاحب انطاكية وكونت طرابلس . ولما بلغت هـذه الاخبار الفرنج وهم محاصرون بلبيس راسلوا شيركوه في الصلح وفتحوا له فخرج ومن معه الى سورية ورجع الفرنج ايضا . وبعد ان فتح نور الدين حارم سار الى حصن بانياس وفتحه

وفي سنة ١١٦٨ م استنجد شاور الفرنج مرة أخرى على شيركوه فساروا الى

مصر وحاصروا صلاح الدين بن ايوب بالاسكندرية (ابن اخ شيركوه) وكان شيركوه قد تملك الجيزة فسار الى الاسكندرية واتفق مع المصريين والفرنج على اخلاء الاسكندرية نظير دفع مال معلوم و يعود شيركوه الى الشام . فتسلم المصريون الاسكندرية وعاد شيركوه بابن اخيه صلاح الدين المذكور وعسكره .
واستقر الصلح بين الافرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم و يكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار فتقوى الفرنج بهذه الشروط وتحكموا بمصر وحاربوا مدينة بلبيس وملكوها قهراً ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ونزلوا على القاهرة وحاصروها فخاف شاور وقوعها في ايديهم فامر باحراق مصر القديمة فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوما واخيرا صالح شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها اليهم وحمل اليهم مائة الف دينار وسألهم الرحيل عن القاهرة ليقدر على جمع المال المطلوب فرحلوا

اما باقي اخبار الصليبيين الى آخر التجريدة التاسعة فسنذكرها عند ذكر الدولة الايوبية ودولة المماليك لان ذكرها في اخبار تينك الدولتين أوفى من هنا سياقا للحديث

٦٣ – خلافة المستضيء بأمر الله بن المستنجد

من سنه ٥٦٦ — ٥٧٥ هـ أو من سنة ١١٧٠ — ١١٧٩ م

ولما ظهر موت المستنجد احضر ابنه ابو محمد الحسن وبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه اي تاسع ربيع الاخر سنة ٥٦٦ هـ وبايعه الناس من الغد بيعة عامة ولقب المستضيء بأمر الله . واظهر من العدل اضعاف ماعمل ابوه وفرق اموالا جليلة المقدار

وكان قد مات في سنة ٥٦٥ هـ قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل . فلما اشتد مرضه أوصى بالملك لابنه الاكبر عماد الدين زنكي ثم عدل عنه الى ابنه الاخر سيف الدين غازي والسبب في ذلك ان القيم بامور الدولة كان خادماً يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق عبد المسيح وخاتون ابنه

حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازى وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين الى سيف الدين ورحل عماد الى عمه نور الدين مستنصراً به ليعينه على أخذ الملك لنفسه فلما كانت سنة ٥٦٦ هـ وكان عماد الدين وصل الى عمه نور الدين صاحب دمشق وابلغه وفاة والده وتملك اخيه سيف الدين وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه أنف لذلك وسار بجريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقة والخابور ونصيبين وحاصر سنجار وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه وأتى مدينة بلد (مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل واسمها بالفارسية شهراباذ) وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي ونزل على حصن نينوى . ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة فارسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه على ان يقره بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولماله واهله فأجيب الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعا مرضية . فتسلم البلد ودخل القلعة وامر بعمارة الجامع النوري وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعاد الى الشام واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وكان مقامه بالموصل اربعة وعشرين يوما

وفي سنة ٥٦٨ هـ غزا عز الدين قلج ارسلان ملطية وسيواس وافتتحها فهرب صاحبها ذو النون الى نور الدين ملك الشام واحتمى به فاحتفى بمقابلته واكرمه اكرام الملوك ووعده النصرة والسعي في رد ملكه اليه . ثم ارسل الى قلج ارسلان يتشفع في اعادة ملكه فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين اليه وملك كيسون وبهنسي ومرعش ومرزبان ثم سير بعضا من عسكره الى سيواس فتملكوها فاضطرب عز الدين قلج ارسلان وارسل الى نور الدين يطلب الصلح واعادة سيواس الى ذي النون فقبل نور الدين ذلك

وفي سنة ٥٦٩ هـ توفي نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوال ولم يكن في سير الملوك احسن منه سيرة ولا اكثر تحريا للعدل منه وكان لا ياكل ولا يلبس الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة . ولقد شكت اليه زوجته الضائقة فاعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً . فلما

استقلتها قال . ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك . ولما مات ملك بعده ابنه الملك الصالح وكان عمره احدى عشرة سنة واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه . وفي هذه السنة لما سمع سيف الدين صاحب الموصل بوفاة نور الدين خلع الطاعة وملك نصيبين والخابور وحران والرها وغيرها من اعمال الجزيرة . وفي سنة ٥٧٠ ﻫ خاف امراء دمشق من سيف الدين لئلا يعبر اليهم فسيروا الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب ليصد سيف الدين عن العبور الى الشام فلما خلت دمشق عن السلطان والعساكر سار اليها صلاح الدين يوسف بن ايوب (وكان قد عصي على الملك الصالح واستقل بمصر واستولى على كثير من بلاد الشام كما ستراه بالتفصيل في ذكر الدولة الايوبية ان شاء الله) فلكها وملك بعدها حمص وحماة وبعلبك وسار الى حلب لحصرها . فركب الملك الصالح وهو صبي عمره اثنتا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان ابي اليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله والخلق » . وقال من هذا كثيراً وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه . فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه

وفي سنة ٥٧٥ ﻫ توفي الامام المستضيء بامر الله وكانت خلافته تسع سنين وعمره تسعا وثلاثين سنة وكان عادلا حسن السيرة في الرعية قليل المعاقبة على الذنوب محبا للعفو فعاش حميداً ومات سعيداً

٦٤ — خلافة الناصر لدين الله بن المستضيء

من سنة ٥٧٥ ﻫ — ٦٢٢ ﻫ او من سنة ١١٧٩ — ١٢٢٥ م

لما توفي المستضيء بويع ابنه ابو العباس احمد ولقب الناصر لدين الله . وفي سنة ٥٧٦ ﻫ مات سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وولي بعده عز الدين الموصل فاعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه واعطى قلعة شوش لابنه الصغير ناصر الدين كبك . وكان المدبر لدولة

عز الدين مجاهد الدين قيماز واستقرت الامور ولم يختلف عليه اثنان

وفي سنة ٥٧٧ توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة . فلما ايس من نفسه احضر الامراء واوصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي . فتسلم حلب ثم سلمها لاخيه عماد الدين واخذ عوضاً عنها مدينة سنجار . وفي سنة ٥٧٨ هـ بعد ان ملك صلاح الدين ديار الجزيرة سار الى الموصل وبها عز الدين صاحبها ونائبه مجاهد الدين قد جمعا بها العساكر الكثيرة من فارس وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الابصار . فلما قرب صلاح الدين من البلد رأى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه ومع ذلك نزل عليها وانشب القتال . وخرج اليه يوماً بعض العامة فنال منه واخذ لالكة من رجله فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميراً يقال له جاولي الاسدي (وهو مقدم الاسدية وكبيرهم) فاصاب صدره فوجد لذلك ألما شديداً وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال . قد قابلنا اهل الموصل بحماقات ما رأينا مثلها بعد . والقى اللالكة وحلف انه لايعود يقاتل عليها أنفة حيث ضرب بها . فلما رأى صلاح الدين انه لاينال من الموصل غرضا ولا يحصل على غير العناء والتعب سار عنها الى سنجار وملكها . وفي سنة ٥٧٩ هـ سار صلاح الدين الى حلب فنزل بجبل جوشن واظهر انه يريد بناء مساكن له ولاصحابه وعساكره . فال عماد الدين زنكي الى تسليم حلب واخذ العوض عنها . فتقرر الصلح على ان يسلم حلب الى صلاح الدين ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين وخابور والرقة وسروج . وجرت اليمين فباعها على ذلك بابخس الاثمان اعطى حصنا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومراوع فقبح الناس كلهم ما أتى

وفي سنة ٥٨٠ هـ مات قطب الدين بن ايلغازي بن نجم الدين البي تمرتاش صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين يولق ارسلان وهو طفل وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم في دولته بعد موته فرتب نظام الدين التقش (ويقال البقش) مع ولده وقام بتربيته وتدبير مملكته وكان دينا خيراً فاحسن تربية الولد وتزوج امه فلما كبر الولد لم تمكنه النظام من مملكته لخبط وهوج كان فيه ولم يزل الامر على ذلك الى ان مات الولد وله اخ اصغر

منه لقبه قطب الدين فرتبه النظام في الملك وليس له منه الا الاسم والحكم الى النظام ومملوك له اسمه لؤلؤ فبقي كذلك الى سنة ٦٠١ هـ فرض التفش النظام فاتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ فضربه قطب الدين بسكين معه فقتله . ثم دخل الى النظام فقتله ايضا وخرج وحده ومعه غلام له والقى الرأسين الى الاجناد فاذعنوا له بالطاعة واستولى على قلعة ماردين وقلعة البارعية والصور وحكم فيها وحزم في افعاله

وفي سنة ٥٨١ هـ حصر صلاح الدين الموصل مرة اخرى فسير اتابك عز الدين صاحبها والدته اليه ومعه ابنة عمه نور الدين محمود وغيرها من النساء وجماعة من الاعيان يطلبون المصالحة . وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لاسيما ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين . فلما وصلن اليه انزلهن واعتذر باعذار غير مقبولة واعادهن خائبات . فبذل العامة نفوسهم غيظا وحنقا لرده النساء . فندم صلاح الدين على رد النساء وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره يقبحون فعله ويشكرونه . وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر ويعودون . فعزم صلاح الدين على قطع دجلة عن الموصل الى نينوى ليعطش اهلها فيملكها بغير قتيل . ثم علم انه لايمكنه قطعه بالكلية وان المدة تطول والتعب يكثر فاعرض عنه ورحل الى ميافارقين فصالحه اهلها

وفي سنة ٥٩٤ هـ توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وملك نور الدين نصيبين . وفي سنة ٥٩٧ هـ في شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره اياما وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك محمد صلتق (وهم بيت قديم قد ملكوا ارزن الروم) فلما قاربها ركن الدين خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلاد وهذا كان آخر اهل بيته الذين ملكوا

٦٥ - ابتداء دولة المغول

وفي سنة ٥٩٩ هـ ابتدأت دولة المغول اوالمغل وهي قبيلة من التركمانت تقيم حوالي بحيرة بيكال في جنوبي سيبيريا وتاريخهم القديم مظلم لانهم لم يظهروا الا بظهور جنكزخان وكان والده اميراً على ١٣ قبيلة من المغول تحت رعاية الخان الاكبر المدعو أونك خان بعهود متبادلة بينهما . ولد جنكزخان سنة ٥٤٨ هـ فسموه تموجين وهو اسمه الذي كان يعرف به في نشأته الاولى وبعد اربع عشرة سنة توفي ابوه فاستخف رؤساء القبائل بتموجين وتمردوا عليه واصبح كل منهم يطلب السيادة لنفسه . وكان تموجين شديد البطش من حداثته فجمع رجاله وحارب الثائرين وتغلب عليهم فهابه الناس . على انه لم يستغن عن استنجاد الخان الاكبر فانجده وأكرمه وثبته في امارة ابيه وأزوجه ابنته . وكان تموجين قد شب على ظهور الخيل وتعلم رمي النشاب وضرب السيف وأتقن الفروسية بسائر فروعها وكان قوي البدن شجاعاً صبوراً على التعب والجوع والبرد والالم وعود رجاله على ذلك فاجتمعت كلمتهم على نصرته وانقادوا لامره ولما علت منزلة تموجين عند الخان هاجت عوامل الحسد في أعضاء أسرته وغيرهم من رجال الدولة وكان تموجين قد اغرى الخان باولئك الامراء فضيق الخان عليهم فاوغرت صدورهم فثاروا عليه (على الخان الاكبر) وشقوا عصا الطاعة وحاربوه وغلبوه فاستنجد تموجين فانجده وأعاده الى كرسيه ومثل باعدائه حتى القى سبعين رجلا منهم في الماء الغالي وهم أحياء . فلما ظهر تموجين وأظهر القسوة والشدة خافه حموه وحسده فادرك تموجين ذلك فسعى في اصلاح ما بينهما بالحسنى فلم ينجح وعزم الخان الاكبر أونك خان على اغتيال تموجين والقبض عليه . فانضم الى تموجين غلامان من غلمان أونك خان وأعلماه القضية وعينا له الليلة التي يريد فيها أونك خان كبسه . وفي الحال أمر تموجين أهله باخلاء البيوت من الرجال وتركها على حالها منصوبة وكمن هو مع الرجال بالقرب من البيوت . وفي وقت السحر لما هجم أونك خان وأصحابه على بيوت تموجين لقيها خالية . وكر عليه تموجين وأصحابه من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال وأثخنوهم وهزموهم . وحاربوهم مرتين حتى قتلوا (الخان الاكبر) أونك خان

وأبطاله وسبوا ذراريه . وبعد قتل الخان الاكبر تولى تموجين عرش المنول . وحارب تموجين بعد ذلك حروبا فاز فيها فارداد امراؤه تعلقا به فاحتفلوا بتهنئته احتفالا عظيما في سهل على ضفاف سلنكا فاجتمع الامراء والخانات فخطب فيهم وكان قوي العارضة فابدع . ثم جلس على لبادة سوداء فرشوها له هناك (وأصبحت تلك اللبادة أثراً مقدسا عندهم من ذلك الحين) ثم وقف بعض الحضور وكان من أهل التقوى والنفوذ فقال « مهما بلغ من قوتك فانها من الله وهو سيأخذ بيدك ويشد أزرك فاذا أفرطت في سلطانك صرت أسود مثل هذه اللبادة ونبذك رجالك نبذ النواة » وفي هذا القول من حرية البداوة والجرأة مثلما كان يحصل من جرأة العرب على خلفائهم وامرائهم في صدر الاسلام . ثم تقدم سبعة أمراء أنهضوه باحترام وساروا بين يديه حتى أجلسوه على عرشه ونادوا به مالكاً على المغول . وكان في جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال « يا اخوتي قد رأيت في منامي كأن رب السماء على عرشه الناري تحدق به الارواح وقد أخذ يحاكمة أهل الارض فحكم أن يكون العالم كله لمولانا تموجين وان يسمى جنكزخان اي الملك العام » ثم التفت الى الملك تموجين وقال « لبيك أيها الملك فانك تدعى من الآن جنكزخان بامر الاله » ولم يعد يعرف بعد ذلك الا بهذا الاسم . هكذا كانت بداءة دولة المغول وظهور جنكزخان

(عود تابع فصل ٦٤) وفي سنة ٦٠٠ هـ توفي السلطان ركن الدين صاحب قونية وملك ابنه قلج ارسلان وكان صغيراً وكان غياث الدين كيخسرو أخو ركن الدين يومئذ بقلعة من قلاع القسطنطينية ولما سمع بموت أخيه سار الى قونية وقبض على ابن أخيه الصبي وملكها وجمع الله له البلاد جميعها وعظم شأنه وقوي أمره وكان ذلك في رجب سنة ٦٠١ هـ وفي سنة ٦٠٩ هـ قصد ثلاثة نفر من تجار النجاريين ديار التاتار ومعهم البضائع من الثياب المذهبة والكرباس وغيرها مما يليق بالمغول بما سمعوا ان للمتاع عندهم قيمة وافرة وان الطرق آمنة لان جنكزخان قد اقام بها جماعة يسمونهم قراقجية أي مستحفظين يخفرون المترددين اليهم فقوي عزمهم على ذلك فساروا نحوهم . ولما وصلوا الى نواحيهم وافاهم المستحفظون ووقفوا على ما معهم من السلع فرأوا قماش واحد منهم اسمه

احمد لائقا للخان فسيروه مع صاحبيه اليه . فعرض احمد متاعه على الحجاب وطلب في ثمن ثوب كان مشتراه عليه عشرة دنانير الى عشرين ديناراً ثلاثة بواليش. فغضب لذلك جنكزخان وقال . هذا الغافل كأنه يظن اننا ما رأينا ثيابا قط . وأمر الخازن فراه من الاقمشة التي أهداها اليه ملوك الخطا اشياء نفيسة . وتقدم أن يكتب ما معه وأنهبه لمن حضر من الحاشية واعتقل أحمد . وطلب صاحبيه فعرضا عليه متاعهما برمته وقالا . هذا كله انما أتينا به لنقدمه خدمة للخان لا لنبيعه عليه . فالحوا عليهما أن يثمناه فلم يفعلا . فامر جنكزخان أن يعطيا لكل ثوب مذهب باليش من ذهب ولكل كرباسين باليش من فضة وعوض لاحمد مثلما أعطاهما . وتقدم الى الاولاد والخواتين والامراء أن ينفذوا معهم جماعة من أصحابهم ومعهم بواليش الذهب والفضة ليجلبوا لهم من طرائف البلاد ونفائسها فامتثلوا ما أمرهم به فاجتمع معهم مائة وخمسون تاجراً من مسلم ونصراني وتركي وأرسل معهم رسولا الى السلطان محمد خوارزم شاه يقول له . ان التجار وصلوا الينا وقد أعدناهم الى ما منهم سالمين غانمين وسيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الاطراف فينبغي أن يعودوا الينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين : فلما وصل التجار الى مدينة اترار طمع أميرها غاير خان فيما معهم من الاموال فارسل الى محمد خوارزم شاه يعلمه بوصول هؤلاء وكثرة مامعهم و طمعه . فارسل اليه خوارزم شاه يامره بقتلهم وأخذ مامعهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئاً كثيراً ولكن نجا واحد من التجار المذكورين هربا من السجن . ولما رأى ما جرى على أصحابه هرب الى بلاد التاتار وأعلمهم بالمصيبة فعظم ذلك على جنكزخان وثار منه ثائراً شديداً أهجره النوم وصار يحدث نفسه و يفتكر فيما يفعله . وقيل انه صعد على رأس تل عال وكشف رأسه وتضرع الى الباري تعالى طالباً نصره على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلاثة أيام بلياليها صائما . وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهبا عليه السواد و بيده عكازه وهو قائم على بابه يقول له : لا تخف افعل ما شئت فانك مؤيد : فانتبه مذعوراً ذعراً مشوبا بالفرح وعاد الى منزله وحكى حلمه الى زوجته ابنة أونك خان (وكان أبوها نصرانياً على ما يقال) فقالت له : هذا زي اسقف كان يتردد الى أبي و يدعو له

ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك : فسأل جنكزخان من في خدمته من نصارى الايغور : هل هنا أحد من الاساقفة : فقيل له عن الاسقف دنحا . فلما طلبه ودخل عليه بالبيرون الاسود قال . هذا زي من رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك . فقال الاسقف . يكون الخان قد رأى بعض قديسينا : ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم . ثم ابتدأ جنكزخان في الاستعداد ليغزو بلاد المسلمين . وتيقن السلطان محمد (خوارزم شاه) ان مافعله من قتل التجار ليس صواباً وربما يهيج التاتار فيحضروا الى بلاده فارسل الجواسيس ليتجسس أحوال التاتار وعددهم فطال غيابهم واخيراً حضروا وأعلموه بكثرة جموعهم وعظم صبرهم في الحروب . وعلموا باستعدادهم لغزو بلاد المسلمين

وفي سنة ٦١٦ هـ قصد جنكزخان بلاد السلطان محمد وأرسل اليه رسولاً يقول له : تقتلون اصحابي وتاخذون أموالهم استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به : فامر خوارزمشاه بقتل رسول جنكزخان فقتل وحلق لحى الذين معه وقال لهم : اذهبوا واخبروا صاحبكم بما فعلت برسوله وقولوا له ان خوارزمشاه يقول لك : أنا سائر اليك ولو كنت في آخر الدنيا حتى أنتقم وافعل بك كما فعلت بالرسول : وتجهز خوارزمشاه وسار مبادراً ليسبق خبره ليكبسه فسار حتى بلغ مدينة التاتار فلم يجد بها الا النساء والصبيان والاطفال (لان جنكزخان ورجاله كانوا مشغولين بحرب ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان) فاوقع خوارزمشاه بهم وسبى الجميع وغنم النساء والذرية . ولم يكد يفرغ خوارزمشاه من أخذ هذه الغنيمة الباردة حتى كانت الاخبار قد وصلت جنكزخان بما فعله السلطان محمد (خوارزمشاه) بمدينته فسير بعضا من جيشه بقيادة أحد أولاده لادراك السلطان محمد فادركه قبل أن يخرج من مدينتهم فدارت رحى الحرب واستمر القتال سجالاً ثلاثة أيام والمسلمون صابرون لانهم أيقنوا أنهم لو انهزموا لم يبق منهم التاتار أحداً . وجرت الدماء على الارض كالانهار وكلّ الفريقان من القتال فلما كانت الليلة الرابعة أوقد التاتار نيرانهم كالعادة وتركوها عائدين الى ملكهم جنكزخان . أما السلطان محمد ومن بقي معه من جيش المسلمين فساروا الى بخارا وهناك قال السلطان محمد

لعساكره . قد رأيتم قوة التاتار وشدة بطشهم ونحن مع كثرتنا لم نقدر على سرية من سراياهم فكم بالحرى اذا جاء ملكهم جنكزخان بجموعهم لايقدر أحد على الوقوف أمامهم والرأي الآن أن أذهب أنا الى خراسان وخوارزم وأجمع العساكر وأتيكم سريعاً . وترك ببخارا عشرين الفاً و بسمرقند خمسين الفاً وسار هو الى خراسان بعد أن أوصى عساكره بالصبر في الحرب وحفظ ما بأيديهم الى أن يأتيهم (بالترياق من العراق)

وفي سنة ٦١٧ هـ نزل جنكزخان بعساكره على مدينة بخارا وبها من عساكر المسلمين العشرون الف رجل الذين تركهم بها خوارزمشاه وهم بقيادة كوك خان فحاصر جنكزخان المدينة وشدد عليها الحصار فلما تحقق عساكر المسلمين عجزهم عن مقاومة التاتار خرجوا من الحصار بعد الغروب فادركهم المحافظون من عساكر المغول على نهر جيحون فاوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يبقوا منهم أثراً . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطلب الامان فخرج الأئمة والاعيان الى جنكزخان يتضرعون اليه ويطلبون حقن دمائهم . فتقدم باخراج كل من بالمدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده (تولي) الى المدينة فوقف على باب الجامع وقال : هذا دار السلطان . فقال له . بل خانه يزدان أي بيت الله فنزل ودخل الجامع وصعد الى المنبر وقال لاكابر بخارا . ان الصحراء خالية من العلف فانتم أشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار . ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات ورموا ما في الصناديق من الكتب وجعلوها أواري للخيل وأحضروا الطعام والشراب هناك (بالجامع) وأكلوا وشربوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الأئمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم : ان الله ملك الكل وضابط الكل أرسلني لاطهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة وذكر لهم ما فعله أمير اترار باذن السلطان محمد بالتجار الى غير ذلك . ثم أمرهم أن يعتزلوا الاغنياء وأصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم وكانوا مائتي ألف وثمانين ألفاً . فقال لهم . ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعلامها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض . فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلوا مع كل قوم باسقاقاً يستخرج المال واشار سراً الى المستخرجين ان لا يكلفوهم مالا يطيقونه ويرفقوا بهم وذلك

لما رأى من حسن اجابتهم الى ما أمروا به . وكان بعض عساكر المسلمين قد دخلوا قلعة بخارا وتحصنوا بها . فاحاط بهم جنكزخان من كل الجوانب وشدد عليهم . ثم أمر جنكزخان بطم خندق المدينة فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان التاتار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق . ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو أربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يوما يقاتلون جموع التاتار فلم يزالوا كذلك حتى وصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد القتال . ومن بها من المسلمين يقاتلون بكل ما يجدونه من أحجار ونار حتى قتلوا عن آخرهم . فاحترقت المدينة باسرها من النيران التي كانوا يرمون بها التاتار لان جل عمائر المدينة كان من خشب فبقيت عرصة بخارا قاعاً صفصفاً وتفرق أهلها متنزحين الى خراسان . وفي ربيع الاول من هذه السنة نزل جنكزخان على مدينة سمرقند وكان قد رتب بها السلطان محمد خمسين الفاً واجتمع اليهم من أهل المدينة ستون الفاً فصار جملة عساكر المسلمين بسمرقند مائة الف وعشرة آلاف فلما نازلها منع أصحابه عن المقاتلة وأنفذ سنتاى نوين ومعه ثلاثون الف محارب في أثر السلطان محمد . وغلاق نوين وبسور نوين الى جانب الطالقان . وأحاط باقي العسكر بالمدينة وقت السحر فبرز اليهم مبارزوا الخوارزمية ونازعوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار وأسروا جماعة وأدخلوهم المدينة . فلما كان الغد ركب جنكزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله من أوله الى أول الليل ووقف الابطال من المغول على أبواب المدينة ولم يمكنوا أحداً من المجاهدين من الخروج . فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع الاختلاف بين أكابر المدينة وتلونت الآراء فبعضهم مال الى المصالحة وبعضهم لم يأمن على نفسه وان أومن خوفا من غدر التاتار . فقوي عزم القاضي وشيخ الاسلام على الخروج فخرجا الى خدمة جنكزخان وطلبا الامان لهما ولاهل المدينة فلم يجبهما الا الى أمان انفسهما ومن يلوذ بهما . فدخلا الى المدينة وفتحا أبوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا لاحد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء

وقتلوهم ولم يبقوا الا على القاضي وشيخ الاسلام ومن التجأ اليهما فاحتمى بهما نيف وخمسون الفا من الخلق . ولما أصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل من لحقوه مختبئا في المغاير متواريا بالستائر . ومن هناك سار جنكزخان الى خوارزم

قد ذكرنا تسيير جنكزخان بعضا من جيشه لاقتفاء أثر خوارزمشاه فعند مسيرهم قال لهم . اطلبوا خوارزمشاه أين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه . وهذه الطائفة تسمى التتر (أو التاتار) المغربة لانها سارت غربا نحو خراسان . فلما أمرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى پنج أب ومعناه خمس مياه . فلما وصلوا اليه لم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء . ووضعوا فيها سلاحهم وأمتعتهم والقوا الخيل في الماء وأمسكوا أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره وبهذه الوسيلة عبروا دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه الا وقد صاروا معه على أرض واحدة . وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا فلما رأوهم لم يقدروا على الثبات فتفرقوا ايدي سبا . ورحل خوارزمشاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور فلما دخلها اجتمع اليه بعض العسكر لكنه لم يستقر حتى أدركه أولئك التتر فلما سمع بقربهم رحل الى مازندران فتعقبوه من بلدة الى أخرى حتى عاد الى قلعة مازندران مرة أخرى متخفيا فلما وصلها مات فيها مقهوراً (وكانت مدة ملك خوارزمشاه (السلطان محمد) احدى وعشرين سنة وشهوراً تقريبا) وعظم ملكه وأطاعه العالم باسره ولم يملك احد بعد السلجوقية مثل ملكه وبعد وفاته خلفه على الملك ابنه السلطان جلال الدين . أما هذه الفرقة من التاتار التي تتبعت آثار السلطان محمد لما آيست من احضاره حيا الى جنكزخان كطلبه وجهت التفاتها الى الغزو والفتح فملكوا مازندران مع حصانتها ومناعتها في مدة وجيزة ثم ساروا الى الري وهمذان وأذربيجان ومراغة وملكوها وأعملوا في أهلها قتلا ونهبا وسبيا مما لم يسمع بمثله فكانت هذه أعظم مصيبة أصيب بها الاسلام من ظهوره الى ذلك الوقت

اما جنكزخان وباقي جموع التاتار فقد ذكرنا مسيرهم بعد أخذهم سمرقند

الى نواحي خوارزم فلما قرب اليها أرسل الى أهلها يدعوهم الى الأيلية (أي القسم) والدخول في طاعته وشغلهم بالوعد والوعيد والتأميل والتهديد الى ان تمّ جيشه فرتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعا كالحجارة ويرمون بها . وملأوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم وأنشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها وأضرموا النار في محالها فاتت على أكثر دورها وما فيها فأيس المغول من الانتفاع بشيء من غنائمها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة محلة لان أهلها كانوا يمتنعون فيها أشد الامتناع ولم يزالوا كذلك حتى ملك المغول كل المحال وأخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصناع والمحترفين الى ناحية وكانوا مابة الف وأسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من الرجال والنساء العجائز على العسكر ليقتلوهم فقتل كل واحد منهم أربعا وعشرين شخصا

وفي أوائل سنة ٦١٨ هـ عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه أعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وأنواعا من الترغو (المأكل والمشرب) فلم يقبل عليهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن السلطان محمد كان في تلك النواحي يهيء أسباب الحرب ويستعد للقتال فامر بخروج أهل بلخ ليعدوهم كالعادة فلما خرجوا بأسرهم رمى فيهم السيف . ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل أكثر أهلها وأسر من صلح للاسر وأبقى البعض وسار الى الباميان فعصى أهلها وقاتلوا قتالا شديداً واتفق أن أصيب بعض أولاد جقطاي بسهم فقضى نحبه وكان من أحب أحفاد جنكزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك وأضرمت النيران في قلوب المغول وجدّوا في القتال الى أن فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والاجنة في بطون الحوامل أيضا ولم يأسروا منها أحداً قط وتركوها قفراً ولم يسكنها أحد قط الى اليوم وسموها ما وباليغ أي قرية بؤس

ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع بان السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلا ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة اخبروا بان جلال الدين من خمسة

عشر يوما رحل عنها وهو عازم على أن يعبر نهر السند فلم يستقر جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . و بالغ المغول في المكافحة وتقدم جنكزخان ان يقبض عليه حيا . ووصل جغطاي و اقطاي أيضا من جانب خوارزم . فلما رأى جلال الدين انه يوم عمل شهم وضرغم ابطال المغول و تطلب اطلابهم وحمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضروه حيا بين يدي جنكزخان امتثالا لمرسومه . فكانوا يتقدمون اليه قليلا قليلا . فلما عاين تضييق الحلقة عليه نزل فودع أولاده بل أكباده من نسائه وخواصه باكيا كئيبا ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور واقحم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان وأصحابه ينظرون اليه ويتأملونه حيارى . ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجبا والتفت الى ولديه وقال لهما : من أب مثل هذا ينبغي أن يولد : اذا نجا من هذه الواقعة فوقائع كثيرة تجري على يديه . ومن خطبه لا يغفل من يعقل . وأراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلا : انكم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط . فلما فاتهم أخذوا أمر الخان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع . ولان جلال الدين عند ما أراد الخوض في النهر ألقى جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة والنقرة فيه . أمر الغواصين فاخرجوا منها ما أمكن اخراجه . وبعد فرار جلال الدين من ايدي التاتار رجعوا الى مدينة غزنة وملكوها وملكوا غيرها فترى انهم في أقل من سنة ملكوا جزأ من المعمور عظيما لم يتيسر لاحد ملكه في مثل هذه المدة

وفي سنة ٦٢٢ﻫ في آخر شهر رمضان توفي الخليفة أبو العباس أحمد الناصر ابن المستضيء بعد ان عجز عن الحركة ثلاث سنين من آخر عمره وذهبت احدى عينيه وضعف بصر الاخرى . وكان عمره سبعين سنة ومدة خلافته ستا وأربعين سنة وأحد عشر شهراً

٦٦ـ خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله

من سنة ٦٢٢ — ٦٢٣ هـ أو من سنة ١٢٢٥ — ١٢٢٦ م

لما توفى الامام الناصر لدين الله بويع ابنه الظاهر بامر الله عدة الدين أبو نصر محمد في ثاني شوال سنة ٦٢٢ هـ

وكان والده قد بايع له بولاية العهد سنة ٥٨٥ وخطب له بها مع أبيه على سائر المنابر ومضت على ذلك مدة ثم نفر منه بعد ذلك وخافه على نفسه فانه كان شديداً قويا أبداً عالي الهمة فاسقط اسمه من ولاية العهد في الخطبة واعتقله وضيق عليه ومال الى أخيه الصغير الامير علي الا أنه توفى سنة ٦١٢ هـ في حياة ابيه . فعلم الناصر انه لم يبق له ولد تصير الخلافة اليه من بعده غير ابنه أبي نصر فعهد اليه وبايع له الناس وهو في الحبس مضبوط عليه . وكانت عامة أهل بغداد يميلون اليه . فلما توفي الامام الناصر أخرجه ارباب الدولة وبايعوه بالخلافة . وأظهر من العدل والاحسان ما حمد منه فازال مكوسا كثيرة وفرق في الناس أموالا جزيلة وأملاكا جليلة . وارتفع عن الناس ما كانوا لقوه من الخوف في زمان والده فاظهروا نعمتهم . وامتنع المفسدون من السعايات لكن لم تطل مدة خلافته لانه توفي في رابع عشر من شهر رجب سنة ٦٢٣ هـ وكانت خلافته تسعة أشهر

٦٧ـ خلافة المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله

من سنة ٦٢٣ — سنة ٦٤١ هـ أو من سنة ١٢٢٦ — ١٢٤٣ م

ولما توفي الامام الظاهر بامر الله بويع ابنه أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بأمر الله وأظهر من العدل وحسن السيرة أضعاف ما فعل أبوه وأفاض من الصدقات ما أربى على من تقدمه وأنشأ المدرسة المعروفة بالمستنصرية فعمرت على أحسن وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها ووقوفها . ورتب لها من الخبز والطعام ما يكفي من فيها ويزيد الى غير ذلك من

الامور الضرورية كالاطباء والصيادلة . الا انه وجد الدولة اختلفت والاعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت أو عـدمت فضاقت عن ارزاق الجند فاسقط كثيراً من الجند واختلفت الاحوال . وهو الذي أعاد له محمد بن يوسف بن هود الدعوة العباسية بالاندلس آخر دولة الموحـدين بالمغرب فولاه عليها وذلك في سنة ٦٢٩ هـ كما سنذكره في أخبارهم ان شاء الله . وفي أيامه استولى التاتار (المغول) على كثير من بلاد المسلمين حتى وصلوا في بعض غزواتهم الى بغداد فردتهم عساكر المسلمين على الاعقاب . واستمرت خلافة المستنصر الى سـنة ٦٤١ هـ التي توفى فيها وكانت خلافته نحو ثماني عشرة سنة

٦٨ - خلافة المستعصم بالله بن المستنصر

من سنة ٦٤١ — ٦٥٦ هـ أو من سنة ١٢٤٣ — ١٢٥٨ م

ولما توفي الامام المستنصر بالله بويع ابنه عبد الله ولقب المستعصم بالله وكان صاحب لهو وقصف وشغف بلعب الطيور واستولت عليـه النساء . وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول وكان اذا نبـه الى ما ينبغي أن يفعله في أمر التاتار أما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبـل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول . انا بغـداد تكفيني ولا يستكثرونها علي اذا تنازلت لهم عن باقي البـلاد ولا يهجمون عليَّ وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي . فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عـدلت به عن الصواب فاصيب بمكاره لم تخطر بباله لان التاتار بعد أن ملكوا الري وأصبهان وهمذان وأغلب العراق تقدموا في سـنة ٦٥٥ قاصـدين مدينة بغداد وهم بقيادة القائد الشهير هولا كو . فلما بلغ الخليفة قصدهم احضر خواصه ليتشاوروا في الامر . فاشار عليه الوزير أن يبذل الاموال والهـدايا والتحف لهولاكو وخواصـه ويسترضوا خواطرهم فقال الدويدار الصغير لاصحابه : ان الوزير انما يدبر شأن نفسـه مع التاتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك فابطل . الخليفة بهذا السبب انفاذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نذر لا قدر له وارسله الى هولا كو فغضب وعزم

على الاسراع الى بغداد . وفي هذه الاثناء حصلت فتنة ببغداد بين السنية والشيعة (وكان الوزير وهو اذ ذاك ابن العلقمي شيعيا) فامر الخليفة بنهب دور الشيعة فنهبت ولم يراع فيه ذمة الوزير فشق عليه ذلك وتربص بالدولة وارسل الى هولاكو يهون عليه فتح بغداد واذا أراد الله امراً هيأ اسبابه . فلما كانت سنة ٦٥٦ هـ نزل هولاكو بجموع التاتار على بغداد وحاصرها من جميع الجوانب ورماها بالمنجنيق والنفط فلما راى الخليفة في نفسه العجز عن المقاومة ارسل الوزير ابن العلقمي الى هولاكو لطلب الصلح فاستأمن لنفسه وأخذ أمانا للمستعصم منه انه يبقي على خلافته . فخرج المستعصم لمقابلة هولاكو ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ثم قتل المستعصم ضربا بالعمد ووطأ بالاقدام جثته . وركب الى بغداد فاستباحها واتصل العيث بها أياما وخرج النساء والصبيان وعلى رؤسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر وماتوا جميعا وكانت مصيبة عظيمة على المسلمين و يقال ان الذى أحصى ذلك اليوم من القتلى الف الف وسمائة الف نسمة وان يكن هذا النقل من مبالغة المؤرخين الاقدمين فلا أقل من كونه يفيد ان الخسارة كانت جسيمة جداً . ونهبت العساكر من قصور الخلفاء وخزائنها أموالا وذخائر لا تعد ولا تحصى والقوا جميع كتب العلم في نهر دجلة وكانت عدداً عظيما . وانقرض بهذه الحادثة أمر الخلافة الاسلامية لبني العباس ببغداد فكانت دولة بني العباس من يوم بويع للسفاح سنة ١٣٢ هـ الى ان قتل المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ خمسمائة سنة واربعا وعشرين سنة وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى

٦٩ — دولة بني أمية بالاندلس

(تمهيد) لايخفى على القارىء الكريم ان بلاد الاندلس (اسبانيا) فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ في ايام الوليد بن عبد الملك راجع ما كتب (بالفصل ١٦) ومن ذلك الحين الى سنة ١٣٩ هـ كان يتولاها امراء من قبل الخلافة العظمى من بني أمية أولا ثم من بني العباس ثانيا . وأول من وليها موسى بن نصير عامل

أفريقيا الذي فتحها مولاه طارق ثم هو تمم فتحها ثم عزل وولي بعده ابنه عبد العزيز فضبطها وحمي ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة وكان خيراً فاضلاً وبقي والياً عليها الى سنة ٩٧ ﻫ وقيل ٩٨ ﻫ فقتل بها. فبقيت الاندلس بلا وال ستة أشهر ثم اتفقوا على حبيب ابن أيوب اللخمي وهو ابن أخت موسى ابن نصير فكان يصلي بهم لصلاحه وتحول الى قرطبة وجعلها دار الامارة في أول سنة ٩٨ ﻫ وقيل ٩٩ ﻫ ثم ان سليمان بن عبد الملك (فصل ١٧) استعمل بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي فقدمها سنة ٩٨ ﻫ وأقام واليا عليها سنتين وتسعة أشهر فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة (فصل ١٨) استعمل على الاندلس السمح بن مالك الخولاني وأمره أن يميز أرضها ويخرج منها ما كان عنوة ويأخذ منه الخمس ويكتب اليه بصفة الاندلس وكان رأيه اقفال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين فقدمها السمح سنة ١٠٠ ﻫ في شهر رمضان وفعل ما أمره عمر وقتل عند انصرافه من دار الحرب سنة ١٠٢ ﻫ. ثم وليها بعد السمح عنبسة بن سحيم الكلبي سنة ١٠٣ ﻫ وتوفي في شعبان سنة ١٠٧ ﻫ ثم وليها بعده يحيي بن سلمى الكلبي في ذي القعدة سنة ١٠٧ ﻫ فبقى عليها واليا سنتين وستة أشهر ثم وليها حذيفة بن الابرص الاشجعي سنة ١١٠ ﻫ ولم تكن ولايته الاستة أشهر وعزل. ثم وليها عثمان ابن ابي نسعة الخثعمي سنة ١١٠ ﻫ وعزل سنة ١١١ ﻫ وكانت ولايته خمسة أشهر. ثم وليها الهيثم بن عبيد الكناني فقدمها في المحرم سنة ١١١ ﻫ واقام واليا عليها عشرة اشهر واياما ثم توفي في ذي الحجة فقدم اهل الاندلس على انفسهم محمد بن عبد الله الاشجعي وكانت ولايته شهرين وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر سنة ١١٢ ﻫ واستشهد برمضان سنة ١١٤ ﻫ. ثم وليها عبد الملك بن قطن الفهري فاقام عليها سنتين وعزل ثم وليها بعده عقبة بن الحجاج السلولي دخلها سنة ١١٦ ﻫ فوليها خمس سنين وثار أهل الاندلس به فخلعوه وولو بعده عبد الملك ابن قطن وهي ولايته الثانية. ثم وليها بلج بن بشر القشيري بايعه أصحابه فهرب عبد الملك ولحق بداره وهرب ابناه قطن وأمية فلحق أحدهما بماردة والاخر بسرقسطة. ثم ثارت اليمنية على بلج وسألوه قتل عبد الملك بن قطن فلما خشى فسادهم أمر به فقتل وصلب وكان عمره تسعين سنة. فلما بلغ ابنيه قتله حشدا

من ماردة الى اربونة فاجتمع اليهما مائة الف (على ما يقال) وزحفوا الى بلج ومن معه بقرطبة فخرج اليهم بلج فلقيهم بمن معه من أهل الشام بقرب قرطبة فهزمهما ورجع الى قرطبة فمات بها بعد أيام يسيرة فاراد اليمانية أن يولوا بدلا عنه ابا الخطار وامتنعت مضر ورأسهم الصميل بن حاتم بن شمر وافترقت الكلمة فاقامت الاندلس أربعة أشهر بغير أمير . ثم قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للاحكام فلما تفاقم الامر اتفق رأيهم على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب ابن أبي عبيدة الفهري فوليها يوسف سنة ١٢٩ ﻫ واستقر الامر ان يلي سنة ثم يرد الامر الى اليمن فيولون من أحبوا من قومهم فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن باسرهم يريدون ان يولوا رجلا منهم فبيتهم الصميل فقتل منهم خلقا كثيراً (وهي وقعة شقنده المشهورة) وفيها قتل ابو الخطار واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت وبالسيوف حتى تكسرت ثم تجاذبوا بالشعور وكان ذلك سنة ١٣٠ ﻫ واجتمع الناس على يوسف ولم يعترضه أحد (وقيل غير ذلك) ثم توالى القحط على الاندلس وجلا أهلها عنها وتضعضعت الى سنة ١٣٦ ﻫ وفيها اجتمع تميم بن معبد الفهري وعامر العبدري بمدينة سرقسطة وحاربهما الصميل ثم حاربهما يوسف الفهري فقتلهما . وبقي يوسف على الاندلس الى أن غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام على ما سنذكره ان شاء الله

٧٠ — عبد الرحمن بن معاوية

من سنة ١٣٩ ﻫ — ١٧٢ ﻫ أو من سنة ٧٥٦ — ٧٨٨

لما نزل ما نزل ببني أمية بالمشرق وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ١٣٢ ﻫ وتتبع العباسيون آثارهم يقتلون من يجدونه منهم حيث وجدوه فطلبوا بطن الارض وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هرب ومعه بدر مولاه فقصدا بلاد المغرب بافريقيا فنزلا على قوم من زناتة فاحسنوا قبولها . ثم سار عبد الرحمن الى ان لحق بمليلة . وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين وأشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له بالاندلس

دعوة ونشروا له ذكراً ووافق ذلك ما قدمناه من الفتنة بين اليمنية والمضرية فاجتمعت اليمنية على أمره ورجع اليه بدر مولاه ومعه بعض روسائهم فوصلوا اليه وأبلغوه طاعتهم له وأخذوه ورجعوا الى الاندلس وذلك في سنة ١٣٨ ﻫ في خلافة أبي جعفر المنصور (من بني العباس) فاتاه جماعة من أهل اشبيلية وبايعوه ثم سار الى كورة رحب فبايعه عاملها عيسى بن مسور ثم الى شدونه فبايعه عتاب ابن علقمة اللخمي ثم أتى مورور فبايعه ابن الصباح ونهز الى قرطبة فاجتمت عليـه اليمنيه ونمي خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازيا ببلاد الاسبان فجمع عسا كره ورجع الى قرطبة لقتال عبـد الرحمن بن معاوية وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتطلف له والمكر به فلم يتم له مراده. أما عبد الرحمن فسار الى مالقة واحتلها وبايعه من بها من الجند ثم برندة فبايعه جندها ثم بشر بش كذلك فتوافت عليه الامداد والامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف الفهري غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف اليـه حينئذ عبـد الرحمن بن معاوية وناجزهم الحرب بظاهر قرطبـة فانكشف ورجع الى غرطانة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن بن معاوية فنازله ثم رغب اليه يوسف فى الصلح فعقد له على أن يسكن قرطبة وأقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة ١٤١ ﻫ ولحق بطليطلة واجتمع اليـه زهاء عشرين الفا من البربر. وقدم الامير عبد الرحمن للقائه عبد الملك بن عمر المرواني (وكان قد وفد عليه من المشرق) وسار يوسف اليهما وخرجا اليه فلقياه فتناجز الفريقان ودارت الدائرة على يوسف فهرب واغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة و بنى القصر والمسجد الجامع أنفق عليـه ثمانين الف دينار ومات قبل تمامه. و بني مساجد أخرى ووفد عليه جماعة من أهـل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطعها لما تم له الملك بالاندلس ومهد أمرها وخلد لبني مروان السلطان بها وجدد ماطمس لهم بالمشرق من معالم الخـلافة وآثارها. واستلحم الثوار في نواحيها وقطع دعوة العباسيين من منابرها وسد المذاهب منهم دونها ومات سنة ١٧٢ ﻫ. وكان يعرف بعبـد الرحمن الداخـل لانه أول داخـل للاندلس من ملوك بني مروان

وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر بني أمية لما رأى ما فعل بالاندلس وما ركب اليها من الاخطار وانه جاءها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا قوة ولا أنصار فغلب على أهلها وعلى أميرها وتناول الملك من أيديهم وأورثه عقبه . وكان عبد الرحمن هذا يلقب بالامير وعليه جرى بنوه فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الثامن منهم على ما نذكره ان شاء الله فتسمى بامير المؤمنين وتوارث ذلك بنوه

وفي سنة ١٤٩ هـ خالف عليه هشام بن عبد ربه الفهري بطليطلة وأعاد بها دعوة بني العباس فسير اليه عبد الرحمن بن معاوية مولاه بدراً لحاصره ومعه حيوة ابن الوليد الحصبي وحمزة بن عبد الله بن عمر فهزمهم وجاء بهم الى قرطبة وصلبوا بها . وفي هذه السنة (١٤٩ هـ) سار من أفريقيا الى الاندلس العلاء ابن مغيث اليحصبي ونزل باجة من بلاد الاندلس داعيا لأبي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار اليه الامير عبد الرحمن ولقيه بنواحي اشبيلية فقاتله أياماً ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من أصحابه وبعث عبد الرحمن برؤوس كثيرة منهم الى القيروان ومكة فألقيت في أسواقها سراً ومعها اللواء الأسود وكتاب المنصور للعلاء

وفى سنة ١٥٦ هـ سار الامير عبد الرحمن لقتال رجل بشرق الاندلس يعرف بشقنا بن عبد الواحد وكان قد استخلف على قرطبة ابنه سليمان فاتاه كتابا يخبره بخروج أهل اشبيلية مع عبد الغفار وحيوة بن ملابس عن طاعته وعصيانهم عليه واتفق من بها من اليمانية معهما فرجع عبد الرحمن ولم يدخل قرطبة وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم فقدم ابن عمه عبد الملك بن عمر وكان شهاب آل مروان وبقي عبد الرحمن خلفه كالمدد له فلما قارب عبد الملك أهل اشبيلية قدم ابنه أمية ليعرف أحوالهم فرآهم متيقظين فرجع الى أبيه . فلامه أبوه على اظهار الوهن وضرب عنقه وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم : طردنا من المشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقي الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر : ففعلوا وحمل بين أيديهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية فلم تقم بعدها لليمانية قائمة . وجرح عبد الملك في أثناء هذه الواقعة .

وبلغ الامير عبد الرحمن خبر هذا الانتصار المبين . فاتى الى عبد الملك وجرحه يجري دما وقبله بين عينيه وشكرها له وجزاه خيراً ووصله بالصهر وولاه الوزارة . ونجا عبد الغفار وحيوة ابن ملابس الى اشبيلية فسار الامير عبد الرحمن سنة ١٥٧ هـ اليها فقتلهم وقتل خلقاً ممن كان معهم . وفي سنة ١٦١ هـ غدر بشقنا رجلان من أصحابه وجاء برأسه الى عبد الرحمن . وفي سنة ١٦٢ هـ سار عبد الرحمن ابن حبيب الفهري من أفريقيا الى الاندلس مظهراً للدعوة العباسية ونزل بتدمير واجتمع اليه البربر وكان سليمان ابن يقظان عاملا على برشلونة فكتب اليه يدعوه الى أمره فلم يجبه . فسار اليه في البربر ولقيه سليمان فهزمه وعاد الى تدمير وزحف اليه عبد الرحمن بن معاوية من قرطبة فاعتصم بجبل بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه الاموال فاغتاله رجل من أصحابه البربر وحمل رأسه الى الامير عبد الرحمن بن معاوية . وفي سنة ١٦٨ هـ خرج أبو الاسود محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن فلقيه بقسطلونة وهزمه وأثخن في أصحابه ثم لقيه ثانية سنة ١٦٩ هـ وهزمه ثم هلك أبو الاسود سنة ١٧٠ هـ في أعمال طليطلة وقام مكانه أخوه قاسم وغزاه عبد الرحمن فحاصره فجاء بغير أمان فقتله

وفي سنة ١٧٢ هـ توفى الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بقرطبة وكان فصيحا لسنا شاعراً حليما عالما حازما سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد في الامور برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحذر سخيا جواداً وكان يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمنصور في حزمه وشدته وضبط المملكة . و بنى الرصافة بقرطبة تشبيها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ولما سكنها رأى فيها نخلة منفردة فقال

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي بالتغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي
نشأت بارض أنت فيها غريبة ... فمثلك في القصاء والمنتاي مثلي

وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة

٧١ – هشام بن عبد الرحمن

من سنة ١٧٢ هـ — ١٨٠ هـ أو من سنة ٧٨٨ — ٧٩٦ م

كان عبد الرحمن قد عهد الى ابنه هشام ولم يكن أكبر ولده فان سليمان أكبر منه وانما كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الامر فلهذا عهد اليه ولما توفي أبوه كان هو بماردة متوليا لها وكان أخوه سليمان وهو أكبر منه بمدينة طليطلة وكان يروم الامر لنفسه ويحسد أخاه هشاما على تقديم والده له عليه وأضمر له الغش والعصيان . وكان أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي (أو المسكين حاضراً بقرطبة عند والده فلما توفي جدد البيعة لاخيه هشام بعد ان صلى على والده وكتب الى أخيه هشام يعرفه موت والده والبيعة له فسار من ساعته الى قرطبة فدخلها في ستة أيام واستولى على الملك . ولم يكد يستولي على كرسي المملكة حتى أظهر أخوه سليمان العصيان عليه فاظهر الخلاف بطليطلة ولحق به أخوه عبد الله أيضا وبعث هشام في أثره فلم يلحق به وسار هشام في العساكر فحصرهما بطليطلة وكان سليمان قد جمع وحشد خلقا كثيراً فلما حاصرها هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلد وسار هو الى قرطبة ليملكها فلم يظفر بشيء منها . وبقي هشام محاصراً طليطلة شهرين وأياما ثم عاد عنها بعد أن قطع أشجارها وسار الى قرطبة فأتاه أخوه عبد الله بغير أمان فاكرمه وأحسن اليه فلما دخلت سنة ١٧٤ هـ سير هشام ابنه معاوية في جيش كثيف الى تدمير وفيها سليمان فخار به وخربوا أعمال تدمير ودوخوا أهلها ومن بها وبلغوا البحر فخرج سليمان من تدمير هاربا فلجأ الى البرابرة بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسلك فعاد معاوية الى قرطبة . ثم استقر الصلح بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمان أهله وأولاده وأمواله ويفارق الاندلس واعطاه هشام ستين الف دينار مصالحة عن تركة أبيه عبد الرحمن فسار الى بلد البرابرة وأقام بها . وفي سنة ١٧٢ هـ خرج عليه سعيد بن الحسين الانصاري بطرسوسة من شرق الاندلس ودعا اليه اليمانية وتعصب لهم فاجتمع اليه خلق كثير وملك مدينة طرسوسة وأخرج عامل هشام يوسف القيسي منها فعارضه

موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ووافقته مضر فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل

وفيها أيضا خرج مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة وخرج معه جمع كثير وملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة وكان هشام في شغل بامر أخويه فلما فرغ منهما بعث أبا عثمان عبيد الله بن عثمان بالعساكر الى مطروح فحاصره بسرقسطة أياما ثم أفرج عنه ونزل بطرسوسة قريبا. ثم غدر بمطروح بعض أصحابه وجاء برأسه الى أبي عثمان فبعث به الى هشام. وبعد أن فرغ هشام من أخويه والخوارج القائمين عليه وجه التفاته الى الغزو والفتح فغزا الاسبان مراراً متعددة وانتصر عليهم في عدة وقائع وغنم منهم كثيراً ورجع سالما ظافراً.

وفي سنة ١٨٠ هـ توفي هشام بن عبد الرحمن وكانت امارته سبع سنين وسبعة أشهر وأياما وكان عاملا حازما ذا رأى وشجاعة وعدل محبا لاهل الخير والصلاح شديداً على الاعداء راغبا في الجهاد ولكثرة مناقبه الحسنة شبهوه بعمر بن عبد العزيز (فصل ١٨)

٧٢ - الحكم بن هشام

من سنة ١٨٠ — ٢٠٦ هـ أو من سنة ٧٩٦ — ٨٢١ م

لما توفي هشام تولى ابنه الحكم. وكان الحكم صارما حازما وهو أول من استكثر من المماليك بالاندلس وارتبط الخيل ببابه وتشبه بالجبابرة. وكان يباشر الامور بنفسه وكان فصيحا شاعراً. ولاول ولايته خرج عليه عماه سليمان وعبد الله وكانا في بلاد المغرب الاقصى من أفريقيا فعبر أولا عبد الله البلنسي فتولى بلنسية. وتبعه أخوه سليمان وأقبلا يؤلبان الناس على الحكم ويثيران الفتنة فتحاربوا مدة فظفر الحكم بعمه سليمان وقتله وأما عبد الله فاقام ببلنسية وقد كف عن الفتنة واغتنم الاسبان الفرصة فقدموا في جموعهم الى مدينة برشلونة وهزموا عنها جيوش المسلمين وملكوها وكان ذلك سنة ١٨٥ هـ وفي سنة ١٨١ هـ خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابي الحجاج بناحية الثغر ودخل سرقسطة وملكها. وفيها أيضا خالف عبيدة بن حميد بطليطلة فامر الحكم: القائد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طلبيرة أن يحارب أهل طليطلة فاكثر قتالهم

وضيق عليهم وأخيراً كاتب رجالا من أهل طليطلة يعرفون ببني مخشي واستمالهم فوثبوا على عبيدة ابن حميد وقتلوه وحملوا رأسه الى عمروس فسير الرأس الى الحكم وما زال عمروس يقاتل أهل طليطلة الى أن استقامت تلك الناحية فجعل ابنه يوسف عليها . فاغتاظ لذلك أهل طليطلة وساروا الى بلاد الاسبان وأغروهم على غزو طليطلة وسهلوا عليهم فتحها فلما كانت سنة ١٨٧ ﻫ سار جيش الاسبان قاصداً طليطلة وحاصرها وضيق عليها ولم يقدر من بها على الدفاع فافتتحها الاسبان وأسروا يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس . فلما بلغ عمروس هذا الخبر سار الى مدينة سرقسطة ليحفظها من تقدم الاسبان عليها ثم جمع عساكره وسيرهم مع ابن عم له فالتقى بالاسبان واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم الاسبان هزيمة شنعاء وولوا الادبار بعد أن قتل منهم خلق كثير . وسار جيش عمروس الى صخرة قيس فحصروها وافتتحوها . ولم يقدر الاسبان على منعها لما نالهم من الوهن بالهزيمة ولما فتحها المسلمون خلصوا يوسف بن عمروس أمير الثغر وسيروه الى أبيه فذاع صيت عمروس بسبب هذا الانتصار وخافه الاعداء جداً وأقام بالثغر أميراً عليه

وفي هذه السنة (١٨٧ ﻫ) أوقع الحكم بأهل قرطبة . والسبب في ذلك ان الحكم كان في صدر ولايته يتظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء في العلم والورع . فاجتمع العلماء وأنكروا فعله ورجموه بالحجارة وأرادوا قتله فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال . ثم بعد أيام اجتمع وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني عم هشام بن حمزة وأخذوا له البيعة على أهل البلد وعرفوه ان الناس قد ارتضوه كافة فاستنظرهم ليلة ليرى رأيه ويستخير الله سبحانه وتعالى فانصرفوا . فحضر عند الحكم وأطلعه على الحال وأعلمه انه على بيعته فطلب الحكم التحقق من الامر فتنكر وحضر المجلس معهم فعلم حقيقة الامر وعرف كل من له دخل في هذه الثورة الخفية فامر بالجماعة فحبسوا جميعا ثم أمر بهم بعد أيام فصلبوا عند قصره وكانوا اثنين وسبعين رجلا فكان يوما شنيعا وتمكنت عداوة الناس للحكم

وفي سنة ١٩١ ﻫ أوقع الامير الحكم بأهل طليطلة (وهي وقعة الحفرة

الشهيرة) والسبب في ذلك ان أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الامراء وخلعوهم مرة بعد أخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة أموالهم فلم يكونوا يطيعون أمراءهم طاعة مرضية فلما أعيا الحكم شأنهم أعمل الحيلة في الظفر بهم فاستعان في ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد فاستحضره عنده وأكرمه وبالغ في ذلك ثم أطلعه على عزمه في أهل طليطلة وواطأه على التدبير عليهم فولاه طليطلة وكتب الى أهلها يقول : اني قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئن قلوبكم اليه واعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم : فمضى عمروس اليهم ودخل طليطلة فآنس به أهلها واطمئنوا اليه وأحسن عشرتهم . وكان أول ماعمل عليهم من الحيلة أن أظهر لهم موافقتهم على بغض بني أمية وخلع طاعتهم فمالوا اليه ووثقوا بما يفعله . ثم قال لهم ان سبب الشر بينكم وبين أصحاب الامير انما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت أن أبني بناء اعتزل فيه انا وأصحاب السلطان رفقا بكم فاجابوه الى ذلك فبنى في وسط البلد ما أراد . فلما مضى لذلك مدة كتب الامير الحكم الى عامل له على الثغر الاعلى سراً يأمره أن يرسل اليه يستغيث من جيوش الاسبان وطلب النجدة ففعل العامل ذلك فأمر الحكم بالحشد فاتته الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قواده ووزراءه فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها . فاتاه وهو عندها من ذلك العامل أن جيوش الاسبان تفرقت وكفى الله شرها . فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن الى العود الى قرطبة . فعند ذلك قال عمروس لاهل طليطلة قد ترون نزول ولد الحكم الى جانبي وانه يلزمني الخروج اليه وقضاء حقه فان نشطتم لذلك والا سرت اليه وحدي فخرج معه وجوه أهل طليطلة فاكرمهم عبد الرحمن وأحسن اليهم . ثم تفكر عمروس في كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة فاشار على أعيان أهلها بان يسألوا عبد الرحمن الدخول اليهم ليرى هو وعسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم . فظنوه ينصحهم . ففعلوا ذلك وأدخلوا عبد الرحمن البلد ونزل مع عمروس في داره وأتاه أهل طليطلة ارسالا يسلمون عليه . واشاع عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم ولمة عظيمة وشرع في الاستعداد لذلك . ووعدهم يوما ذكره وقرر معهم انهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام . فقبلوا ذلك فلما

كان اليوم المذكور أتاه الناس أفواجا فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا الى جماعة من الجند على حفرة كبيرة في ذلك القصر فضربت رقابهم الى أن قتل معظمهم وفطن الباقون فنفروا وحسنت طاعتهم من بعد ذلك الى أيام الفتنة كما سنذكره ان شاء الله . وفيها عصي اصبغ بن عبد الله بماردة وأخرج عامل الحكم فسار اليه الحكم وحاصره وجاءه الخبر بعصيان أهل قرطبة فرجع مبادراً وقتلهم ثم استنزل أمر اصبغ من بعد ذلك لمتابعة ارسال الحكم الجيوش اليه ومفارقة أصحابه له فضعفت نفسه فطلب الامان فأمنه . وكثر عبث الاسبان في هذه الاثناء وتابعوا الغزو في بلاد المسلمين فسار اليهم الحكم سنة ١٩٦ هـ وقاتلهم وانتصر عليهم وشتت شملهم . وفي سنة ٢٠٦ هـ توفى الحكم بن هشام وكانت مدة امارته سبعا وعشرين سنة

٧٣ – عبد الرحمن بن الحكم

من سنة ٢٠٦ — ٢٣٨ هـ أومن سنة ٨٢١ — ٨٥٢ م

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى بالمطرف فلما ولي خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسي وطمع بموت الحكم وخرج من بلنسية يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فعاد الى بلنسية ثم مات في أثناء ذلك ووقى الله عبد الرحمن شره وبموته خلصت الامارة بالاندلس لولد هشام بن عبد الرحمن . وفي هذه السنة (٢٠٦ هـ) وفد على عبد الرحمن من العراق زرآب المغني مولى المهدي ومعلم ابراهيم الموصلي واسمه علي بن نافع فركب لتلقيه . وبالغ في اكرامه وأقام عنده بخير حال . وأورث صناعة الغناء بالاندلس . وفي سنة ٢٠٧ هـ كانت فتنة بين اليمانية والمضرية فاقتتلوا بلورقة وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ودامت الحرب بينهم سبع سنين فوكل الامير عبد الرحمن بكفهم ومنعهم يحيي ابن عبد الله بن خالد وسيره في جميع الجيش فكانوا اذا أحسوا بقرب يحيي تفرقوا وتركوا القتال واذا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة والقتال . وفي هذه السنة كانت بالاندلس مجاعة شديدة ذهب فيها خلق كثير

وفي سنة ٢١٣ هـ انتقض عليه أهل ماردة وقتلوا عامله فبعث اليهم العساكر فافتتحوها وعاودوا الطاعة وأخذوا برهائنهم ورجعوا عنهم . ثم أمر الامير عبد الرحمن بنقل حجارة سور ماردة الى النهر فعاود أهلها الخلاف وأسروا العامل وأصلحوا السور فسار اليهم عبد الرحمن سنة ٢١٤ هـ وحاصرهم فامتنعوا عليه ثم بعث العساكر سنة ٢١٧ هـ فحاصرها فامتنعوا أيضاً . فحاصرها سنة ٢٢٠ هـ وافتتحها . وفي سنة ٢١٥ هـ خرج بمدينة طليطلة هاشم الضراب واشتدت شوكته واجتمعت اليه الخلق وأوقع باهل شبت برية فبعث عبد الرحمن العساكر لقتاله فلم يصيبوا منه . ثم بعث عساكر أخرى فقاتلوه بنواحي دورقة فهزموه وقتل هو وكثير من أصحابه . واستمر أهل طليطلة على الخلاف فبعث عبد الرحمن ابنه أمية ليحاصرها فحاصرها مدة ثم أفرج عنها ونزل قلعة رباح فكمن لهم فاوقعوا به فاغتم لذلك ومات بعد أيام قليلة . وبعث عبد الرحمن العساكر لحصارها ثانية فلم يظفروا بشيء . ثم بعث عبد الرحمن أخاه الوليد في العساكر سنة ٢٢٢ هـ لحصارها وقد أشرفوا على الهلكة وضعفوا عن المدافعة فافتتحها عنوة وسكن أهلها وأقام بها آخر سنة ٢٢٣ هـ ورجع . وفي سنة ٢٢٤ هـ بعث عبد الرحمن عبيد الله بن البلنسي لغزو بلاد البة وقلاع الاسبان فلقي العدو فهزمهم وكثر السبي والقتل

وفي سنة ٢٢٦ هـ أرسل عبد الرحمن موسى بن موسى عامل طليطلة غازياً فى بلاد الاسبان فظفر وغنم ورجع سالماً . وكان لموسى في هذه الغزاة مقام محمود الا انه وقعت بينه وبين بعض قواد عبد الرحمن ملاحاة فاغلظ له القائد . فكانت هذه سببا لعصيان موسى على عبد الرحمن فانتقض عليه . فارسل عبد الرحمن الجيوش مع الحرث بن بزيع فقاتله موسى وانهزم وقتل ابن عمه ورجع الحرث الى سرقسطة ثم زحف الى طليطلة وحاصر بها موسى حتى نزل عنها على الصلح الى اربط وأقام الحرث بطليطلة أياما ثم سار لحصار موسى في اربط فاستنصر موسى بملك الاسبان فجاءه وزحف الحرث وأكمنوا له فلقيهم على نهر بلبة فخرجت عليه الكمائن بعد أن أجاز النهر وأوقعوا به وأسروه وقد فقئت عينه . فاغتاظ الامير عبد الرحمن عند سماعه خبر هذه الواقعة . وبعث ابنه محمداً في العساكر سنة ٢٢٧ هـ وحاصر موسى بطليطلة حتى صالحه وتقدم الى بنبلونة .

وأوقع بجيوش الاسبان عندها وقتل ملكهم . ثم عاود موسى الخلاف فزحفت اليه العساكر فرجع الى المسالمة ورهن ابنه عند عبد الرحمن على الطاعة وقبله عبد الرحمن وولاه تطيلة فسار اليها واستقرت على عمالته

وفي سنة ٢٣١ ﻫ أرسل عبد الرحمن عساكره لغزو بلاد الاسبان فوصلوا الى مدينة لسبون وحاصروها ولم يقدروا على فتحها فعادوا . وفي سنة ٢٣٢ ﻫ كان بالأندلس مجاعة شديدة وقحط عظيم فهلك فيه خلق كثير ويبست الاشجار ولم يزرع الناس شيئا . وفي سنة ٢٣٨ ﻫ توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وكانت مدة ولايته احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وكان أديبا شاعراً عالما بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة وكانت أيامه بوجه الاجمال أيام عافية وسكون وكثرت الاموال عنده وكان بعيد الهمة واخترع قصوراً ومنتزهات كثيرة وبنى الطرق وزاد في الجامع بقرطبة رواقين وبنى جوامع كثيرة بالأندلس

٧٤ -- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

من سنة ٢٣٨ — ٢٧٣ ﻫ أو من سنة ٨٥٢ — ٨٨٦ م

لما توفي الامير عبد الرحمن بن الحكم تولى بعده ابنه محمد فجري على سيرة والده في العدل . وهو أول من أقام أبهة الملك بالاندلس ورتب رسوم المملكة وعلا عن التبذل للعامة فكان يشبه بالوليد بن عبد الملك (فصل ١٦) في أبهة الملك وهو أول من جلب الماء العذب الى قرطبة وأدخله اليها وجعل يفصل للماء مصنعا كبيراً يرده الناس . وأول عمل باشره ارساله العساكر مع أخيه الحكم الى قلعة رباح لاصلاح أسوارها وكان أهل طليطلة خربوها فرمها وأصلح حالها وتقدم الى طليطلة فافسد في نواحيها وشعثها ثم سير جيشا آخر الى طليطلة ايضا فلما قاربوها خرجت عليهم الجنود من المكامن فانهزم العسكر وأصيب اكثر من فيه وذلك سنة ٢٣٩ ﻫ . وفي سنة ٢٤٠ ﻫ سار محمد بن عبد الرحمن في جيوشه قاصداً مدينة طليطلة فلما سمع أهلها بذلك كاتبوا ملوك الاسبان واستمدوهم فأمدوهم بالعساكر الكثيرة . فلما سمع محمد بذلك وكان قد قارب طليطلة عبى أصحابه وقد كمن لهم الكمناء بناحية وادي سليط وتقدم اليهم وهو في

قلة من العساكر فلما علم أهل طليطلة بذلك أعلموا الاسبان بقلة من مع محمد فسارعوا لقتاله وطمعوا فيه . فلما تراءى الجمعان وانتشب القتال خرجت الكمناء من كل جهة على الاسبان وأهل طليطلة فقتل منهم مالا يحصى و بقيت جثث القتلى بوادي سليط مدة طويلة . ثم سار اليهم سنة ٢٤٣ ﻫ فاوقع بهم ثانية وأثخن فيهم وخرب ضياعهم فصالحوه ثم نكثوا . وفي سنة ٢٤٥ ﻫ خرج الافرنج من بلادهم في مراكب كثيرة قاصدين بلاد الاندلس فنزلوا باشبيلية والجزيرة وأحرقوا مسجدها ثم عادوا الى تدمير فانهزم أهل تدمير ودخلوا حصن أريولة ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم فاحرقوا مركبين من مراكب الافرنج وغنموا مركبين أيضا فعند ذلك جد الافرنج في القتال فانهزم المسلمون وعاد الافرنج من حيث أتوا .

وفي سنة ٢٦٠ ﻫ ظهر موسى بن ذي النون الهواري بشنت برية وأغار على أهل طليطلة فخرجوا اليه في عشرين الفا فلقيهم وهزمهم وانهزم معهم مطرف ابن عبد الرحمن وقتل من أهل طليطلة خلق وكان مطرف بن عبد الرحمن فردا في الشجاعة . فقوي أمر موسى بن ذي النون وهابته الناس . وفي سنة ٢٦١ ﻫ نقض أسد بن الحرث بن بديع بتاكرنا فبعث اليهم الامير محمد العساكر لوحاصروهم حتى استقاموا على الطاعة . وفي سنة ٢٦٣ ﻫ أغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وجعل طريقه ماردة وكان بها ابن مروان الجليقي . ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ومعه جمع من الاسبان استظهر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرها . وفي سنة ٢٦٤ ﻫ بعث ابنه المنذر ثانية الى بلد بنبلونة وسرقسطة فقاتل أهلها ثم تقدم الى تطيلة وعاث في نواحيها وخرب بلاد بني موسى ثم مضى لوجهه الى بنبلونة فدوخها ورجع . وفي سنة ٢٦٦ ﻫ أمر الامير محمد بانشاء المراكب بنهر قرطبة ليدخل بها الى البحر المحيط ليأتي بلاد الاسبان من ورائها فلما تم انشاؤها وجرت في البحر أصابها ريح ففرقت ولم يسلم منها الا القليل . وفي سنة ٢٦٧ ﻫ انتقض عمر ابن حفصون بحصن بشتر من جبال مالقة وزحف اليه عساكر تلك الناحية فهزمهم وقوي أمره . وجاءت عساكر الامير محمد فصالحهم ابن حفصون واستقام أمر الناحية . وفي سنة ٢٦٨ ﻫ بعث الامير محمد ابنه المنذر لقتال أهل

الخلاف فقصد سرقسطة وحاصرها وعاث في نواحيها وفتح حصن ريطة ثم تقدم الى دير بروجة وفيه محمد بن لب بن موسى ثم قصد مدينة لاردة وقرطجنة. وفي سنة ٢٧٠ ﻫ سار هاشم بن عبد العزيز بالعساكر لحصار عمر بن حفصون بحصن بشتر واستنزله الى قرطبة فاقام بها . وفيها شرع اسماعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة فجمع صاحب برشلونة (وهي برسلون) لمنعه من ذلك وسار اليه فهزمه اسمعيل وقتل أكثر رجاله . وفي سنة ٢٧١ ﻫ سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر الى سرقسطة فحاصرها هاشم وافتتحها ونزلوا جميعا على حكمه . وفي سنة ٢٧٣ ﻫ توفى الامير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام وكان عمره نحواً من خمس وستين سنة وكانت ولايته أربعا وثلاثين سنة واحد شهراً وكان ذكيا فطنا بالامور المشتبهة متعانيا منها

٧٥ — المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

من سنة ٢٧٣ — ٢٧٥ ﻫ أو من سنة ٨٨٦ — ٨٨٨ م

لما توفى الامير محمد بن عبد الرحمن تولى الملك بعده ابنه المنذر وأول عمل باشره قتله هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه . وفي سنة ٢٧٤ ﻫ سار في العساكر لحصار ابن حفصون فحاصره بحصن بشتر وافتتح جميع قلاعه وحصونه ومنها رية وهي مالقة وقبض على واليها من قبل عيشون فقتله ولما اشتد الحصار على ابن حفصون سأل الصلح فاجابه وأفرج عنه . ثم نكث فرجع لحصاره سنة ٢٧٥ ﻫ فتوفى المنذر وهو محاصراً لابن حفصون فأتى بن حفصون الفرج من حيث لا يحتسب وكانت ولاية المنذر سنتين الا نصف شهر

٧٦ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

من سنة ٢٧٥ — ٣٠٠ ﻫ أو من سنة ٨٨٨ — ٩١٢ م

ولما توفى المنذر بن محمد تولى الملك بعده أخوه عبد الله بن محمد فرجع بالعساكر الى قرطبة وانتقضت عليه الاندلس جميعها وصار في كل جهة متغلب . فمن ذلك

ان محمد بن تاكيت من مصمدة خرج على عبد الله وتبعه جمع كثير فسار الى ماردة وملكها فزحفت اليه عساكر الامير عبد الله من قرطبة فجاء عبد الرحمن ابن مروان مدداً له فحاصروهم أشهراً ثم أقلعوا وكان بماردة جموع من العرب وكتامة وأقاربهم فاخرجهم واستقل بماردة هو وقومه ولكنه لم يلبث ان اختلف عليه عبد الرحمن ابن مروان وحاربه وهزمه مراراً فاستجاش محمد ابن تاكيت بسعدون السرساقي فلم يغثه . وعظم شأن عبد الرحمن بن مروان واثخن في البرابرة المجاورين الا أنه هلك بعد مدة قريبة فكفى الله شره . وممن انتقض عليه أيضاً لب بن محمد بن لب فحاصر تطيلة ولم يقدر عليها فرجع خائبا . ومنهم ابن حفصون الذي ذكرنا خبر انتقاضه في أيام المنذر فما زال مخالفا حتى قوي أمره واستولى على غرب الاندلس . فلما قوي أمره كاتب ابن الاغلب صاحب أفريقيا وهاداه وأظهر الدعوة العباسية بالاندلس . لكن ابن الاغلب تثاقل عن اجابته لاضطراب أفريقيا . ثم سار اليه الامير عبد الله بن محمد وافتتح كثيراً من بلاده وحصونه وحاصره أياما ورجع عنه فاتبعه ابن حفصون فكر عليه الامير عبد الله وهزمه وأثخن فيه وافتتح البيرة من أعماله ووالى عليه الحصار في كل سنة ثم أرسل اليه الوزير أحمد بن أبي عبيدة لحصاره فاستنجد بابراهيم بن حجاج الثائر باشبيلية ولقياه فهزمهما وراجع ابن حجاج الطاعة وعقد له الامير عبد الله على اشبيلية وبعث ابن حفصون بطاعته للشيعة عند ما تغلبوا على القيروان من يد الاغالبة وأظهر بالاندلس دعوة عبيد الله المهدي ثم راجع طاعة بني أمية

ثم خرج باشبيلية عدة من الخوارج فتغلب عليهم الامير عبد الله ولاشاهم

(قتل الامير محمد وأخيه المطرف ابن الامير عبد الله) كان المطرف قد أكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما حتى اذا تمكنت سعايته وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ ببلد ابن حفصون ثم استأمن ورجع و بالغ المطرف في السعاية الى أن حبسه أبوه في بعض حجر القصر . وخرج الامير عبد الله لبعض غزواته واستخلف ابنه المطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه مفتاتاً بذلك على أبيه وحزن الامير عبد الله على ابنه محمد وضم ابنه عبد الرحمن الى قصره وهو ابن يوم فربي مع ولده . ثم بعث الامير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة سنة ٢٨٣ هـ ومعه الوزير عبد الملك ابن أمية ففتك المطرف بالوزير لعدواة بينهما . فاغتاظ أبوه لذلك

وسطا عليه وقتله شر قتلة وفي سنة ٣٠٠ هـ توفي الامير عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ومدة حكمه خمسا وعشرين سنة واحد عشر شهراً

٧٧ – عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله

من سنة ٣٠٠ — ٣٥٠ هـ أو من سنة ٩١٢ — ٩٦١ م

لما توفي الامير عبد الله بن محمد تولى الملك بعده حفيده عبد الرحمن بن محمد قتيل أخيه المطرف ومن الغريب انه تصدى للولاية بوجود أعمامه وأعمام أبيه ومن هم أحق بها منه شرعا والها دونهم . وكان شابا حازما فوجد الاندلس مضطربة فسكنها وقاتل المخالفين حتى أذعنوا واستنزل الثوار ومحا أثر ابن حفصون كبيرهم وحمل أهل تطلية على الطاعة وكانوا مشهورين بالخلاف والانتقاض فاستقامت الاندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه ودامت أيامه نحواً من خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي وهو أول من تسمي بأمير المؤمنين عند ماتلاشى أمر الخلافة بالمشرق واستبد الموالي الترك على بني العباس . وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى أن انهزم سنة ٣٢٧ هـ في وقعة الخندق فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الصوائف كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج مالم يطأه قبل في أيام سلفه . ثم سما الى ملك العدوة (المغرب الاقصى) فتناول سبتة من أيدي أهلها سنة ٣١٧ هـ وأطاعه بنو ادريس أمراء العدوة وملوك زناتة البربر . ولاول ولايته أمر بتخفيف المغارم عن الرعايا واستحجب موسى بن محمد بن يحيى واستوزر عبد الملك بن جهور . وهو أول من تلقب من بني أمية اقتداء ببني العباس فتلقب بالناصر لدين الله

وفي سنة ٣٠٨ هـ سعى محمد بن عبد الجبار بن الامير محمد (وعبد الجبار هو عم أبي الناصر) عند الناصر في أخيه القاضي بن محمد وانه يريد الخلاف والبيعة لنفسه وسعى القاضي في محمد بن عبد الجبار وأنه يروم الانتقاض فاستطلع الناصر على جلية الخبر وتحقق نقضهما فقتلهما . وفي سنة ٣١٣ هـ قتل الناصر بابنه عبد الله

والسبب في ذلك أنه رشح ابنه الحكم ولاية العهد وآثره على جميع أولاده وكان أخوه عبد الله يساميه في الرتبة فنفس لذلك وأغراه الحسد بالنكثة . فنكث وداخل من في قلبه مرض من أهل الدولة فاجابوه وكان منهم ياسر الفتى وغيره ونمي الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلي فيه وقبض على ابنه عبد الله وعلى ياسر الفتى وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين

(مباني الناصر) لما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد المباني والقصور وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن وجده الحكم قد اختلفوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتفاق والضخامة وكان منها المجلس الزاهر والبهو الكامل والقصر المنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفد عليه حتى من بغداد والقسطنطينية . ثم أخذ في بناء المتنزهات فاتخذ مينا الناعورة خارج القصور وساق اليها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة واختط مدينة الزهراء واتخذها منزله وكرسيا للملك فأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين مايفوق الوصف . واتخذ فيها محالات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياح ومسارح الطيور مظللة بالشباك . واتخذ فيها دار الصناعة وآلات من آلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل المظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس . وفي سنة ٣٥٠ هـ توفي الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد وهو أعظم أمراء بني أمية بالاندلس بلا مراء وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة ومدة ملكه خمسين سنة وستة أشهر

٧٨ – المستنصر الحكم بن عبد الرحمن الناصر

من سنة ٣٥٠ — ٣٦٦ هـ أو من سنة ٩٦١ — ٩٧٦ م

لما توفي عبد الرحمن الناصر بن محمد تولى الملك بعده ابنه الحكم ولقب المستنصر بالله ولاول ولايته طمع الاسبان في استخلاص البلاد منه فغزاهم الحكم بنفسه

واستباحهم وقفل . فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه وقوي الحكم وكثرت فتوحاته وكان من أعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد مولاه غالب

وفي سنة ٣٥٤ ﻫ سار غالب الى بلاد البة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فاخذ حصن غرماج ودوخ بلادهم . ثم كانت وفادة اردون بن الفونس من ملوك الاسبان فتهيأ الحكم لاستقباله وأعد المعدات لذلك شيء يفوق الوصف ذكره المقري في تاريخه نفح الطيب في الصحيفة ١٨٢ و١٨٣ في الجزء الاول منه فوصل الى الحكم ومثل بين يديه بتخشع ولا تخشع العبيد لاسيادهم وهذا مما يدل على عظم دولة بني أمية بالاندلس أيام الحكم . فاجلسه الحكم ووعده النصر على عدوه ووصف عبد الملك بن سعيد المرادي وفادة أردون على الحكم فقال أبياتا منها

ملك الخليفة آية الاقبال ... وسعوده موصولة بنوال

القت بايديها الاعاجم نحوه ... متوقعين لصولة الرئبال

هذا أميرهم أتاه آخذاً ... منه أواصرا ذمة وحبال

متواضعا لجلاله متخشعا ... متبرعا لما يرع بقتال

سينال بالتاميل للملك الرضا ... عزاً يعم عداه بالاذلال

لا يوم اعظم للولاة مسرة ... وأشده غيظا على الاقيال

من يوم اردون الذي اقباله ... أمل المدى ونهاية الاقبال

ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها ... والى الرعاة الى الاعاجم والي

ان كان جاء ضرورة فلقد أتى ... عن عز مملكة وطوع رجال

فالحمد لله المنيل امامنا ... حط الملوك بقدرة المتعالي

ثم أرسل الحكم عساكره الى بلاد العدوة (المغرب الاقصى) وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليهم ملوكهم من آل خرز وبني ابي العافية فاجزل صلتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم . واستنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم أجلاهم الى الاسكندرية . وكان الحكم محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعة للكتب في أنواعها

جمع منها مالم يجمعه أحد قبله حتى قيل انها كانت أربعمائة الف مجلد وكان عالماً نبيها صافي السريرة ومما ينسب اليه في النظم قوله

الى الله أشكو من شمائل مسرف علي ظلوم لايدين بما دنت
نأت عنه داري فاستزاد صدوده وأبي على وجدي القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ من الوجد مابلغته لم أكن بنت

وما زال ملكه مؤيداً منصوراً الى ان توفي سنة ٣٦٦ ﻫ لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش الى أن توفي

٧٩ — هشام المؤيد بن الحكم المستنصر

من سنة ٣٦٦ — ٣٩٩ ﻫ أو من سنة ٩٧٦ — ١٠٠٨ م

لما توفي الحكم المستنصر تولى من بعده ابنه هشام صغيراً مناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر نقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل وترقت حاله عند الحكم. فلما توفي الحكم بويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتئذ المغيرة أخو الحكم المرشح لامره تناول الفتك به محمد ابن أبي عامر هذا بممالأة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه وغالب مولى الحكم وتمت البيعة لهشام. ثم سما لابن أبي عامر أمل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض. فعظم أمر ابن أبي عامر وغلب على هشام المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون. وارضخ الجند بالعطاء وأعلى مراتب العلماء فكأني به قد مثل على مرسح الاندلس الرواية التي مثلها موالي الخلفاء من بني العباس ببغداد كما مر ذكر ذلك في تاريخهم. فلم يبق لهشام المؤيد من الامر شيء الا الخطبة والسكة. أما الحكم والامر والنهي فكل ذلك كان مرجعه الى محمد بن أبي عامر فلما خلا له الجو تلقب بالملك المنصور ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن امر هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصل بهم وفرق جموعهم. واول مابدا بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب

المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة أو يزيدون . ثم أصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والتنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة النازع الى الحكم أول الدولة بمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفر عماله ابن عبد الودود وابن جوهر وابن ذى النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم . ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جنداً واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو في جوف بيته مع تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد . وقدم رجال البرابرة زناتة وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وابتنى لنفسه مدينة فنزلها وسماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا تحية الملوك واستكثر من العبيد للاستيلاء على تلك الرغبة وقهر من يطاول اليها من الغلبة فظفر من ذلك بما أراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا اثنتين وخمسين غزوة انتصر في جميعها . فعظم ملكه وبعد صيته وقد امتدحه كثيراً مؤرخو الاسلام وعلى ظني أن السبب الوحيد الذي جعلهم يمدحونه هو التعصب الديني الذي جعلهم يمدحون كل من غزا النصارى ونحن فيهم غير عالمين أن هذا النازع وأمثاله كانوا السبب الوحيد في القضاء على الدولة الاسلامية بالاندلس وغيرها بكثرة مشاغبهم وحروبهم الداخلية التي أدت الى ضعف الدولة حتى استولى عليها أعداؤهم وهم ينظرون .

وفي سنة ٣٩٣ ه توفى الملك المنصور محمد بن أبي عامر بينما كان راجعا من بعض غزواته بعد أن ملك سبعا وعشرين سنة فدفن بمدينة سالم حيث توفي وكتب على قبره

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله ... أبداً ولا يحمي الثغور سواه

ولما توفي المنصور قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك وتلقب بالملك المظفر فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه أعياداً دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفراً الى أن توفي سنة ٣٩٩ ه ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجرى على سنن أبيه وأخيه في حجر الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فاجابه الى ذلك وكتب بذلك وأشهد عليه كبار دولته . فلما حصل عبد الرحمن الناصر على ولاية العهد نقم ذلك الامويون والقرشيون وعصوا أمره واتفقوا على تحويل الامر جملة من المضرية الى اليمانية فاجتمعوا لشأنهم ووثبوا بصاحب الشرطة وفتكوا به بمقعده من قصر الخلافة بقرطبة سنة ٣٩٩ ه وخلعوا هشاماً وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أعياص الملك وأعقاب الخلفاء ولقبوه المهدي . وطار الخبر الى عبد الرحمن الناصر بمكانه وكان غازيا فقفل الى قرطبة وقبيل وصوله اليها تسلل عنه الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالامر وأغروه بعبد الرحمن الناصر فأرسل اليه من قبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدي والى الجماعة وبموته ذهبت دولة العامريين

٨٠ - المهدي محمد بن هشام

من سنة ٣٩٩ — ٤٠٠ ه أو من سنة ١٠٠٨ — ١٠٠٩ م

هكذا آلت الخلافة بالاندلس الى المهدي واستتب أمره بعد موت عبد الرحمن الناصر ولحق به رؤساء البربر وزناتة لما رأوا من سوء تدبير عبدالرحمن وانتقاض أمره وكانت الاموية تعتد عليهم (على البربر وزناتة) لما كان من مظاهرتهم العامريين وينسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا مالهم من العصبية لاستأصلهم الناس . وتحدث الناس بكراهتهم فنبذهم المهدي أيضا وأمرهم أن لا يركبوا ولا يتسلحوا وورد بعض رؤسائهم في بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم فشكا

بعضهم الى المهدي ما أصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة في أمرهم وهو مع ذلك مظهر لبغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم . و بلغهم أنه يريد الفتك بهم فهاجوا وماجوا وأرادوا تقديم هشام بن سليمان وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغري بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وأزعجوهم عن المدينة وقبض على هشام وأخيه أبي بكر وأحضرا بين يدي المهدي فقتلهما . فلحق سليمان بن أخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتآمروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله فخرج اليهم المهدي بعساكره وقاتلهم فانهزم البربر والمستعين ودخلوا الى الجزيرة الخضراء فتبعهم المهدي الى هناك فكروا عليه فانهزم المهدي ومن معه واتبعهم سليمان المستعين والبربر فخشي أهل قرطبة من اقتحامهم ففتحوا أبواب المدينة للمستعين فدخلها سنة ٤٠٠ ﻫ

٨١ — سليمان المستعين بالله بن الحكم

من سنة ٤٠٠ — ٤٠٠ ﻫ أو من سنة ١٠٠٩ — ١٠٠٩ م

ولما دخل المستعين قرطبة واستولى عليها خالفه محمد بن هشام المهدي فسار الى طلية واستجاش بابن القونس ملك الاسبان فنهض معه الى قرطبة وهزم سليمان المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهرها في آخر باب سبتة ودخل المهدي قرطبة وملكها ثانية من المستعين وذلك سنة ٤٠٠ ﻫ

٨٢ — المهدي محمد بن هشام ثانية

من سنة ٤٠٠ — ٤٠٠ ﻫ أو من سنة ١٠٠٩ — ١٠٠٩ م

ولما دخل المهدي قرطبة خرج المستعين الى البرابرة وتفرقوا في البسايط والقرى ينهبون و يقتلون ولا يبقون على أحد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فاتبعهم المهدي وابن القونس فانتصر المستعين عليهم واتبعهم المستعين والبرابرة اثناء ذلك يحاصرونهم حتى خشي الناس من اقتحام البرابرة عليهم فاخرجوا أهل القصر وحاجبه المدبر بالمهدي وأن الفتنة انما جاءت من قبله فقتلوا المهدي محمد بن هشام واجتمعت العامة على تجديد البيعة لهشام المؤيد ليعتصموا به من معرة البرابرة وما يسومونهم به ملوكهم من سوء العذاب

٨٣ـ هشام المؤيد بن الحكم المستنصر من جديد

من سنة ٤٠٠ ـ ٤٠٣ هـ أو من سنة ١٠٠٩ ـ ١٠١٢ م

وعاد هشام الى خلافته وأقام واضح العامري (من موالي المنصور بن أبي عامر) لحجابته واستمر البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم . وأرسل المستعين والبرابرة الى ابن الفونس يستقدمونه لمظاهرتهم فبعث اليه هشام المؤيد حاجبه واضحا يكفرونه بان ينزلوا له عن ثغور قشتالة التي كان المنصور افتتحها فسكن عزمه عن مظاهرتهم . وشدد المستعين الحصار على قرطبة مراراً ولا يقدر على فتحها حتى كانت سنة ٤٠٣ هـ حاصرها حصاراً شديداً وافتتحها عنوة وفتك بهشام المؤيد ودخل المستعين قرطبة ولحق بأهلها من البرابرة في نسائهم ورجالهم و بناتهم وأبنائهم ومنازلهم

٨٤ ـ سليمان المستعين بالله بن الحكم ثانية

من سنة ٤٠٣ ـ ٤٠٧ هـ أو من سنة ١٠١٢ ـ ١٠١٦ م

وظن المستعين أنه قد استحكم أمره . ولكن توثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فتولوا المدن العظيمة وتقلدوا الاعمال الواسعة . فلما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البرابرة على الأمر كان علي بن حمود وأخوه قاسم من عقب ادريس قد أجازوا معهم من العدوة فدعوا لانفسهم وتعصب معهم الكثير من البربر فحاصروا قرطبة سنة ٥٠٧ هـ وملكوها وقتلوا سليمان المستعين

٨٥ ـ ملك بني حمود بالاندلس

من سنة ٤٠٧ ـ ٤١٤ هـ أو من سنة ١٠١٦ ـ ١٠٢٣ م

فملك بنو حمود قرطبة ومحوا ملك بني أمية منها واستمر ملكهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بني أمية لان أهل قرطبة خالفوا على قاسم بن حمود وحاربوه وانتصروا عليه واتفقوا على ردّ الامر الى بني امية

٨٦ - المستظهر بن عبد الرحمن بن هشام

سنة ٤١٤ ﻫ أو سنة ١٠٢٣ م

لما قطع أهل قرطبة دعوة الحموديين واتفقوا على رد الامر لبني أمية اختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام فبايعوه ولقبوه المستظهر. ثم ثار على المستظهر لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر كان المنصور ابن أبي عامر قتل أباه عبد الرحمن لسعيه في الخلاف فثار الآن محمد هذا وتبعه جمع وفتك بالمستظهر

٨٧ - المستكفي محمد بن عبد الرحمن

من سنة ٤١٤ — ٤١٥ ﻫ أو من سنة ١٠٢٣ — ١٠٢٤ م

لما فتك محمد بن عبد الرحمن بالمستظهر عبد الرحمن بن هشام اشتغل بامر قرطبة وتلقب بالمستكفي . و بعد ستة عشر شهراً من بيعة المستكفي أتى يحيى ابن علي بن حمود واستخلص قرطبة منه وفر المستكفي ومات في مفره

٨٨ - ملك بني حمود ثانية

من سنة ٤١٥ — ٤١٨ ﻫ أو من سنة ١٠٢٤ — ١٠٢٧ م

لما فر المستكفي من قرطبة استولى عليها يحيى بن علي بن حموده و بايعه الناس وتلقب بالمعتلي . ثم خلع أهل قرطبة المعتلي ثانيا سنة ٤١٧ ﻫ وأجمعوا على مبايعة هشام بن محمد من بني أمية

٨٩ - المعتمد هشام بن محمد

من سنة ٤١٨ — ٤٢٢ ﻫ أو من سنة ١٠٢٧ — ١٠٣٠ م

كان هشام بن محمد في ثغر لاردة عند ابن هود ولما بلغه خبر البيعة له انتقل الى البرنث واستقر عند المتغلب عليها محمد بن عبد الله و بايعه الجماعة سنة ٤١٨ ﻫ

جهاراً وتلقب المعتمد بالله وأقام متردداً في الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف . واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه بن جمهور والجماعة ونزلها آخر سنة ٤٢٠ ﻫ وأقام يسيراً ثم خلعه الجند سنة ٤٢٢ ﻫ وفر الى لاردة فهلك بها سنة ٤٢٨ ﻫ وانقطعت الدولة الاموية والله غالب على أمره

٩٠ - دولة الادارسة بمراكش

(تمهيد) ذكرنا في خلافة الهادي بن المهدي (فصل ٢٩) أنه ظهر في سنة ١٦٩ ﻫ الحسين بن علي بن الحسين من آل علي بن أبي طالب وذكرنا خبر انهزامه وقتله وكان مع الحسين في تلك الواقعة عماه ادريس ويحيى ابنا عبد الله . أما يحيى نفر من الواقعة المذكورة الى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته ثم أن الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف فكاتبه الفضل وبذل له الامان ثم حبسه الرشيد عند جعفر بن يحيى وأطلقه جعفر وكان اطلاقه من أعظم الاسباب التي جعلت الرشيد ينكب البرامكة لو يذكر القاريء الكريم . ثم أمسكه الرشيد وحبسه الى أن مات في حبسه . وأما ادريس فانه فر من الواقعة المذكورة ولحق بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور و يعرف بالمسكين . وكان واضح يتشيع لآل البيت فعلم شأن ادريس وأتاه الى الموضع الذي كان مستخفياً به . ولم ير شيئاً أفضل من أن ينقله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى (مراكش) هو ومولاه راشد فنزل بمدينة وليلى سنة ١٧٢ ﻫ وبها يومئذ اسحق بن محمد ابن عبد الحميد أمير اوربة من البربر البرانس فاجاره واكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وانتهى الخبر الى هرون الرشيد بما فعله واضح في شأن ادريس فقتله وصلبه

٩١ - ادريس بن عبد الله بن الحسن

من سنة ١٧٢ — ١٧٧ ﻫ أو من سنة ٧٨٨ — ٧٩٣ م

هو ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وقد رأيت كيف أتى مدينة وليلى من المغرب الاقصى فلما استقر عند كبيرها اسحق بن محمد أقام عنده ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان سنة ١٧٢ ﻫ جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب ادريس وقرابته من رسول الله (صلعم) وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه . فقالوا الحمد لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد فما تريد منا . قال تبايعونه . فبايعوه يوم الجمعة رابع رمضان سنة ١٧٢ ﻫ وكان أول من بايعه قبيلة أوربة ثم مغيلة وصدينة ثم وفدت عليه قبائل زناتة والبربر فبايعوه ايضاً ودخلوا في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته ولحق به أخوه سليمان ابن عبد الله . فلما استتب أمر ادريس اتخذ له جيشاً كثيفا من وجوه زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم وخرج غازياً بلاد تامسنا ثم زحف الى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر أهل هذه البلاد لازالوا على دين اليهودية والنصرانية وانما الاسلام بينهم قليل فاسلم جميعهم على يده وقفل الى مدينة وليلى مؤيداً منصوراً وذلك في أواخر ذي الحجة سنة ١٧٢ ﻫ

وفي سنة ١٧٣ ﻫ خرج ادريس بالعساكر بعد ان استراحت لغزو وفتح الحصون والمعاقل التي ما زالت بايدي أصحابها من اليهود والنصارى فلم يزل ادريس يجاهدهم في حصونهم و يستنزلهم حتى دخلوا في الاسلام طوعاً وكرهاً ومن أبى الاسلام منهم أباده قتلا وسبياً ثم عاد الى مدينة وليلى فدخلها في النصف من جمادى الاخرى سنة ١٧٣ ﻫ ومكث ريثما استراحت عساكره ثم خرج منتصف رجب من السنة المذكورة برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة و بني يفرن فانتهى اليها ونزل خارجها فنزل اليه صاحبها محمد ابن خزر من ولد صولات المغراوي مستأمناً ومبايعا له فأمنه ادريس وقبل بيعته ورجع الى مدينة وليلى

ولما حصل لادريس ما حصل من التمكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون الرشيد العباسي و بلغه أن ادريس قد استقام له أمر المغرب وأنه قد استفحل أمره وكثرت جنوده وقد فتح مدينة تلمسان و بنى مسجدها وانه عازم على غزو افريقية. فخاف الرشيد عاقبة ذلك وانه ان لم يتدارك امره الآن ربما عجز عنه في المستقبل مع ما يعلم من فضل ادريس خصوصاً ومحبة الناس في آل البيت عموماً فقلق الرشيد لذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال له . أن الرجل قد فتح مدينة تلمسان وهي باب أفريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد همت أن أبعث اليه جيشاً ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك . ثم وقع اختيارهما على رجل من موالي المهدى والد الرشيد اسمه سليمان بن جرير ويعرف بالشماخ فاحضره وأعلمه بما يريد منه ووعده على قتل إدريس الرفعة والمنزلة العالية عند الرشيد وزوده مالا وطرفا يستعين بها على أمره وأصحبه الرشيد كتابا منه الى واليه على أفريقية ابراهيم بن الاغلب فلما وصل الشماخ الى والي أفريقية بكتاب الرشيد أجازه الى المغرب وقدم الشماخ على ادريس فظن النزوع اليه فيمن نزع اليه من وحدان العرب متبرئا من الدعوة العباسية منتحلا للدعوة الطالبية . فاختصه ادريس وعلت منزلة الشماخ عنده وكان الشماخ ممتلئا من الادب والظرف والبلاغة عارفا بصناعة الجدل . فكان اذا جلس الامام ادريس الى رؤساء البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل اهل البيت وعظيم بركتهم على الامة ويقرر ذلك ويحتج لامامة ادريس وانه الامام الحق دون غيره . فكان ذلك يعجب ادريس ويقع منه الموقع الحسن . فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل الا معه . وكان راشد كالئا لادريس ملازما له أيضا قلما ينفرد عنه لانه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء آل البيت يومئذ . وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة في ادريس الى أن غاب راشد ذات يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على ادريس فجلس بين يديه على العادة وتحدث مليا ولما لم ير الشماخ راشداً بالحضرة انتهز الفرصة في ادريس . فقيل انه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم فاخرجها وقال لادريس . هذا طيب كنت أستصحبه معي وهو من جيد الطيب فرأيت أن الامام أولى به مني وذلك

من بعض ما يجب علي له . ثم وضع القارورة بين يديه . فشكره ادريس وتناول القارورة ففتحها واشتم مافيها فصعد السم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشي عليه . أما الشماخ فقام للحين كانه يريد حاجة الانسان فخرج وأتي منزله فركب فرسا له كان قد أعده لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق . وافتقد الناس الامام ادريس فاذا هو مغشي عليه لايتكلم ولا يعلم أحد ما به . فلما اتصل خبر ادريس بمولاه راشد أقبل مسرعاً ودخل عليه وهو يحرك شفتيه لايبين كلاماً قد أشرف على الموت فجلس عند رأسه متحيراً لا يدرى ما دهاه واستمر ادريس على حالته تلك الى غشي النهار فتوفي في مستهل ربيع الآخر سنة ١٧٧ ه وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم انه الذي اغتال ادريس ثم جاء الخبر أن الشماخ قد لقي على أميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلحقه راشد بوادى ملوية فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعضها يمناه وشجه في رأسه شجاجاً ونجا الشماخ بجريما الذقن وأعيا فرس راشد عن اللحاق به فرجع عنه . ويقال ان الشماخ رؤي بعد ذلك ببغداد وهو مقطوع اليد . ولما رجع راشد الى منزله أخذ في تجهيز الامام ادريس بن عبد الله وصلى عليه ودفنه بصحن رابطة عند باب وليلى

٩٢ - ادريس بن ادريس

من سنة ١٧٧ — ٢١٣ ه أو من سنة ٧٩٣ — ٨٢٨ م

لما توفي الامام ادريس لم يترك ولداً الا حملا من أمة له بربرية اسمها كنزة فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس وقال لهم . ادريس لم يترك ولداً الا حملاً من أمته كنزة وهي الآن في الشهر السابع من حملها فان رأيتم أن تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكراً أحسنا تربيته حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذرية رسول الله وان كان جارية نظرتم لانفسكم . فقالوا له . أيها الشيخ المبارك مالنا رأي الا ما رأيت فانك عندنا عوضا من ادريس تقوم بامورنا كما كان ادريس

يقوم بها وتصلي بنا وتقضي بيننا بكتاب الله وسنة رسوله ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أمرت به على انها ان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الامر لفضلك ودينك وعلمك . فشكرهم راشد ودعا لهم وانصرفوا . فقام راشد بأمر البربر تلك المدة. ولما تمت للجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بابيه فاخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كأنه لم يمت فسماه راشد ادريس . وكانت ولادته يوم الاثنين ثالث رجب سنة ١٧٧ هـ فكفله راشد مولى أبيه وقام بأمره احسن قيام فأقرأه القرآن وعلمه الحديث والسنة والفقه ورواه الاشعار وأطلعه على سير الملوك وعرفه الناس ودربه على ركوب الخيل حتى اذا بلغ من العمر احدى عشرة سنة ترشح للامر واستحق لان يبايع فبايعه البربر بجامع مدينة وليلي وهذه ليست بيعته الاولى لانهم بايعوه حملا ثم رضيعا ثم فصيلا الى أن شب فبايعوه هذه البيعة سنة ١٨٨ هـ

وفي سنة ١٨٦ هـ دس ابن الاغلب صاحب افريقيا الى بعض البربر الاموال حتى قتلوا راشداً وحملوا اليه رأسه وقام بكفالة ادريس بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدي ولم يزل على ذلك الى أن بايعوا لادريس فقاموا بأمره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته . فلما استقام امر المغرب لادريس ابن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه وفدت عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بقية سنة ١٨٨ هـ يستقبل الوفود ويبذل الاموال ويستميل الرؤساء والاقيال ولما دخلت سنة ١٨٩ هـ وفدت عليه وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين اليه وملتفين عليه فسرا ادريس بوفادتهم وأحسن صلاتهم . فلما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس وضاقت بهم مدينة وليلي أراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته . وبعد بحث طويل على بقعة مناسبة تفي بالغرض المطلوب انتهى الى موضع مدينة فاس اليوم فبناها وسكنها هو وقومه . ومن محاسن مدينة فاس أن نهرها يشقها نصفين وتتشعب جداوله في دورها وحماماتها وشوارعها وأسواقها وتطحن به أرحاؤها ثم يخرج منها وقد حمل أقذارها وأزبالها الى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها وتنفجر من بيوتها وهي

تجاوز الحصر كثرة وقد مدحها الفقيه أبو الفضل بن النحوي بقوله

يا فاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هذا نسيمك أم روح لراحتنا وماؤك السلسل الصافي أم الورق
أرض تخللها الانهار داخلها حتى المجالس والاسواق والطرق

ولما فرغ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل اليها بمجلسه واستوطنها بحاشيته وارباب دولته واتخذها دار ملكه أقام بها سنة ١٩٧ هـ ثم خرج غازيا بلاد المصامدة فانتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فاقام بها الى سنة ١٩٩ هـ وفيها خرج في المحرم برسم غزو قبائل نفزة من أهل المغرب الاوسط ومن بقي هناك على دين الخارجية من البربر فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في أحوالها واصلح سورها وجامعها وأقام بها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس وقد انتظمت لادريس كلمة البربر وزناتة ومحا دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالمكائد واستفساد الاولياء حتى قتلوا راشداً مولاه وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه وعجز الاغالبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادراسة ودافعوا خلفاء بني العباس بالمعاذير الباطلة وصفا ملك المغرب لادريس واستمر بدار ملكه من فاس ساكنا الى أن توفاه الله ثاني جمادي الاخرى سنة ٢١٣ هـ وعمره نحو ست وثلاثين سنة وقيل في سبب وفاته انه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات وخلف من الولد اثنى عشر ذكراً

٩٣ – محمد بن ادريس

من سنة ٢١٣ — ٢٢١ هـ أو من سنة ٨٢٨ — ٨٣٥ م

لما توفي ادريس بن ادريس قام بالامر بعده ابنه محمد بعهد منه اليه ولما ولي قسم بلاد المغرب بين اخوته وذلك باشارة جدته كنزة أم ادريس . وأقام محمد ابن ادريس بفاس دار ملكه واخوته ولاة بلاد المغرب قد قبضوا أعمالها

وسدوا ثغورها وأمنوا وحسنت سيرته في ذلك . الا أن هذه القسمة كانت سببا في خروج بعض اخوته عليه . فخرج عليه أخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور ونبذ طاعته وطلب الامر لنفسه . فكتب محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك . فكتب محمد الى أخيه عمر صاحب تيكساس بمثل ما كتب به الى القاسم فامتثل أمره وزحف الى عيسى في قبائل البربر وأمده محمد بالف فارس من زناتة فاوقع عمر بعيسى وهزمه وطرده عن عمله وكتب الى الامير محمد بالفتح . فشكره على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى وأمره مع ذلك بالمسير الى قتال القاسم الذي عصي أمره أولا . فزحف عمر الى القاسم ونزل عليه بظاهر طنجة فخرج اليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولى عمر على مابيده من البلاد فصار الريف البحري كله في عمل عمر من تيكساس و بلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وهذا ساحل البحر الرومي ثم ينعطف الى آصيلا والعرايش ثم الى سلا ثم آزمور وبلاد تامسنا وهذا ساحل البحر المحيط . وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجداً بساحل البحر قرب اصيلا بموضع يعرف . بتاهدارت . على ضفة النهر هناك وأعرض عن الدنيا وأقام يعبد الله الى أن مات . واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طويته لاخيه الامير محمد الى أن توفي عمر سنة ٢٢٠ ﻫ بموضع يعرف بفج الفرس من بلاد صنهاجة فحمل الى فاس وصلى عليه الامير محمد ودفن مع أبيه . وعمر هذا هو جد الاشراف الحموديين المالكين للاندلس بعد بني أمية . وبعد موته ولي الامير محمد على عمله ابنه علي بن عمر

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة أخيه سبعة أشهر وتوفي بمدينة فاس في ربيع الثاني سنة ٢٢١ ﻫ بعد أن عهد بالامر لابنه علي بن محمد المعروف بحيدرة .

٩٤ – على بن محمد بن أدريس

من سنة ٢٢١ – ٢٣٤ ﻫ أومن سنة ٨٣٥ – ٨٤٨ م

لما توفي محمد بن ادريس بايع الناس لابنه علي بن محمد بعهد منه ويلقب علي

هذا بحيدرة على لقب علي بن أبي طالب . وكان عمره حين ولي تسع سنين فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب وأوربة وسائر البربر وصنايع الدولة فقاموا بأمره وأحسنوا كفالته . وكانت أيامه خير أيام . وظهر لعلي هذا من الذكاء والفضل ما يقتضيه شرفه وسار بسيرة أبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة الى أن توفي في شهر رجب سنة ٢٣٤ ﻫ بعد أن عهد بالامر لاخيه يحيى ابن محمد

٩٥ -- يحيى بن محمد بن ادريس

من سنة ٢٣٤ ﻫ - أو من سنة ٨٤٨ م

لما توفي علي بن محمد تولى الامر بعده يحيى بن محمد بن ادريس فامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستجدت فاس في العمران و بنيت بها الحمامات والفنادق للتجار و بنيت الارباض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية واتفق أن نزلتها امرأة من أهل القيروان تسمى أم البنين بنت محمد الفهري وكانت مثرية بموروث أفادته من ذويها واعتزمت على صرفه في وجوه الخير فاختطت المسجد الجامع بعدوة القرويين وشرعت في حفر أساس المسجد و بناء جدرانه يوم السبت فاتح رمضان سنة ٢٤٥ ﻫ قالوا . ولم تزل أم البنين هذه صائمة من يوم شرع في بنائه الى أن تم وصلت فيه شكراً لله تعالى . ثم أوسع في خطة المسجد المذكور الملك المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس (راجع فصل ٧٩) وأعد له السقاية والسلسلة بباب الحفاة ثم أوسع في خطته علي بن يوسف اللمتوني ثم ملوك الموحدين و بنو مرين واستمرت العمارة به وانصرفت هممهم الى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ماشاء حسبما هو مذكور بتواريخ المغرب . وفي أيام يحيى بن محمد صاحب الترجمة وذلك سنة ٢٣٧ ﻫ قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعي النبوة وتأول القرآن على غير وجهه فاتبعه خلق كثير من الاوباش وكان من بعض شرائعه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظافر ونتف الابطين والاستحداد وأخذ الزينة و يقول لا تغيير لخلق الله فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هنين الى

الاندلس فشاع بها أيضا خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة فبعث اليه ملك الاندلس فاستتابه فلم يتب فقتله وصلبه وهو يقول . أتقتلون رجلا يقول ربي الله ثم توفي يحيى بن محمد ولم يعلم بالتحقيق سنة وفاته

٩٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس

لما توفي يحيى بن محمد تولى الامر بعده ابنه يحيى بن يحيى فاساء السيرة وكثر عيثه في الحرم . ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت و بادر الناس اليه بالانكار وثارت العامة عليه وتولى كبر ذلك عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي . وكانت زوجة يحيى عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس فاشارت عليه بالاختفاء في عدوة الاندلس ريثما تسكن الفتنة فتوارى بها فمات من ليلته آسفا على ماصنع بنفسه وما وقع فيه من العار واستولى عبد الرحمن بن ابي سهل على فاس وقام بأمرها فكتبت عاتكة بنت علي الى أبيها تعلمه بالخبر وتستدعيه . واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع حشمه وجيشه وجاء الى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا تارة يكون في عقب عمر ابن ادريس وتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس الزاهد الذي سنأتي على ذكره ان شاء الله

٩٧ - على بن عمر بن ادريس

لما دخل علي بن عمر بن ادريس مدينة فاس واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له على جميع منابر المغرب واستقام له الامر الى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي وأصله من وشقة (بلد بالاندلس) فقام بجبال مديونة من أعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها فتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغياثة وغيرهم فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده . ثم زحف الى قرية صفرون فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ثم زحف بهم الى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس في عسكر

ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق فانهزم علي ابن عمر وقتل خلق كثير من جنده . وفر بنفسه الى بلاد أوربة فدخل عبد الرزاق مدينة فاس وملك عدوة الأندلس وخطب له بها وامتنع منه أهل عدوة القرويين و بعثوا الى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ماذكره ان شاء الله

٩٨ - يحيى بن القاسم بن ادريس

لما فر علي بن عمر من فاس واستولى عبد الرازق الصفري على عدوة الاندلس بعث أهل فاس الى يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعوام (وقيل الطرم) فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم . ولما استقل يحيى بن قاسم بالامر قاتل عبد الرزاق حتى أخرجه من عدوة الاندلس فدخلها و بايعه أهلها وجميع من نزل بها من أهل الاندلس الربضيين . واستعمل يحيى بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الازدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو ربضي ايضا فلم يزل والياً على عدوة الاندلس الى أن توفي فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله بن ثعلبة المعروف بعبود الى أن توفي أيضاً . فاستعمل الامير يحيى مكانه ولده محارب بن عبود بن ثعلبة وخرج الامير يحيى بن القاسم الى قتال الصفرية فكانت له معهم حروب ووقائع كثيرة ولم يزل أميراً على فاس واعمالها حتى اغتاله الربيع بن سليمان سنة ٢٩٢ هـ

٩٩ - يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس

من سنة ٢٩٢ - ٣٠٩ هـ أو من سنة ٩٠٤ - ٩٢٦ م

لما قتل يحيى العوام في التاريخ المتقدم ولي الامر بعده يحيى بن ادريس بن عمر فبايعه أهل عدوتي فاس . وخطب له بهما وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابره . وكان يحيى هذا أعلى الادارسة قدراً وأبعدهم ذكراً وأكثرهم عدلا وأغزرهم فضلا وأوسعهم ملكا لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في الدولة والسلطان الى أن طما على ملكه عباب العبيديين

القائمين بافريقيـة فاغرقه . و بيان ذلك انه في أواخر المائة الثالثة ظهرت دعوة عبيد الله المهدي واستولى على افريقية في خبر طويل تجده مفصلا في ذكر الدولة الفاطميه . ثم سمت همته الى تملك المغرب الاقصى فاغزاه قائده مصالة بن حبوس المكناسي صاحب تاهرت والمغرب الاوسط فزحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة ٣٠٥ هـ وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس لمدافعته في جموع العرب والبربر والموالي . فالتقوا بقرب مكناسة فانهزم يحيى وعادمفلولا الى فاس . ثم تقدم مصالة الى فاس وحاصرها الى أن صالحه يحيى على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيدالله المهدي فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وانفذ بيعته الى المهدي وابقى عليـه مصالة في سكنى فاس وعقـد له على عملها خاصة . وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية المكناسي على ماسوى ذلك في بلاد المغرب (وكان موسى هذا صاحب تسول و بلاد تازا وكان كبير مكناسة بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدا فاسا وأعمالها فانه تركها للامير يحيى كما قلنا) وصار المغرب الاقصى فى ملك العبيديين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم . وكان موسى بن ابي العافيـة بعد ذهاب مصالة كلما اراد الظهور بالمغرب والاستبداد به غمره يحيى بن ادريس بحسبه ونسبه وفضله ودينه فقطع به كلما كان يريده . فكان على قلب موسى منه حمـل ثقيل فلما قدم مصالة المغرب في كرته الثانيـة سنة ٣٠٩ هـ سعى موسى بن ابي العافية عنده بيحيى بن ادريس حتى اوغر صدره عليه . فلما قرب مصالة من فاس خرج يحيى للقائه والسلام عليه في جماعة من وجوه دولته فقبض مصالة عليهم وقيد يحيى بالحـديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه موثقاً على جمل ثم عذبه بانواع العذاب حتى استصفى امواله وذخائره ثم نفاه الى نواحي آصيلا وقد ساءت حاله وانفض جمعه فاقام عند بني عمه ببلاد الريف مـدة فاعطوه مالا ووصلوه بما يقيم به اوده ويستعين به عـلى امره فـلم يرض ذلك وارتحل عنهم يريد افريقية فعرض له موسى بن ابي العافية في طريقه فقبض عليه وسجنه بمدينة آل الكاي وذلك سنة ٣٢٠ هـ ثم أطلقه بعد ذلك فخرج الى افريقية وهو في فقر وذلة قد بلغ سوء الحال منه كل مبلغ فوصـل الى المهدية

على تلك الحال فوافق بها فتنة ابي زيد مخلد بن كيداد اليفرني وحصاره اياها . فمات بها جايعا غريبا سنة ٣٣٢ ﻫ

١٠٠ — الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس

من سنة ٣٠٩ – ٣١١ ﻫ أو من سنة ٩٢١ – ٩٢٣ م

لما قبض مصالة على يحيى بن ادريس واستصفى امواله كما قلنا استعمل على فاس ريحان الكتامي وعاد الى القيروان فقام ريحان عاملا على فاس نحو ثلاثة أشهر وثار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام . فأتى فاس في جمع من شيعته وانصاره وكان مقداما شجاعا فدخلها على حين غفلة من اهلها فاستولى عليها وقتل ريحان واجتمع الناس على بيعته ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب وملك عدة مدن مثل مدينة لوانة وصفرون ومدين ومدائن مكناسة والبصرة واستقام له أمر المغرب . وفي سنة ٣١١ ﻫ خرج الامير الحسن الحجام الى قتال موسى بن ابي العافية فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن فاوقع الحجام بابن ابي العافية وقعة عظيمة لم تقع في دولة الادارسة مثلها قتل فيها من عسكر ابن ابي العافية نحو الفين وثمانية رجل من جملتهم ابنه منهال بن موسى بن ابي العافية وقتل من عسكر الحجام نحو سبعمائة رجل ثم كانت العاقبة لموسى على الحجام فانفض عسكر الحجام وعاد مفلولا الى فاس فعجل الحجام ودخل فاساً وحده وترك عسكره خارج المدينة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان دخل عليه ليلا في داره فقيده وأخذه الى موسى بن ابى العافية فاستولى موسى بن ابي العافية على المغرب واورثه بقيه كما تراه مفصلا في ذكر دولة آل ابي العافية وانقضت دولة الادارسة ثم تجددت لهم دولة ببلاد الريف

١٠١ - دولة الاغالبة بتونس

(تمهيد) لما استتب الامر للعرب في مصر سار عبد الله بن سعد بن ابي سرح بأمر الخليفة عثمان بن عفان الى سبيطلة عاصمة افريقية (تونس) وكان صاحبها غريغور تابعاً لصاحب القسطنطينية فخرج له في مائة وعشرين الفاً من الروم والبربر فهزمهم عبد الله بن سعد حتى صالحوه على الجزية . وفي سنة ٤٥ هـ بعث معاوية بن ابي سفيان الى افريقية معاوية بن حديج في عشرة آلاف فسير صاحب قسطنطينية في البحر جيشاً لدفاعهم فهزموه قرب الاجم وفتح عبد الله بن الزبير سوسة . وفي خلافة عبد الملك بن مروان وجه اسطولا مؤلفا من مائتي مركب الى صقلية (سيسيليا) ففتحها وعاد معاوية بن حديج لولاية مصر فولى مكانه عقبة بن نافع الفهري الذى اختط القيروان سنة ٥٠ هـ وبنى فيها الجامع الاعظم وشرد البربر ثم عزله معاوية وولى مصر وافريقية مسلمة بن مخلد فاناب عنه في أفريقية احد المقربين عنده وهو ابو المهاجر دينار فلما وصل الى القيروان خربها ببناء مدينة قربها لشيء بينه وبين عقبة . وكان احد أمراء البربر واسمه كسيلة قد أسلم ثم ارتد فلما ولي الخلافة يزيد بن معاوية اعاد عقبة ابن نافع الى ولاية افريقيا فعمر القيروان وخرج للجهاد مستخلفا عليها زهير ابن قيس البلوى وسار حتى بلغ البحر المحيط ثم كر راجعا فحض كسيلة المذكور قومه على الثورة والايقاع بعقبة لقلة جنوده فداهموه في الزاب وقتلوه وثلثمائة من جماعته . ولا يزال قبره يزار هناك . و بلغ هذا الخبر زهيراً فاستنفر أهل القيروان للقتال فلم يتبعوه ودخل كسيلة القيروان وعظم امره فيها خمس سنوات . وهال هذا الامر الخليفة عبد الملك فكتب الى زهير باستخلاصها من يده فعاد زهير ابن قيس البلوى وقتل كسيلة سنة ٦٩ هـ ولكنه خاف الفتنة بما صار اليه من الملك فارتحل الى الشرق وكان الروم يقاتلون برقة فاستصرخوا به فقتله الروم . وولى بعده حسان بن نعمان بعهد من الخليفة عبد الملك في سنة ٧٨ هـ فسار في اربعين الفاً فاستولى على القيروان و بنزرت وقرطاجة ثم أخبر عن الكاهنة دهياء وكانت في جمع محتشد لمقاومته فهزمته وقتلت كثيراً من جيشه . فكاتب

عبد الملك في شأنها فاجابه بانتظار الرد في برقة . واستقلت الكاهنة بافريقية واقتلعت الاشجار حتى لايطمع العرب في البلاد ولكن لم تمض خمس سنين حتى عاد بمدد وافر فقتلها في الاجم بعد مقاومة عنيفة . وكان اصحابها يشيرون عليها بالفرار فاجابتهم . انما الملكة من تعرف كيف تموت . ومن هذا العهد دخل البربر افواجاً في الاسلام ثم ولي عبد الرحمن موسى بن نصير فسلك مسلك المستقل عن مصر وعقد لعياش بن اخيل على اسطوله فاستولى على سرقوسة . وفي سنة ٩٢ هـ اغزى مولاه طارق بن زياد الاندلس فافتتحها ولحق هو به فكمل افتتاحها (راجع فصلي ١٦ و٦٩) ثم عاد الى القيروان ومنها الى الشرق بعد ان خلف ابنه عبد العزيز على الاندلس وابنه عبد الله على افريقيا . ووافى علماء مصر واشرافها بالهدايا وتوفي بمكة سنة ٩٨ هـ بالغا من العمر تسعاً وسبعين سنة . وكان الوليد توفي قبل وفاته وخلفه سليمان بن عبد الملك فعهد بولاية أفريقيا الى محمد بن يزيد الذي استأصل اموال موسى و بنيه سلباً وقتلا . ولما توفي سليمان استخلف عمر بن عبد العزيز على افريقية اسماعيل بن عبد الله فوصلها سنة ١٠٠ هـ وبث الدعاة بين البربر ليفقهوهم في الدين . ولما بويع يزيد ابن عبد الملك وجه ابن أبي مسلم فدخل افريقية سنة ١٠٢ هـ وسار بالظلم في الناس فهاج الناس وقلدوا الامر لمحمد بن يزيد السالف الذكر . وكان غازيا في صقلية . فاخبر الخليفة بالامر فولى بشر بن صفوان فقدم افريقية سنة ١٠٣ هـ وغزا صقلية بنفسه ايام هشام وتوفي ١٠٩ هـ ثم ولي عبيدة بن عبد الرحمن وعزل بعد اربع سنوات ونصف لتعذيبه عمال بشر وخلفه عبيد الله بن الحجاب فقدم سنة ١١٠ هـ فبنى جامع الزيتون ودار الصناعة وغزا السودان وصقلية ولكن انتقض عليه البربر وأهل المغرب لظلم عماله فخذلوه فعزله هشام واقام مكانه كلثوم بن عياض فجاء بجيش لقتال خالد بن حميد من المخالفين فهزمه خالد وقتله ونجا بعض اصحابه الى الاندلس و بقتله ولى هشام مكانه حنظلة ابن صفوان فما استقر في القيروان حتى جاءه عكاشه الصفري وعبد الواحد بن يزيد الهواري في خوارج البربر فخرج حنظلة اليهما وقتل الاول واسر الثاني وقد تحسنت الاحوال في عهده ثم ساءت لخفوت صوت الخلافة في المشرق . وكان بين اللاجئين الى الاندلس

عقب واقعة كلثوم رجل اسمه عبد الرحمن بن حبيب وقد حاول التغلب عليها فلما لم ينجح عاد الى تونس سنة ١٢٧ هـ فالتف حوله قوم من أهلها . وكان حنظلة يريد حقن الدماء فبعث اليه جماعة يدعونه للطاعة فاعتقلهم عنده ثم أقبل معهم الى القيروان متهدداً بقتلهم اذا رماه أحد بحجر . فارتحل حنظلة الى المشرق. واستلم عبد الرحمن الفهري مقاليد الامور فقاتل الثوار والمخالفين وغزا تلمسان وصقلية وسردانية ودوخ المغرب . وفي وقته قامت الدولة العباسية فكتب له الخليفة المنصور يدعوه للطاعة فأجاب اولا ثم نزع يده واستقل بافريقية نحو احدى عشرة سنة الى أن اغتاله الياس بن حبيب وكان عاملا من قبل أخيه على تونس فذهب مرة لعيادته في مرضه فقتله على فراشه واقصى ابنه حبيبا الى قفصة ثم اركبه مع عمه عمران الى الاندلس الا أن قاصفا من الريح ردهم الى طبرقة فكتب الى الياس في شأنهما فامر بطردهما ولكن موالي عبد الرحمن وأهل طاعته تسامعوا الخبر بابن مولاهم فالتفوا عليه فخرج الياس لقتالهم فبرز له حبيب وقال له . تعال للبراز فأينا غلب ملك . فصوب العسكران رأيه فقتل حبيب الياس ودخل القيروان . ولما ولي حبيب كثرت الفتن من الثوار والبربر فخرج لقتالهم بعد أن استخلف على القيروان عبد الملك ابن أبي الجعد ولما فاز عليهم واراد العود خرج له عبد الملك وقتله سنة ١٤٠ هـ وقد بلغ المنصور امر هذه الفوضى فولى محمد بن الاشعث الخزاعي على مصر وامره باطفاء الفتنة في افريقية فسار اليها في اربعين الفا ودخل القيروان ونظم الاحوال الا أن عيسى بن موسى احد جنده ثار عليه واخرجه من القيروان سنة ١٤٨ هـ وبلغ الامر المنصور فولى الاغلب بن سالم وكان ذا رأي وعدل وقد ثار عليه الحسن بن حرب الكندي فكاتبه الاغلب يرغبه في الطاعة فأبى فخرج اليه وهزمه ولكنه عاد ثانيا فخرج له الاغلب أيضا فاصابه سهم قتله وذلك سنة ١٥٠ هـ فوجه المنصور عمر بن حفص فحاصره في القيروان ابو حاتم الاباضي في جموع عظيمة من الثوار وطال الحصار حتى أكل المحصورون الميتة وبلغ عمراً أن المنصور وجه لاستنقاذه يزيد بن حاتم في ستين الفا فأنف وقال . لاخير في الحياة بعد أن يقال اخرجه يزيد من الحصار انما هي رقدة ثم ابعث الى الحساب ثم خرج

وقاتل حتى قتل سنة ١٥٤ ﻫ ثم وصل يزيد بن حاتم وهو المعروف بالسخاء والنجدة والذي قيل فيه

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغر بن حاتم

فمهد أمور القيروان وجدد بناء جامعها وفتك بالمخالفين الى أن توفي سنة ١٧١ ﻫ ثم خلفه ابنه داود وكانت له مع البربر حروب ولبث في الولاية تسعة أشهر ونصف خلفه بعدها روح بن حاتم بعهد من الرشيد فسار بالعدل وصدعت شوكة البربر واطاعوا للدين ولما دنا أجله عهد الرشيد بالولاية الى نصر ابن حبيب المهلبي وكان روح بن حاتم قد توفي سنة ١٧٤ ﻫ وبايع الملأ ابنه قبيصة فلما وصل نصر امتثلوا لامره وسار بين الناس بالعدل . وفي سنة ١٧٧ ﻫ جاء كتاب الرشيد بعزله وولاية الفضل بن روح . فارسل المغيرة ابن أخيه عاملا على تونس فاوغر على نفسه صدور الرعية لسوء سيرته . ثم ولى الرشيد هرثمة ابن أعين ثم استقال ورحل الى المشرق سنة ١٨١ ﻫ فخلفه محمد بن مقاتل بامر هرون الرشيد فقدم القيروان في رمضان سنة ١٨١ﻫ فأساء السيرة فاختلف عليه الجند وقدموا مخلد بن مرة الازدي فبعث اليه العساكر فهزم وقتل ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ١٨٣ ﻫ واجتمع اليه الناس وسار الى القيروان فخرج اليه محمد بن مقاتل ولقيه فانهزم امامه ورجع الى القيروان وتمام في اتباعه الى أن دخل عليه القيروان وأمنه تمام على أن يخرج عن افريقية فسار محمد الى طرابلس وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتقض لمحمد وسار بجموعه الى القيروان وهرب تمام بين يديه الى تونس وملك القيروان واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس واعاده الى امارته بالقيروان آخر سنة ١٨٣ ﻫ وزحف تمام لقتالهم فخرج اليه ابراهيم بن الاغلب باصحابه فهزمه وسار في اتباعه الى تونس واستأمن له تمام فأمنه وجاء به الى القيروان وبعث به الى بغداد فاعتقله الرشيد

١٠٢ – ابراهيم بن الاغلب

من سنة ١٨٤ — ١٩٦ هـ أو من سنة ٨٠٠ — ٨١١ م

لما استوثق الامر لمحمد بن مقاتل كره أهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد في ذلك على أن يترك المائة الف دينار التي كانت من مصر الى أفريقية وعلى ان تحمل هو من افريقية اربعين الفا . وبلغ الرشيد غناؤه في ذلك واستشار أصحابه فاشار هرثمة بولايته فكتب له بالعهد الى افريقية منتصف سنة ١٨٤ هـ فقام ابراهيم بالولاية وضبط الامور . ورجع ابن مقاتل الى المشرق . وسكنت البلاد بولاية ابن الاغلب وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها بجملته. وفي سنة ١٨٦ هـ خرج عليه بتونس حمديس من رجالات العرب ونزع السواد فسرح اليه ابن الاغلب عمران بن مخالد في العساكر فقاتله وانهزم حمديس وقتل من أصحابه عشرة آلاف . ثم صرف همه الى تمهيد الغرب وقد ظهرت فيه دعوة العلوية بادريس بن عبد الله وتوفي ونصب البرابرة ابنه الاصغر وقام مولاه راشد بكفالته وكبر ادريس واستفحل أمره (كما مر ذلك مفصلا) فلم يزل ابراهيم يدس الى البربر ويسرب فيهم الاموال حتى قتل راشد وسيق رأسه اليه ثم قام بامر ادريس بعده بهلول بن عبد الرحمن المظفر من رؤس البربر فاستفحل أمره ولم يزل ابراهيم يلطفه و يستميله بالكتب والهدايا الى أن انحرف عن دعوة الادارسة الى دعوة العباسية فصالحه ادريس وكتب اليه يستعطفه بقرابته الى رسول الله فكف عنه

وفي سنة ١٨٩ هـ خالف أهل طرابلس على ابراهيم بن الاغلب ونادوا بعاملهم سفيان بن المهاجر وأخرجوه من داره الى المسجد وقتلوا عامة اصحابه ثم آمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج سفيان لشهر من ولايته واستعملوا عليهم ابراهيم بن سفيان التميمي فبعث اليهم ابراهيم بن الاغلب العساكر وهزمهم ودخل عسكره طرابلس ثم استحضر ابراهيم الذين تولوا كبر ذلك فحضروا في ذي الحجة آخر السنة وعفا عنهم وأعادهم الى بلدهم . وفي سنة ١٩٥ هـ انتقض

عمران بن مجالد الربعي وكان بتونس واجتمع معه على ذلك قريش بن التونسي وكثرت جموعهما وسار عمران الى القيروان فملكها وقدم عليه قريش التونسي من تونس وخندق ابراهيم على نفسه بالعباسية فحاصروه سنة كاملة كانت بينه وبينهم حروب كان الظفر في آخرها لابن الاغلب . ثم بعث الرشيد الى ابراهيم بالمال فنادى في الناس بالعطاء ولحق به أصحاب عمران وانتقض أمره ولحق بالزاب فاقام به الى أن توفي ابن الاغلب . وفي سنة ١٩٦ ﻫ بعث ابراهيم بن الاغلب ابنه عبد الله على طرابلس فثار عليه الجند وحاصروه بداره ثم أمنوه على ان يخرج عنهم فخرج واجتمع اليه الناس و بذل العطاء وأتاه البربر من كل ناحية فزحف الى طرابلس وهزم جندها ودخل المدينة ثم عزله أبوه وولى سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس وهجموا الجند . فلحقوا بابراهيم بن الاغلب وأعاد معهم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر الفا من العساكر ففتك بهوارة وأثخن فيهم وجدد سور طرابلس و بلغ الخبر الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فجمع البربر وجاء الى طرابلس وحاصرها وسد عبد الوهاب باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة . ثم جاء عبد الله الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله وأعمالها لعبد الوهاب وسار الى القيروان . وفي سنة ١٩٦ ﻫ توفي ابراهيم بن الاغلب وعهد بالامارة من بعده لابنه عبد الله

١٠٣ — أبو العباس بن ابراهيم

من سنة ١٩٦ — ٢٠١ ﻫ أو من سنة ٨١١ — ٨١٦ م

لما توفي ابراهيم بن الاغلب كان ابنه عبد الله غائبا بطرابلس والبربر يحاصرونه كما ذكرنا فأخذ أخوه زيادة الله بن ابراهيم له العهود على الجند وسير الكتاب الى أخيه عبد الله يخبره بموت أبيه و بالامارة له . فلما وصله الخبر صالحهم كما ذكر وسار الى القيروان فلقيه الناس وتسلم الامر . ولم يرع حق أخيه في مافعله . واتبع خطة الجور والظلم حتى انه حدد على كل فدان في عمله ثمانية عشر ديناراً فضاق الناس لذلك . ونصحه كثير من العلماء والصالحين فلم ينتصح . ومع ذلك كانت كل أيام امارته أيام سكون ودعة بما مهد له أبوه الامر حتى توفي سنة ٢٠١ ﻫ وكانت امارته خمس سنين ونحو شهرين

١٠٤ - زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب

من سنة ٢٠١ — ٢٢٣ ﻫ أو من سنة ٨١٦ — ٨٣٧ م

لما توفي أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ولي مكانه أخوه زيادة الله بن ابراهيم وجاءه التقليد من قبل المأمون . وكتب اليه يأمره بالدعاء لعبد الله بن طاهر على منابره فغضب من ذلك و بعث مع الرسول بدنانير من سكة الادارسة يعرض له بتحويل الدعوة

وفي سنة ٢٠٧ ﻫ خرج عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية وجمع جمعا كثيراً وحصر مدينة باجة فسير اليه زيادة الله العساكر فازالوه عنها وقتلوا من وافقه على المخالفة

وفي سنة ٢٠٨ ﻫ بلغ زيادة الله أن منصور بن نصير الطنبذي يريد المخالفة عليه بتونس وهو يسعى في ذلك ويكاتب الجند فلما تحققه سير اليه قائداً اسمه محمد ابن حمزة في ثلثماية فارس وأمره أن يخفي خبره ويجد السير الى تونس فلا يشعر به منصور حتى ياخذه فيحمله اليه فسار محمد ودخل تونس فلم يجد منصوراً بها لانه كان قد توجه الى قصره بطنبذة . فارسل اليه محمد قاضي تونس ومعه اربعون شيخا يقبحون له الخلاف وينهونه عنه ويامرونه بالطاعة . فساروا اليه واجتمعوا به وذكروا له ذلك . فقال منصور . ما خالفت طاعة وانا سائر معكم الى محمد . فلما أمسى المساء اعتقل القاضي ومن معه وسار مجداً باتباعه الى تونس ودخلها على حين غفلة من أهلها وقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم الا من نجا سباحة في البحر . وكان عامل زيادة الله على تونس اسمعيل بن سفيان فاحضره منصور وقتله ليستخلص له طاعة الجند . فلما سمع زيادة الله الخبر سير العساكر من القيروان مع غلبون ابن عمه واسمه الاغلب بن عبد الله بن الاغلب وهو وزيره وتهددهم بالقتل ان انهزموا . فهزمهم منصور وخشوا على أنفسهم ففارقوا الوزير غلبون وافترقوا على افريقية واستولوا على باجة والجزيرة وصطفورة والاربس وغيرها واضطربت افريقية ثم اجتمعوا الى منصور فسار بهم الى القيروان فملكها . وحاصر زيادة الله في العباسية أربعين يوما وعمروا سور القيروان الذي

خربه ابراهيم بن الاغلب . ولما ضاق زيادة الله من الحصار خرج اليه مستميتاً لقتاله وهزمه ولحق بتونس وأخرب زيادة الله سور القيروان . ولحق قواد الجند بالبلاد التي تغلبوا عليها فلحق منهم عامر بن نافع الازرق بسبيبة .

وفي سنة ٢٠٩ هـ سير زيادة الله جيشاً مع محمد بن عبد الله بن الاغلب الى سبيبة فهزمهم عامر وعادوا بالخيبة فعظم الامر على زيادة الله . ورجع منصور الى تونس ولم يبق على طاعة زيادة الله من افريقية الا تونس والساحل وطرابلس ونفزاوة . وبعث الجند الى زيادة الله بالامان على ان يرتحل عن أفريقية فضاق به وغمه الامر فقال له سفيان بن سوادة مكني من عسكرك لاختار منهم مائتي فارس وأسير بهم الى نفزاوة فقد بلغني أن عامر بن نافع يريد قصدهم فان ظفرت كان الذي تحب وان تكن الاخرى عملت برأيك . فامره بذلك فاخذ مائتي فارس وسار الى نفزاوة ودعا برابرتها الى نصرته فاجابوه . واقبل عامر بن نافع في عساكره واقتتلوا فانهزم عامر ومن معهم وكثر القتل فيهم ورجع عامر الى قسطيلة فجبي أموالها ليلا ونهاراً في ثلاثة أيام وسار عنها واستخلف عليها من يضبطها فهرب منها ايضاً خوفاً من أهلها . فارسل أهل قسطيلة الى سفيان بن سوادة وسألوه أن يجيء اليهم . فسار اليها وملك قسطيلة وضبطها فاستقام أمر زيادة الله واسترجع كثيراً من المدن

(فتح جزيرة صقلية (سيسيليا) وفي سنة ٢١٢ هـ جهز زيادة الله أسطولا عظيما وسيره الى جزيرة صقلية واستعمل عليه أسد بن الفرات قاضي القيروان . وكان السبب في ارسال هذا الاسطول ان جزيرة سيسيليا (صقلية) كانت تابعة لمملكة الروم الشرقيه وكان ملك القسطنطينية يرسل اليها عمالا من عنده فلما كانت سنة ٢١١ هـ استعمل على هذه الجزيرة شخصاً يدعى قسطنطين وكانت بينه وبين فيمي قائد أسطول الروم منافسة فوشى به الى الملك فامره باعتقاله وقتله . فبلغ الخبر الى فيمي فعصى ورفع راية المخالفة ووافقته جنوده وسار الى مدينة سرقوسة وملكها وأخرج قسطنطين منها واستقام له امر الجزيرة وخوطب بالملك ثم ثار عليه بعض قواده وابن عم له اسمه ميخائيل وأزاحوه عن سرقوسة فهرب فيمي بحراً الى أفريقية وارسل الى زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية فسير معه جيشاً في ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ كما ذكرنا . فنزلوا

بمدينة مازر والتقوا بجموع الروم فهزموهم وغنموا أموالهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة حتى وصلوا الى قلعة الكرات وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فخادعوا القاضي أسد بن الفرات في المراودة على الصلح وأداء الجزية حتى استعدوا للحصار ثم امتنعوا عليه فحاصرهم وبث سراياه في نواحي الجزيرة فغنموا كثيراً. ثم حاصروا سرقوسة براً وبحراً وأتاهم المدد من أفريقية. فضيق المسلمون على سرقوسة. حتى أتى أهلها المدد من القسطنطينية وكان المسلمون قد وهنوا لانهم أصابهم سنة ٢١٣ ﻫ وباء شديد أمات منهم خلقاً كثيراً ومات به كبيرهم أسد بن الفرات وولي الامر على المسلمين بعده محمد بن ابي الجواري. فلما رأى المسلمون شدة فتك الوباء بهم وحضور المدد للروم نزلوا في مراكبهم ليرجعوا الى افريقية. فوقف الروم بمراكبهم على باب المرسى ليمنعوا المسلمين الخروج. فلما رأى المسلمون ذلك وايقنوا بالهلاك على أية حالة فضلوا أن يموتوا على شفرات السيوف فاحرقوا مراكبهم ورجعوا حتى وصلوا مدينة مينا فحصروها ثلاثة ايام فتسلموا الحصن. وسارت منهم طائفة الى حصن جرجنت فقاتلوا أهله وملكوه. واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وساروا الى مدينة قصريانة فهزمهم الروم. ثم توالت انتصارات الروم على المسلمين مرات عديدة حتى حصروهم أخيراً في معسكرهم وطال عليهم الحصار وكادوا يشرفون على الهلاك حتى دخلت سنة ٢١٤ ﻫ فوصلت اليهم امداد زيادة الله من افريقية وأتتهم مراكب من الاندلس خرجت بقصد الجهاد حتى اجتمع منهم ثلاثمائة مركب فنزلوا الجزيرة وخلصوا اخوانهم المحصورين ثم ساروا في سنة ٢١٧ ﻫ الى مدينة بليرم ففتحوها بالامان.

وفي سنة ٢١٩ ﻫ سارت عساكر المسلمين الى مدينة قصريانة وقاتلوا الروم قتالاً شديداً فانهزم الروم ورجعوا الى معسكرهم

وفي سنة ٢٢٠ ﻫ توفي محمد بن عبد الله أمير المسلمين بصقلية. فسير زيادة الله من أفريقية الى صقلية أبا الاغلب بن ابراهيم بن عبد الله أميراً عليها فخرج اليها فوصلها في منتصف رمضان. فسير أسطولاً فالتقى باسطول للروم فغنمه وقتل كل من فيه. وأرسل سرية الى جبل النار والحصون التي في نواحيها فملكوا مدناً وحصوناً كثيرة وغنموا غنائم وسبوا سبايا كثيرة وعادوا سالمين. وفي سنة

٢٢١ هـ سير الاغلب سرية الى قسطلياسة فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وسير سرية الى مدينة قصريانة فقاتلهم الروم حتى انهزم المسلمون وأصيب منهم جماعة وتوالت الحروب بينهم والنصر متبادل حتى دخل فصل الشتاء فعثر بعض المسلمين على عورة في قصريانة فدل المسلمين عليها فدخلوا من ذلك الموضع وملكوا ربضه وتحصن الروم بالحصن ثم طلبوا الامان فامنوهم واستلم المسلمون المدينة والحصن وغنموا منها غنائم وعادوا الى بلرم . وفي سنة ٢٢٣ هـ جاءت الروم امدادات عظيمة وكان المسلمون محاصر بن جفلوذي وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرت بينهم و بين الروم الواصلين حروب كثيرة . ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير أفريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا أنفسهم . وكانت وفاة زيادة الله ابن ابراهيم منتصف سنة ٢٢٣ هـ لاحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته

١٠٥ - أبو عقال الاغلب بن ابراهيم الاغلب

من سنة ٢٢٣ — ٢٢٦ هـ أو من سنة ٨٣٧ — ٨٤٠ م

لما توفي زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب تولى أخوه الاغلب بن ابراهيم ويكنى أبا عقال فأحسن الى الجند وأزال المظالم وزاد العمال في ارزاقهم وكفهم عن الرعية وخرج عليه بقسطيلة خوارج فبعث اليهم العساكر وقتلهم واستاصلهم . وفي سنة ٢٢٦ هـ استأمن للمسلمين بصقلية عدة حصون فأمنوهم وفتحوها صلحاً . وفي سنة ٢٢٦ هـ المذكورة توفي الاغلب بن ابراهيم وكانت مدة ولايته سنتين وسبعة أشهر

١٠٦ - أبو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم

من سنة ٢٢٦ — ٢٤٢ هـ أو من سنة ٨٤٠ — ٨٥٦ م

لما توفي ابو عقال الاغلب ولي بعده ابنه أبو العباس محمد ودانت له أفريقية وشيد مدينة بقرب تاهرت وسماها العباسية وذلك سنة ٢٢٧ هـ وأحرقها افلح

ابن عبد الوهاب بن رستم وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة الف درهم جزاء له على فعله . وتوفي محمد بن الاغلب يوم الاثنين غرة المحرم سنة ٢٤٢ ﻫ وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام

١٠٧ - أبو ابراهيم أحمد بن ابي العباس

من سنة ٢٤٢ — ٢٤٩ ﻫ أو من سنة ٨٥٦ — ٨٦٣ م

لما توفي أبو العباس محمد بن أبي عقال ولي مكانه ابنه أبو ابراهيم أحمد فاحسن السيرة مع الرعية واكثر العطاء للجند وكان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحواً من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد . وفي أيامه فتحت قصريانة من مدن صقلية في شوال سنة ٢٤٤ ﻫ وبعث بفتحها الى المتوكل وأهدى له من سبيها . ولم يكن في أيامه ثائر يزعجه ثم توفي يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة سنة ٢٤٩ ﻫ وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر واثني عشر يوما وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة

١٠٨ - زيادة الله بن أبي ابراهيم أحمد

من سنة ٢٤٩ — ٢٥٠ ﻫ أو من سنة ٨٦٣ — ٨٦٤ م

لما توفي ابو ابراهيم احمد ولي مكانه ابنه زيادة الله ويعرف بزيادة الله الاصغر فجرى على سنن سلفه ولم تطل أيامه فتوفي يوم السبت لاحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٥٠ ﻫ وكانت ولايته سنة واحدة وستة ايام

١٠٩ - أبو الغرانيق بن أبي ابراهيم أحمد

من سنة ٢٥٠ — ٢٦١ ﻫ أو من سنة ٨٦٤ — ٨٧٤ م

ولما توفي زيادة الله الاصغر تولى بعده أخوه محمد ويلقب بابي الغرانيق فغلب عليه اللهو والشراب وكانت في أيامه حروب وفتن وفتح جزيرة مالطة سنة ٢٥٥ ﻫ وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية وبنى محمد حصونا ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوما من برقة الى جهة المغرب .

ثم توفي ابو الغرانيق منتصف سنة ٢٦١ ﻫ لاحدى عشرة سنة من ولايته .
وقبل الانتقال الى ذكر من ولي بعده يجدر بنا ذكر بعض اخبار جزيرة
صقلية في هذه المدة فنقول

في سنة ٢٢٨ ﻫ سار الفضل بن جعفر الهمذاني في البحر ونزل مرسى
مسينا وحاصرها فامتنعت عليه و بث السرايا في نواحيها فغنموا ثم بعث طائفة
من عسكره وجاؤا الى البلد من وراء جبل مطل عليه وهم مشغولون بقتاله
فانهزموا وسلموا المدينة وفي سنة ٢٣٢ ﻫ حاصر مدينة لنتيني فكاتب اهلها أمير
صقلية الرومي يستمدونه فاجابهم واعطاهم العلامة بايقاد النار على الجبل و بلغ
ذلك الفضل بن جعفر فاوقد النار على الجبل واكمن لهم من ناحيته فخرجوا
واستطرد لهم حتى جاوزوا الكمين فخرجوا عليهم فلم ينج منهم الا القليل وسلموا
البلد على الامان . وفي سنة ٢٣٣ ﻫ توفي امير صقلية محمد بن عبد الله بن الاغلب
واجتمع المسلمون بعده على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب وكتب له محمد
ابن الاغلب بالعهد على صقلية . فلما جاءه كتاب الولاية ردد البعوث والسرايا
في نواحي صقلية فافتتح حصونا جمة وهزم أهل قصريانة ودله بعضهم على
عورة يدخل منها المدينة فدخلها واعمل السيف في اهلها وغنم منها غنائم جمة .
وبلغ ملك الروم فتح المسلمين قصريانة فسير اسطولا الى الجزيرة لاستخلاصها
من المسلمين فنزلوا ميناء سرقوسة . فجاءهم العباس من بليرم فقاتلهم وهزمهم حتى
اقلعوا الى بلادهم . ثم رجع العباس الى قصريانة فحصنها وانزل بها الحامية. ثم سار
سنة ٢٤٧ ﻫ الى سرقوسة فغنم ورجع واعتل في طريقه فهلك منتصف سنته ودفن
نواحي سرقوسة . ولما توفي العباس اجتمع الناس على ابنه عبد الله وكتبوا لصاحب
افريقية . وبعث عبد الله السرايا ففتح القلاع الكثيرة . وبعد خمسة اشهر من
ولايته وصل خفاجة بن سفيان من افريقية على صقلية في منتصف سنة ٢٤٨ ﻫ
واخرج ابنه محموداً في سرية الى سرقوسة فعاث في نواحيها وخرج اليهم
الروم فقاتلهم وظفر ورجع . ثم فتح مدينة نوطوس سنة ٢٥٥ ﻫ ثم سار الى
سرقوسة وجبل النار واستأمن اليه أهل طرميس ثم غدروا فسرح ابنه محمداً في
العساكر وسبي اهلها . ثم سار خفاجة الى رغوس وافتتحها واصابه المرض
فعاد الى بليرم . وفي سنة ٢٥٢ ﻫ سار الى سرقوسة وقطانية فخرب نواحيها

وافسد زرعها و بعث سراياه في ارض صقلية فامتلأت ايديهم من الغنائم . وفي سنة ٢٥٥ هـ بينما كان خفاجة راجعاً من بعض غزواته اغتاله بعضهم وقتله في الطريق فولى الناس عليهم ابنه محمداً وكتبوا الى محمد بن احمد امير افريقية فاقره على الولاية و بعث اليه بعهده

١١٠ - ابراهيم بن أحمد بن أبي العباس

من سنة ٢٦١ — ٢٨٩ هـ أو من سنة ٨٧٤ — ٩٠١ م

ولما توفي ابو الغرانيق ولي أخوه ابراهيم . وقد كان عهد لابنه ابي عقال واستحلف اخاه ابراهيم أن لا ينازعه ولا يتعرض له بل يكون نائبا عنه الى أن يكبر. فلما مات اتى أهل القيروان ابراهيم وسألوه أن يتولى امرهم لحسن سيرته وعدله فلم يفعل اولا ثم اجاب طلبهم وانتقل الى قصر الامارة و باشر الامور واقام فيها قياما مرضيا . واختلف المؤرخون في سيرته فبعضهم قال انه كان عادلا حازما . و بعضهم قال انه كان ظلوما غشوما سفاكا للدماء وانه اصابه في آخر عمره ماليخاليا اسرف بسببها في القتل فقتل من خدمه و نسائه و بناته مالا يحصى وفي سنة ٢٦٥ هـ خالف العباس بن أحمد بن طولون على ابيه صاحب مصر وسار الى المغرب فملك برقة من يد محمد بن قهرب قائد ابن الاغلب ثم ملك لبده ثم حاصر طرابلس واستمد ابن قهرب قومه فأمدوه ولقي العباس بن طولون بقصر حاتم سنة ٢٦٧ هـ فهزمه ورجع الى مصر . وفي سنة ٢٦٩ هـ خالفت عليه وزداجة ومنعوا الرهن وفعلت مثل ذلك هوارة ثم لواتة وقتل ابن قهرب في حروبهم فسرح ابراهيم ابنه ابا العباس عبد الله اليهم في العساكر فاثخن فيهم . وفي سنة ٢٨٠ هـ كثر الخوارج عليه ففرق العساكر اليهم فاستقاموا . وفي سنة ٢٨١ هـ انتقل الى سكن تونس واتخذ فيها القصور . وفي سنة ٢٨٣ هـ تحرك الى مصر لمحاربة ابن طولون فاعترضته نفوسة فهزمهم واثخن فيهم ثم انتهى الى سرت فانفضت عنه الجنود فرجع . وفي سنة ٢٨٧ هـ بعث ابنه ابا العباس على صقلية فوصل اليها في مائة وستين مركبا وحصر طرابة وانتقض عليه بليرم واهل كبركيت فهزمهم وشتت جموعهم واستباحهم وفي سنة ٢٨٩ هـ جاء رسول المعتضد

بعزل الامير ابراهيم لشكوى اهل تونس به فارتحل الى صقلية مظهراً الغزو والجهاد فوصلها وفتح بها عدة حصون واستأمن اليه كثير من المدن بها ثم اصابه الذرب واشتدت به العلة فتوفي ليلة السبت لاحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٨٩ ﻫ فاجمع اهل الرأي من العسكر ان يولوا امرهم أبا مضر بن أبي العباس عبد الله ليحفظ العساكر والاموال والخزائن الى أن يصل الى ابنه بافريقية وجعلوا الامير ابراهيم في تابوت وحملوه الى افريقية ودفنوه في القيروان وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة . وفي ايامه ظهر ابو عبد الله الشيعي بكتامة يدعو للرضاء من آل محمد ويبطن الدعوة لعبيد الله المهدي من ابناء اسمعيل الامام واتبعه كتامة . وكان ابراهيم قد اسر لابنه ابي العباس في شأن الشيعي ونهاه عن محاربته وان يلحق به الى صقلية ان ظهر عليه

١١١ – أبو العباس عبد الله بن ابراهيم

من سنة ٢٨٩ — ٢٩٠ ﻫ أو من سنة ٩٠١ – ٩٠٢ م

لما توفي ابراهيم بن احمد تولى مكانه ابنه ابو العباس عبد الله وكان اديبا لبيبا شجاعا احد الفرسان المعدودين وفي ايامه عظم امر ابي عبد الله الشيعي فارسل أخاه الاحول لقتاله . فلما بلغ الشيعي حركتهم خرج اليهم في جموع كثيرة والتقوا عند كوشة فقتل بينهم خلق كثير وانهزم الاحول ولحق بتونس . وفي هذه السنة اعتقل ابو العباس ابنه زيادة الله لما بلغه عنه من اعتكافه على اللذات واللهو وانه يروم التوثب عليه . وكان زيادة الله وقتئذ عاملا لابيه على صقلية فعزله عنها واعتقله وولى مكانه محمد بن السرقوسي وفي سنة ٢٩٠ ﻫ في ليلة الاربعاء آخر شعبان قتل ابو العباس قتله ثلاثة نفر من خدمه الصقالبة بوضع من ولده وحملوا رأسه الى ولده واطلق زيادة الله من اعتقاله

١١٢-- أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله

من سنة ٢٩٠ - ٢٩٦ هـ أو من سنة ٩٠٢ - ٩٠٨ م

لما قتل ابو العباس عبد الله اجتمع أهل الدولة واطلقوا ابنه زيادة الله من الاعتقال وبايعوا له فقتل الخصيان الذين قتلوا اباه . وعكف على الملذات والشهوات وملازمة الندماء والمضحكين . وأهمل امور المملكة والرعية . ويوم تولى ارسل كتابا الى عمه الاحول عن لسان ابيه يستعجله الحضور اليه ويحثه على السرعة . فسار مجداً ولم يكن يعلم بقتل أبي العباس . فلما وصل قتله ابو مضر وقتل كل من قدر عليه من عمومته واخوته . وفي ايامه قوي امر الشيعي وكان الاحول قبالته و يناوشه فلما قتل صفت له البلاد ودانت له الامصار والعباد فسير اليه زيادة الله جيشا مع ابراهيم بن ابي الاغلب (وهو من بني عمه) بلغت عدتهم اربعين الفا سوى من انضاف اليه فهزمه ابو عبد الله الشيعي . فلما علم زيادة الله خبر هذا الانهزام علم انه لا مقام له لان هذا الجمع هو آخر ما انتهت اليه قدرته . فجمع ماعز عليه من أهل ومال وغير ذلك وعزم على الهرب الى بلاد المشرق . فمنعه كثير من أهل دولته عن هذا العزم فابي الا ذلك . فسار نحو الشرق ووصل طرابلس واقام بها سبعة عشر يوما ثم سار ووجهته مصر فلما وصلها منعه عاملها عيسى النوشري عن الدخول اليها الا بامر الخليفة وانزله بظاهر البلد ثمانية ايام ثم انصرف عنها حتى وصل الرقة ومنها ارسل الى ابن الفرات وزير المقتدر يستاذن له في الدخول . فاتاه كتابه بالمقام في الرقة حتى ياتيه راي المقتدر فاقام بها سنة . ثم جاءه كتاب المقتدر بالرجوع الى افريقية وامر النوشري عامله بمصر بامداده بالرجال والمال لاسترجاع الدعوة العباسية بافريقية وازاحة الشيعة عنها . فرجع حتى اذا وصل الى مصر اصابته علة مزمنة مات بها وتفرق بنو الاغلب وانقطعت ايامهم سنة الله في خلقه

١١٣ - الدولة الطاهرية بخراسان

(تمهيد) لما توفي الخليفة هرون الرشيد واختلف ابناه الأمين والمأمون كان طاهر بن الحسين من قواد المأمون وهو الذي فتح بغداد وأمر بقتل الأمين كما ذكرنا ذلك في حينه مفصلا (راجع فصل ٣١) فلما دانت البلاد للمأمون واستتب الامر له ولى طاهر بن الحسين الشرطة بجانبي بغداد وكان طاهر يتردد على الخليفة المأمون في مجلسه العام والخاص فدخل مرة على المأمون وهو يشرب النبيذ وحسين الخادم يسقيه فامره بالجلوس . فقال طاهر ليس لصاحب الشرطة أن يجلس عند سيده . فقال المأمون . ذلك في مجلس العامة وأما في مجلس الخاصة فله ذلك . ثم تذكر المأمون شيئا أبكاه بحضور طاهر . فقال طاهر . يا أمير المؤمنين لم تبكي لا ابكى الله عينك والله لقد دانت لك البلاد وأذعن لك العباد وصرت الى المحبة في كل أمرك . فقال المأمون . أبكي لامر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلوا أحد من شجن . وانصرف طاهر وهو قلق البال مفكراً فيما أبكى المأمون ثم تذكر طاهر منزلة حسين الخادم عند المأمون فاعطاه ثمانماية الف درهم على أن يسأل المأمون عن سبب بكائه . فسأله . فقال له بعد أن استوثق منه أن لا يزيعه . انه لما دخل طاهر تذكرت اخي محمد الأمين وما ناله من الذل والقتل بامر طاهر فخنقتني العبرات فبكيت فأخبر حسين الخادم طاهراً بما قاله المأمون فخاف على نفسه واسرع الى احمد بن ابي خالد ليحمل المأمون على توليته خراسان . فقال له أحمد سأفعل . وركب احمد الى المأمون فلما دخل عليه قال له . ما نمت البارحة . قال ولم . قال لانك وليت غسان خراسان وهو ومن معه أكلة رأس . وأخاف ان تخرج عليه خارجة من الترك فتهلكه . فقال المأمون . لقد فكرت أنا أيضا فيما فكرت أنت فيه فمن ترى . قال طاهر بن الحسين . قال . ويلك هو والله خالع . قال أنا الضامن له . فقال فوله اذا . فدعا طاهراً من ساعته وعقد له عليها وسار من بغداد قاصداً خراسان مقر ولايته الجديدة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٠٥ هـ

١١٤ - طاهر بن الحسين

من سنة ٢٠٥ — ٢٠٧ هـ أو من سنة ٨٢٠ — ٨٢٢ م

لما عقد المأمون لطاهر بن الحسين على خراسان كما ذكرنا سار من بغداد لليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٠٥ هـ قاصداً مقر ولايته الجديدة . ولما سار اليها ولى المأمون ابنه عبد الله بن طاهر على الشرطة ببغداد مكان ابيه . وفي سنة ٢٠٦ هـ ولى المأمون عبد الله بن طاهر من الرقة الى مصر وامره بحرب نصر بن شبث فارسل اليه والده طاهر بن الحسين كتابا جمع فيه كلما يحتاج اليه الامراء من السياسة والآداب والحث والتحريض مما يدل على غزارة علمه وعظم فضله . وفي سنة ٢٠٧ هـ مات طاهر بن الحسين من حمى اصابته فوجد في فراشه ميتا . قال كلثوم ابن ثابت بن ابي سعيد كنت على بريد خراسان فلما كانت سنة ٢٠٧ هـ حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال (اللهم اصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفنا مؤنة من بغى علينا . وحشد فيها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين) قال . فقلت في نفسي انا أول مقتول لاني لا اكتم الخبر . قال . فانصرفت فاغتسلت غسل الموتى وتكفنت وكتبت الى المأمون . فلما كان العصر دعاني وحدث به حادث في جفن عينه وسقط ميتا . فخرج الي ابنه طلحة وقال . هل كتبت بما كان . قلت نعم . قال فاكتب بوفاته وبقيام طلحة بأمر الجيش . فلما وصل الخبر الاول الى المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وقال له . سر واتني بطاهر كما زعمت وضمنت . فاسترضاه حتى يبيت وفي الصباح يذهب الى خراسان ليأتيه بطاهر فلم يات الليل حتى وصلهم الخبر بوفاته . فكتب المأمون بتولية ابنه طلحة مكانه

١١٥ - طلحة بن طاهر بن الحسين

من سنة ٢٠٧ — ٢١٣ هـ أو من سنة ٨٢٢ — ٨٢٨ م

لما توفى طاهر بن الحسين تولى مكانه ابنه طلحة وأرسل له المأمون عهد الولاية فاستمر والياً على خراسان حتى توفي سنة ٢١٣ هـ وكانت ولايته سبع سنين تقريبا .

١١٦ – عبد الله بن طاهر بن الحسين

من سنة ٢١٣ — ٢٣٠ ﻫ أو من سنة ٨٢٨ — ٨٤٤ م

لما توفي طلحة بن طاهر استعمل المأمون على خراسان أخاه عبد الله بن طاهر . وكان عبد الله عاقلا لبيبا عارفا بمجاري الامور خدم المأمون وصدق الخدمة فاضاف اليه المأمون علاوة على خراسان طبرستان وكرمان والري فارسل اليها عمالا من قبله وجبي أموالها واتسعت أحواله . وكان أهل نيسابور قد قحطوا فمطروا قبل وصول عبد الله اليهم بيوم واحد فقام رجل اليه وقال

قد قحط الناس في زمانهم حتى اذا جئت جئت بالدرر
غيثان في ساعة لنا قدما فمرحبا بالامير والمطر

ولما وصل عبد الله خراسان كان الخوارج قد أوقعوا بها فقاتلهم حتى أخلدوا الى السكينة . وفي سنة ٢٢٤ ﻫ خالف على عبد الله بطبرستان شخص يدعى مازيار . والسبب الذي ألجأه الى المخالفة هو أن الافشين لما تغلب على بابك الخرمي وقتله طمع في ولاية خراسان واعمل الحيلة حتى جعل مازيار يخالف ليس على عبد الله ابن طاهر فقط بل وعلى المعتصم أيضا ظنا منه انه اذا فعل ذلك سير المعتصم عبد الله بن طاهر لقتال مازيار وولى الافشين خراسان عوضا عنه . فلما خالف مازيار اعتصم بجبال طبرستان . فارسل عبد الله بن طاهر جيشا كثيفا فحاربوا أصحاب مازيار وافتتحوا منهم الجبل ومازيار في قصره فلم يشعر الا والخيل على باب قصره فاخذوه اسيراً ووجهوه الى عبد الله بن طاهر . فلما دخل عليه طلب منه الكتب التي أرسلها له الافشين ووعده ان هو أظهرها له انه يسأل المعتصم ليصفح عنه فاقر مازيار بذلك وأظهر الكتب عند عبد الله ابن طاهر . فاعطى عبد الله الكتب لاسحق بن ابراهيم وسير مازيار معه وامره أن لا يسلمها الا من يده ليد المعتصم ففعل اسحق ذلك . فسأل المعتصم مازيار عن الكتب فانكرها فضرب به حتى مات . وفي سنة ٢٣٠ ﻫ مات عبد الله بن طاهر بنيسابور في ربيع الاول وعمره ثمان واربعون سنة

١١٧ - طاهر بن عبد الله بن طاهر

من سنة ٢٣٠ - ٢٤٨ هـ أو من سنة ٨٤٤ - ٨٦٢ م

لما توفي عبد الله بن طاهر استعمل الواثق على أعماله كلها ابنه طاهر بن عبد الله وفي ايامه سنة ٢٣٧ هـ ابتدأ امر يعقوب بن الليث والسبب في ذلك انه في هذه السنة تغلب انسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث . فعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان واستنقذها من يده ثم ظهر رجل اسمه درهم بن الحسين من المتطوعة فتغلب عليها وكان غير ضابط لعسكره وكان يعقوب بن الليث هو قائد عسكره فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمورهم فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامور وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية

وفي سنة ٢٤٨ هـ توفي طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ولمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق

١١٨ - محمد بن طاهر بن عبد الله

من سنة ٢٤٨ — ٢٥٩ هـ أو من سنة ٨٦٢ — ٨٧٢ م

لما توفي طاهر بن عبد الله استعمل المستعين على خراسان ابنه محمد بن طاهر وكان محمد بن عبد الله ضعيف الرأي قليل الدراية بالامور السياسية فادبرت دولتهم في أيامه كما سنبينه

قد ذكرنا في ولاية طاهر بن عبد الله ظهور يعقوب بن الليث وهو الملقب بالصفار رأس الدولة الصفارية . فلما كانت ايام محمد بن طاهر قوي امر يعقوب واشتدت شوكته واستولى على فارس . وفي سنة ٢٥٧ هـ تقدم يعقوب الصفار الى مدينة بوشنج واستولى عليها وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين

عامل محمد ابن طاهر عليها فارسل اليه محمد بن طاهر وسأله اطلاق الحسين فلم يفعل وبقي في يده . وفي هذه السنة (٢٥٧ ﻫ) قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان جرجان . فلما علم محمد بن طاهر عزم الحسن على قصد جرجان ارسل اليها العساكر لحفظها فقاتلهم الحسن وانتصر عليهم واستولى على جرجان . وضعف حينئذ امر محمد ابن طاهر وانتقض عليه كثير من الاعمال التي كان يجبي خراجها فلم يبق معه الا بعض خراسان فلما تحقق يعقوب بن الليث الصفار ضعف محمد بن طاهر عن دفعه تقدم سنة ٢٥٩ ﻫ الى نيسابور وبها محمد بن طاهر واستولى عليها ولم يقدر محمد بن طاهر على مناجزته ثم قبض يعقوب الصفار على محمد وقيده وحفظه عنده وقبض على أهل بيته وكانوا نحواً من مائة وستين رجلا وحملهم الى سجستان واستولى على خراسان ورتب في الاعمال نوابه وانقرض امر الدولة الطاهرية بعد أن ملك محمد ابن طاهر احدى عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام . ولله في خلقه شؤون

١١٩ - الدولة العلوية بطبرستان

(تمهيد) كان ابو جعفر المنصور قد اختص من العلوية من بني الحسن السبط حافده الحسن بن زيد بن الحسن وولاه المدينة وهو الذي امتحن الإمام مالكا كما هو مشهور وهو الذى أغرى المنصور من قبل بيني حسن واخبره بدسيسة محمد المهدي وابنه عبد الله في شأن الدعاء لهم حتى قبض عليهم وحملهم الى العراق وكان له عقب بالري منهم الحسن بن زيد بن اسمعيل بن الحسن والي المدينة ولما حدث بين عامل طبرستان وبين محمد بن اوس الكافل بها لسليمان بن عبد الله ابن طاهر نائبا عن محمد بن طاهر صاحب خراسان وبين محمد وجعفر من بني رستم من أهل نواحي طبرستان حادث فتنة اغروا به اهل تلك النواحي وبعثوا الى الديلم ليستنجدوا بهم عليه وكانوا على المجوسية يومئذ فاجابوا ابني رستم الى حربه وبعث ابنا رستم الى محمد بن ابراهيم بطبرستان لتكون الدعوة له فامتنع ودلهم على الحسن ابن زيد بالري فاستدعوه بكتاب من محمد بن ابراهيم فشخص اليهم . وقد اتفق الديلم وابنا رستم وأهل ناحيتهم على بيعته فبايعوه وانضم اليهم أهل جبال طبرستان

١٢٠ - الحسن بن زيد العلوي

من سنة ٢٥٠ — ٢٧٠ ﻫ أو من سنة ٨٦٤ — ٨٨٣ م

هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي ابن ابي طالب وقد تقدم كيف استدعاه أهل طبرستان وبايعوه . فلما استتب أمره زحف الى آمد فقاتله ابن أوس دونه وخالفه الحسن بن زيد في جماعة الى آمد فملكها ونجا محمد بن اوس الى سليمان بن عبد الله بن طاهر بسارية . واستولى الحسن بن زيد على آمد وكثر جمعه وبعد أن مكث اياماً بآمد سار قاصداً سارية لقتال سليمان بن عبد الله فخرج سليمان اليه واقتتلوا خارج مدينة سارية وبينما الحرب قائمة سار بعض قواد الحسن الى مدينة سارية فدخلها . فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه وترك أهله وعياله وثقله وامواله بسارية . واستولى الحسن على سارية وغنم كل اموال سليمان اما الحرم والاولاد فجعلهم الحسن في مراكب وسيرهم الى سليمان بجرجان . فلما اجتمعت طبرستان للحسن وجه جنداً الى الري مع رجل اسمه الحسن بن زيد ايضا وهو من أهله فملكها وطرد عنها عامل الطاهرية واستخلف بها رجلا العلويين اسمه محمد بن جعفر وانصرف عنها وبلغ الخليفة المستعين الخبر ومدبر امره يومئذ وصيف وكاتبه احمد بن صالح فوجه اسمعيل بن فراشة في جند الى همذان وامره بالمقام بها ليمنع خيل الحسن عنها واما ما عداها فالى محمد بن عبد الله بن طاهر وعليه الذب عنه . ووجه محمد بن طاهر قائداً من عنده اسمه محمد بن ميكال في جمع من الجند الى الري لاستخلاصها من محمد بن جعفر عامل الحسن عليها . فالتقى الجيشان وانهزم محمد بن جعفر واسر ودخل ابن ميكال الري فلما بلغ الحسن استيلاء ابن ميكال على الري ارسل جنداً بقيادة شخص اسمه واجن فلما قارب الري خرج اليه محمد بن ميكال فاقتتلا شديداً حتى انهزم ابن ميكال والتجأ الى الري معتصما بها فاتبعه واجن واصحابه حتى قتلوه وصارت الري الى اصحاب الحسن بن زيد . وفي سنة ٢٥١ ﻫ زحف سليمان بن عبد الله ابن طاهر من جرجان في جيش كثيف قاصداً طبرستان . فاجفل الحسن بن زيد عن طبرستان

الى الديلم . ودخلها سليمان ثم سار الى سارية فأتاه أهل آمد وغيرهم طالبين الامان ومظهرين الندم فلقيهم بما ارادوا . ثم سار محمد بن طاهر الى لقاء الحسن فهزمه وقتل من أعيان اصحابه ثلثماية واربعين رجلا . وفي سنة ٢٥٣ ﻫ زحف موسى ابن بغا لقتال الحسن فلقيهم الحسن على قزوين فانهزم وسار الى الديلم واستولى موسى بن بغا على قزوين . وفي سنة ٢٥٦ ﻫ رجع الحسن فاستولى على الري . وفي سنة ٢٥٧ ﻫ استولى على الكرخ وتقدم الى جرجان فبعث محمد بن طاهر صاحب خراسان العساكر فهزمهم الحسن وغلبهم عليها ثم انتقض امر الدولة الطاهرية واستولى يعقوب بن الليث الصفار على خراسان فارسل العساكر سنة ٢٦٠ ﻫ لقتال الحسن بن زيد فانهزم الحسن ولحق بارض الديلم . واستولى يعقوب على آمد وسارية وجبي اموالها وسار في طلب الحسن فتعلق بجبال طبرستان واعترضت الامطار والاوحال يعقوب الصفار فلم يخلص الا بمشقة عظيمة . وفي سنة ٢٦١ ﻫ رجع الحسن الى طبرستان وغلب عليها اصحاب الصفار . وفي سنة ٢٧٠ ﻫ في شهر رجب توفي الحسن بن زيد العلوي وكانت مدة ولايته عشرين سنة تقريباً

١٢١ – محمد بن زيد العلوي

من سنة ٢٧٠ — ٢٨٧ ﻫ أو من سنة ٨٨٣ — ٩٠٠ م

لما توفى الحسن بن زيد ولي مكانه اخوه محمد بن زيد . وكان قيامهم اولا على ابن طاهر ثم غلب يعقوب الصفار على خراسان وانتقض عليه احمد السجستاني وملكها من يده ثم مات يعقوب الصفار سنة ٢٦٥ ﻫ وقام بالامر بعده أخوه عمرو . فزحف عمرو الى خراسان وقاسم السجستاني فيها وكانت بينهما حروب . وكان الحسن بن زيد داعي طبرستان يقابلهما جميعا الى أن هلك وولي مكانه أخوه محمد الذي نحن بصدده . وكانت قزوين تغلب عليها اثناء ذلك عساكر الموفق ووليها اذكوتكين من مواليهم فزحف الى الري سنة ٢٧٢ ﻫ وزحف اليه محمد بن زيد في عالم كثير من الديلم وأهل طبرستان وخراسان فانهزم محمد وقتل من عسكره ستة آلاف واسر الفان وغنم اذكوتكين عسكره

جميعا وملك الري وفرق عماله في نواحيها . ثم مات السجستاني وقام بامره في خراسان رافع بن الليث من قواد الطاهرية فحارب محمد بن زيد وانتصر عليه ونزع من يده طبرستان وجرجان ولحق محمد بن زيد بالديلم . وفي سنة ٢٨٢ ﻫ صالح رافع بن الليث محمد بن زيد وخطب له على أن ينجده على عمرو بن الليث فلما تحارب عمرو بن الليث ورافع انتصر عمرو ولكنه لم يتعرض لمحمد بن زيد بسوء

وفي سنة ٢٨٧ ﻫ حارب اسمعيل بن احمد الساماني عمرو بن الليث الصفار وانتصر عليه واسره فلما اتصل بمحمد بن زيد اسر عمرو الصفار خرج من طبرستان نحو خراسان ظنا منه أن اسمعيل الساماني لايتجاوز عمله ولا يقصد خراسان وانه لا دافع له عنها فلما سار الى جرجان ارسل اليه اسمعيل الساماني وقد استولى على خراسان يقول له . الزم عملك ولا تقصد خراسان ووعده اذا لزم السكون أنه يترك له جرجان فأبى ذلك محمد فندب اليه اسمعيل الساماني محمد ابن هرون فجمع محمد جمعا كثيراً وسار نحو محمد بن زيد فالتقوا على باب جرجان واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم محمد بن هرون اولا ثم رجع وقد تفرق اصحاب محمد ابن زيد في الطلب فلما رأوه قد رجع اليهم ولوا هاربين وقد قتل منهم بشر كثير واصابت محمد بن زيد ضربات واسر ابنه زيد وغنم محمد بن هرون معسكره . ثم مات محمد بن زيد بعد ايام من جراحاته التي اصابته . وكان محمد بن زيد فاضلا اديباً شاعراً قال بعضهم . كنت أورد على محمد بن زيد اخبار العباسيين فقلت له انهم قد لقبوا انفسهم فاذا ذكرتهم عندك اسميهم او القبهم . فقال . الامر موسع عليك سمهم ولقبهم باحسن القابهم واسمائهم واحبها اليهم . آه .

١٢٢ – (الاطروش) الحسن بن على

من سنة ٢٨٧ — ٣٠٤ ﻫ أو من سنة ٩٠٠ — ٩١٦ م

هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب . دخل الى الديلم بعد مقتل محمد بن زين واقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ابن حسان

ملكهم فاسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه و بنى في بلادهم مساجد وحملهم على رأي الزيدية فدانوا به . ثم دعاهم الى المسير معه الى طبرستان وكان عاملها محمد بن نوح من قبل احمد بن اسمعيل الساماني وكان كثير الاحسان اليهم فلم يجيبوا الاطروش الى البغي عليه فاتفق ان الامير احمد الساماني عزل ابن نوح عن طبرستان وولاها سلاما فلم يحسن سياسة اهلها وهاج عليه الديلم فقاتلهم وهزمهم واستقال عن ولايتها فعزله الامير أحمد واعاد ابن نوح فصلحت البلاد معه الى أن مات بها . فاستعمل عليها ابو العباس محمد ابن ابراهيم صعلوكا فاساء السيرة وتنكر لروساء الديلم فانتهز الحسن بن علي الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم الى الخروج معه فاجابوه وخرجوا معه . فسار اليهم صعلوك ولقيهم بشاطىء البحر على مرحلة من سالوس فانهزم صعلوك وقتل من اصحابه نحو من أربعة آلاف وحصر الاطروش بقيتهم في سالوس حتى استأمنوا اليه فامنهم وسار عنهم الى آمد فجاء صهره الحسن بن قاسم فقتل اولئك المستأمنين عن آخرهم لانه لم يكن أمنهم ولا عاهدهم . واستولى الاطروش على طبرستان وتسمى الناصر وذلك سنة ٣٠١ هـ ولحق صعلوك باري وسار منها الى بغداد . وفي سنة ٣٠٢ هـ زحف الناصر فخرج عن آمد ولحق بسالوس و بعث اليه صعلوك العساكر فهزمهم الحسن الداعي وهو الحسن بن قاسم . ثم زحفت اليه عساكر خراسان وهي للسعيد نصر بن احمد فقتلوه سنة ٣٠٤ هـ

١٢٣ - الحسن بن قاسم

من سنة ٣٠٤ — ٣١٦ هـ أو من سنة ٩١٦ — ٩٢٨ م

لما قتل الاطروش حسن بن علي قام بالامر بعده صهره الحسن بن قاسم و يعرف بالداعي فاستولى على الري واخرج منها اصحاب السعيد بن احمد الساماني . استولى على قزوين وزنجان وابهر وقم . وكان قائد جيوشه شخصا من الديلم اسمه ماكان بن كالي الديلمي واستتب . الامر للحسن بن قاسم وكان عادلا عفيفا فنهى اصحابه عن ظلم الرعية وشرب الخمور ولكن طباع اصحابه كانت ضد طباعه فلم ترق في عيونهم أوامره وانتظروا سنوح الفرصة لخلع طاعته ،

ثم ظهر في ايامه اسفار بن شيرويه الديلمي وعظم امره وقويت شوكته فاستولى على طبرستان بمساعدة مرداويج بن زيار . ولما استولى عليها كان الحسن بن قاسم الداعي العلوي بالري فلما بلغه استيلاء اسفار على طبرستان سار نحوه بجموعه فالتقوا هم واسفار عند سارية فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم الحسن وما كان ابن كالي وقتل الحسن في هذه الواقعة وذلك سنة ٣١٦ هـ وكان السبب الاكبر لهذه الهزيمة هو ان اصحاب الحسن لم يصدقوا القتال بل انهزموا حالا لانحرافهم عن الحسن للاسباب التي قدمناها . فلما استولى اسفار على طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم أقام بسارية واستعمل على آمد شخصاً يدعى هرون بن بهرام . وكان ضلع بهرام مع العلوية واراد أن يخطب لابي جعفر العلوي ولم تخف مقاصده على اسفار بل كان عالماً بها حتى لما زاد تخوفه من العاقبة دعا اليه هرون بن بهرام وامره أن يتزوج الى احد أعيان آمد ويحضر عرسه أبا جعفر وغيره من رؤساء العلويين . ففعل ذلك في يوم ذكره له اسفار . ثم سار اسفار من سارية مجداً فوافى آمد وقت الموعد وهجم دار هرون على حين غفلة وقبض على ابي جعفر وغيره من اعيان العلويين وحملهم الى بخارا واعتقلهم بها وتلاشى امر العلوية بطبرستان والبقاء لله وحده

١٢٤ - الدولة الصفارية بسجستان

(تمهيد) كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج يقال له صالح المطوعي فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظي عنده فجعله صالح مقام الخليفة عنده . ثم هلك صالح وقام مقامه انسان آخر اسمه درهم فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله ثم أن صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شانه وكثر اتباعه حتى ظفر به وحمله الى بغداد فحبسه بها . ثم اطلق وخدم الخليفة ببغداد . وعظم امر يعقوب بعد أخذ درهم وصار متولي امر المتطوعة مكان درهم وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم واكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وخرب قراهم . واطاعه اصحابه لحسن سياسته ودرايته طاعة لم

يطيعوها احداً كان قبله . واشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن امره واظهر انه هو امره بقتال الشراة . وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وامر بالمعروف ونهى عن المنكر فكثر اتباعه فخرج عن حد طلب الشراة وصار يتناول أصحاب امير خراسان محمد بن طاهر كما سنذكره ان شاء الله

١٢٥ - يعقوب بن الليث الصفار

من سنة ٢٥٣ - ٢٦٥ هـ أومن سنة ٨٦٧ - ٨٧٨ م

هكذا كانت بداية امر يعقوب بن الليث الصفار فلما قوي أمره سار سنة ٢٥٣ هـ من سجستان الى هرات من خراسان ليملكها وكان أمير خراسان وقتئذ محمد بن طاهر وعامله على هرات محمد بن أوس فلما قرب يعقوب من هرات خرج اليه محمد بن أوس في جيش عظيم فتحاربا و بعد قتال شديد انهزم ابن أوس وملك يعقوب هرات و بوشنج . فهابه أمير خراسان وغيره من اصحاب الاطراف . وفي سنة ٢٥٥ هـ استولى يعقوب الصفار على كرمان والسبب في ذلك أن علي بن الحسين ابن شبل كان على فارس فكتب للخليفة المعتز يطلب كرمان ويذكر عجز الطاهرية وان يعقوب الصفار غلبهم علي سجستان فكتب اليه المعتز بولاية كرمان . وكتب الى يعقوب بن الليث بولايتها أيضا بقصد اغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك عنه وينفرد بالاخر . وكان كل منهما يظهر طاعة لا حقيقة لها والمعتز يعلم ذلك منهما . فارسل على بن الحسين طوق بن المغلس الى كرمان وسار يعقوب اليها فسبقه طوق واستولى عليها واقبل يعقوب حتى بقي بينه وبين كرمان مرحلة فقام هناك شهرين يترقب خروج طوق اليه فلم يخرج اليه احد فلما طال عليه الامر اظهر الارتحال الى سجستان فارتحل قليلا و بلغ طوقا ارتحاله فظن انه خاف منه حتى انه ترك كرمان فوضع آلة الحرب وقعد للاكل والشرب واللهو . واتصل ذلك بيعقوب فكر راجعا ودخل كرمان على اهون سبيل وحبس طوقاً . و بلغ علي بن الحسين بن شبل بفارس مافعله يعقوب بطوق فأيقن بمسيره اليه وكان علي بشيراز فجمع جيشه وسار

الى مضيق خارج شيراز من أحد جانبيه جبل لا يسلك ومن الجانب الآخر نهر لا يخاض فاقام على رأس المضيق وهو ضيق الممر لايسع مرور اكثر من واحد واقبل يعقوب حتى نزل قبالته و بعد أعمال الفكرة في كيف الوصول الى علي بن الحسين واصحابه امر يعقوب اصحابه باقتحام النهر فاقتحمه هو واصحابه وقاتلوا عليا واصحابه حتى هزموهم شر هزيمة واسروا علي بن الحسين ودخل يعقوب الصفار شيراز واستولى على فارس و بعد أن جبي خراجها سار عنها الى سجستان ومعه علي وطوق في اعتقاله فلما فارق فارس بعث المعتز اليها عماله

وفي سنة ٢٥٧ هـ سار يعقوب بن الليث الصفار الى فارس فارسل اليه المعتز ينكر ذلك عليه وبعث اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان فملكها وخرب المباني التي بناها داود بن العباس بظاهر بلخ وتسمى باسادبانج ثم سار الى كابل عليها وارسل رسولا الى الخليفة ومعه هدية جليلة المقدار منها اصنام اصابها في كابل ثم رجع الى سجستان

وفي سنة ٢٥٩ هـ في شهر شوال دخل يعقوب الصفار نيسابور وكان سبب مسيره اليها أن شخصا يدعى عبد الله السجزى نازع يعقوب على سجستان فغلب عليه يعقوب فهرب منه الى نيسابور واحتمى بمحمد بن طاهر . فارسل يعقوب الى محمد ابن طاهر يطلب منه أن يسلمه عبد الله فلم يفعل فسار نحوه الى نيسابور ودخلها وقبض على محمد بن طاهر وجميع أهل بيته وكانوا نحواً من مائة وستين رجلا وحملهم جميعا الى سجستان وانقرض ملك الطاهرية واستولى الصفار على خراسان ورتب في الاعمال نوابه

وفي سنة ٢٦١ هـ أضاف الخليفة المعتمد أعمال فارس الى موسى بن بغا فوجه موسى عبد الرحمن بن مفلج واليا من قبله عليها وكان المتغلب على فارس يومئذ محمد بن واصل . فلما علم ابن واصل بقرب مجيء ابن مفلج واليا على فارس استعد لقتاله ولما حضر قاتله وأسره وغنم ما معه وخلصت له بلاد فارس فلما اتصل خبرهما الى يعقوب الصفار بسجستان تجدد طمعه في ملك بلاد فارس وأخذ الاموال والسلاح والذخائر التي غنمها ابن واصل من ابن مفلج . فسار لا يلوي على شيء قاصداً بلاد فارس فلما علم ابن واصل بقدومه استعد لمقابلته والمدافعة عن البلاد أحسن استعداد . ولما قرب الصفار من ابن واصل أرسل

اليه رسلا في معنى تسليم فارس اليه فاعتقل الرسل وجد السير ظنا منه ان الصفار لا يعلم حركته ولكن كان ذلك اليوم شديد الحر فات من أصحاب ابن واصل خلق كثير والذين بقوا معه لم يقووا على دفع الصفار وهذا لما علم الخبر أسرع بجوهم وهزمهم وأخذ منهم جميع ما غنموه من ابن مفلح . واستولى الصفار على بلاد فارس ورتب بها أصحابه وأصلح أحوالها

ولما ملك الصفار خراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه وملك فارس من يد ابن واصل طمع في الاستيلاء على الاهواز وغيرها . فنهاه المعتمد عن ذلك فلم ينته . فصرح المعتمد انه لم يوله ولا فعل ما فعل باذنه

فسار الصفار الى الاهواز سنة ٢٦٢ هـ فلما بلغ المعتمد اقباله أرسل اليه بولاية طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس والشرطة ببغداد مضافا الى سجستان وكرمان . فكتب يقول . لابد من الحضور بباب المعتمد . فلما سمع المعتمد رسالة يعقوب خرج من سامرا في عساكره وسار الى بغداد ثم الى الزعفرانية فنزلها وقدم أخاه الموفق . وسار يعقوب الصفار في عسكر مكرم الى واسط فدخلها لست بقين من جمادى الاخرى سنة ٢٦٢ هـ ثم سار منها الى دير العاقول . وبعث المعتمد أخاه الموفق لمحاربته وعلى ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته موسى البلخي فقاتله منتصف رجب فانهزمت ميسرة الموفق ثم تراجعوا واشتدت الحرب ثم جاء الموفق محمد بن أوس والدراني مدداً من المعتمد ففشل أصحاب الصفار لما رأوا مدد الخليفة وانهزموا وهرب الصفار وتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من معسكرهم غنائم عظيمة . وسار الصفار الى خوزستان فنزل بجنديسابور وراسله صاحب الزنج على الرجوع الى بغداد ووعده المساعدة فكتب له . قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون (السورة) وكان ابن واصل قد خالف الصفار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها . وبعث اليه الصفار جيشا مع عمر بن السري من قواده فأخرجه عنها . ورجع المعتمد الى سامرا وأما أبو أحمد الموفق فانه سار الى واسط ليتبع الصفار وأمر أصحابه بالتجهز لذلك فأصابه مرض فعاد الى بغداد

(الخجستاني وخروجه على الصفار) كان أحمد بن عبد الله الخجستاني من خجستان وهي من جبال هرات من باذغيش وكان من أصحاب محمد بن طاهر .

ولما استولى يعقوب الصفار على نيسابور وخراسان انضم أحمد هذا الى أخيه علي ابن الليث وكان شركب الجمال قد تغلب على مرو ونواحيها سنة ٢٥٩ ﻫ بدعوة يعقوب بن الليث وكان لشركب هذا ثلاثة بنين ابراهيم وهو أكبرهم وأبو حفص يعمر وأبو طلحة منصور . وكان ابراهيم بن شركب قد ابلى بين يدي يعقوب عند مواقعة الحسن بن زيد بجرجان فقدمه الصفار وخلع عليه خلعة حسنة فحسده الخجستاني وخوفه غدر يعقوب به وزين له الهرب وكان يعمر بن شركب أخوه محاصراً لبعض بلاد بلخ فاتفق ابراهيم وأحمد الخجستاني في الخروج الي يعمر وسبقه ابراهيم الى الموعد ولم يلقه فسار الى سرخس ولما عاد الصفار الى سجستان سنة ٢٦١ ﻫ ولى على هرات أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص وجاء الخجستاني الى علي بن الليث وزين له أن يقيمه نائبا عنه بخراسان فطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له . فلما ارتحلوا عن خراسان جمع أحمد الخجستاني جمعا وأخرج علي ابن الليث من بلده واستولى على قومس وأعاد دعوة بني طاهر وملك نيسابور سنة ٢٦٢ ﻫ واستقدم رافع بن هرثمة من قواد بني طاهر وجعله صاحب جيشه وسار الى هرات فملكها من يد طاهر بن حفص وقتله ثم قتل يعمر بن شركب واستولى على بلاد خراسان ومحا منها دعوة الصفارية

ثم توفي يعقوب الصفار في شوال سنة ٢٦٥ ﻫ

١٢٦ - عمر بن الليث الصفار

من سنة ٢٦٥ - ٢٨٧ ﻫ أو من سنة ٨٧٨ - ٩٠٠ م

لما مات يعقوب بن الليث الصفار قام بالامر بعده أخوه عمرو بن الليث وكتب الى المعتمد بطاعته فولاه الموفق اعمال اخيه وهي خراسان واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وبعث اليه بالخلع فولى عمرو بن الليث على الشرطة ببغداد من قبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وولى على اصبهان من قبله احمد بن عبد العزيز ابن ابي دلف . وولى على طريق مكة والحرمين محمد ابن ابي الساج

وفي هذه السنة (٢٦٥ هـ) سار عمرو بن الليث الى خراسان واستولى على هرات ومنها الى نيسابور بقصد استخلاصها من الخجستاني فقاتله الخجستاني وهزمه فرجع عمرو الى هرات . وفي سنة ٢٦٧ هـ سار الخجستاني قاصداً هرات وحاصر عمرو بن الليث بها ولكنه لم يظفر منها بشيء فعاد الى نيسابور . وكان أهل نيسابور يتشيعون لعمرو بن الليث لان الخليفة ولاه عليهم فانتهزوا فرصة غيابه بهرات وعصوه واخرجوا عامله منها فلما رجع قاتلهم وانتصر عليهم وملكها وما زالت تحت تصرفه حتى سنة ٢٦٨ هـ التي قتله فيها بعض خدمه فكفى الله الصفار شره . وفي سنة ٢٧١ هـ عزل الموفق عمرو بن الليث عن سائر اعمال خراسان وقلدها محمد بن طاهر وهو مقيم ببغداد فاستخلف عليها رافع بن هرثمة وارسل صاعداً بالعساكر لقتال عمرو بن الليث واخراجه عن فارس . فاستعد الصفار لقتالهم ثم التقوا واقتتلوا فانهزم عمرو الصفار وغنم جيش الخليفة معسكره . ثم عاد الموفق سنة ٢٧٤ هـ وسار بنفسه الى فارس لحرب عمرو بن الليث فبلغ الخبر الى عمرو فسير العباس بن اسحق في جمع كبير من العسكر الى سيراف وانفذ ابنه محمد ابن عمرو الى ارجان وسير ابا طلحة بن شركب صاحب جيشه على مقدمته فاستأمن ابو طلحة الى الموفق بغير قتال وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصد الموفق . ثم ان ابا طلحة عزم على العود الى عمرو فبلغ الموفق خبره فقبض عليه بقرب شيراز وسار يطلب عمراً الصفار فعاد عمرو الى كرمان ومنها الى سجستان على المفازة فتوفي ابنه محمد بها واتبعه الموفق ولم يقدر على اخذ كرمان وسجستان منه فعاد عنه

وفي سنة ٢٧٦ هـ رضي المعتمد على عمرو بن الليث وولاه الشرطة ببغداد وكتب اسمه على الاعلام . وفي سنة ٢٧٩ هـ ولى المعتمد عمراً الصفار ولاية خراسان وعزل عنها رافع بن هرثمة وامر ابن الليث بقتله لانه كان قد أظهر العصيان فقاتله عمرو حتى ظفر به وقتله وسير رأسه الى المعتمد . فعظمت منزلة عمرو عند الخليفة فولاه سنة ٢٨٤ هـ الري مضافة الى خراسان وانفذا اليه الالوية والخلع . ثم كتب عمرو بن الليث الى الخليفة يطلب منه أن يوليه ماوراء النهر فولاه اياها ووجه اليه الخلع واللواء بذلك وهو بنيسابور . وكان ما وراء النهر لاسمعيل بن احمد الساماني فوجه عمر محمد بن بشير قائد جيوشه لمحاربة

اسمعيل الساماني . فلما انتهى الى آمد عبر اسمعيل جيحون وهزمهم وقتل محمد ابن بشير وغيره من القواد وعاد الى بخارى . و بلغ المنهزمون الى عمرو بن الليث وهو بنيسابور فتجهز عمرو لقصد اسمعيل . فلما وصل الى بلخ ارسل اليه اسمعيل يقول . انك قد وليت دنيا عريضة فاترك لي هذا الثغر . فابى عمرو الانتقال فعبر اسمعيل اليه وقطع عليه خط الرجعة وحاصره من جميع الجهات فلما شعر بالخطر ندم وطلب المصالحة فابى اسمعيل وكان ذلك سنة ٢٨٧ هـ ولما وقع عمرو اسيراً في يدي اسمعيل خيره اسمعيل فيما يرغب أن يفعل به فطلب أن يسيره الى الخليفة ففعل ودخل بغداد ٢٨٨سنة هـ وحبس بها . و بعث المعتضد بولاية خراسان الى اسمعيل الساماني

٢٧ — طاهر بن محمد بن عمرو

من سنة ٢٨٧ — ٢٩٦ هـ أو من سنة ٩٠٠ — ٩٠٨ م

لما اسر عمرو بن الليث قام بالامر بعده بسجستان وكرمان حافده طاهر بن محمد ابن عمرو (وهو الذي مات ابوه بمفازة سجستان عند ما هرب عمرو بن الليث امام الموفق) وفي سنة ٢٩٠ هـ ارسل طاهر بن محمد الى الخليفة المكتفي يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله فعقد له المكتفي عليها وانهمك طاهر بن محمد بالصيد والقنص واللهو واللعب وترك امور المملكة فغلب على الامر بفارس الليث بن علي بن الليث عمه وسبكري مولى جده عمرو فعارضهما ابو قابوس قائد طاهر بن محمد في اجرآتهما ثم استوحش منهما فالحق بالخليفة المكتفي سنة ٢٩٤ هـ فاحسن وفادته واكرم صلته . فكتب طاهر بن محمد الى الخليفة يدعي ان ابا قابوس جبى اموال فارس وهرب بها ويطلب من الخليفة رده او خصم قيمة ماسلبه (حسب زعمه) من خراج فارس . فلم يفعل. ثم اختلف سبكري والليث ابن علي بطاهر فخاف الليث على نفسه ولحق بطاهر ابن عمه . وخلصت فارس لسبكري . وفي سنة ٢٩٦ هـ تجهز طاهر بن محمد لقتال سبكري واستخلاص فارس منه فلما تلاقيا واقتتلا انهزم طاهر بن محمد ووقع اسيراً في يد سبكري فبعث به وأخيه يعقوب بن محمد الى المقتدر مع كاتبه

عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي فادخلا بغداد أسيرين فحبسا وكان سبكري قد تغلب على فارس كما ذكرنا ولكن بغير أمر الخليفة فلما وصل كاتبه الى بغداد الآن قرر أمره على مال يحمله

١٢٨ — الليث بن على بن الليث

من سنة ٢٩٦ — ٢٩٧ هـ أو من سنة ٩٠٨ — ٩٠٩ م

لما أسر طاهر بن محمد قام بالامر بعده بسجستان ابن عمه الليث بن علي فتجهز لمحاربة سبكري وسار في سنة ٢٩٧ هـ من سجستان الى فارس فقاتل سبكري وانتصر عليه وأخذ منه فارس واستولى عليها وهرب سبكري عنها الى ارجان فلما بلغ الخبر الخليفة المقتدر جهز مؤنسا الخادم وسيره الى فارس معونة لسبكري فاجتمعا بارجان وبلغ خبر اجتماعهما الليث فسار اليهما فاتاه الخبر بمسير الحسين بن حمدان من قم الى البيضا معونة لمؤنس فسير أخاه في بعض جيشه الى شيراز ليحفظها . ثم سار هو في بعض جنده في طريق مختصر ليواقع الحسين ابن حمدان فتاه به الدليل فهلك أكثر دوابه ولقي هو وأصحابه مشقة عظيمة فقتل الدليل وعدل عن ذلك الطريق فاشرف على عسكر مؤنس . فظنه هو وأصحابه انه عسكره الذي سيره مع أخيه الى شيراز فكبروا فسار اليهم مؤنس وسبكري في جندهما فقتتلوا قتالا شديداً فانهزم عسكر الليث وأخذ هو أسيراً ثم عاد مؤنس ومعه الليث الى بغداد

١٢٩ — المعدل بن على بن الليث

من سنة ٢٩٧ — ٢٩٨ هـ أو من سنة ٩٠٩ — ٩١٠ م

لما أسر الليث بن علي بن الليث قام بالامر بعده بسجستان أخوه المعدل بن علي . وفي سنة ٢٩٨ هـ أرسل ابو نصر أحمد بن اسمعيل الساماني عسكره الى سجستان فلما بلغ المعدل خبر مسيرهم اليه سير أخاه أبا علي محمد بن علي الى بست

والرخج ليحمي أموالها ويرسل منها الميرة الى سجستان . فسار الامير أحمد بن اسمعيل الى بست وقاتل أبا علي وأخذه أسيراً وعاد به الى هرات . أما جيشه الذي سيره الى سجستان فحاصر المعدل وضيق عليه . ولما بلغه أن أخاه أبا علي أخذ أسيراً وهن واستأمن . فاستولى جيش ابن الساماني على سجستان وانقرض أمر بني الصفار منها . ثم ظهر خلف بن أحمد بن علي بن الليث سنة ٣٥٠ هـ وكان ملوك السامانية قد استولاهم الضعف فملك سجستان واستولى على كرمان أيضاً من أيدي بني بويه ثم استرجعوها ثانيا . وما زال خلف واليا على سجستان حتى سنة ٣٩٠ هـ فتخلى عن الملك وتنازل عنه الى ابنه طاهر . وكان طاهر عقوقا سيء السيرة فنفرت منه عساكره واستدعوا محمود بن سبكتكين وولوه عليهم وانقرض ملك الصفارية من سجستان . وما شاء الله كان

١٣٠ — الدولة الطولونية بمصر

(تمهيد) قد ذكرنا فيما تقدم فتح مصر على يد عمرو بن العاص (راجع فصل ٦) فلما فتحها ولاه عليها عمر بن الخطاب . ثم توفي عمر بن الخطاب وعلى مصر أميران ابن العاص على الوجه البحري وعبد الله بن سعد على الوجه القبلي . فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن سعد على مصر كلها سنة ٢٥ هـ فانتقل عمرو بن العاص الى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر كبير وجعل يؤلب الناس عليه . وكره أهل مصر عبد الله بن سعد وكان هو مشتغلا عنهم بقتال أهل الغرب وفتح أفريقية وبلاد البربر . وفي هذه الأثناء ظهرت بمصر طائفة من ابناء الصحابة يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه في عزله عمراً واجتمع منهم الف شخص وساروا الى المدينة ليعزل عنهم عبد الله ويولي محمد ابن ابي بكر ففعل وبينما هم راجعون وجدوا رسول عثمان الى عبد الله بالتنكيل والمثلة بهم فعادوا وحاصروا عثمان وقتلوه كما ذكرنا ذلك قبلا (راجع فصل ٧) . فلما تولى علي بن أبي طالب الخلافة عزل عبد الله ابن سعد عنها وولاها قيس بن سعد بن عبادة فاستقامت البلاد الا قرية يقال لها خربتا فيها اناس قد اعظموا قتل عثمان . وفي اثناء ذلك قام معاوية بالشام يطالب

بدم عثمان وأراد أن يستميل قيس بن سعد اليه فلم يجبه الى ذلك فاحتال في الوشاية به عند علي بن ابي طالب فصدق الوشاية وعزله عن مصر وولاها محمد ابن أبي بكر ولم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الامر مهيباً حتى كان وقعة صفين بين علي ومعاوية وانتهى الامر بينهما الى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد ابن أبي بكر وبارزوه العدواة . وكان اهل الشام لما انتهى امر التحكيم سلموا على معاوية بالخلافة وقوي أمرهم جداً فعند ذلك جمع معاوية أمراءه واستشارهم في المسير الى مصر فاجابوه وعين نيابتها لعمرو بن العاص اذا فتحها . فسار عمرو بن العاص الى مصر في ستة آلاف من أشداء أصحابه ودخلها واجتمع اليه حزب العثمانية الذين بخربتا وكانوا عشرة آلاف مقاتل فحارب بهم محمد بن أبي بكر وانتصر عليه وقتله وأحرق جثته وافتتح مصر لمعاوية كما افتتحها لعمر ابن الخطاب وصار واليا عليها من قبل معاوية . وأقام عمرو بن العاص أميراً على مصر الى أن توفي سنة ٤٣ ﻫ فلما توفي عمرو بن العاص ولى معاوية على ديار مصر ابنه عبد الله بن عمرو ثم عزله بعد شهرين من ولايته . وولاها عتبة بن ابي سفيان اخاه . ثم عزله وولى عقبة ابن عامر سنة ٤٤ ﻫ فاقام الى سنة ٤٧ ﻫ وعزله وولى معاوية بن حديج فاقام الى سنة ٥٠ ﻫ فعزله وولى مسلمة بن مخلد وجمعت له مصر والمغرب وهو أول وال جمع له ذلك وفي سنة ٥٩ ﻫ أراد معاوية أن يعزل مسلمة ابن مخلد عن مصر ويوليها عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخته فمانع ابن حديج في ذلك لسوء سيرة عبد الرحمن فاستمر مسلمة بن مخلد أميراً على مصر الى ان توفي سنة ٦٢ ﻫ في خلافة يزيد . فولى بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الازدي . فلما ادعى عبد الله ابن الزبير الخلافة بمكة سنة ٦٤ ﻫ استناب على مصر عبد الرحمن ابن قحزم القرشي الفهري ثم حمل مروان بن الحكم خليفة الامويين في الشام على مصر ومعه عمرو بن سعيد الاشدق فقاتل عبد الرحمن فهزم عبد الرحمن ودخل مروان الى مصر وتملكها وجعل عليها ولده عبد العزيز بن مروان وذلك سنة ٦٥ ﻫ فلم يزل أميراً بها عشرين سنة وكان أبوه جعل اليه عهد الخلافة بعد عبد الملك فكتب اليه عبد الملك يستنزله عن العهد الذي له من بعده الى ولده الوليد فأبى ذلك ثم مات سنة ٨٦ ﻫ فتولى بعده عبد الله بن عبد الملك (أمير المؤمنين) فاقام أميراً عليها الى سنة ٩٠ ﻫ فعزله أخوه الوليد وولى قرة بن شريك العبسي . وكان

قرة ظلوماً عسوفا مدمنا للخمر فكثر ظلمه للرعية وما زال واليا حتى هلك سنة ٩٦ ﻫ فولى بعده عبد الملك بن رفاعة فاقام الى سنة ٩٩ ﻫ ثم ولي ايوب ابن شرحبيل الاصبحي فاقام الى سنة ١٠١ ﻫ ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فاقام الى سنة ١٠٣ ﻫ ثم ولي اخوه حنظلة فاقام الى سنة ١٠٥ ﻫ ثم ولي محمد بن عبدالملك أخو هشام بن عبد الملك الخليفة ثم ولى الحر بن يوسف ثم ولى حفص بن الوليد فاقام الى سنة ١٠٨ ﻫ وولى بعده سنة ١٠٩ ﻫ عبد الملك بن رفاعة وصرف في السنة ذاتها وولى أخوه الوليد فاقام الى أن توفي سنة ١١٩ ﻫ وولى بعده عبدالرحمن بن خالد الفهمي فاقام سبعة أشهر وصرف وأعيد حنظلة بن صفوان في سنة ١٢٠ ﻫ ثم صرف وأعيد حفص بن الوليد فاقام ثلاث سنين ثم صرف وولى بعده سنة ١٢٧ ﻫ حسان بن عتاهية التجيبي ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ١٢٨ ﻫ وولى الحوثرة بن سهيل الباهلي ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزاري سنة ١٣١ ﻫ ثم لما قامت الدولة العباسية وقام السفاح وانهزم مروان بن محمد وهرب الى مصر ولى السفاح نيابة مصر والشام صالح بن علي بن عبد الله بن عباس فسار صالح حتى قتل مروان ببوصير سنة ١٣٢ ﻫ ثم رجع الى الشام واستخلف على مصر أبا عون عبد الملك بن أبي زيد الازدي فاقام الى سنة ١٣٦ ﻫ ثم أعيد صالح بن علي ثم صرف وأعيد أبو عون سنة ١٣٧ ﻫ فقام الى سنة ١٤١ ﻫ ثم ولى بعده موسى بن كعب التميمي فاقام سبعة أشهر ومات . وولى محمد بن الاشعث الخزاعي ثم عزل سنة ١٤٢ ﻫ وولى نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل وولى حميد ابن قحطبة الطائي ثم صرف سنة ١٤٤ ﻫ وولى يزيد بن حاتم المهلبي فاقام الى سنة ١٥٢ ﻫ التي توفي فيها فاقام المنصور عوضاً عنه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فاقام الى سنة ١٥٥ ﻫ ثم أبدل باخيه محمد بن عبد الرحمن . وفي سنة ١٥٦ ﻫ توفي محمد المذكور فولى مكانه موسى بن علي فاقام الى سنة ١٥٩ ﻫ وصرف وولى محمد بن سليمان ثم عزل واعيد موسى بن علي فاقام الى سنة ١٦٠ ﻫ وصرف وولى عيسى بن لقمان فاقام الى سنة ١٦٢ ﻫ وصرف وولى واضح مولى ابي جعفر و بعد يسير ابدل بمنصور ابن يزيد الرعيني وهو ابن خال الخليفة المهدي ثم ابدل سنة ١٦٣ ﻫ بيحيى بن داود الملقب بابي صالح من أهل خراسان فاقام الى سنة ١٦٤ ﻫ وعزل وولى سالم بن سوادة التميمي فاقام الى

محرم سنة ١٦٥ هـ وعزل وولى ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ثم عزل سنة ١٦٧ هـ وولى موسى بن مصعب ثم ولى الفضل ابن صالح العباسي سنة ١٦٩ هـ ثم عزل وولى علي بن سليمان العباسي في ذات السنة فاقام الى سنة ١٧١هـ ثم عزله هرون الرشيد وولى موسى بن عيسى ثم عزل سنة ١٧٢ هـ وولى مسلمة ابن يحيى الازدي وعزل سنة ١٧٣ هـ وولى محمد بن زهير ثم عزل سنة ١٧٤ هـ وولى داود بن يزيد المهلبي ثم عزل سنة ١٧٥ هـ واعيد موسى بن عيسى ثم عزل سنة ١٧٦ هـ وولي عليها جعفر بن يحيى البرمكي فاستناب عليها عمر ابن مهران ثم عزل سنة ١٧٧ هـ وولي اسحق بن سليمان العباسي ثم عزل سنة ١٧٨ هـ وولي هرثمة بن اعين وبعد قليل ارسل الرشيد هرثمة الى افريقية وولى على مصر عبدالملك بن صالح ثم عزل سنة ١٧٩ هـ وولى عبيد الله بن المهدي شقيق الرشيد وبعد قليل تنحى هذا عن الامارة لموسى بن عيسى وهي المرة الثالثة لامارته. وفي سنة ١٨٠ هـ عادت امارة مصر الى عبيد الله بن المهدي ثانية ثم عزل سنة ١٨١هـ وولى اسمعيل بن صالح ثم عزل سنة ١٨٢ هـ وولى اسمعيل بن عيسى من بني العباس وبعد قليل صرف هذا وولى الليث بن الفضل البيوردي فاقام بها الى سنة ١٨٧ هـ ثم عزل وولى احمد بن اسمعيل العباسي فاقام الى سنة ١٨٩ هـ ثم ابدل بعبد الله بن محمد العباسي وأبدل هذا في ذات السنة بحسين بن جميل فاقام الى سنة ١٩٣ هـ ثم صرف عنها وولى مالك بن دلهم وكان على الخراج الخصيب ابن عبد الله وهو الذي ابتنى مدينة منية خصيب (منية خصيب تدعى الان المنيا وهي في هذا الوقت (سنة ١٣٢٤ هـ) من احسن مدن الصعيد) وفيها الفت هذا الكتاب.

ثم صرف مالك بن دلهم وعادت امارة مصر الى الحسين بن جميل ثم عزله الامين سنة ١٩٤ هـ وولى حاتم بن هرثمة بن اعين ثم عزل سنة ١٩٥ هـ وولى جابر بن الاشعث. ثم عزل وولى عباد بن محمد سنة ١٩٧ هـ ثم عزل وولى المطلب ابن عبد الله الخزاعي وبعد اشهر قليلة ابدل بالعباس بن موسى بن عيسى وفي سنة ١٩٩ هـ تخلى العباس عن مصر فاعاد المأمون المطلب بن عبد الله أميراً على مصر وبعد قليل أبدل بالسري بن الحكم. ثم ولى سليمان بن غالب سنة ٢٠١هـ ثم اعيد السري بن الحكم في السنة ذاتها فاقام بها الى أن مات سنة ٢٠٥ هـ

فولى بعده ابنه محمد بن السري ثم تغلب عليها عبد الله بن السري في سنة ٢٠٦ هـ فاقام الى سنة ٢١٠ هـ فوجه اليه المأمون عبد الله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب طويلة واقام بها الى سنة ٢١٣ هـ ثم ولى بعده عيسى الجلودي ثم عزل وولى عليها عمير بن الوليد ثم صرف واعيد عيسى بن يزيد ثم عزل وولى عبد ربه بن جبلة سنة ٢١٥ هـ ثم عزل وولى عيسى بن منصور سنة ٢١٦ هـ وفي هذه السنة انتقضت مصر السفلى عربها وقبطها واخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين حيدر بن كاوس من برقة في منتصف جمادي الاخرى ثم خرج هو وعيسى في شوال فاوقعا بالقوم قتلا واسراً . وما زال الافشين يقاتل المنتقضين وأهل الحوف حتى قدم الخليفة المأمون الى مصر فعزل عيسى ابن منصور عن مصر وولى كيدر الصفدي بالنيابة عن المعتصم فاقام بها الى أن توفى سنة ٢١٩ هـ فولي بعده المظفر بن كيدر وفي سنة ٢٢٠ هـ توفى المظفر بن كيدر فولى مكانه موسي بن ابى العباس . وفي سنة ٢٢٤ هـ استدعي موسى من مصر فاستخلف عليها مالك بن كيدر وعزل هذا سنة ٢٢٢ هـ وعهدت ولاية مصر بامر الخليفة المعتصم الى ابى جعفر اشناس فاقام بها الى ان توفي سنة ٢٣٠ هـ فولى مكانه علي بن يحيى الارمني ثم عزل سنة ٢٢٩ هـ وولى عيسي بن منصور للمرة الثانية فاقام بها الى سنة ٢٣٣ هـ ثم عزل وولى هرثمة بن النضر ثم ابدل سنة ٢٣٤ هـ بابنه حاتم ثم عزل لشهر من ولايته واعيد علي بن يحيى الارمني ثم عزل سنة ٢٣٥ هـ وولى اخوه اسحق بن يحيى ثم عزل سنة ٢٢٦ هـ وولى عبد الواحد ابن يحيى مولى خزاعة ثم عزل سنة ٢٣٨ هـ وولى عنبسة بن اسحق الضبي ثم عزل سنة ٢٤٢ هـ وولى يزيد بن عبد الله فاقام الى سنة ٢٥٣ هـ ثم صرف وولى مزاحم بن خاقان ثم ولى ابنه احمد في السنة ثم ولى ارجور التركي في السنة ايضاً ثم صرف وولى احمد بن طولون في سنة ٢٥٤ هـ وهو رأس الدولة الطولونية التي سنذكرها الآن ان شاء الله . انما ذكرنا ولاة مصر من بدء الفتح الاسلامي الى سنة ٢٥٤ هـ التي فيها ولى ابن طولون لتتم الفائدة

١٣١ - أحمد بن طولون

من سنة ٢٥٤ — ٢٧٠ هـ أو من سنة ٨٦٨ — ٨٨٣ م

كان طولون والد أحمد من قبيلة الطغزغر (احدى القبائل التى تتألف منها تركستان) وكانت عائلته مقيمة بجوار بحيرة لوب في بخارى الصغرى فاسر في احدى المواقع الحربية وجيء به الى ابن اسد الصامي وكان من عمال المامون يدفع له جزية سنوية من المماليك والخيول وغير ذلك كعادة تلك العصور ففي سنة ٢٠٠ هـ كان طولون في جملة من ارسلهم ابن اسد من المماليك . وكان متناسب الاعضاء قوي البنية فأعجب المأمون به فالحقه بحاشيته وما زال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بامير الستر . و بعد أن صرف طولون نحواً من عشرين سنة في هذا المنصب في أيام المأمون والمعتصم اصبح ذا عائلة واولاد منهم أحمد هذا ولد سنة ٢٢٠ هـ وتربي تربية حسنة فشب تقياً رضي الخلق كريم النفس لين العريكة . وتوفي والده سنة ٢٣٩ هـ فولاه الخليفة امارة الستر بدلا عنه ولكنه كان مغرما بالعلم وكان يتردد الى ترسوس لتلقي الدروس بها ثم طلب من عبيد الله بن يحيى رئيس وزراء الخليفة بالتوجه لترسوس لملازمة دروسه فأذن له مع استبقاء مركزه ولقبه ومرتباته كالعادة فاتقن علم الحديث وغيره من العلوم وعاد الى بغداد وقد امتلأ علما ودينا وسياسة . ولما وصل الى بغداد وجد أن الاتراك خلعوا الخليفة المستعين و بايعوا المعتز وآل امر المستعين الى الخلع والتغريب الى واسط فوكلوا به أحمد ابن طولون فقام بخدمته حق القيام . ثم دس الوشاة الى المعتز أن خلافته لا تثبت الا اذا قتل المستعين فارسل الى أحمد بن طولون يأمره بقتله و يوليه واسط مكافاة له على هذا الصنيع فابت نفس ابن طولون ارتكاب هذا الذنب مقابل شيء دنيوي مهما كان مقداره . فبعث المعتز سعيداً الحاجب سراً وامره بقتل المستعين فقتله واحتز رأسه وسيره الى المعتز . ثم دخل أحمد بن طولون على المستعين فوجده جثة بلا رأس . فاعظم هذا الامر الوحشي ثم غسله ودفنه فعظم احمد بن طولون في أعين الجميع وعظمت الثقة به . وفي سنة ٢٥٤ هـ ولى الخليفة المعتز باك باك التركي على امارة مصر . وكان هؤلاء يتولون الاعمال

والامارات اسما بلا رسم لانهم لم يكونوا يبارحون مجلس الخليفة بل كانوا يوكلون من ينوب عنهم في الاعمال . فوقع اختيار باك هذا على أحمد بن طولون فولاه امارة مصر نيابة عنه . وكان على خراج مصر فى ذلك الوقت ابن المدبر . فسار أحمد بن طولون الى الفسطاط ودخلها وتلقاه أحمد بن المدبر وحاشيته بهيئة جليلة . ثم ارسل ابن المدبر هدية الى أحمد بن طولون فلم يقبلها منه بل ردها عليه فتخوف منه من ذلك الحين واخذ يسعى في خلعه . وفي سنة ٢٥٦ هـ خالف الصوفي مأمور اقليم اسنا على أحمد بن طولون واستولى على البلاد التي حوله وقتل مقاوميه فارسل اليه أحمد فرقة من جيشه فحاربها الصوفي وغلبها فرجعت متقهقرة الى قرب اخميم وهناك أتتها نجدة اتحدت معها فتغلبت على جيوش ابن الصوفي ففر المذكور في البرية ملتجأ الى الواحات . ثم خالف ابن شيخ امير الشام على الخليفة المعتمد فكتب هذا الى ابن طولون ليحاربه فجهز جيشا كثيفا وسار لمحاربة ابن شيخ بالشام بعد أن استخلف على مصر اخاه موسى وفيما هو في الطريق وقبل أن يصل الى الشام اتاه كتاب الخليفة بالعود الى مصر فعاد اليها . ثم وجه التفاته الى الاستحكامات فرممها وبنى غيرها وحصن البلاد واكثر من الجند وقوي امره . وأرسل الخليفة لمحاربة ابن شيخ بدلا عن احمد بن طولون اماجور التركي فقاتل ابن شيخ واستخلص منه الشام وتولاها هو . فلما قوي امر ابن طولون بمصر خاف اماجور جانبه وكتب الى الخليفة المعتمد بعظم قوة ابن طولون وخوفه من عصيانه . وكتب ابن المدبر مفتش الخراج بمصر الى الخليفة بهذا المعنى ايضاً . فارسل المعتمد الى ابن طولون أن يتخلف عن مصر حالا الى سامرا ويستخلف مكانه من يشاء . فعزم ابن طولون على اجابة دعوة الخليفة ثم علم بالمكيدة التي نصبت لاصطياده . فلما تحقق الخبر جهز أحمد بن محمد الواسطي كاتب سره وارسله بالنيابة عنه الى سامرا وزوده بالهدايا الفاخرة الى الوزير فاستجلب خاطره . فسعى امام الخليفة فالغى الامر السابق واقر ابن طولون على مصر كما كان وصرح له بنقل عائلته اليها . وفي سنة ٢٥٧ هـ قتل باك باك (امير مصر الاصيل الذى استناب أحمد بن طولون كما ذكرنا) لجناية ارتكبها وعين مكانه برقوق وهو حمو أحمد بن طولون فاقره على مصر جميعها ثم احال عليه جباية الخراج أيضا فصار هو المتصرف المطلق في

مصر . فابتنى جوامعا وحفر ترعا واصلح بمصر اصلاحات جمة . وفي سنة ٢٦٠ هـ ظفر ابن طولون بابن الصوفي ونفاه الى المدينة فاقام بها الى أن توفي . وفي سنة ٢٦٢ هـ ارسل الموفق الى أحمد بن طولون يطلب منه حمل خراج مصر اليه مع أنه كان من نصيب المفوض (لان الخليفة المعتمد قسم الاعمال بينهما فكانت مصر من نصيب المفوض) وفي الوقت ذاته ارسل الخليفة المعتمد الى ابن طولون يطلب حمل المال اليه ويحذره من الموفق واخيراً سلم ابن طولون خراج مصر الى نحرير خادم الموفق بعد أن أخذ منه كتب الموفق التي معه وارسل الى اماجور امير الشام ليقدم عليه الى العريش فقدم الى هناك فاشهده بتسليم الخراج الى نحرير . ثم رجع وتطلع في الكتب فاذا هي لبعض قواده باستمالتهم الى الموفق فقبض على اربابها وقتلهم . ولما وصل الخراج الى الموفق استقله وارسل الى ابن طولون يقول له . انه كان يجب أن تحمل الينا ضعف ما حملت . فاغتاظ أحمد بن طولون ورد له جوابا غليظا . فلما وصل كتاب ابن طولون الى الموفق حنق حنقا شديداً وعزم على عزل ابن طولون عن مصر فعرض ولايتها على كثيرين فلم يقبل أحد عليها لاحسان ابن طولون الى الجميع وعرضها على اماجور أمير الشام فرفض رفضا باتا . وأخيراً قر رأيه على ارسال موسى بن بغا لمحاربة ابن طولون واخراجه من مصر بالقوة وتسليمها الى أماجور أمير الشام فتجهز موسى بن بغا وسار حتى وصل الرقة ولم يتعدها لان الاموال التي معه نفذت فطالبته العساكر بحقوقهم وعصوا عليه فاستمر بالرقة عشرة أشهر ثم رجع بخفي حنين . وكان ابن طولون لما بلغه قدوم موسى لمقاتلته أخذ في تحصين الفسطاط وبنى حصن الجزيرة خوفا من ان يؤتى من البحر وما زال يتحصن ويتجهز حتى بلغه خبر رجوع موسى عنه فشكر العناية الالهية على ذلك وفرق اموالا كثيرة وبنى جامعه المشهور

وفي سنة ٢٦٤ هـ توفي اماجور أمير الشام وتولى ابنه مكانه فطمع ابن طولون في ضم الشام اليه وتجهز بجيش كثيف وخرج من مصر غرة سنة ٢٦٥ هـ قاصداً الشام بعد أن استخلف ابنه عباسا على مصر وعهد تدبير الاحكام الى وزيره أحمد الواسطي . وسار الى الشام وقبل أن يصل الى دمشق كتب الى علي بن اماجور بان الخليفة ولاه الشام وهو قد اقره على عمل ابيه فاجاب بالسمع والطاعة

وتلقاه بالرملة . ثم سار الى دمشق وملكها واقر جميع عمال اماجور على اعمالهم فخطب له على اغلب منابر الشام . ثم ملك حلب وحماة وهما تابعتان لمقاطعة انطاكية التي كان عليها في ذلك الوقت سيما الطويل أميراً فبعد أن افتتحها كتب الى سيما الطويل بانطاكية يدعوه الى طاعته ليقره على ولايته فامتنع فعاوده فلم يطع . فسار اليه أحمد بن طولون فحصره بانطاكية ونصب عليها المجانيق وهاجمها مراراً ولكن بلا فائدة لان المدينة كانت في غاية المناعة ولكن سوء سيرة سيما الطويل وجوره وظلمه في الرعية جعل اهلها يكاتبون ابن طولون . فكاتبوه ودلوه على عورة في المدينة فهاجمها منها وافتتحها وقتل سيما الطويل اثناء دفاعه عنها . ثم ملك بانياس وادنة وطرسوس . ثم تقدم في فتوحاته حتى جاءه الخبر بعصيان ابنه عباس بمصر وبخلعه طاعته . وكان في ذلك الوقت قد قارب الرقة فافتتحها وولاها مولاه لؤلؤاً واضاف اليه حلب وحمص وقنسرين . وعاد ابن طولون الى مصر في آخر سنة ٢٦٥ ﻫ

اما عباس فبعد أن نبذ طاعة والده بغواية الغواة خاف العاقبة فأخذ الاموال التي في خزائن مصر وسار مجداً هو واتباعه حتى وصل الى برقة . فلما وصل ابن طولون الى مصر كاتبه ولاطفه ليرجع بالتي هي أحسن فلم يقبل . واخذ عباس يستميل أهل المغرب فلم يجتمع اليه الا القليل وحاربه ابراهيم بن أحمد من بني الاغلب وانتصر عليه . ومازال متشرداً في طرابلس الى سنة ٢٦٧ ﻫ حتى التفت عليه عصابة عظيمة فسار قاصداً الاسكندرية

فارسل ابن طولون وزيره أحمد الواسطي بالجيوش الى الاسكندرية لمقاتلة ابنه فقاتله وانتصر عليه وامسكه حيا وجاء به الى أبيه في منتصف سنة ٢٦٨ ﻫ فاعتقله وقتل كل من كان سبباً في غوايته . وفي سنة ٢٦٩ ﻫ عصا لؤلؤ وخلع طاعة ابن طولون وهو كما قلنا أمير الرقة وحمص وحلب وقنسرين وكاتب الموفق في المسير اليه واشترط عليه شروطا قبلها فسار اليه وحارب معه صاحب الزنج

فلما بلغ ابن طولون عصيان لؤلؤ تجهز للمسير اليه . وأخذ معه ابنه عباسا واستخلف على مصر ابنه الثاني خمارويه ولما وصل الى دمشق علم أن لؤلؤاً انضم الى عساكر الموفق . ولكنه سار بجيوشه لاستخلاص انطاكية وبينما هو

بحاربها اصيب بمرض عضال اضطره للرجوع الى مصر فعاد اليها محمولا في هودج فوصلها في آخر سنة ٢٦٩ هـ ودخل الفسطاط وهو في حالة خطرة فاحضر الاطباء وتهددهم بالقتل ان لم يبذلوا الجهد في شفائه . ولكن لاتنفع حيل الاطباء اذا جاء القضاء . فتوفي أحمد ابن طولون في شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ

١٣٢ - خمارويه بن أحمد

من سنة ٢٧٠ — ٢٨٢ هـ أومن سنة ٨٨٣ — ٨٩٥ م

وبعد وفاة أحمد بن طولون اجمع رأي أهل الدولة على تولية ابنه خمارويه لانهم كرهوا تولية ابنه الاكبرعباس لعقوقه . فبايعوه واحضروا اخاه عباسا لمبايعته فأبى فاعادوه الى محبسه وقتلوه بأمر خمارويه وكان ذلك بايعاز ابي عبدالله قائد جيوش سورية لابن طولون . ثم خاف ابو عبد الله لئلا يندم خمارويه على قتل أخيه فينتقم منه فكاتب الموفق ووصف له بذخ خمارويه وأنه اتخذ الامارة وسيلة للتمتع بالملذات والملاهي واطمعه في ملك الشام من يده . ولما توفي أحمد ابن طولون كان اسحق بن كنداج عاملا على الجزيرة وابن ابي الساج على الكوفة وقد ملك الرحبة من يد أحمد بن مالك فطمعا في ملك الشام واستاذنا الموفق في ذلك فاذن لهما ووعدهما بالمدد وسار اسحق الى الرقة والثغور والعواصم فملكها من يد ابن دعاس عامل بن طولون واستولى اسحق على حمص وحلب وانطاكية ثم سار المعتضد الى دمشق فسلمها اليه ابو عبد الله بلا قتال

فلما علم خمارويه ذلك جرد جيشه قاصداً استرجاعها حتى بلغ الرملة ومعه سعيد قائد جيوشه . فبلغ ذلك المعتضد بالله فسار من دمشق نحو الرملة الى عساكر خمارويه . فاتاه الخبر بوصول خمارويه وكثرة من معه من الجموع فهمّ بالعود فلم يمكنه من معه من اصحاب خمارويه . وكان المعتضد قد أوحش ابن كنداج وابن ابي الساج ونسبهما الى الجبن حيث انتظراه ليصل اليهما ففسدت نياتهما معه . ولما وصل خمارويه الى الرملة نزل على الماء الذي على الطواحين فملكه فنسبت الواقعة اليه (ودعيت واقعة الطواحين) واستعد كل لصاحبه

ودارت بينهما رحى الحرب وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت فلما رأى ذلك خمارويه (ولم يكن رأى حربا قبل الآن) ولى منهزما في نفر من الاحداث الذين لا علم لهم بالحرب ولم يقف دون مصر . ونزل المعتضد خيام خمارويه وهو لا يشك في تمام النصر فخرج الذين عليهم سعيد (وكانوا قد كمنوا) وانضاف اليهم من بقي من جيش خمارويه ونادوا بشعارهم وحملوا على عسكر المعتضد وهم مشغولون بنهب السواد ووضع المضربون السيف فيهم وظن المعتضد أن خمارويه قد عاد فركب وانهزم ولم يلو على شيء فوصل الى دمشق ولم يفتح له أهلها بابها فمضى منهزما حتى وصل طرسوس وبقي العسكران يتضاربان بالسيوف وليس لواحد منهما أمير . واستفقد سعيد خمارويه فلم يجده فاقام اخاه ابا العشائر وتمت الهزيمة على العراقيين وقتل منهم خلق كثير . وقال سعيد للعساكر أن هذا اخو صاحبكم وهذه الاموال تنفق فيكم ووضع العطاء فاشتغل الجند عن الشغب بالاموال وسيرت البشارة الى مصر ففرح خمارويه بالظفر وخجل للهزيمة غير انه اكثر الصدقة وفعل مع الاسرى فعلة لم يسبق الى مثلها قبله فقال لاصحابه أن هؤلاء اضيافكم فاكرموهم ثم احضرهم بعد ذلك وقال لهم من اختار المقام عندنا فله الاكرام ومن اراد الرجوع جهزناه وسيرناه فمنهم من اقام ومنهم من سار مكرما وعادت عساكر خمارويه الى الشام ففتحته اجمع فاستقر ملك خمارويه به وكانت هذه الواقعة سنة ٢٧١ هـ . وفي سنة ٢٧٣ هـ وقع الخلاف بين محمد بن ابى الساج واسحق بن كنداج فاستعان ابن ابى الساج بخمارويه وخطب له في الجزيرة . فسار خمارويه الى الشام واتحد مع ابن ابى الساج وازال ابن كنداج عنها . ثم رجع خمارويه وترك ابن ابى الساج عاملا له على الجزيرة فقوي امر ابن ابى الساج وخلع طاعة خمارويه سنة ٢٧٥ هـ فسار اليه خمارويه وحاربه وانتصر عليه واستعمل مكانه اسحق ابن كنداج . وفي سنة ٢٧٩ هـ توفي الخليفة المعتمد وتولى مكانه ابن أخيه المعتضد فارسل اليه خمارويه بن طولون يتقرب منه وبعث له مع حسين بن عبد الله بهدايا نفيسة جداً . ثم عرض عليه بعد ذلك ازواج ابنته المسماة قطر الندى لابنه علي فقبل الخليفة أن يكون الزواج له وحصل الزفاف على أعجب سبيل سنة ٢٨٢ هـ . وفي هذه السنة امر خمارويه طغج بن جف عامله بدمشق أن يتقدم بفرقة من

عساكر طرسوس الى اراضي اليونان ففعل وحارب اليونان واستولى على عدة مدن وعاد بالغنائم . وفي تلك السنة (٢٨٢ ﻫ) توفي خماروية مقتولا بدمشق والسبب في ذلك انه بلغه وجود مواصلات غرامية بين بعض نسائه وكبراء قواده فلما اراد تحقيق الخبر اتفق خدمه على قتله منعا لظهور تلك الخفايا فقتلوه على فراشه في ذي الحجة سنة ٢٨٢ ﻫ ونقلت جثته الى مصر ودفن بها

١٣٣ – جيش بن خمارويه

من سنة ٢٨٢ — ٢٨٣ ﻫ أو من سنة ٨٩٥ — ٨٩٦ م

لما قتل خمارويه بويع ابنه جيش بن خمارويه الملقب بابي العساكر . وفي سنة ٢٨٣ ﻫ أبى طغج بن جف حاكم الشام مبايعة جيش على بلاده لصغر سنه . وبعد قليل ثارت الجنود بمصر طالبين خلع جيش وتولية عمه فلاطفهم كاتبه علي بن أحمد في ذلك حتى رجعوا فقتل جيش عمين له . وبكر الجند اليه فرمى لهم بالرأسين فهاجوا وماجوا وهجموا على داره وانتهبوها وقتلوه وكانت ولايته تسعة اشهر فقط

١٣٤ – هرون بن خمارويه

من سنة ٢٨٣ — ٢٩٢ ﻫ أو من سنة ٨٩٦ — ٩٠٤ م

وبعد مقتل جيش بايع الثوار اخاه هرون وبعد قليل أخذ الاهلون في احتقار اوامره ومشوراته حتى صاروا الى العصيان اقرب منهم الى الطاعة ورئيس هذه الثورة طغج بن جف حاكم الشام . وفي سنة ٢٨٥ ﻫ علم المعتضد بانقسام اصحاب هرون عليه فطمع في استرجاع البلاد منه فتقدم حتى وصل قنسرين وتملكها . وبلغ هرون خبر قدومه فانزعج لعلمه بعدم مقدرته المقاومة لعصيان رعيته عليه فعرض عليه أن يتنازل له عن قنسرين والعواصم كلها على أن يرجع عنه فقبل المعتضد ذلك وتسلم تلك الاماكن وبايعه اهلها

وفي سنة ٢٨٩ ﻫ هاجم القرامطة مدينة دمشق وحاصروها وفيها طغج بن

جف فاجتمع اليها جميع جيوش هرون بسوريا وازاحوا عنها القرامطة بعد أن هزموهم هزيمة شنعاء وقتلوا شيخهم يحيى

وفي سنة ٢٩٢ هـ أرسل الخليفة المكتفي بالله محمد بن سليمان بالعساكر الى مصر لاستخلاصها من يد هرون بن خمارويه فافتتحها و بلغ الفسطاط . فاستعد هرون للمدافعة بالامر الممكن ولكن بغير جدوى لان الاختلاف وقع بين عساكره فتقاتل بعضهم بعضا عوضا عن مقاتلة جيش المكتفي فلما اشتد بينهم القتال سار هرون نحوهم لردهم بعضهم عن بعض فاصيب بطعنة من أحد المغاربة فسقط ميتا في ١٨ صفر سنة ٢٩٢ هـ

١٣٥ – شيبان بن أحمد بن طولون

من سنة ٢٩٢ — ٢٩٢ هـ أومن سنة ٩٠٤ - ٩٠٤ م

وفي يوم موت هرون بن خمارويه اقيم عمه شيبان الا انه لم يهنأ بالحكم لان الشعب رفضه بصوت واحد وخابروا محمد بن سليمان أن يعطيهم الامان فأمنهم وملك الفسطاط واعتقل بني طولون وشردهم في البلاد فخلت منهم الديار وعفت منهم الاثار وعادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية كما كانت

١٣٦ – الدولة السامانية بما وراء النهر

(تمهيد) اصل بني سامان من العجم كان جدهم اسد بن سامان من أهل خراسان وكان له اربعة اولاد . نوح وأحمد ويحيي والياس . فلما تولى المأمون الخلافة اصطنع بني اسد ورفع قدرهم . فلما رجع المأمون من خراسان الى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد . وفي سنة ٢٠٤ هـ ولى غسان المذكور نوح بن اسد سمرقند وأحمد بن اسد فرغانه ويحيي بن اسد الشاش واشروسنة والياس بن أسد هرات . فلما ولي طاهر بن الحسين خراسان ولاهم هذه الاعمال . ثم توفي نوح بن اسد فاضاف طاهر بن الحسين عمله الى اخويه يحيي وأحمد . وكان أحمد ابن اسد مرضي السيرة عفيف الذيل لايأخذ رشوة . وفي

سنة ٢٦١ هـ توفى أحمد ابن اسد بن سامان بفرغانة وكان له من الولد سبعة. نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق واسد وكنيته ابو الاشعث وحميد وكنيته ابو غانم وكان أحمد قد استخلف ابنه نصراً على سمرقند وكانت من اعماله فأقام في ولايتها الى انقضاء امر بني طاهر واستيلاء الصفار على خراسان . فلما زال ملك الطاهرية واستولى الصفار خراسان عقد المعتمد لنصر بن أحمد على اعمال ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ ومن هذا الوقت ابتدأت الدولة السامانية في الظهور

١٣٧ - نصر بن أحمد

من سنة ٢٦١ — ٢٧٩ هـ أو من سنة ٨٧٤ — ٨٩٢ م

هو نصر بن أحمد بن أسد بن سامان تولى امارة ماوراء النهر من قبل الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ هـ فولى اخاه اسمعيل على بخارا وأبا اسحق بن البتكين على غزنة . وبعد قليل قام رافع بن الليث في خراسان بدعوة بني طاهر وأخرج عنها الصفار فكاتب اسمعيل بن أحمد وحالفه على التعاون والتعاضد فطلب منه اسمعيل اعمال خوارزم فولاه عليها فقوي امر اسمعيل واغتنم الوشاة هذه الفرصة للسعي بالفساد بين الاخوين فاوغروا صدر كل على أخيه حتى التزم نصر سنة ٢٧٢ هـ للمسير نحو أخيه اسمعيل لقتاله . فلما بلغ اسمعيل خبر قدوم نصر اليه أرسل قائد جيوشه حمويه بن علي الى رافع بن هرثمة يستنجده فسار اليه بنفسه في جيش كثيف فلما وصل بخارا سعى لصلح الاخوين بلا قتال فنجح في مسعاه واصطلحا وعاد كل منهما الى مكانه . ثم عاد سعاة الفساد بالوشاية مرة أخرى حتى تحارب الاخوان نصر واسمعيل سنة ٢٧٥ هـ فانتصر اسمعيل ولما حملوا اليه اخاه نصراً أسيراً ترجل اسمعيل له وقبل يده ورده من موضعه الى سمرقند وتصرف على النيابة عنه ببخارا . وكان اسمعيل خيراً يحب أهل العلم والدين

وفي سنة ٢٧٩ هـ توفي نصر بن أحمد وكان عاقلا ديناً له شعر حسن منه ما قاله في رافع بن هرثمة

أخوك فيك على خبر ومعرفة ان الذليل ذليل حيثما كانا
لولا زمان خؤون في تصرفه ودولة ظلمت ما كنت انسانا

١٣٨ - اسمعيل بن أحمد

من سنة ٢٧٩ - ٢٩٥ هـ أو من سنة ٨٩٢ - ٩٠٧ م

بعد وفاة نصر بن أحمد تولى مكانه اخوه اسمعيل واقره المعتضد على ماوراء النهر ثم ولاه خراسان سنة ٢٨٧ هـ وكان سبب ولايته على خراسان أن المعتضد كان قد ولى عمرو بن الليث على خراسان وامره بحرب رافع بن هرثمة فحاربه وقتله وبعث برأسه الى المعتضد وطلب منه ولاية ما وراء النهر فولاه عليها . فسير العساكر لحاربة اسمعيل بن أحمد الساماني مع محمد بن بشير قائد جيوشه فلما انتهوا الى آمد بشط جيحون عبر اليهم اسمعيل وهزمهم وقتل محمد بن بشير ورجع الى بخارا . فسار عمرو بن الليث من نيسابور الى بلخ يريد العبور الى ما وراء النهر فبعث اليه اسمعيل يستعطفه ليقنع بما في يده ويترك له ما وراء النهر فابى وتكبر . فعبر اليه اسمعيل واحاط به من جميع الجهات وقتله وهزمه حتى أخذ أسيراً فخيره اسمعيل فيما يرغب أن يفعل به فرغب في انفاذه الى المعتضد فبعث به فدخل بغداد سنة ٢٨٨ هـ وارسل المعتضد بولاية خراسان الى اسمعيل فاستولى عليها وصارت بيده . ولما اسر عمرو بن الليث طمع محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان في ضم خراسان اليه فسار اليها وهو يظن أن اسمعيل بن أحمد الساماني لا يريدها ولا يتجاوز عمله . فلما وصل الى جرجان ارسل اليه اسمعيل ينهاه عن المسير فابى فسرح اليه محمد بن هرون (قائد رافع وكان قد فارقه عند هزيمته ولحق باسمعيل) في العساكر لقتاله فلقيه على جرجان وانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هرون معسكره . ثم مات محمد ابن زيد بعد قليل من جراحات اصابته . فسار محمد بن هرون الى طبرستان وملكها وخطب فيها لاسمعيل بن أحمد الساماني فولاه اسمعيل عليها وذلك سنة ٢٨٧ هـ وفي سنة ٢٨٩ هـ خلع محمد بن هرون عامل طبرستان طاعة اسمعيل بن أحمد ونبذ الدعوة العباسية . وفي تلك السنة كاتبه أهل الري ليسير اليهم ويستولى على المدينة وذلك لسوء سيرة العامل عليها فسار اليها وملكها . فلما علم الخليفة المكتفي بذلك كتب الى اسمعيل بن أحمد الساماني بولاية الري وامره باخراج محمد بن هرون منها . فسار اسمعيل اليها وبها

محمد المذكور فلما بلغه خبر قدوم اسمعيل ترك الري وهرب الى قزوين . فاستعمل اسمعيل بن أحمد على جرجان فارساً الكبير والزمه باحضار محمد بن هرون باي طريقة كانت قهراً او صلحاً . فاحتال هذا على محمد حتى اقنعه بالشخوص الى اسمعيل ليعفوا عنه . فلما دخل بخارا اعتقله اسمعيل بها ومات بعد شهرين مقهوراً

وفي سنة ٢٩٥ ﻫ توفى اسمعيل بن أحمد الساماني امير خراسان وما وراء النهر وكان يلقب بعد موته بالماضي . وكان عاقلا حسن السيرة

١٣٩ - أحمد بن اسمعيل

من سنة ٢٩٥ - ٣٠١ ﻫ أو من سنة ٩٠٧ - ٩١٣ م

لما توفي اسمعيل بن أحمد بن اسد بن سامان ولي بعده ابنه ابو نصر أحمد وبعث اليه المكتفي بالولاية وعقد له لواء بيده . وكان فارس الكبير الذى أرسله اسمعيل لقتال محمد بن هرون كما ذكرنا قد غنم غنائم جمة حتى اجتمعت عنده أموال كثيرة فحملها الى اسمعيل بن أحمد وقبل أن يصل الى بخارا بلغه وفاة اسمعيل فكر راجعاً والاموال معه . فسار اليه أحمد بن اسمعيل فخاف فارس العاقبة وكتب الى المكتفي يستأذنه في المسير الى بغداد فأذن له فسار اليها وارسل أحمد وراءه عسكراً فلم يدركوه . ولما وصل بغداد كان المكتفي قد توفي وولي المقتدر بعده فاعجب المقتدر به وسيره في عساكر الى بني حمدان وولاه ديار ربيعة فخاف اصحاب الخليفة أن يتقدم عليهم فوضعوا عليه غلاما سمه فمات واستولى غلامه على ماله وتزوج امرأته

وكانت سجستان في ولاية الليث بن علي بن الليث بن الصفار وخرج الى طلب فارس فاسره مؤنس الخادم (راجع فصل ١٢٨) وحبس ببغداد وولي على سجستان أخوه المعدل . فلما كانت سنة ٢٩٧ ﻫ سار أبو نصر أحمد بن اسمعيل من بخارا الى الري ثم الى هرات وطمع في ملك سجستان فارسل سنة ٢٩٨ ﻫ جيشاً من هرات الى سجستان فساروا حتى اتوا اليها وبها المعدل بن

الليث الصفار وهو صاحبها . فلما بلغه خبر مسيرهم اليه سير أخاه أبا علي محمد بن علي بن الليث الصفار الى بست والرخج ليجبي أموالها ويرسل منها الميرة الى سجستان (راجع فصل ١٢٩) فسار الامير أحمد بن اسمعيل الى أبي علي ببست وحاربه وأخذه اسيراً وعاد به الى هرات وأما جيشه الذي سار الى سجستان فانهم حصروا المعدل وضيقوا عليه فلما بلغه أن أخاه أبا علي قد أخذ أسيراً صالح الحسين ابن علي قائد جيوش أحمد بن اسمعيل الساماني فاستولى الحسين على سجستان واستعمل عليها الامير أحمد أبا صالح منصور بن اسحق ورجع الحسين ومعه المعدل الى بخارا . وفي سنة ٣٠٠ هـ رفع أهالي سجستان راية العصيان على أحمد ابن اسمعيل الساماني فارسل اليها عسكراً لقتال الثائرين فقاتلوهم حتى أخلدوا الى السكينة . وفي سنة ٣٠١ هـ قتل الامير أحمد بن اسمعيل الساماني قتله بعض غلمانه على سريره وكان قد تعود أن يضع أسداً على باب خيمته كل ليلة ليحرسه ولكي لا يجسر أحد على الدنو منه . فلما كانت تلك الليلة لم يحضروا الاسد كالعادة فدخل اليه بعض غلمانه وذبحوه على سريره وحمل الى بخارا ودفن بها ولقب بالشهيد

١٤٠ – نصر بن أحمد

من سنة ٣٠١ — ٣٣١ هـ أو من سنة ٩١٣ — ٩٤٢ م

لما توفي الامير أحمد بن اسمعيل تولى مكانه ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثمان سنين وتلقب بالسعيد فكفله أصحاب أبيه ببخارا واختص بتربية نصر منهم أحمد بن الليث . واستصغر الناس نصراً وظنوا أمره لا ينتظم مع عمه الامير اسحق بن أحمد وهو شيخ السامانية وصاحب سمرقند . ومع أن أرباب الدولة صرفوا غاية جهدهم في ضبط الامور كما كانت أيام الامير احمد الا أن ولاة الاعمال طمع كل بما في يده . فانتقض أهل سجستان وبايعوا للمقتدر وبعثوا له بذلك وانصرف عنهم سيجور الدواني عاملها لبني سامان . فولاها المقتدر بالله بدراً الكبير . وفي تلك السنة عصي على السعيد عمه اسحق بن أحمد وابنه الياس بسمرقند وقوي أمرهما فجندا جيشاً وسار به الى بخارا فسار اليهما

حمويه ابن علي قائد جيوش نصر بن أحمد وقاتلهما وانتصر عليهما . فانهزم اسحق وابنه ورجعا الى سمرقند . ثم جمع اسحق جيشا آخر وعاد مرة ثانية فاقتتلوا قتالا شديداً وانهزم اسحق أيضاً وتبعه حمويه الى سمرقند فملكها قهراً واختفى اسحق فطلبه حمويه ووضع عليه عيوناً وأرصاداً فأظهر نفسه واستأمن الى حمويه فأمنه وحمله الى بخارا فأقام بها الى أن مات وأما ابنه الياس فانه سار الى فرغانة و بقي بها الى أن خرج ثانية . وفيها (سنة ٣٠١ هـ) استولى الحسن بن علي الملقب بالاطروش على طبرستان وانتزعها من يد بني سامان (راجع فصل ١٢٢)

وفي سنة ٣٠٢ هـ خالف منصور بن اسحق بن أحمد بن أسد بن سامان على الامير نصر بن أحمد بن اسمعيل بن أحمد بن أسد بن سامان وكان السبب في ذلك أن الحسين بن علي لما افتتح سجستان الدفعة الاولى أيام أحمد بن اسمعيل طمع في ولايتها فولاها الامير أحمد منصور بن اسحق هـذا فلما عصى أهـل سجستان افتتحها الحسين بن على مرة ثانية وطمع أن يتولاها فولاها سيجور فاستوحش الحسين بن علي لذلك وداخل منصور بن اسحق في الانتقاض على أن تكون امارة خراسان لمنصور والحسين بن علي خليفته على أعماله . فلما قتل الامير أحمد انتقض الحسين بن على بهرات وسار الى منصور بن اسحق بنيسابور فانتقض أيضاً وخطب لنفسه . فلما بلغ أرباب الدولة ببخارا خبر هذا الانتقاض أرسلوا القائد حمويه بن علي في العساكر لمحاربتهما . ومات منصور قبل وصوله . فلما قارب حمويه بن علي نيسابور سار الحسين عنها الى هرات وأقام بها . وكان محمد بن حسين على شرطة بخارا فسار من بخارا الى نيسابور لشغل يقوم به فوردها ثم عاد عنها بغير أمر . فكتب اليـه من بخارا بالانكار عليـه فخاف على نفسه فعدل عن الطريق الى الحسين بن علي بهرات فقوي أمر الحسين به . وسار من هرات الى نيسابور واستخلف بهرات اخاه منصورا بن علي فملك نيسابور . فسار لحاربته من بخارا أحمد بن سهل فحاصر هرات وملكها من منصور بن علي بالامان ثم سار الى نيسابور فحاصر بها الحسين وملكها عنوة وأسر الحسين بن علي وذلك سنة ٣٠٦ هـ أما محمد بن حسين فكان في ذلك الوقت بمرو فلما بلغه استيلاء أحمد بن سهل على نيسابور وأسره الحسين بن علي سار

اليه فقبض عليه أحمد وأخذ ماله وسواده وسيره والحسين بن علي الى بخارا. أما ابن حسين فسير الى خوارزم ومات بها وأما الحسين فحبس في بخارا الى أن خلصه أبو عبد الله الجيهاني وعاد الى خدمة السعيد نصر

وفي سنة ٣٠٨ هـ سار ليلى بن النعمان أحد قواد الأطروش العلوي الى نيسابور بأمره لكي يملكها فارسل اليه نصر بن أحمد قائد جيوشه حمويه بن علي فاقتتلا وكاد حمويه ينهزم فدخل ليلى بن النعمان طريقا غير نافذ فاتبعه بعض أتباع حمويه وقتله وسير رأسه الى حمويه فرفع هذا الرأس على رمح فلما رأى أصحاب ليلى الرأس انهزموا وولوا الادبار وكان قتل ليلى بن النعمان سنة ٣٠٩ هـ ولما قتل ليلى بن النعمان قدم الحسين بن علي بن الحسين الاطروش سنة ٣١٠ هـ الى جرجان فارسل اليه الامير نصر بن أحمد أحد قواده المدعو سيجور فحاربه وانتصر عليه وشتت شمله . وفي هذه السنة خرج الياس بن اسحق بن أحمد (الذي ذكرنا خبر خروجه مع أبيه سنة ٣٠١ هـ وانه لما انهزم سار الى فرغانة) بفرغانة مخالفاً على نصر ابن أحمد وتبعه كثيرون من الاتراك فسير اليه نصر أبا عمرو محمد بن أسد فانتصر عليه . وهرب هو ثم جمع جيشاً آخر وخرج مرة ثالثة فانهزم أيضا ثم طلب الامان من الامير نصر فأمنه وصاهره

وفي سنة ٣١١ هـ ولى المقتدر يوسف بن أبي الساج على الري ثم طلبه سنة ٣١٤ هـ الى واسط فسار اليها طبقا لأوامر الخليفة واستخلف على الري غلامه فاتكا فارسل الخليفة المقتدر الى الامير نصر بن أحمد بولاية الري وأمره باخراج فاتك مولى يوسف بن أبي الساج عنها . فسار نصر بن أحمد اليها أوائل سنة ٣١٤ هـ فوصل الى جبل قارن فمنعه أبو نصر الطبري من العبور فاقام هناك وراسله وبذل له ثلاثين الف دينار حتى مكنه من العبور

فسار حتى قارب الري فخرج فاتك عنها واستولى نصر بن أحمد عليها في شهر جمادى الاخرى سنة ٣١٤ هـ وأقام بها شهرين ثم عاد عنها بعد أن استخلف عليها سيجور . ثم عزله واستعمل عليها محمد بن علي الملقب صعلوك فاقام بها الى سنة ٣١٦ هـ فمرض فكاتب الحسن الداعي العلوي بطبرستان وما كان ابن كالي في القدوم عليه ليسلم اليهما الري . فقدما عليه فسلم الرى اليهما وسار عنها فلما بلغ الدامغان مات . فاقام الحسن الداعي بالري واستولى معها على قزوين وزنجان

وابهر وقم . وكان اسفار الديلمي قد استولى على طبرستان فسار الداعي وماكان اليه والتقوا عند سارية فانهزم الداعي وقتل كما مر في أخبار العلوية بطبرستان واستولى اسفار بن شيرويه الديلمي على طبرستان وجرجان وقزوين والري وابهر وقم والكرخ ودعا للسعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان . ثم قوي امر اسفار وانتقض على السعيد صاحب خراسان وعلى الخليفة المقتدر . فسار السعيد من بخارا الى نيسابور لمحاربته وقبل وصوله اليه أشار محمد بن مطرف الجرجاني وزير اسفار عليه بطاعة السعيد وخوفه منه فقبل اشارته ورجع الى طاعة السعيد وقبل شروطه من حمل المال وغيره . ثم انتقض على اسفار أحد قواده المدعو مرداويج بن زيار واستدعى ما كان من طبرستان وهزم اسفار وقتله وملك مابيده من الاعمال . وقاتل جيوش السعيد نصر ابن أحمد وانتصر عليها

وفي سنة ٣١٨ هـ خرج أبوزكريا يحيى وأبوصالح منصور وأبو اسحق ابراهيم أولاد أحمد بن اسمعيل الساماني على أخيهم السعيد نصر بن أحمد وكان قد اعتقلهم مذ تولى في القندهان ببخارا . فلما سار السعيد الى نيسابور لقتال اسفار خرجوا من السجن بمساعدة بعض الجند وبايعوا يحيى بن الامير أحمد ونهبوا خزائن السعيد وقصوره وبلغ الخبر الى السعيد وهو بنيسابور فعاد مسرعا الى بخارا فمنعه أبو بكر يحيى الخباز عند النهر فهزمه السعيد وأسره ودخل بخاراً وعذبه وأحرقه في تنوره الذي كان يخبز فيه . ولحق يحيى بن أحمد بسمرقند ثم مر بنواحي الصغانيان وبها أبو علي بن أحمد بن أبي بكر بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان منها بجرجان واستدعى ما كان بن كالي الى جرجان ولقوا بها محمد بن الياس وقوي أمره فلما جاء يحيى الى نيسابور خطب له وأظهر دعوته . ثم قصدهم السعيد فافترقوا ولحق ابن الياس بكرمان ولحق يحيى وقراتكين بيست والرخج . ودخل السعيد الى نيسابور سنة ٣٢٠ هـ واصطلح قراتكين وأمنه وولاه بلخ وذهبت الفتنة وأقام السعيد بنيسابور الى أن استأمن اليه أخواه يحيى ومنصور وحضرا عنده وفر ابراهيم الى بغداد ومنها الى الموصل وهلك قراتكين بيست وصلحت أمور الدولة . ولما استفحل أمر مرداويج بن زياد مولى اسفار وقاتله سار سنة ٣٢١ هـ من الري الى جرجان وبها أبو بكر محمد بن المظفر مريضا فلما قصده مرداويج عاد الى نيسابور وبها السعيد نصر بن أحمد فابلغه قصد

مردويج جرجان فسار السعيد نحو جرجان . وكاتب محمد بن عبيد الله البلغمي (من اصحاب السعيد) مطرف بن محمد وزير مردويج واستماله فمال اليه فانتهى الخبر بذلك الى مردويج فقبض على مطرف وقتله . فكتب محمد بن عبيد الله البلغمي الى مردويج يقول : أنا أعلم انك لاتستحسن كفر ما يفعله معك الامير السعيد وانك انما حملك على قصد جرجان وزيرك مطرف ليري أهله محله منك كما فعل أحمد بن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث حمل عمراً على قصد بلخ ليشاهد أهله منزلته من عمرو فكان منه ما بلغك وأنا لا أرى لك مناجزة ملك يطيف به مائة الف رجل من غلمانه ومواليه وموالي أبيه والصواب أن تترك جرجان له وتبذل عن الرى مالا تصالحه عليه ففعل مردويج ذلك وعاد من جرجان وبذل عن الري مالا وعاد اليها وصالحه السعيد عليها

ولما فرغ السعيد من أمر جرجان استعمل أبا بكر محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان ورد اليه تدبير الامور بنواحي خراسان جميعها وعاد الى بخارا مقر عزه وكرسي ملكه . وفي سنة ٣٢٢ هـ خرج أبو علي محمد بن الياس من ناحية كرمان الى بلاد فارس وبلغ اصطخر . فاظهر لياقوت أنه يريد أن يستأمن حيلة ومكراً . فعلم ياقوت مكره فعاد الى كرمان فسير اليه السعيد نصر ابن أحمد ما كان بن كالي في جيش كثيف فقاتله فانهزم ابن الياس واستولى ما كان على كرمان بدعوة السامانية (وكان محمد بن الياس من أصحاب السعيد فغضب عليه وحبسه ثم شفع فيه محمد بن عبيد الله البلغمي فاخرجه وسيره مع محمد بن المظفر الى جرجان فلما خرج يحيى بن أحمد واخوته ببخارا على ماذكرنا سار محمد بن الياس اليه فصار معه فلما أدبر أمره سار محمد من نيسابور الى كرمان فاستولى عليها وما زال بها حتى أخرجه ما كان بن كالي عنها) وأقام ما كان بكرمان فلما عاد عنها رجع اليها محمد بن الياس وكان سبب مسير ما كان ابن كالي عن كرمان انه لما قتل مردويج بن زيار الديلمي سنة ٣٢٣ هـ وبايع أصحابه أخاه وشمكير أرسل السعيد نصر بن أحمد الى ماكان ليسير الى وشمكير ويقاتله فلما سار عن كرمان رجع محمد بن الياس واستولى عليها . فسار ماكان قاصداً وشمكير اتباعا لأوامر أميره . وأرسل نصر بن أحمد الى محمد بن المظفر عامل خراسان وماكان ليقصدوا جرجان وبها وشمكير . فلما وصل

ما كان الى الدامغان سير اليه وشمكير أحد قواده المدعو بانجين الديلمي في جيش كثيف فاستمد ما كان محمد بن المظفر وهو ببسطام فأمده بجمع كثير أمرهم بعدم القتال حتى يصل اليهم . فخالفوه وحاربوا بانجين فهزمهم فرجعوا الى محمد بن المظفر ثم خرجوا الى جرجان فسار اليهم بانجين ليصدهم عنها فانصرفوا الى نيسابور وأقاموا بها وجعلت ولايتها الى ما كان بن كالي فاقام بها واقام بانجين بجرجان

وفي سنة ٣٢٤ ه توفي بانجين قائد وشمكير فطمع ما كان في الاستيلاء على جرجان وأرسل اليها بعض عساكره فاستولى عليها بلا شديد عناء . وفيها استوحش ما كان من محمد بن المظفر عامل خراسان والسبب في ذلك أن محمداً كان أرسل جيشاً مدداً لما كان كما ذكرنا فلم يخلص الجيش الطاعة لما كان فاحتج على محمد بن المظفر بان بعض أصحابه قد هرب منه وأنه يريد أن يخرج في طلبه فاذن له في ذلك . فسار من نيسابور الى اسفراين ولما وصلها بجميع جنده أظهر العصيان على محمد بن المظفر وعاد الى نيسابور محاربا فخذل محمداً أصحابه ولم يعاونوه وكان في قلة من العسكر غير مستعد له فسار نحو سرخس ودخل ما كان نيسابور سنة ٣٢٤ ه ثم عاد عنها خوفا من اجتماع العسكر عليه ورجع الى جرجان . وعاد محمد بن المظفر الى نيسابور وما زال بها حتى سنة ٣٢٧ ه وفيها مرض مرضا شديداً فاراد السعيد ازاحته فولى ابنه أبا علي بن محمد مكان أبيه على خراسان وأحضره هو اليه ببخارا وكان ما كان لا يزال خالعا لطاعة ابن المظفر والسعيد فلما كانت سنة ٣٢٨ ه سار اليه ابو علي بن محمد بن المظفر وقاتله وانتصر عليه واستولى على جرجان وخطب بها للسعيد نصر بن أحمد : فهرب ما كان الى الري فسار اليه أبو علي بن محمد سنة ٣٢٩ ه وقاتله حتى قتله واستولى على الري . ولما استولى أبو علي على الري سار الى بلد الجبل سنة ٣٣٠ ه وهي لوشمكير الديلمي وقاتله وافتتح منه زنجان وابهر وقزوين وقم وغيرها وما زال يحاربه و يفتح مدنه حتى توفي السعيد سنة ٣٣١ ه فلما بلغه خبر وفاته عاد الى خراسان تاركا فتوحاته

وفي سنة ٣٣١ ه توفي السعيد نصر صاحب خراسان وما وراء النهر وكان قد مرض بالسل فاعتل ثلاثة عشر شهراً ومات في شعبان سنة ٣٣١ ه لثلاثين سنة من ولايته

١٤١ - نوح بن نصر

من سنة ٣٣١ — ٣٤٣ ﻫ أو من سنة ٩٤٢ — ٩٥٤ م

لما توفي الامير نصر بن أحمد الساماني تولى مكانه ابنه نوح وبايعه الناس ولقب بالامير الحميد وفوض أمره وتدبير مملكته الى أبي الفضل محمد بن الحاكم وفي سنة ٣٣٢ ﻫ خالف عبد الله بن اشكام على الامير نوح وامتنع بخوارزم فسار نوح من بخارى الى مرو بسببه وسير اليه جيشا بقيادة ابراهيم بن فارس فمات ابراهيم في الطريق . وكاتب ابن اشكام ملك الترك وراسله واحتمى به وكان لملك الترك ولد وقع اسيراً في يد الامير نوح فراسل نوح أباه في اطلاقه ليقبض على ابن اشكم فاجابه ملك الترك الى ذلك . فلما علم ابن اشكم الحال عاد الى طاعة نوح وفارق خوارزم فعفى نوح عنه وأكرمه . وفي سنة ٣٣٣ ﻫ قدم أبو علي بن محمد بن المظفر الى الامير نوح بمرو فاجتمع به واعاده الى نيسابور وأمده بقصد الري وأمده بجيش كثير . فعاد الى نيسابور وسار منها الى الري وكان قد استولى عليها ركن الدولة فلما علم بكثرة جموعه سار عن الري واستولى أبو علي عليها وعلى سائر اعمال الجبال وأنفذ عماله الى الاعمال فتولوها . واتفق مسير الامير نوح الى نيسابور في هذه السنة فاجتمع اليه مبغضو الخير ووشوا اليه بسوء سيرة أبي علي فيهم (ظلما وعدوانا) وطلبوا منه أن يولي عليهم أيا كان غيره فصدق كلامهم وولى على نيسابور ابراهيم بن سيجور . وبينما أبو علي بن محمد في غاية السرور لفتحه الري وأعمال الجبل وينتظر انعام الامير نوح عليه لصدق خدمته اذ قد وصله الخبر بعزله وولاية ابراهيم بن سيجور على نيسابور فاغتم جداً واستوحش لذلك وخالف على الامير نوح (مع عدم رغبته في الخلاف) ووجه أخاه أبا العباس الفضل بن محمد الى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من العساكر فقصد الفضل نهاوند والدينور وغيرها واستولى عليها واستأمن اليه رؤساء الاكراد من تلك الناحية وأنفذوا اليه رهائنهم . وقوي أمر أبي علي بن محمد وتبعه جمع كثير من أصحاب الامير نوح وتشاوروا فيما يجب أن يفعلوه فاقر رأيهم على احضار ابراهيم بن أحمد بن اسمعيل الساماني

عم الامير نوح ومبايعته و تمليكه البلاد وكان ابراهيم في ذلك الوقت بالموصل في خدمة ناصر الدولة لانه كان قد هرب من ابن أخيه . فارسلوا اليه وعرفوه ماقر عليه قرارهم من جهته فأسرع اليهم في تسعين فارسا والتقاه أبو علي بهمذان فساروا قاصدين الري ولما وصلوا الري وجد أبو علي أن أخاه الفضل قد كاتب الامير نوحا بخبر ماتم ليأخذ حذره منهم فقبض عليه واعتقله . فلما بلغ الامير نوحا ذلك تجهز وسار الى مرو من بخارا وكان الاجناد قد ملوا من محمد بن أحمد الحاكم المتولي للامور لسوء سيرته فقالوا لنوح أن الحاكم قد أفسد عليك الامور بخراسان وأخرج أبا علي الى العصيان وأوحش الجنود وطلبوا تسليمه اليهم والا ساروا الى عمه ابراهيم وأبي علي فسلمه اليهم فقتلوه في جمادى الاولى سنة ٣٣٥ ﻫ ولما وصل أبو علي الى نيسابور وكان بها ابراهيم بن سيجور ومنصور ابن قراتكين وغيرهما من قواد الامير نوح استمالهم أبو علي فمالوا اليه وصاروا معه ودخل نيسابور في المحرم سنة ٣٣٥ ﻫ ثم ظهر له من منصور ابن قراتكين مايكره فقبض عليه . ثم سار أبو علي وابراهيم من نيسابور في ربيع الاول سنة ٣٣٥ ﻫ الى مرو وبها الامير نوح . فانتهز أخوه الفضل بن محمد الفرصة وهرب من محبسه وسار الى قهستان وأقام بها . ولما قارب أبو علي مرو أتاه كثير من عسكر نوح وسار نوح عنها الى بخارا واستولى ابو علي على مرو في جمادى الاولى سنة ٣٣٥ ﻫ وأقام بها وكل يوم يزداد جنده بمن ينضم اليه من عسكر الامير نوح فلما استراحت عساكره سار عنها قاصداً بخارا وعبر النهر اليها . ولم يجد الامير نوح في استطاعته المقاومة لكثرة من فارقه من عسكره فسار عن بخارا الى سمرقند . فدخل أبو علي بخارا في جمادى الاخرى سنة ٣٣٥ ﻫ وخطب فيها لابراهيم العم وبايع الناس . ثم اطلع أبو علي على سوء نية من الامير ابراهيم العم ففارقه وسار الى تركستان وبقي ابراهيم في بخارا . وفي اثناء ذلك اطلق منصور بن قراتكين من محبسه فسار الى الامير نوح

وتخوف ابراهيم العم من اجتماع الجيوش مع الامير نوح عليه فجمع بعض قواده واستشارهم بانه سيتنازل لابن أخيه عن الامر على أن يكون هو قائد جيوشه وبعد اتمام عقد الصلح يقصد الجميع أبا علي لقتله فاستحسنوا فكره . ووافقته عامة أهل بخارا على هذا الرأي . واذ لم يكن أبو علي بعيداً منهم أجمع

رأيهم على قصده أولا فساروا اليه فهزمهم هزيمة شنعاء وردهم رداً قبيحا ودخل بخارا واستحضر أبا جعفر محمد بن نصر الساماني وهو أخو الامير نوح وعقد له الامارة وبايعه وخطب له في النواحي كلها . ثم ظهر لابي علي فساد نيات الجند عليه فخرج مظهراً المسير الى سمرقند و يضمر العود الى الصغانيان ومنها الى نسف فلما خرج من البلد رد جماعة من الجند والحشم الى بخارا وكاتب نوحا بافراجه عنها . ولما خرج أبو علي من بخارا سار ابراهيم وأبو جعفر الى سمرقند مستأمنين الى الامير نوح مظهرين الندم على ما كان منهم فوعدهم خيراً وعاد الى بخارا . ولما استتب امره وهدأت الاحوال سمل عمه ابراهيم وأخويه أبا جعفر محمداً وأحمد واجتمعت اليه الاجناد وأصلح الفساد . ثم جاءه الفضل بن محمد أخو أبي علي مستأمنا فاكرمه وأحسن اليه فاقام في خدمته . واذ كانت الامور لاتزال مضطربة بخراسان رأى الامير نوح أن يولي عليها منصور بن قراتكين فولاه اياها فحارب المخالفين بها ودخلها وهدأت أحوالها على نوع ما

وعلم أبو علي بن محمد أنه لابد أن يقصده الامير نوح لانه لايزال مخالفا عليه وان كان قد ترك له البلاد . وعلم أن الامور انصلحت واجتمعت العساكر على طاعة الامير نوح وانه اذا جند اليه جيشا لم يكن في قدرته المقاومة فرأى أن ينتهز الفرصة ويطلب الامان فنهاه عن ذلك بعض مشيريه ولكنه كان أعلم منهم بمثل هذه الاحوال ولا ينخدع للمشورات الباطلة فأصر على فكره وطلب الامان من الامير نوح فأمنه وأكرمه وأحسن اليه وكان ذلك سنة ٣٣٧ ھ

وكان محمد بن عبد الرازق بطوس وأعمالها بيده و يد نوابه فلما كانت سنة ٣٣٦ ھ خالف على الامير نوح بن نصر الساماني وكان منصور بن قراتكين صاحب جيش خراسان في ذلك الوقت بمرو عند الامير نوح فوصل اليهما وشمكير منهزما من جرجان قد غلبه عليها الحسن بن الفيرزان فأمر نوح منصوراً بالمسير الى نيسابور ومحاربة محمد بن عبد الرازق وأخذ مابيده من الاعمال ثم يسير مع وشمكير الى جرجان . فسار منصور ووشمكير الى نيسابور وبها محمد بن عبد الرازق ففارقها نحو استراباذ فأتبعه منصور فسار محمد الى جرجان وكاتب ركن الدولة بن بويه واستأمن اليه فأمره بالوصول الى الري . اما منصور فسار من نيسابور الى طوس وحاصر رافع بن عبد الرازق بقلعة شميلان فاستأمن بعض

أصحاب رافع اليه فهرب رافع من شميلان فأتبعه منصور حتى حصره بقلعة درك فاستأمن اليه أحمد بن عبد الرازق في جماعة من بني عمه فأخذهم وسيرهم الى بخارا . وأما رافع فأخذ ماخف حمله وغلا ثمنه وفر هاربا في الجبال

وفي سنة ٣٣٧ ﻫ أرسل الامير نوح منصور بن قراتكين الى الري لغيبة ركن الدولة بن بويه عنها في نواحي فارس فوصل الى الري واستولى عليها وعلى الجبل وسار الى قرميسين فكبس الذين بها من العسكر واسر مقدمهم ورجع الباقون الى همذان فسار سبكتكين نحوهم . وجاء ركن الدوله اثر الانهزام وحارب منصوراً والخراسانيين وانتصر عليهم فرجعوا الى الري

وفي سنة ٣٤٠ ﻫ توفي منصور بن قراتكين بالري بعد عوده من اصفهان وحملت جثته الى اسفيجان فدفن بها عند والده فولى الامير نوح على خراسان ابا علي بن محمد بن المظفر واعاده الى نيسابور . وفي سنة ٣٤٢ ﻫ كتب وشمكير الى الامير نوح ليأمر أبا علي بن محمد بالمسير معه في عساكر خراسان لقصد ركن الدولة بن بويه فساروا اليه فخاف ركن الدولة لقاءهم وامتنع بطزل وتحصن بها وأقام عليها أبو علي عدة شهور يقاتله حتى سئم العسكر القتال فمال الى الصلح فسعى بينهما محمد بن عبد الرازق فتصالحا على أن يدفع ركن الدولة كل سنة مائتي الف دينار . ورجع أبو علي الى خراسان فكتب وشمكير الى الامير نوح بان أبا علي لم ينصح في الحرب وأن بينه وبين ركن الدولة مداخلة . فتمكنت وشاية وشمكير عند الامير نوح وكتب الى أبي علي بالعزل عن خراسان سنة ٣٤٢ ﻫ وكتب الى القواد بمثل ذلك . واستعمل على جيوش خراسان مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني . وبعث أبو علي يعتذر فلم يقبل وأرسل جماعة من أعيان نيسابور يسألون ابقاءه فلم يجيبوا . فانتقض أبو علي وخطب لنفسه بنيسابور وكتب الامير نوح الى وشمكير والحسن بن الفيرزان بان يتفقا ويتعاضدا على أصحاب ركن الدولة حيثما كانوا ففعلا ذلك . فارتاب أبو علي بامره ولم يمكنه العود الى الصغانيان ولا المقام بخراسان . فصرف وجهه الى ركن الدولة واستاذن في المسير اليه فاذن له . وسار أبو علي الى الري سنة ٣٤٣ ﻫ فأكرمه ركن الدولة وانزله معه واستولى بكر بن مالك على خراسان وفي سنة ٣٤٣ ﻫ توفي الامير نوح بن نصر في شهر ربيع الاخر لاثنتي عشرة سنة من ولايته

١٤٢ - عبد الملك بن نوح

من سنة ٣٤٣ — ٣٥٠ ﻫ أو من سنة ٩٥٤ — ٩٦١ م

لما توفى الامير نوح بن نصر تولى مكانه ابنه عبد الملك وقام بأمره بكر بن مالك الفرغاني فلما قرر امر دولته وثبت ملكه امر بكراً بالمسير الى خراسان فكان من شأنه مع أبي علي ما قدمنا ذكره. وفي سنة ٣٤٤ ﻫ سار بكر بن مالك بعسكر خراسان الى الري وبها ركن الدولة بن بويه وارسل عسكراً آخر مع محمد ابن ما كان على طريق المفازة الى أصفهان. وكان باصفهان أبو منصور علي بن بويه ابن ركن الدولة فخرج عنها بحرم أبيه وخزائنه وانتهى الى خالنجان. ودخل محمد ابن ما كان اصفهان ثم خرج في اتباع ابن بويه. فادرك الخزائن فأخذها وسار في اثره. وكان من لطف الله أن ابا الفضل بن العميد وزير ركن الدولة وصل اليهم في تلك الساعة. فقاتله ابن ما كان وانتصر عليه وهزم اصحابه وثبت ابن العميد. واشتغل عسكر ابن ما كان في النهب فاجتمع على ابن العميد بعض من عساكره فقوي عزمه وهاجم اصحاب ابن ما كان وهم مشغولون بالنهب فهزمهم واسر ابن ما كان. وسار ابن العميد الى اصفهان فملكها واعاد حرم ركن الدولة واولاده الى حيث كانوا. ثم بعث ركن الدولة بن بويه الى بكر بن مالك صاحب الجيوش بخراسان وقرر معه الصلح على مال يحمله اليه ركن الدولة على الري و بلد الجبل فتقرر ذلك بينهما. فبعث اليه من عند أخيه ببغداد بالخلع واللواء بولاية خراسان فوصلت اليه في ذي القعدة سنة ٣٤٤ ﻫ

وفي يوم الخميس حادي عشر شوال سنة ٣٥٠ ﻫ توفي الامير عبد الملك بن نوح من سقطة عن فرسه لسبع سنين من ولايته

١٤٣ - منصور بن نوح

من سنة ٣٥٠ - ٣٦٦ ﻫ أو من سنة ٩٦١ - ٩٧٦ م

لما توفي عبد الملك بن نوح تولى بعده أخوه منصور وفي أول أيامه استولى

ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان وسار وشمكير عنها فدخل بلاد الجبال وفي سنة ٣٥٦ هـ جهز الامير منصور بن نوح الجيوش الى الري وكان سبب ذلك أن أبا علي بن الياس سار من كرمان الى بخارا ملتجئا الى الامير منصور وأبو علي بن الياس هذا كان قد ملك كرمان بدعوة بني سامان واستبد بها واصابه فالج وأزمن به . وكان له ثلاثة من الولد اليسع والياس وسليمان فعهد الى اليسع وبعده الياس وأمر سليمان بالعود الى ارضهم ببلاد الصغد يقيم بها فيما لهم هناك من الاموال وذلك لعداوة كانت بين سليمان واليسع . فخرج سليمان لذلك واستولى على السيرجان . فانفذ اليه أبوه اليسع في عسكره وامره باجلائه عن البلاد ولا يمكنه من قصد الصفوان اذا طلبها فسار وحاصره . ولما ضاق الحصار على سليمان جمع امواله ولحق بخراسان واستقر امر اليسع بالسيرجان . فوشي به الوشاة عند أبيه بأنه يريد الخروج عليه فأمسكه أبوه وحبسه . فلما علمت والدة اليسع بحبسه اتفقت مع بعض جواريها على اخراجه من السجن باي حيلة كانت وكان أبو علي بن الياس تأخذه غشية في بعض الاوقات فيمكث وقتا طويلا لا يعقل فاتفقت امرأته مع جواريها وقت غشيته واخرجن اليسع من سجنه . فلما خرج من السجن اجتمعت اليه عساكر ابيه وفرحت به وهرب من كان قد وشي عليه ولما أفاق ابو علي بن الياس من غشيته وعلم الحال ارسل الى ولده اليسع يطلب منه أن يحضر اليه ليسلمه القلعة وجميع اعمال كرمان ويرحل هو الى خراسان ويكون عوناً له هناك . فاجابه الى ذلك . فسلم اليه القلعة وكثيراً من المال . وأخذ معه ما أراد وسار الى خراسان وقصد بخارا فاكرمه الامير منصور وأحسن اليه وهذا سبب مجيء أبي علي بن الياس الى الامير منصور ذكرناه هنا اتماماً للفائدة . فلما استقر عنده اطمعه في ممالك بني بويه وحسن له قصدها وعرفه أن نوابه لا يناصحونه وانهم يأخذون الرشا من الديلم (وكان هذا فكر وشمكير في نوّاب السامانيه أيضاً وكثيراً ماذكره للامير منصور) فكاتب الامير منصور وشمكير والحسن بن الفيرزان يعرفهما ما عزم عليه من قصد الري ويأمرهما بالتجهز لذلك ليسير مع عساكره ثم جهز العساكر وارسلها مع قائد جيوش خراسان الى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور وامره بطاعة وشمكير والانقياد له والتصرف بامره وجعله قائداً عاما

لجيوشه . وبلغ الخبر الى ركن الدولة فاضطرب وبعث بأهله وولده الى اصفهان واستمد ابنه عضد الدولة بفارس وعز الدولة بختيار بن اخيه ببغداد . فبادر عضد الدولة الى امداده وبعث العساكر على طريق خراسان يريد قصدها لخلوها من العسكر فبلغ الخبر اهل خراسان فأحجموا قليلا . ثم ساروا حتى بلغوا الدامغان . وبرز ركن الدولة في عساكره من الري نحوهم فاتفق موت وشمكير ذلك الوقت . وانتقض جميع ما كانوا فيه وكفى الله ركن الدولة شرهم ولما مات وشمكير قام ابنه بهستون مقامه وراسل ركن الدولة وصالحه . فأمده ركن الدولة بالمال والرجال

وفى سنة ٣٦١ هـ تم الصلح بين الامير منصور بن نوح الساماني وبين ركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة . على ان يحمل ركن الدولة وعضد الدولة اليه كل سنة مائة وخمسين الف دينار وتزوج نوح بن منصور بابنة عضد الدولة وحمل اليه من الهدايا والتحف شيئا كثيراً

وفى سنة ٣٦٦ هـ توفي الامير منصور بن نوح ببخارا وكانت ولايته خمس عشرة سنة

١٤٤ – نوح بن منصور

من سنة ٣٦٦ — ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٧٦ — ٩٩٧ م

لما توفي الامير منصور بن نوح تولى مكانه ابنه نوح وكان عمره حين ولي ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور وأقر على خراسان أبا الحسن محمد بن ابراهيم ابن سيجور واستوزر أبا الحسين العتبي فقام بتأدية وظيفته حق قيام فصلحت الاحوال وساد السلام

وفي سنة ٣٧١ هـ عزل أبوا الحسين العتبي وزير الامير نوح ابا الحسن بن ابراهيم بن سيجور عن ولاية خراسان لعدم طاعته اوامره وولاها حسام الدولة ابا العباس تاش . فسار ابن سيجور الى سجستان وأقام بها . وفي هذه السنة استولى عضد الدولة بن بويه على بلاد جرجان وطبرستان وأخلى عنها صاحبها قابوس بن . وشمكير . واستولى على بلاد أخيه فخر الدولة أيضا . فانضم

فخر الدولة وقابوس بن وشمكير وسار الى نيسابور الى حسام الدولة أبي العباس تاش فكتب هذا بوصولهما الى الامير نوح . وكتبا هما أيضا يستنصرانه على عضد الدولة . فأرسل الامير نوح الى حسام الدولة يأمره باجلال محلهما واكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما واعادتهما الى مالكهما . فلما وردت كتب الامير الى حسام الدولة بذلك جمع جيشا كثيفا وسار معهما من نيسابور نحو جرجان فنازلوها وحاصروها وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير . فشدد عليهم حسام الدولة الحصار حتى اضطر المحصورون أن ياكلوا النخالة من قلة المؤن . فلما اشتد الامر بهم جداً ويئسوا من النجاة فضلوا الموت قتلاً على الموت جوعا . وخرجوا من المدينة بعزم ثابت وقاتلوا حسام الدولة ومن معه وهزموهم وأجلوهم عن المدينة وغنموا منهم مالا يقدر . فرجع حسام الدولة وقابوس بعد هذه الهزيمة الى نيسابور وكتبوا للامير نوح لامدادهم . فاتاهم كتاب الامير نوح بانتظار قدوم العساكر التي سترسل لهم قريبا وفي هذه الاثناء قتل الوزير ابو الحسين العتبي قتله بعض المماليك بوشاية ابن سيجور . فلما علموا بموته تفرق جمعهم وبطل تدبيرهم . ولما قتل ابو الحسين العتبي ارسل الامير نوح الى حسام الدولة أبي العباس تاش يستدعيه لتدبير دولته ببخارا . فعاد من نيسابور اليها . وقتل من ظفر به من قتلة ابي الحسين وكان ذلك سنة ٣٧٢ هـ فلما سار حسام الدولة عن نيسابور قاصداً بخارا وكان ابن سيجور لايزال بسجستان سار منها الى قهستان وكاتب فائقا يطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان . فاجاب الى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحي . وبلغ الخبر الى حسام الدولة أبي العباس فسار من بخارا في جيش عظيم الى مرو

وترددت بينهم الرسل فاصطلحوا على أن تكون نيسابور وقيادة الجيوش لابي العباس . وتكون بلخ لفائق . وتكون هرات لابن سيجور وتفرقوا على ذلك وقصد كل واحد منهم ولايته .

ولما سار أبو العباس من بخارا الى مرو استوزر الامير نوح عبد الله بن عزيز وكان ضداً لابي الحسين العتبي وابي العباس فلما ولي الوزارة بدأ بعزل أبي العباس عن خراسان واعادة أبي الحسن بن سيجور اليها فكتب من بخراسان من

القواد يسألونه أن يقر أبا العباس على عمله فلم يجبهم وذلك سنة ٣٧٣ هـ . فرجع أصحاب ابن سيجور اليه وعادت له قوته وأتته الامداد من بخارا وكاتب مشرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة وهو بفارس يستمده . فامده بالفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة . فلما كثر جمعه قصد أبا العباس فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم أبو العباس واصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة . فقصد أبو العباس جرجان وبها فخر الدولة فأكرمه وعظمه وترك له جرجان ودهستان واستراباذ صافية له ولمن معه وسار عنها الى الري فاقام بها ثلاث سنين ثم وقع بها وباء شديد مات فيه

فاقام أبو الحسن بن سيجور عاملا على خراسان الى أن توفي سنة ٣٨٢هـ فكتب ابنه أبو علي الى الامير نوح بن منصور يطلب منه أن يقره مكان أبيه فاجيب الى ذلك ظاهراً وحملت اليه الخلع والعهد وهو لا يشك انها له فلما بلغ الرسول طريق هرات عدل اليها وبها فائق . فاوصل العهد والخلع بولاية خراسان اليه فعلم أبو علي انهم مكروا به وأن هذا دليل سوء يريدونه به . فسار مسرعا في نخبة من أصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره فاوقع بفائق فيما بين بوشنج وهرات (لانه قد خرج من هرات قاصداً أبا علي) فهزم فائقا واصحابه وذلك سنة ٣٨٣ هـ وكتب أبو علي الى الامير نوح يجدد طلب ولاية خراسان فاجابه الى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد أن كانت هرات لفائق . فعاد أبو علي الى نيسابور ظافراً وجبي أموال خراسان ولم يرسل منه شيئا الى الامير نوح فكتب الامير بذلك فاعتذر له ولم يفعل . ثم خاف عاقبة المنع فكتب الى بقراخان ملك الترك يدعوه الى قصد بخارا تملكها من السامانية واطمعه فيها . واستقر الحال بينهما على أن يملك بقراخان ما وراء النهر كله ويملك أبو علي خراسان . فقصد بقراخان ما وراء النهر وملك مدنه الواحدة بعد الاخرى فسير اليه الامير نوح أحد قواده المدعو انج فقاتله بقراخان وهزمه واسره وقدم الى بخارا وملكها بغير كثير عناء وهرب منها الامير نوح الى آمد ولكن لحسن حظ الامير نوح لم تطل مدة اقامة بقراخان ببخارا لانه مرض بها مرضا شديداً فسار عنها قاصداً بلاده فمات في الطريق . فلما بلغ الخبر الى لامير نوح وقد اتاه الفرج من حيث لا يحتسب عاد الى بخارا واستولى عليها .

ولما علم أبو علي بما تم ندم على ما فرط منه وخاف العاقبة فاتحد مع فائق على خلاف الامير نوح . فلما علم الامير نوح باتحادهما أرسل الى سبكتكين وكان أميراً على غزنة ونواحيها يستقدمه لنصرته منهما ونجدته عليهما وأرسل اليه مع ذلك بولاية خراسان . وكان سبكتكين فى شغل عما هم فيه يقاتل الهنود ويستولى على بلادهم ويجاهد فى كفارهم . فلما جاء كتاب الامير نوح ورسوله بادر اليه وتلقى أمره وعاد الى غزنة وجمع العساكر لقصد خراسان فلما بلغ الخبر أبا علي وفائقا استمدا فخر الدولة بن بويه واستعانا على قضاء مآربهما بوزيره الصاحب بن عباد فبعث اليهما مدداً من العساكر . وسار سبكتكين وابنه محمود نحو خراسان سنة ٣٨٤ هـ وسار اليها الامير نوح واجتمعوا ولقوا أبا علي وفائقا وكان معهما دارا ابن قابوس بن وشمكير فنزع الى الامير نوح وانهزم أصحاب أبي علي وفائق وفتك فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم الى نيسابور فلحقا بجرجان وبها فخر الدولة من بني بويه فأكرم وفادتهما . واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة وعاد نوح الى بخارا وترك سبكتكين بهرات ومحمود بنيسابور . ولما عاد الامير نوح الى بخارا طمع أبو علي وفائق فى ولاية خراسان فجمعا جموعهما وسارا الى نيسابور وبها محمود بن سبكتكين فى قلة من العسكر فانتصرا عليه وأجلياه عن نيسابور فلما علم سبكتكين بهزيمة ابنه جمع عساكره وسار الى نيسابور وجاء اليه ابنه محمود فى بقية من معه وحاربا أبا علي وفائقا وانتصرا عليهما . فهرب أبو علي وفائق الى ابيورد فاتبعهما سبكتكين بعد أن استخلف ابنه محموداً بنيسابور فلحقا بمرو ثم آمد الشط وكتب الى الامير نوح يستعطفانه فشرط على أبي علي أن ينزل الجرجانية ويفارق فائقا ففعل . أما فائق فسار الى ايلك خان ملك الترك بكاشغر فأكرم وفادته وكتب الى الامير نوح يشفع فيه فقبل شفاعته

وفي سنة ٣٨٧ هـ توفى الامير نوح بن منصور لاحدى وعشرين سنة من ملكه وانتقض بموته ملك بنى سامان وصاروا الى الانحلال

١٤٥ - منصور بن نوح

من سنة ٣٨٧ — ٣٨٩ ﻫ أو من سنة ٩٩٧ — ٩٩٨ م

لما توفي الامير نوح بن منصور قام بالامر بعده ابنه منصور وبايعه أهل الدولة واتفقوا على طاعته . وقام بتدبير دولته بكتوزون واستوز أبا طاهر محمد ابن ابراهيم . ولما بلغ خبر وفاة نوح الى ايلك خان ملك الترك طمع في ملكهم وسار الى سمرقند وبعث من هناك فائقا والخاصة الى بخارا فاضطرب الامير منصور وهرب عن بخارا وقطع النهر . ودخل فائق بخارا وأعلم الناس انه انما جاء لخدمة الامير منصور . فبعث مشايخ بخارا بذلك الى منصور واستقدموه بعد أن أخذوا له مواثيق العهود من فائق فاطمأن وعاد الى بخارا . وقام فائق بتدبير أمره وتحكم في دولته . وأبعد بكتوزون الى خراسان أميراً . فسار بكتوزون الى خراسان ووافق وصوله حصول الفتنة بين اسمعيل ومحمود ابني سبكتكين بعد وفاة ابيهما . وفي سنة ٣٨٨ ﻫ كان محمود قد فرغ من أمر أخيه اسمعيل واستولى على الملك فعاد الى بلخ وهناك علم بولاية بكتوزون على خراسان فارسل الى الامير منصور ابن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته ويطلب خراسان . فجاءه كتاب الامير منصور معتذراً عن خراسان ويأمر بأخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من اعمال بست وهرات فلم يقنع وأعاد الطلب ولكن بلا فائدة فلما لم يجب طلبه سار الى نيسابور وبها بكتوزون . فلما علم بكتوزون خبر سيره اليه رحل عنها فدخلها محمود وملكها . فلما سمع الامير منصور بذلك سار عن بخارا الى نيسابور . فلما علم محمود بقدومه سار عن نيسابور الى مرو الروذ وأقام بها منتظراً ما يكون ولما علم بكتوزون بقدوم الامير منصور سار اليه وهو بسرخس فاجتمع به فلم يقابله حسب ما اعتاد مقابلته قبلا . فشكى بكتوزون الى فائق بذلك فقابله فائق باضعاف شكواه واتفقا على خلعه من الملك واقامة أخيه مكانه وساعدهما على ذلك بعض قواد الجيش . فقبضوا عليه في سنة ٣٨٩ ﻫ وسملوه ولم يخافوا الله ولا تذكروا احسان السامانية اليهم وأقاموا أخاه عبد الملك مقامه . وكانت مدة ولاية الامير منصور سنة وسبعة اشهر . وهاج الناس

لهذا العمل الوحشي وارسل محمود بن سبكتكين الى بكتزون وفائق يقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازما على القتال

١٤٦ - عبد الملك بن نوح

من سنة ٣٨٩ — ٣٩٠ هـ أو من سنة ٩٩٨ — ٩٩٩ م

لما قبض بكتزون وفائق على الامير منصور أقاموا مكانه اخاه عبد الملك بن نوح كما ذكرنا وكان صبيا صغير السن . وفي سنة ٣٩٠ هـ سار محمود بن سبكتكين الى فائق و بكتزون . فساروا اليه والتقوا بمرو وقاتلهم وهزمهم وافترقوا فهرب عبد الملك ولحق ببخارا ومعه فائق . ولحق بكتزون بنيسابور ولحق أبو القاسم بن سيجور بقهستان ثم قصد محمود بن سبكتكين نيسابور ولما انتهى الى طرسوس هرب بكتزون من نيسابور ولحق بجرجان فبعث في أثره ارسلان الحاجب وما زال يطارده حتى لحق ببخارا . واستولى محمود على خراسان وأزال عنها ملك بني سامان وخطب فيها للخليفة القادر بالله العباسي .
ولما ملك محمود خراسان وسار عبد الملك بن نوح الى بخارا واجتمع اليه فائق وبكتزون وغيرهما من الامراء أخذوا في جمع العساكر لمناهضة محمود . ثم مات فائق في شهر شعبان سنة ٣٩٠ هـ فاضطربوا ووهنوا لانه كان المقدم فيهم . وبعد موته طمع ايلك خان ملك الترك في ملك بخارا من يد بني سامان . فسار في جموع الترك مظهراً المدافعة لعبد الملك عنه فاطمأنوا لذلك . وخرج بكتزون وغيره من الامراء والقواد للقائه فقبض عليهم جميعا ودخل بخارا عاشر ذي القعدة سنة ٣٩٠ هـ ونزل في دار الامارة واختفى عبد الملك فبث العيون عليه حتى ظفروا به وأودعه السجن هو واخاه منصور المخلوع واخوته الآخرين أبا ابراهيم اسمعيل وأبا يعقوب واعمامه وغيرهم من عائلته وانقرض ملك بني سامان بعد أن كانت لهم دولة ارهبت الملوك

١٤٧ - اسمعيل بن نوح

من سنة ٣٩١ — ٣٩٥ ه أو من سنة ١٠٠٠ — ١٠٠٤ م

كان اسمعيل بن نوح هذا محبوسا مع باقي بني سامان في سجن ايلك
وكانت تأتيه في سجنه جارية تخدمه وتتعرف احواله فلبس ما كان عليها
الهدوم وخرج من السجن فلم يشك في أمره أحد وظنوه الجارية فاخ
ببخارا الى أن سكن عنه الطلب ثم سار الى خوارزم سنة ٣٩١ ه وتلق
المنتصر واجتمع اليه بقايا القواد والاجناد من انصار السامانيه فكثر ج
وسير قائداً من أصحابه في عسكر الى بخارا فهزم من بها من أصحاب ايلك خا
وهربوا الى نواحي سمرقند فوجدوا هناك جيشاً قد وضعه ايلك خان
سمرقند فانضموا اليه . فتبعتهم عساكر المنتصر وهزموهم أيضاً . وعاد اسم
الى بخارا . فاستبشر الناس بعودة السامانية . ثم جهز ايلك خان عسكراً
الترك وسار الى بخارا فانحاز اليه من السامانية وهرب المنتصر ومن معه
آمد الشط فضاقت عليهم فساروا الى ابيورد فملكها المنتصر وجبى اموالها
سار ومن معه الى نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائباً عن أخيه مح
فالتقوا قريب نيسابور واقتتلوا فانهزم منصور واصحابه وقصدوا هرات وم
المنتصر نيسابور فارسل اليه محمود بن سبكتكين جيشاً فلقيهم وانهزم المنتص
وسار الى ابيورد وقصد جرجان فمنعه بن قابوس منها فقصد سرخس وج
أموالها وسكنها في ربيع سنة ٣٩٢ ه فارسل اليها محمود العساكر مع أخيه منصو
فالتقوا فانهزم اسمعيل المنتصر وأسر أبو القاسم بن إسيجور في جماعة من أعيا
العسكر . فبعث بهم منصور الى غزنة وسار اسمعيل حائراً فوافى أحياء الغ
بنواحي بخارا فتعصبوا له وسار بهم الى ايلك خان في شوال سنة ٣٩٣ ه فلقي
بنواحي سمرقند وانهزم ايلك واستولى الغز على معسكره . ثم رأى اسمعيل م
الغز انحرافاً فخافهم وسار عنهم الى آمد الشط وبعث الى مرو وخوارزم وغير
فلم يقبلوه . فعاد وعبر النهر قاصداً بخارا فقاتله واليها من قبل ايلك خان فانهز
اسمعيل وسار الى دبوسية فالتفت عليه عصبة هناك فعاد بهم الى بخارا فانهز

صحاب ايلك خان وقوي أمر اسمعيل واجتمع معه كثير من فتيان سمرقند
عانه الاهالي بالمال والرجال والسلاح فلما بلغ ايلك خان خبره سار اليه في
جيش كثيف ولقيه بنواحي سمرقند سنة ٣٩٤ هـ وانتصر الغز لاسمعيل فانهزم
ك خان وعاد الى بلاد الترك فحشد جيشا آخر ورجع الى اسمعيل وكان قد
رق عنه أصحابه وسار كل منهم الى وطنه وكان هو في قلة من العسكر فلقيهم
ك خان بنواحي اسروشنة فانهزم اسمعيل وفتك الترك باصحابه . وسار
منتصر اسمعيل منهزما حتى عبر النهر وسار الى الجوزجان فنهب اموالها وسار
طلب مرو . فسير يمين الدولة اليه العساكر ففارق مكانه وسار وهم في اثره حتى
بسطام فارسل اليه قابوس عسكراً ازعجه عنها فلما ضاقت عليه المذاهب عاد
ما وراء النهر فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف
رقه كثير منهم الى بعض أصحاب ايلك خان فاعلموهم بمكانه . فلم يشعر المنتصر
وقد احاطت به الخيل من كل جانب فطاقوهم ساعة ثم سار فنزل بحي من
حياء العرب في طاعة يمين الدولة . وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه فلما رأوه
هلوه حتى جن الليل ثم وثبوا عليه فاخذوه وقتلوه وذلك سنة ٣٩٥ هـ
انقرض بموته امر بني سامان والدوام لله وحده

١٤٨ – الدولة الفاطمية العبيدية

بالمغرب ومصر

(تمهيد) أول هذه الدولة عبيد الله المهدي وقد اختلف النسابون في نسبه
اختلافا كبيراً فالذين جعلوا نسبه الى علي بن أبي طالب : قال بعضهم : هو محمد
بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب . والذي ينسبه الى هذا النسب يجعله عبد الله بن ميمون
القداح الذي ينسب اليه القداحية . وقال بعضهم . هو عبيد الله بن أحمد بن
اسمعيل الثاني محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علي بن
أبي طالب . وقال بعضهم : هو عبد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر

الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب والله أعلم

اما الذين لايقرون بصحة نسبه الى علي بن أبي طالب فقد قدحوا في هذه الانساب وأوصل بعضهم نسبه الى اليهودية و بعضهم الى النصرانية ولكن الرأى المعول عليه عند المؤرخين هو صحة نسبه الى علي بن أبي طالب ولا سيما كالتناسب الثالث المذكور قبلا . ولا زال نسل علي بن أبي طالب منذ خرجت عنهم الخلافة وهم يدعون باحقيتها ويتشيع لهم كثير من الناس على ذلك فتتبعهم دولة بني أمية ودولة بني العباس قتلا و تشريداً ومع ذلك لم يهدأوا بل كانوا يزدادون مجاهرة بمطالبهم فاستولى بعضهم على امارات ومقاطعات وأورثها أولاده عدة سنين بين كثيرة وقليلة على ما كان يقتضيه الزمان والمكان وانزوى بعضهم في الصوامع مكتفياً من الدنيا بسلامة حياته من غدر أعداء الطالبين . وكان أبو عبيد الله هذا ممن يروم الظهور و يشيع دعوته سراً فاجتمع بشخص يقال له رستم بن الحسين ابن خوشب بن داذان النجار فكانا يقصدان المشاهد . وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من أهل وجند وكان يتشيع فجاء الى مشهد الحسين بن علي يزوره فرآه والد عبيد الله ورستم يبكي كثيراً . فلما خرج اجتمع به والد عبيد الله وطمع فيه لما رأى من بكائه والقى اليه مذهبه فقبله . فسار معه رستم النجار الى اليمن وأمره بلزوم العبادة والزهد ودعاء الناس الى المهدي وأنه خارج في هذا الزمان باليمن . فسار النجار الى اليمن ونزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى وأخذ في بيع ما معه واتاه بنو موسى وقالوا له . فيم جئت . قال للتجارة . قالوا لست بتاجر وانما أنت رسول المهدي وقد بلغنا خبرك ونحن بنو موسى ولعلك قد سمعت بنا فانبسط ولا تحتشم فنحن اخوانك. فاظهر أمره وقوى عزائمهم وقرب أمر المهدي فأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح وأخبرهم ان هذا أوان ظهور المهدي ومن عندهم يظهر

واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق فساروا اليه فكثر جمعهم وعظم بأسهم فاغاروا على من جاورهم وسبوا وجبوا الاموال فارسلوا الى أبي عبيد الله هدايا كثيرة . وكانوا أنفذوا الى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بابي سفيان وقالوا لهما . ان المغرب أرض بور فاذهبا فاحرثا حتى يأتي

صاحب البذر . فسار فنزل أحدهما ببلدة مرمجنة والآخر ببلد سوق حمار. فمالت قلوب اهل تلك النواحي اليهما وحملوا اليهما الاموال والتحف فاقاما سنين كثيرة وماتا وكان احدهما قريب الوفاة من الآخر . وكان رستم بن حوشب النجار لايزال يبث الدعوة في اليمن فاتصل به شخص يدعى أبا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد ابن زكريا (وهو أبو عبد الله الشيعي المشهور) وكان له علم ومكر ودهاء فلما اتصل خبر موت الحلواني وأبي سفيان بابن حوشب . قال لابي عبد الله الشيعي . اني أرى ليس لهذا الامير غيرك فبادر اليها فانها موطأة لك ممهدة . فخرج أبو عبد الله الى مكة وأعطاه ابن حوشب مالا وأصحبه حاج اليمن . فلقي بالموسم رجالات كتامة ورؤساءهم وفيهم من لقي الحلواني وأبا سفيان وأخذوا عنهما فقصدهم أبو عبد الله في رحالهم وكان منهم موسى بن حريث الجيلي وموسى بن مكاد ومسعود ابن عيسى بن ملال فجلس اليهم وسمعوا منه مذاهبهم ورأوا ماهو عليه من العبادة والزهد فعلق بقلوبهم وصار يتعهدهم في رحالهم فاغتبطوا به واغتبط بهم . ولما أرادوا الرحلة الى بلادهم سألوه الصحبة فوافقهم وسار معهم حتى اذا قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم خبره فرغبوا في نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه منهم ثم رحلوا حتى وصلوا الى أرض كتامة منتصف سنة ٢٨٠ هـ فنزل على موسى بن حريث ببلدة ايكجان وعين له مكان منزله بفج الاخيار : وأن النص عنده من المهدي بذلك وبهجرة المهدي وأن أنصار الاخيار من أهل زمانه وأن اسمهم مشتق من الكتمان . واجتمع اليه الكثير من أهل كتامة ولقي علماءهم واشتمل عليه الكثير من أهوائهم فجاهر بمذهبه وأعلن بامامة أهل البيت ودعى للرضا من آل محمد فاتبعه أكثر كتامه . وكانوا يسمونه عبد الله الشيعي والمشرقي . وبلغ خبره الى ابراهيم ابن أحمد بن الاغلب أمير أفريقيه فبعث اليه بالتهديد والوعيد . فاساء الرد عليه. فخاف رؤساء كتامة عادية ابن الاغلب . وتفرقت كلمة البربر وكتامة بسببه فاراد بعضهم قتله فاختفى ووقع بينهم قتال شديد . واتصل الخبر بانسان اسمه الحسن بن هرون من أكابر كتامة فاخذ أبا عبد الله ودافع عنه ومضيا الى مدينة تازروت فاتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه . فقاتله البربر وكانت بينهم وقائع كثيرة حتى ظفر بهم واستقام له أمر البربر وعامة كتامة . فلما تم

لابي عبد الله ذلك زحف بجموعه الى مدينة ملوسة وأراه بعضهم عورة فيها فدخلها وملكها . و بلغ الخبر ابراهيم بن احمد الاغلبي فارسل اليه العساكر فحاربته وهزمته وأزالته عن ملوسة . ففر أبو عبد الله الشيعي الى ايكجان وامتنع بها حتى توفي ابراهيم بن الاغلبي وقام بالامر بعده أبو مضر زيادة الله فطمع أبو عبد الله الشيعي في البلاد وارسل سراياه الى كثير من الجهات

وفي هذه الاثناء توفي والد عبيد الله المهدي وقام بامر الدعوة بعده ابنه عبيد الله المهدي واتصل خبره بسائر دعاته بافريقية واليمن فبعث اليه أبو عبد الله الشيعي رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم وانهم في انتظاره . وشاع خبره واتصل بالعباسيين فطلبه المكتفي بالله ففر من ارض الشام الى العراق ثم لحق بمصر ومعه ابنه أبو القاسم غلاماً وخاصته ومواليه . ومن مصر عزم على اللحاق بابي عبد الله الشيعي بالمغرب فارتحل من مصر الى الاسكندرية في ذي التجار ثم جد في المسير حتى اذا انتهى الى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة بعث معهم أبا العباس أخا أبي عبد الله الشيعي الى أخيه بكتامة ومر بالقيروان وقد سبق خبرهم الى زيادة الله وهو يسأل عنهم . فقبض على أبي العباس وسأله فانكر فحبسه . وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته وسار الى قسنطينة ثم عدل عنها خشية على أبي العباس أخي الشيعي المعتقل بالقيروان . فذهب الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فاكرمه ثم جاء كتاب زيادة الله فحبسه اليسع ولم يزل محبوساً الى أن أخرجه أبو عبد الله الشيعي على ما سنذكره ان شاء الله

وكان أبو عبد الله الشيعي قد قوي أمره كما ذكرنا فسار بجموعه في هذه الاثناء واغار على مدينة سطيف وحاصرها وافتتحها فلما بلغ زيادة الله الاغلبي هذا الخبر ارسل اليه جيشاً مؤلفا من اربعين الف رجل بقيادة ابراهيم بن حشيش (ولم يكن يعلم فنون الحرب الا أنه كان من اقارب زيادة الله) فساروا حتى وصلوا مدينة قسنطينة وهناك اتحد معهم كثير من كتامة والبربر الذين لم يدخلوا تحت طاعة الشيعي فاقاموا بهذه المدينة حتى تقدم اليهم الشيعي بجنوده فالتقوا عند بلدة بلزمة وبعد قتال شديد انهزم ابراهيم بن حشيش وسار الى باغاية ثم لحق بالقيروان . وغنم أبو عبد الله الشيعي ما في معسكره وكان شيئاً كثيراً ولم تكن

هـذه الغنائم التي غنمها من ابراهـيم بن حشيش مع كثرتها بشيء في جنب ما اكتسبه عقيب هـذه الواقعة من الصيت الكبير والاسم العظيم والهيبـة في قلوب الافريقيين حتى يمكننا أن نقول أن انتصاره في هـذه الواقعـة مهد له الاستيلاء على افريقيـة كلها . وكتب عقب هـذه الواقعة الى عبيد الله المهدي وهو معتقل بسجلماسـة كما ذكرنا يبشره بالظفر والفتح وعهد بتوصيل الخـبر الى المهدي بعض ثقاته فاحتال في توصيله اليه فاستبشر بقرب الفرج ثم سار أبو عبد الله الشيعي الى مدينة طنبة وحاصرها ونصب عليها الدبابات فهدم سورها وافتتحها عنوة فطلب أهلها الامان فامنهم . ثم زحف الى بلزمة فملكها عنوة . وبلغ الخـبر زيادة الله فجهز كل ماقدر على تجنيده وسير الجيش بقيادة هرون الطبني عامل باغاية فانتهوا الى مدينـة ازمول (وكانت في طاعة عبـد الله الشيعي) فهدمها هرون وقتل أهلها . فارسـل اليه الشيعي جيشا بقيادة عروبة ابن يوسف فحارب هرون وهزمه وقتله . ثم فتح أبو عبد الله مدينة يتجبت على يد يوسف الغساني . فاشتد الامر حينئذ على زيادة الله فجند جيشا عظيما وعزم على أن يقوده بنفسه لمقاتلة الشيعي فوصل الى الاربس سنة ٢٩٥ هـ وهناك قال له وجوه دولتـه . انك تغرر بنفسك فان يكن عليك فلا نجد لنا ملجاء والرأي أن ترجع الى مستقر ملكك وترسـل الجيش بقيادة من تعتمد عليـه فان كان الفتح لنا فنصل اليك وان كان غير ذلك فتكون ملجا لنا . ففعل ذلك وأرسل الجيش بقيادة ابن عمه ابراهيم بن أبي الاغلب وكان شجاعا . وبلغ أبا عبد الله الخبر فزحف الى باغاية فهرب عاملها الى الاربس فملكها أبو عبـدالله ثم أرسل سرية من جيشه الى قرطاجنة فاغارت عليها وافتتحتها عنوة وقتلت عاملها . فبعث الشيعي سراياه في افريقيـة فرددوا فيها الغارات على قبائل البربر ثم اسـتأمن اليه اهل تيفاش فامنهم . ثم سار الشيعي بعساكره الى سكتانة ثم الى تبسة ثم الى القصرين من قمودة فافتتحها كلها وسار يريد رقادة وبها زيادة الله فخشى ابراهيم من أبي الاغلب عليـه لقلة من معه فنهض الى الشيعي واعترضـه في عساكره واقتتلوا ثم تحاجزوا ورجع الشيعي الى ايكجان وابراهـيم الى الاربس ثم سار الشيعي في عساكره ثانيـة الى قسـنطينة فحاصرها وافتتحها على الامان ثم الى قفصة كذلك ثم رجع الى باغاية فانزل بها عسكراً مع أبي مكدولة الجيلي ثم رجع

الى ايكجان . فاراد ابراهيم بن أبي الاغلب أن يغتنم الفرصة فسار في جيشه الى باغاية وحصرها . فبلغ الخبر أباعبد الله فجمع عسكره وسار مجـداً اليها ووجه اثنى عشر الف فارس وأمر مقدمهم أن يسير الى باغاية فان وجد ان ابراهيم ابن أبي الاغلب قد رحل عنها فلا يتجاوز فج العرعار . فمضى الجيش طبقا لاوامره وكان اصحاب أبي عبد الله الشيعي في باغاية قد قاتلوا عسكر ابراهيم قتالا شديداً فلما رأى صبرهم عجب هو وأصحابه منهم فارعب ذلك قلوبهم ثم بلغهم قرب العسكر منهم فعاد ابراهيم بعساكره الى الاربس فوصل عسكر أبي عبدالله فلم يروا أحداً . وفي أول جمادى الاخرى سنة ٢٩٦ هـ سار أبو عبدالله الشيعي بجنوده الى الاربس (وبها جند زيادة الله بقيادة ابراهيم ابن أبي الاغلب) فاقتتلوا طويلا واخيراً وقعت الهزيمة على جند ابراهيم بن أبي الاغلب ففر هو الى القيروان واستباح أبو عبد الله الشيعي معسكره وسطت جنوده على الاربس فاستباحتها . واتصل الخبر بزيادة الله وهو برقادة ففر الى الشرق ونهبت قصوره وافترق أهل رقادة الى القيروان وسوسة . ثم وصل ابراهيم بن أبي الاغلب الى القيروان فدخل قصر الامارة واجتمع اليه أهل القيروان ونادى مناديه بالامان وتسكين الناس وذكر لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه حتى أفسد ملكه وصغر امر أبي عبد الله الشيعي ووعدهم أن يقاتل عنهم ويحمي حريمهم وبلدهم . وطلب منهم أموالا ليجهز بها جيشا ليقاتل الشيعي فلم يقبلوا كلامه ولا رضوا مبايعته ولا أعطاه أحـد شيئا من المال وصاحوا به وكادوا يرجمونه لكي يخرج عنهم ففر ولحق بصاحبه . وبلغ أبا عبدالله الشيعي خبر فرارهم وهو بمدينة سبيبة فقدم الى رقادة ومعه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فالتقاهم أهـل رقادة والقيروان باحتفال شائق فأمنهم وأكرمهم وكان دخوله رقادة في رجب سنة ٢٩٦ هـ فنزل قصرها وأطلق أخاه أبا العباس وكان معتقلا بها كما ذكرنا . ولما حضرت الجمعة استأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين أحداً ونقش على نقوده من أحد الوجهين «بلغت حجة الله» وعلى الوجه الآخر «تفرق اعداء الله». ونقش على سلاحه «عدة في سبيل الله» وفي رسم الخيل «الملك لله». وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن والقليل من الطعام الغليظ . ولما استقرت الامور لابي عبد الله في رقادة وسائر بلاد أفريقية سار في رمضان سنة

٢٩٦ هـ بعد أن استخلف على أفريقية أخاه أبا العباس فاهتزت لمسيره أفريقية وخافته قبائل زناتة وهربت من طريقه لانه لم يكن أحد يعلم وجهته . أما هو فكان قاصداً سجلماسة لاخراج عبيد الله المهدي منها فلما قرب سجلماسة ارسل اليه اليسع بن مدرار خصيا يتطلف اليه فقتل الرسل . فخرج اليسع للقائه فلما تراءى الجمان هرب عسكر اليسع خوفا وجبناً وهرب هو وأصحابه وفي الغد خرج أهل المدينة الى أبي عبد الله الشيعي وجاءوا معه الى مجلس المهدي وابنه فاخرجهما وبايع للمهدي ومشي مع رؤساء القبائل بين ايديهما وهو يبكي من الفرح ويقول . هذا مولاكم . حتى أنزله بالمخيم . وبعث في طلب اليسع فادرك وجيء به فقتل . واقاموا بسجلماسة اربعين يوما ثم ارتحلوا الى افريقية ومروا بايكجان فسلم الشيعي ما كان بها من الاموال للمهدي ثم نزلوا رقادة في ربيع سنة ٢٩٧هـ وحضر أهل القيروان وبويع للمهدي البيعة العامة ومن هذه السنة تبتديء الدولة الفاطمية أو بالحري العبيدية

١٤٩ – عبيد الله المهدي

من سنة ٢٩٧ – ٣٢٢ هـ أو من سنة ٩٠٩ – ٩٣٣ م

هكذا كانت بداية الدولة الفاطمية وهكذا استقر الامر لعبيد الله المهدي كما تقدم التفصيل فلما استتب أمره بث دعاته في الناس فاجابوه طائعين . ثم دون الدواوين وجبي الاموال وبعث العمال على البلاد . فبعث على طرابلس ماكنون ابن ضبارة الالجاني وعلى جزيرة صقلية (سيسيليا) الحسن بن أحمد ابن أبي خنزير فسار اليها ودخلها فاساء السيرة فهاج أهلها عليه وكتبوا للمهدي فقبل عذرهم وولى مكانه علي بن عمر البلوي فوصلها ختام سنة ٢٩٩ هـ

(مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه) ومن غرائب الاتفاق انه كما قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني الذي وطد دعائم الدولة العباسية قتل المهدي أبا عبد الله الشيعي الذى كان سبباً في خلافته واليك البيان : لما استقامت البلاد للمهدي ودانت له العباد وباشر الامور بنفسه كف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس فداخل أبا العباس الحسد وعظم عليه الفطام عن الامر والنهي

والاخذ والعطاء فاقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ولا يرضى فعله فلا يزيده ذلك الا لجاجا . ثم انه أظهر أبا عبد الله على ما في نفسه وقال . ملكت أمراً فجئت بمن أزالك عنه وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقك . ولم يزل حتى أثر في قلب أخيه . فقال يوما للمهدي . لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامة آمرهم وأنهاهم لاني عارف بعاداتهم لكان أهيب لك في أعين الناس . وكان المهدي سمع شيئا مما يجرى بين أبي عبد الله وأخيه فتحقق ذلك غير انه ردّه رداً لطيفا . فصار أبو العباس يشير الى المقدمين بشيء من ذلك فمن رأى منه قبولا كشف له ما في نفسه وقال ما جزاكم على ما فعلتم . وذكر لهم الاموال التي أخذها المهدي من ايكجان وقال . هل قسمها فيكم . وكان المهدي غير غافل عما يفعله أبو العباس ولكنه تغافل حتى يرى ما يتم . ثم صار أبو العباس يقول . ان هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته وندعوا اليه لان المهدي يختم بالحجة ويأتي بالايات الباهرة . فاخذ قوله بقلوب كثير من الناس . واستغز ذلك شيخ المشايخ بكتامة فواجه المهدي بذلك وقال . ان كنت المهدي فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك فقتله المهدي . نخافه أبو عبد الله وعلم ان المهدي قد تغير عليه فاتفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي . وعزموا على قتل المهدي . واجتمع معهم قبائل كتامة الا قليلا منهم . وكان للمهدي عين من خواصهم فكان ينقل اليه كلما يقر عليهم قرارهم . وكثيراً ما عزموا على قتل المهدي ودخلوا اليه لهذا القصد ولم يفعلوا لما كان ينالهم من هيبته . فلما تحقق المهدي سوء قصدهم به تلطف في أمرهم وولى من داخلهم من قوم كتامة على البلاد فبعث أبا زاكي واليا على طرابلس . وبعث الى عاملها ماكنون بقتله فقتله عند وصوله. ثم اتهم المهدي ابن القريم بمداخلتهم وكان من أصحاب زيادة الله فامر بقتله واستصفاء أمواله . ثم استدعى عروبة بن يوسف وأخاه حباسة وأمرهما بقتل الشيعي وأخيه فوقفا لهما عند القصر وحمل عروبة على أبي عبد الله فقال له لا تفعل . فقال الذي أمرتنا بطاعته أمرني بقتلك ثم أجهز عليهما في نصف جمادى سنة ٢٩٨ هـ وثارت فتنة بسبب قتلهما من أصحابهما فركب المهدي وسكنها . ثم سارت فتنة اخرى بين كتامة وأهل القيروان وفشى القتل فيهم فركب المهدي وسكنها . وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة وقتل جماعة

من بني الاغلب برقادة لما رجعوا اليها بعد زيادة الله

ولما استقام أمر المهدي بعد الشيعي جعل ولاية عهده لابنه أبي القاسم نزار وولى على برقة وما اليها حباسة بن يوسف وعلى المغرب أخاه عروبة وأنزله باغاية فسار الى تاهرت فافتتحها وولى عليها دواس بن صولات اللهيص . ثم انتقضت عليه كتامة بقتله أبا عبد الله الشيعي ونصبوا طفلا لقبوه المهدي وزعموا انه نبي وأن أبا عبد الله لم يمت . فجهز ابنه أبا القاسم لحربهم فقاتلهم وهزمهم وقتل الطفل الذى نصبوه واثخن فيهم ورجع . وفي سنة ٣٠٠ ﻫ انتقض اهل طرابلس واخرجوا عاملهم ماكنون فبعث اليهم المهدي ابنه أبا القاسم فحاصرها طويلا ثم فتحها ومثل باهلها وأغرمهم ثلثماية الف دينار

وفي سنة ٣٠١ ﻫ جهز المهدي العساكر من أفريقية وسيرها مع ابنه أبي القاسم الى الديار المصرية فساروا الى برقة واستولوا عليها في ذي الحجة وساروا الى مصر فملك الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد وضيق على أهلها . فسير المقتدر بالله العباسي مؤنسا الخادم في جيش كثيف فحاربهم واجلاهم عن مصر فعادوا الى المغرب وفي سنة ٣٠٢ ﻫ أرسل المهدي اسطولا بقيادة حباسة ابن يوسف الى الديار المصرية فملك الاسكندرية ثم سار منها الى مصر فنزل بين مصر والاسكندرية . فبلغ ذلك المقتدر فارسل اليهم مؤنسا الخادم في جيوشه فاجلاهم عن مصر مرة أخرى . فلما عادوا الى المغرب قتل المهدي حباسة فهاج لذلك أخوه عروبة وانتقض بالمغرب واجتمع حوله خلق كثير من كتامة والبربر فارسل اليهم المهدي جيشا بقيادة مولاه غالب فهزمهم وقتل عروبة وبني عمه في أمم لاتحصى

وفي سنة ٣٠٣ ﻫ اختط المهدي مدينة المهدية وبناها وجعلها مقر ملكه ونقل اليها أمواله وتمت سنة ٣٠٦ ﻫ . وفي سنة ٣٠٤ ﻫ انتقض أهل صقلية وقبضوا على عاملهم علي بن عمر وولوا عليهم أحمد بن قهرب فدعى للمقتدر العباسي وخلع طاعة المهدي فارسل اليه أسطولا بقيادة الحسن بن أبي خنزير فلقيه اسطول ابن قهرب وانتصر عليه وقتل ابن أبي خنزير . ثم راجع أهل صقلية امرهم وكاتبوا المهدي وثاروا بابن قهرب فخلعوه وبعثوا به الى المهدي فقتله على قبر ابن أبي خنزير وولى على صقلية علي بن موسى بن أحمد

وفي سنة ٣٠٧ هـ جهز المهدي ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر مرة ثانية فملك الاسكندرية ثم سار الى الجيزة فملكها وكذلك من الاشمونين وكثيراً من الصعيد وكتب الى أهل مكة يطلب الطاعة فلم يجيبوا اليها . ولما بلغ المقتدر هذا الخبر ارسل جيشا بقيادة مؤنس الخادم فكانت بينه و بين أبي القاسم عدة وقائع ظهر فيها مؤنس وأصاب عسكر أبي القاسم الجهد من الغلاء والوباء فرجع الى افريقية . وكانت أساطيل المهدي قد وصلت الى الاسكندرية بقيادة سليمان الخادم و يعقوب الكتامي مدداً لابي القاسم . فارسل اليهم المقتدر اسطولا من طرسوس فالتقوا عند رشيد فظفرت مراكب طرطوس واحرقوا وأسروا سليمان و يعقوب فمات سليمان في حبس مصر وهرب يعقوب من حبس بغداد الى افريقية وفي سنة ٣٠٨ هـ اغزى المهدي مصالة بن حبوس في جيوش مكناسة الى المغرب وأوقع بملك فاس من الادارسة وهو يحيى بن ادريس بن عمرو واستنزله عن سلطانه الى طاعة المهدي فاعطى بها صفقته وعقد لموسى بن أبي العافية المكناسي من قواده على أعمال المغرب ورجع . وفي سنة ٣٠٩ هـ عاود مصالة بن حبوس غزو المغرب فدوخه ومهد جوانبه وأغراه موسى بن أبي العافية بيحيي بن ادريس صاحب فاس فقبض عليه وضم أعمال فاس الى موسى ومحا الدعوة الادريسية من المغرب . ثم قصد مصالة مدينة سجلماسة وقتل أميرها المنحرف عن دعوة العبيديين وعقد عليها لابن عمه . ثم حارب جموع زناتة وكانت بينهم عدة وقائع قتل مصالة في احداها فاضطرب المغرب فبعث المهدي ابنه أبا القاسم في سنة ٣١٥ هـ غازيا الى المغرب في عساكر كتامة واولياء الشيعة ففتح بلد مزاتة ومطاطة وهوارة وسائر الاباضية والصفرية ونواحي تاهرت قاعدة المغرب الاوسط . ونازل صاحب جراوة من آل ادريس وهو الحسن بن أبي العيش وضيق عليه . و بعد أن دوخ أقطار الغرب ولم يلق كيداً رجع ومر بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوارة وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم الى فج القيروان . و بعد نقلهم أمر ببناء المسيلة في بلدهم وسماها المحمدية . ورفع علي بن حمدون الاندلسي من صنائع دولتهم الى بنائها وعقد له عليها وعلى الزاب بعد اختطاطها فبناها وحصنها

ثم انتقض موسى بن أبي العافية عامل فاس والمغرب وخلع طاعة الشيعة

وانحرف الى الاموية بالاندلس وبث دعوتهم في اقطار المغرب فنهض اليه أحمد ابن بصلين المكناسي قائد المهدي وسار في العساكر فلقيه ميسور وهزمه واوقع به وبقومه بمكناسة وازعجه عن المغرب الى الصحاري واطراف البلاد ودوخ المغرب ورجع ظافراً. وفي سنة ٣٢٢ ﻫ في شهر ربيع الاول منها توفي المهدي عبيد الله بالمهدية وكان عمره ثلاثا وستين سنة ومدة حكمه اربعاً وعشرين سنة

١٥٠ - القائم بامر الله بن المهدي

من سنة ٣٢٢ — ٣٣٤ ﻫ أو من سنة ٩٣٣ — ٩٤٥ م

لما توفي عبيد الله المهدي قام بالامر بعده ابنه أبو القاسم نزار ولقب القائم بامر الله فاخفى موت والده سنة خوفا من أن ينتقض عليه القوم. وكثر عليه الثوار. فثار بجهة طرابلس ابن طالوت القرشي وزعم انه ابن المهدي وحاصر طرابلس. ثم ظهر للبربر كذبه فقتلوه. وما زال القائم بامر الله ملكا سعيداً وخليفة مطاعا يغزو البلاد ويدوخها حتى كانت سنة ٣٣٣ ﻫ التي ظهر فيها أبو يزيد الخارجي فاقلق راحته وعجل منيته كما نذكره مفصلا الآن ان شاء الله

كان أبو يزيد مخلد بن كنداد من أهل قسطيلة من مدائن بلد توزر وكان يختلف الى بلاد السودان بالتجارة مع والده كنداد ونشا بتوزر وتعلم القرآن وخالط الفكارية من الخوارج (وهم الصفرية) فمال الى مذهبهم وأخذ به ثم سافر الى تاهرت وأقام بها يعلم الصبيان. ولما سار الشيعي الى سجلماسة في طلب المهدي انتقل هو الى تقيوس واقام يعلم فيها. وكان يذهب الى تكفير أهل ملته واستباحة الاموال والدماء

وفي سنة ٣١٦ ﻫ صار يعظ الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فكثر اتباعه ولما مات المهدي خرج بناحية جبل أوراس وركب الحمار (ولذا دعي بصاحب الحمار ويقال ان المهدي نوه به) وتلقب بشيخ المؤمنين ودعا للناصر صاحب الاندلس من بني أمية. فاتبعه أمم من البربر. وزحف اليه عامل باغاية فلقيه في جموع البربر وهزمه وزحف الى باغاية فحاصرها ثم انهزم عنها.

وكتب الى بني واسي من قبائل زناتة بضواحي قسنطينة يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ٣٣٣ هـ ثم فتح تبسة صلحاً ومجانة كذلك . وكان عسكر الكتاميين على الاربس فانفضوا وملكها ابو يزيد ونهبها وقتل في الجامع من لجأ اليه . وبعث عسكراً الى سبيبة ففتحها وقتل عاملها وبلغ الخبر الى القائم بامر الله فجهز العساكر وبعثها الى رقادة والقيروان . وبعث خادمه ميسوراً الخصي لحربه . وسير جيشاً آخر بقيادة خادمه بشرى الى باجة فنهض اليه أبو يزيد وهزمه الى تونس . ودخل أبو يزيد باجة ونهبها وأحرقها وقتل أهلها حتى الاطفال والنساء والضعفاء . ثم أرسل اليه بشرى جيشا من تونس وبعث أبو يزيد للقائهم جيشا آخر فانهزم أصحاب أبي يزيد وظفر أصحاب بشرى ثم ثار أهل تونس ببشرى فهرب منهم . فاستامنوا لابي يزيد فامنهم . ثم سار أبو يزيد قاصداً القيروان . فبعث اليهم القائم بامر الله خديمه بشرى للقائه وأمره ان يبعث من يتجسس عن أخباره . فبعث طائفة . وفي الوقت نفسه كان ابو يزيد قد بعث طائفة من قبله لهذا الغرض فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر أبي يزيد وجيء باسراهم الى المهدية فقتلوا بها . فلما بلغ ابا يزيد خبر هذه الهزيمة اغتاظ جداً وجمع الجموع وسار لقتال الكتاميين فوصل الى الجزيرة وتلاقت الطلائع وجرى بينهم قتال . فانهزمت طلائع الكتاميين فاتبعهم وتبعهم البربر الى رقادة وعاملها يومئذ خليل بن اسحق كان خاملا ولم يحفل بابي يزيد ولم يبال به مع ان الناس تواردت عليه للخروج معه لقتال أبي يزيد الا انه لجبنه وعدم درايته بالامور كان يصرفهم محتجا بعدم وصول ميسور . فشدد عليه أبو يزيد الحصار وضايقه جداً فلما رأى أهل رقادة شدة ماهم فيه حضوا خليلا للخروج لابعاد أبي يزيد عن المدينة فخرج في بعض العساكر فهزمه أبو يزيد فهرب الى القيروان . ودخل أبو يزيد رقادة وعاث في نواحيها وبعث أيوب الزويلي في عسكر الى القيروان فملكها في صفر سنة ٣٣٣ هـ ونهبها وأمن خليلا فقتله أبو يزيد وخرج الى شيوخ أهل القيروان فأمنهم ورفع النهب عنهم . وزحف ميسور الى أبي يزيد وكان معه بنو كملان . فكاتبوا ابا يزيد وداخلوه في الغدر بميسور . فاتصل خبر مكاتبة بني كملان لابي يزيد بالقائم بامر الله فكتب الى ميسور يعرفه ويحذره ويأمره بطردهم . فرجعوا الى أبي يزيد وقالوا له ان عجلت ظفرت به .

فسار من يومه فالتقوا واشتد القتال بينهم فانهزمت ميسرة أبي يزيد . فخاف ابو يزيد تمام الهزيمة عليه فحمل على ميسور حملة صادقة فانهزم اصحاب ميسور . وكبا جواد ميسور به فهجم عليه بنو كملان وقتلوه وأرسلوا رأسه الى أبي يزيد فاطافه بالقيروان وبعث بالبشرى الى البلاد . فلما علم القائم بأمر الله بهزيمة ميسور وقتله استعد للحصار وأمر بحفر الخنادق . واقام ابو يزيد سبعين يوما في مخيم ميسور وبث السرايا في كل ناحية يغنمون ويعودون وارسل سرية الى مدينة سوسة ففتحوها عنوة واستباحوها . وخرب عمران افريقية من سائر النواحي ومضى جميع من بقي للقيروان حفاة عراة ومن تخلص من السبي مات جوعا وعطشا . و بعث القائم بامر الله الى زيري بن مناد صاحب صنهاجة والى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية وقتال أبي يزيد فتاهبوا بالمسير الى القائم . ولما سمع أبو يزيد بتاهب صنهاجة وكتامة وغيرهم لنصرة القائم خاف ورحل من ساعته نحو المهدية فنزل على خمسة عشر ميلا منها و بث سراياه الى ناحية المهدية فانتهبت ما وجدت وقتلت من اصابت . فاجتمع الناس بالمهدية واتفقت كتامة واصحاب القائم على ان يخرجوا لابي يزيد ليضربوا عليه في معسكره لما علموا بتفرق عسكره للنهب والسلب فخرجوا يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ٣٣٣ هـ وعلم أبو يزيد بخروجهم اليه وجاءه ابنه الفضل بالمدد من القيروان فبعثه للقاء كتامة وركب في اثرهم ولقي اصحابه منهزمين . ولما رآه الكتاميون انهزموا بغير قتال واتبعهم أبو يزيد الى باب المهدية ورجع . ثم جاء بعد ايام لقتالهم فوقف على الخندق المحدث وعليه جماعة من العبيد فقاتلهم ساعة وهزمهم وجاوز السور الى البحر ووصل المصلى على رمية سهم من البلد والبربر يقاتلون من الجانب الآخر ثم حمل الكتاميون عليهم فهزموهم . و بلغ ذلك أبا يزيد وعلم بوصول زيري بن مناد فعزم أن يمر بباب المهدية ويأتي زيري وكتامة من ورائهم . فقاتله أهل الارباض ومالوا عليه ليقتلوه لما عرفوه وتخلص بعد الجهد ووصل منزله فوجدهم يقاتلون العبيد كما تركهم فقوي أصحابه وانهزم العبيد ثم رحل وتأخر قليلا وحفر على معسكره خندقا واجتمع عليه خلق كثير من البربر ونفوسة والزاب واقاصي المغرب وضيق

على أهل المهدية ثم زحف عليها آخر جمادي فقاتلها وتورط في قتالها يومه ذلك ثم خلص وكتب الى عامل القيروان أن يبعث اليه مقاتلتها فجاؤا وزحف آخر رجب فانهزم وقتل من اصحابه . ثم زحف أيضا آخر شوال ولم يظفر ورجع الى معسكره واشتد الحصار على أهل المهدية حتى أكلوا الميتة والدواب وافترق اهلها في النواحي ولم يبق بها الا الجند . ولما اشتد القحط بالمهدية فتح القائم بامر الله مخازنه وفرق ما فيها من الغلال . ولما لم يجد ابو يزيد فائدة من الهجوم على المهدية وكانت عساكره قد سئمت القتال وفارقه اغلبها . سار عن المهدية قاصداً القيروان عازما على أن يجمع بها العساكر ويعيد الكرة مرة ثانية . فجمع ما قدر على جمعه وسار في جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ ﻫ الى سوسة وبها جيش عظيم للقائم فحاصرها وشد عليها الحصار

وبينما كان يحاصرها توفى القائم بامر الله بن المهدي

١٥١ – المنصور بن القائم بامر الله

من سنة ٣٣٤ — ٣٤١ ﻫ أو من سنة ٩٤٥ — ٩٥٢ م

لما توفى القائم بامر الله أبو القاسم نزار بن عبيد الله المهدي قام بالامر بعده ابنه اسمعيل وتلقب المنصور . وكتم موت ابيه حذراً أن يطلع عليه أبو يزيد وهو بمكانه من حصار سوسة فلم يسم بالخليفة ولا غير السكة والخطبة ولا البنود الى أن يفرغ من امر أبي يزيد كما يذكر

واول عمل عمله المنصور انه ارسل الاساطيل من المهدية الى سوسة مشحونة بالمدد من المقاتلة والامتعة والميرة مع رشيق الكاتب ويعقوب بن اسحق . فلما وصلوا الى سوسة خرجوا لقتال أبي يزيد فهجموا عليه واتحدت حامية سوسة معهم في الهجوم فانهزم أبو يزيد واستبيح معسكره نهبا واحراقا . فهرب أبو يزيد الى القيروان فمنعه أهلها من الدخول وثاروا بعامله فخرج اليه . ورحل الى سبيبة في آخر شوال سنة ٣٣٤ ﻫ وجاء المنصور الى القيروان وأمن أهلها وابقى على حرم ابي يزيد واولاده واجرى عليهم الرزق . وخرجت سرية من عسكر المنصور لاستكشاف خبر أبي يزيد فالتقت بسرية من اصحاب أبي

يزيد فحصلت بين الفريقين مناوشة انهزم فيها عسكر المنصور . فقوي قلب أبي يزيد واجتمع اليه كثيرون من الذين فارقوه فسار بهم قاصداً القيروان . فخندق المنصور حول معسكره . وكثرت الوقائع بين الفريقين والنصر متبادل فلما رأى أبو يزيد امتناعهم عليه ارسل للمنصور يطلب منه حرمه واولاده على أن يسير عن القيروان فارسلهم له فلما وصلوا اليه نكث وقاتل ايضا . فقاتله المنصور واصحابه بقلوب من حديد فانهزم أبو يزيد ومضى لوجهه ومر بباغاية فمنعه اهلها من الدخول فحاصرها ودخل المنصور لاتباعه بعد أن استخلف على المهدية مذاما الصقلي فادرك أبا يزيد وهو محاصر مدينة باغاية وقد كاد يفتحها . فلما قرب منه هرب ابو يزيد . وجعل كلما قصد موضعا يتحصن فيه سبقه اليه المنصور حتى وصل طنبة فوصلت رسل محمد بن خزر الزناتي من اصحاب أبي يزيد الى المنصور بطنبة يطلب الامان فامنه المنصور وأمره ان يرصد ابا يزيد . ففر الى بلاد السودان ثم جمع جمعا وعاد بهم يعيث في البلاد بالفساد وما زال هذا حاله يقاتل فيهزم ويفر ثم يرجع الى ان كانت سنة ٣٣٦ ﻫ وفيها قتل ابا يزيد أحد أصحابه وأحضر رأسه للمنصور . فشكر المنصور الله على هذه المنة . ورجع الى القيروان فدخلها في شهر رمضان سنة ٣٣٦ ﻫ . وفي سنة ٣٣٦ ﻫ انتقض حميد بن بضلبتين عامل المغرب وانحرف عن طاعة الشيعة ودعى للاموية بالاندلس وزحف الى تاهرت فحاصرها . فنهض اليه المنصور وجاء الى سوق حمزة فاقام به وحشد زيري ابن مناد جموع صنهاجة من كل ناحية ورحل مع المنصور فاخرج حميد عن تاهرت وعقد عليها ليعلي بن محمد اليفرني وعقد لزيري بن مناد على قومه وعلى سائر بلادهم . ثم رحل لقتال لواتة فهربوا الى الصحراء فرجع المنصور الى القيروان بعد أن خلع على زيري بن مناد وعماله ودخل المنصورية في جمادى سنة ٣٣٦ ﻫ . ثم بلغه ان فضل بن أبي يزيد جاء الى جبل أوراس وداخل البربر في الثورة . فخرج اليه المنصور فهرب فضل الى الصحراء ورجع المنصور الى القيروان ثم الى المهدية . ورجع فضل بن أبي يزيد بعد ان كثرت جموعه فحاصر مدينة باغاية فغدر به أحد أصحابه و بعث برأسه الى المنصور

وفي سنة ٣٣٩ ﻫ عزل المنصور خليل بن اسحق عن صقلية وولاها للحسين

ابن علي بن أبي الحسين الكلبي فكان له فيها ولبنيه ملك سنذكره ان شاء الله تعالى

وفي سنة ٣٤١ هـ توفي المنصور اسمعيل بن القائم بامر الله نزار ابن عبيد الله المهدي سلخ شوال وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما. وكان خطيبا بليغا يخترع الخطبة لوقتـه. وأحواله مع أبي يزيد الخارجي وغيره تدل على شجاعته وتعقله.

١٥٣ – المعز لدين الله بن المنصور

من سنة ٣٤١ — ٣٦٥ هـ أو من سنة ٩٥٢ — ٩٧٥ م

لما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه معد وتلقب المعز لدين الله فاستقام أمره. وفي سنة ٣٤٢ هـ خرج الى جبال أوراس (جبل في افريقية كان يلتجيء اليه كل نازع أو خارج) وجالت فيه عساكره واستامن اليه بنو كملان ومليلة من هوارة ودخلوا في طاعته فامنهم وأحسن اليهم. واتسعت مملكة المعز من ايفكان خلف تاهرت بثلاث مراحل الى زناتة دون مصر. وكان عماله على الايالات يعلي بن محمد اليفرني على تاهرت وايفكان. وزيري بن مناد الصنهاجي على أشير وأعمالها. وجعفر بن علي الاندلسي على المسيلة واعمالها وقيصر الصقلي على باغاية وأعمالها وأحمد بن بكر بن أبي سهل على فاس ومحمد ابن واسول المكناسي على سجلماسة. واستوزر أبا الحسن جوهراً الصقلي فعظم أمره وعلا محله. وفي سنة ٣٤٧ هـ بلغ المعز ان يعلي بن محمد اليفرني داخل الاموية بالاندلس وان أهل المغرب الاقصى نقضوا طاعته. فارسل المعز وزيره جوهراً الصقلي في جيش كثيف ومعه جعفر بن علي عامل المسيلة وزيري بن مناد عامل أشير وغيرهما وتلقاهم يعلي بن محمد الزناتي (غير اليفرني) عامل المغرب الاوسط. فلما سار جوهر عنه وقعت فتنة في المغرب الاوسط واتهم فيها يعلي ابن محمد الزناتي فقبض عليه وناشته سيوف كتامة لحينه وخرب ايفكان وأسر ابنه يدو بن يعلي. وتمادوا الى فاس ثم تجاوزوها الى سجلماسة فاخذها وتقبض على الشاكر لله محمد بن الفتح الذي تلقب بامير المؤمنين من بني واسول وولى

ابن المعتز من بني عمه مكانه ودوخ المغرب حتى شواطىء المحيط ثم رجع الى فاس وحاصرها وواليها يومئذ أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي وقاتلها مدة وامتنعت عليه فقام زيري بن مناد واختار بعضا من شجعانه وأمر أن ياخذوا السلالم وقصدوا البلد فصعدوا الى السور الادنى وقتلوا من عليه وفتحوا الابواب وأهل فاس غافلون فركب جوهر في العساكر ودخل فاساً واختفى عاملها وأخذ بعد يومين وجمل مع عامل سجلماسة فوضعهما في قفصين وحملهما الى المعز بالمهدية . وضم تاهرت الى زيري بن مناد

وفي سنة ٣٨٥ هـ سير المعز لدين الله القائد جوهراً في جيش كثيف الى مصر لفتحها . والسبب في ذلك ان المعز مافتىء مذ جلوسه على دست الخلافة يمد سطوته في القطر المصري وقد حاول افتتاحه غير مرة ولم يفز حتى اذا كان الخلاف بين أبي الحسن علي الاخشيد وكافور اغتنم الفرصة وسير جنوده الى الديار المصرية ووافق ما في نفس المعز وقوع الغلاء والقحط بارض مصر غلاء فاحشا . فلما علم المعز بكل ذلك وهو بافريقية سير جوهراً اليها . فلما اتصل خبر مسيره الى العساكر الاخشيدية بمصر هربوا عنها جميعهم قبل وصوله . فوصلها جوهر سابع عشر شعبان من سنة ٣٥٨ هـ واقام الدعوة للمعز بمصر في الجامع العتيق في شوال وازال الشعار الاسود العباسي والبس الخطباء الثياب البيضاء . فبايعه الناس و بعد يسير أصبحت جميع الديار المصرية خاضعة للدولة الفاطمية بدون أقل مقاومة فخرر جوهر لمولاه بما أتاه الله من الفتح . وفي جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ سار جوهر الى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن بحي على خير العمل . وكان أول أذان لهم أذن به في مصر وازداد شغف جوهر بمصر حتى أرادها لمولاه مقراً فعزم على بناء مدينة فيها يجعلها مقراً لكرسي الخلافة الفاطمية (العبيدية) وعزم على جعلها في المكان حيث أناخ جماله يوم جاء لفتح الفسطاط فاختط بتلك البقعة مدينة القاهرة وجهز أدوات البناء فلما كمل استعداده أحضر الفلكيين وأمرهم بان يلاحظوا بناء المدينة حتى تكون الساعة التي يرمى فيها أول حجر للقاهرة ساعة سعد فاطاعوه . ووضعوا للبنائين جرسا وقالوا لهم اذا سمعوا صوت الجرس أن يرموا أساس المدينة فجاء غراب ووقف على الحبل المعلق به الجرس فاهتز الحبل ودق الجرس فرمى البناؤون

الاحجار في أساسات المدينة فصاح المنجمون « القاهر » أعني المريخ . وطالعه نحس في عرف المنجمين . ولكن كان قد سبق السيف العذل وقيل ان هذا هو سبب تسمية القاهرة بهذا الاسم وقيل في سبب تسمية القاهرة باسمها غير ما ذكرناه كقول بعضهم . أن المعز لما أمر جوهراً بالمسير الى مصر قال له . انك ستدخل مصر بالاردية من غير حرب وستنزل في خرابات ابن طولون وستبني مدينة تسمى القاهرة تقهر العالم . والله اعلم .

ولما فتحت مصر وأخذ بنو طغج الاخشيديون هرب منهم الحسن بن عبد الله ابن طغج الى مكة ومعه جماعة من قوادهم . فلما استشعر جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامي في العساكر اليه فقاتله مراراً ثم أسره ومن كان معه من القواد و بعث بهم الى جوهر . فبعث بهم جوهر الى المعز بالمهدية . وكان الحسن الاخشيدي يوم أسر في الرملة . فلما أسره جعفر كما ذكرنا دخل الرملة عنوة واستباحها ثم أمن من بقي وجبى الخراج . ثم سار منها قاصداً طبرية . فلما علم عاملها ابن ملهم بقدومه أقام الدعوة بها للمعز . فسار جعفر عنها الى دمشق فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز لايام من المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ وكان بدمشق الشريف أبو القاسم ابن يعلي الهاشمي فجمع الاوباش والزعار وثار بهم في الجمعة الثانية ولبس السواد وأعاد الخطبة للمطيع الخليفة العباسي فقاتلهم جعفر بن فلاح أياما وأولى عليهم الهزائم . وعاثت جيوش المغاربة في أهل دمشق فهرب ابن أبي يعلي ليلا من البلد واصبح أصحابه حيارى فطلبوا الصلح مع جعفر فصالحهم في منتصف ذي الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ثم قبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلي سنة ٣٦٠ ﻫ و بعث به الى مصر واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح

وكان قد خرج بافريقية سنة ٣٥٨ ﻫ أبو خزر الزناتي واجتمعت اليه جموع من البربر والنكارية فخرج اليه المعز بنفسه وانتهى الى باغاية . فافترقت جموع أبي خزر وسلك الاوعار . فعاد المعز الى المنصورية بعد ان أمر بلكين بن زيري بالمسير في طلبه فسار لذلك حتى انقطع عنه خبره . ثم جاء أبو خزر مستأمناً سنة ٣٥٩ ﻫ فقبله المعز وأجرى عليه رزقا كثيراً . وفي هذه الاثناء وصلت رسل جوهر الى المعز باقامة الدعوة له بمصر والشام ويدعوه للمسير اليه ففرح المعز

فرحا شديداً أظهره لكافة الناس . فنطق الشعراء بامتداحه

وفي سنة ٣٦٠ ﻫ وصل القرامطة الى دمشق وملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح ثم ساروا الى الرملة وملكوها و أزالوا عنها المغاربة . فسار المغاربة الى يافا وتحصنوا بها . ثم سار القرامطة الى الديار المصرية بعد ان تركوا من أصحابهم من يحاصر يافا . ودارت بينهم و بين جوهر القائد الحرب فانتصروا في أغلبها أولاً ثم دارت عليهم الدائرة فانهزموا وملك المغاربة معسكرهم ونهبوه فاضطروا الى الرحيل للشام فنزلوا الرملة ثم اتحدوا مع الذين يحاصرون يافا وشددوا عليها الحصار فارسل جوهر شرذمة من جيشه في خمسة عشر مركبا مدداً لاصحابه المحصورين بيافا فالتقتهم مراكب القرامطة فاخذوا مراكبهم . ولم ينج منها غير مركبين فغنمها مراكب الروم . وللحسين بهرام مقدم القرامطة شعر منه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله .

زعمت رجال الغرب اني هبتها فدمي اذا ما بينهم مطلول
يامصر ان لم اسق ارضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل

وفي اواخر سنة ٣٦١ ﻫ تم بناء مدينة القاهرة فكتب جوهر الى المعز بذلك . فسار المعز في أواخر شوال من هذه السنة وركب البحر الى جزيرة سردينيا ومنها الى صقلية (سيسليا) فصرف فيها بضعة أشهر يتفقد أحوالها . ثم سار منها الى طرابلس الغرب ومنها الى الاسكندرية فدخلها في شعبان سنة ٣٦٢ ﻫ وكان قد استخلف على المغرب بلكين يوسف بن زيري ودخل المعز القاهرة في خامس رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ فكانت مقر ملكه ومقر ملك الخلفاء الفاطميين من بعده الى آخر دولتهم . وبعد أن استقر المقام للمعز بالقاهرة والتقاه اعيانها وعوامها وسلموا عليه وهنأوه بسلامة الوصول وعادت المياه الى مجاريها التفت المعز الى ما يهدد دولته من أمر القرامطة فكتب الى الحسين بن بهرام كبير القرامطة المعروف بالاعصم يتلطف اليه وبالغ في وعظه وتهديده . فاساء الرد وكتب اليه : وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفصيله ونحن سائرون اليك والسلام : وسار الاعصم ومن معه من القرامطة من الاحساء الى مصر ونزل عين شمس في عساكره . واجتمع اليه جنود الاخشيدية وغيرهم واتحد معه حسان بن الجراح في جموع عظيمة من طيء وبث سراياه في البلاد فعاثوا فيها .

فاهم المعز شأنه فراسل ابن الجراح واستماله بمائة الف دينار على أن ينهزم على القرامطة واستحلفوه على ذلك . وخرج المعز بعساكره ليوم عينوه لذلك فانهزم ابن الجراح بالعرب وثبت القرامطة قليلا ثم انهزموا وساروا الى الاحساء فجرد المعز القائد أبا محمود في عشرة آلاف فارس وسار في اتباعهم . و بعث المعز القائد ظالم بن موهوب العقيلي واليا على دمشق فدخلها وكان العامل بها من قبل القرامطة أبو اللجا وابنه في جماعة منهم فحبسهم ظالم وأخذ أموالهم . ورجع القائد أبو محمود من اتباع القرامطة الى دمشق فتلقاه ظالم وسر بقدومه وسأله المقام بظاهر دمشق حذراً من القرامطة ففعل وسلمه أبا اللجا وابنه فبعث بهم الى مصر فحبسا بها . وعاث المغاربة من جيش محمود في دمشق فهاج أهلها وثاروا فهزمهم محمود في آخر سنة ٣٦٤ هـ ثم وقع الصلح بينهم على اخراج ظالم من البلد وولاية جيش بن الصمصامة ابن أخت محمود فسكن الناس اليه . ثم رجع المغاربة الى العيث وعاد العامة بدمشق الى الثورة وقصدوا القصر الذي فيه جيش فهرب ولحق بالعسكر . وزحف الى البلد فقاتلهم وأحرق ما كان بقي وقطع الماء عن البلد فضاقت الاحوال و بطلت الاسواق . وعلم المعز بذلك فانكر على أبي محمود هذا الفعل واستعظمه و بعث الى ريان الخادم في طرابلس يأمره بالمسير الى دمشق لاستكشاف حالها وأن يصرف القائد أبا محمود عنها . فصرفه الى الرملة و بعث الى المعز بالخبر . وأقام بدمشق الى أن وصل افتكين (و يقال هفتكين) وكان افتكين هذا من موالي عز الدولة بن بويه . ولما ثار الاتراك على ابنه بختيار مع سبكتكين ومات سبكتكين قدمه الاتراك عليهم وحاصروا بختيار بواسط وجاء عضد الدولة لانقاذه فأجفلوا عن واسط فتركوه ببغداد . وسار افتكين في طائفة من الجند الى حمص فنزل قريبا منها . وقصده ظالم بن موهوب ليقبضه فعجز عنه . وسار افتكين فنزل بظاهر دمشق وبها زياد خادم المعز وقد غلب عليه وعلى أعيان البلد الاحداث والاوباش فلم يملكوا معهم أمر أنفسهم . فخرج الاعيان الى افتكين وسألوه الدخول اليهم ليولوه وشكوا اليه حال المغاربة وما يحملونهم عليه من عقائد الرفض وما أنزل بهم عمالهم من الظلم والعسف فاجابهم الى ذلك بعد أن استحلفهم على طاعته فملك البلد واخرج منها زياد الخادم وقطع خطبة المعز العلوي وخطب للطائع العباسي . وقمع أهل

الفساد ودفع العرب عما كانوا استولوا عليه من الضواحي واستقل بملك دمشق . وكاتب المعز بطلب طاعته وولايتها من قبله فلم يثق به ورده وتجهز لقصده بعساكره فلما نزل بلبيس مات

وفي يوم الجمعة ١١ ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ توفي المعز لدين الله بعسكر بلبيس بعد أن ملك أربعا وعشرين سنة معظمها في المغرب

١٥٣ - العزيز بن المعز

من سنة ٣٦٥ — ٣٨٦ هـ أو من سنة ٩٧٥ — ٩٩٦ م

لما توفي المعز لدين الله قام بالامر بعده ابنه نزار وتلقب بالعزيز بالله . وكتم موت ابيه الى عيد النحر من السنة (٣٦٥ هـ) فصلى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزى بابيه . واقر يعقوب بن كلس وزير ابيه على وزارته واقر بلكسين ابن زيري على ولاية افريقية واضاف اليه طرابلس وسرت وجرابية وكانت لعبد الله ابن يخلف الكتامي . وكان أهل مكة والمدينة قد خطبوا للمعز ابيه في الموسم فلما توفي المعز لم يخطبوا للعزيز . فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة وضيقوا على اهلها حتى رجعوا الى دعوتهم وخطب للعزيز بمكة . ولما توفي المعز قام افتكين (الذي ذكرنا خبر امتلاكه دمشق) وقصد البلاد التي لهم بساحل الشام فحاصر صيدا وفيها ابن الشيخ في رؤوس المغاربة وظالم بن موهوب العقيلي فبرزوا اليه وقاتلوه فهزمهم وأوقع بهم . وسار الى عكا وحاصرها ثم سار الى طبرية وفعل فيها مثل صيدا فارسل اليه العزيز جيشا بقيادة جوهر . فسار الى دمشق وحاصرها . فاستنجد افتكين بالاعصم ملك القرامطة فانجده . فعلم جوهر بذلك فبنى على معسكره سوراً وحفر خندقا عظيما وجعل له أبواباً . واجتمع افتكين برجاله لقتال جوهر وطال الاخذ والرد الى ١١ ربيع الاول سنة ٣٦٦ هـ وحين ذاك اختل امر افتكين وعزم على اغتنام فرصة للهرب ولكنه عاد واستظهر ووردت الاخبار بقدوم أحمد القرمطي الى دمشق . فطلب جوهر الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير أن يتبعه أحد . ففرح افتكين لهذا الفرج غير المنتظر واجاب طلبه بلا تردد . فرحل جوهر في ٣

جمادى الاولى وجد في المسير الى أن بلغ طبرية . وكان قد قرب القرامطة فتعقبوه اليها فسار منها الى الرملة . فبعث القرامطة بسرية كان لها مع جوهر واقعة قتل فيها جماعة من العرب . ثم طال الكفاح حتى صار جوهر منهزما الى عسقلان فغنم افتكين شيئا كثيرا من معسكره وتعقبه الى عسقلان وحاصره بها فلما ضاق الامر بجوهر طلب الصلح من افتكين على مال يحمله اليه . ولما تقرر الصلح سار جوهر من عسقلان حتى وصل الى مصر وحض العزيز على المسير بنفسه لقتال افتكين والقرامطة . فتجهز في العساكر وسار وعلى مقدمته جوهر . وكان افتكين والقرمطي رجعا الى الرملة . فسار اليها العزيز واصطفوا للحرب في محرم سنة ٣٦٧ ﻫ فلم يكن الا قليلا حتى انهزم جيش افتكين وهرب هو على فرس بمفرده . فجعل العزيز لمن جاء به مائة الف دينار فلقيه المفرج ابن دغفل الطائي فاسره واحضره الى العزيز فاكرمه العزيز ووصله ونصب له الخيام واعاد اليه مانهب منه ورجع به الى مصر فجعله اخص خدمه وحجابه . وما زال افتكين يرتقي في ظل العزيز الى أن توفي سنة ٣٧٢ ﻫ وقيل أن الوزير يعقوب ابن كلس سمه حسداً منه فاعتقله العزيز مدة ثم اطلقه لان التهمة لم تثبت عليه

وكان افتكين قد استخلص ايام ولايته بدمشق رجلا اسمه قسام فعلا صيته وكثر تابعوه واستولى على البلد . ولما انهزم افتكين والقرامطة بعث العزيز القائد أبا محمود بن ابراهيم والياً على دمشق فوجد فيها قساماً قد ضبط البلد وهو يدعوا للعزيز فلم يتم له معه ولاية . وفي سنة ٣٦٨ ﻫ هرب أبو تغلب صاحب الموصل من وجه اخيه عضد الدولة بن حمدان وسار الى دمشق فمنعه قسام من الدخول اليها فسار عنه الى طبرية . وجاءت عساكر العزيز مع قائده الفضل فحاصروا قساماً في دمشق ولم يظفروا به فرجعوا

وكان مفرج بن الجراح امير بني طيء وسائر العرب باراضي فلسطين قد كثرت جموعه وقويت شوكته وعاث في البلاد وخربها فارسل اليه العزيز جيشاً بقيادة بلتكين وذلك سنة ٣٧٢ ﻫ فوصلوا الى فلسطين وقاتلوا ابن الجراح حتى هزموه وشتتوا شمله . ثم سار بلتكين الى دمشق فقاتله قسام المذكور المتولي عليها فانتصر بلتكين عليه وملك دمشق واسر قساما وارسله الى العزيز بمصر وزالت الفتن

وفي سنة ٣٧٣ هـ استوحش بكجور من مولاه أبي المعالي صاحب حلب فكاتب العزيز صاحب مصر وسأله في ولاية دمشق وصادف ذلك ان المغاربة بمصر أجمعوا على عزل الوزير ابن كلس ودعت الضرورة الى استقدام بلتكين من دمشق. فكتب العزيز الى بلتكين بالقدوم الى مصر وأمره ان يستخلف على دمشق بكجور المتقدم ذكره ففعل. فاقام بكجور عاملا على دمشق وأساء السيرة فيها. وفي سنة ٣٧٨ هـ سير العزيز عسكراً مع القائد منير الخادم الى دمشق ليعزل بكجور ويتولاها. فلما قرب منها خرج بكجور عليه وقاتله عند داريا ثم انهزم بكجور وطلب الامان فاجابه منير الى ذلك. فسار بكجور الى السرقلة واستولى عليها. واستقر منير في ولاية دمشق واحسن السيرة في أهلها

وفي سنة ٣٨٦ هـ توفي العزيز بالله بن المعز لدين الله بمدينة بلبيس وكان قد برز اليها لغزو الروم وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف شهر. وقيل انه كان قد ولي رجلا نصرانياً يقال له عيسى بن نسطروس كتابته واستخلف بالشام رجلا يهودياً اسمه ميشا. فاستطالت النصارى واليهود بسببهما على المسلمين فتقدمت اليه امرأة في حاجة لها وقالت له. بالذي اعز النصارى بعيسى واليهود بميشا واذل المسلمين بك أما كشفت عن ظلامتي. فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الشخصين وصادرهما

١٥٤ — الحاكم بامر الله بن العزيز بالله

من سنة ٣٨٦ — ٤١١ هـ أو من سنة ٩٩٦ — ١٠٢٠ م

ولما توفي العزيز بالله قام بالامر بعده ابنه المنصور أبو علي فبويع ولقب الحاكم بأمر الله وكان سنه عند ولايته احدى عشرة سنة فكان الوصي عليه الوزير ارجوان وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم في دولته واستولى عليها وتلقب بامين الدولة. وهو أول من تلقب في دولة الفاطميين فقويت كتامة به وعاثوا في مصر فساداً وامتدت سلطته الى الشام وكثر انصاره فيها. وما زال كذلك حتى حدث في الشام ما اضطره لارسال اصحابه اليها فانتهز ارجوان هذه الفرصة وقاتل امين الدولة وانتصر عليه فاستأمن اليه فأمنه

واعتدل في سيره. ثم ثقل ارجوان على الحاكم فوضع له الحاكم من قتله سنة ٣٨٩ هـ ثم قتل الحسن امين الدولة أيضاً واستراح منهما. واستعمل الحاكم مكان ارجوان الحسين بن جوهر ولقبه قائد القواد وفي سنة ٣٩٧ هـ خرج على الحاكم بمصر رجل ادعى انه اموي من نسل هشام بن عبد الملك يسمى اباكورة (لحمله ركوة على كتفه) وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وكثر جمعه وملك برقة وجهز اليه الحاكم جيشا فهزمه ابو ركوة وغنم ما في ذلك الجيش وقوي به وسار الى الصعيد واستولى عليه. فعظم ذلك على الحاكم كثيراً فحضر عساكر الشام وغيرها وجند منهم جيشا كثيفا وسيره بقيادة فضل بن عبد الله لقتال ابي ركوة وبعد قتال شديد انتصر جيش الحاكم وهربت جموع أبي ركوة وأخذ هو اسيراً فقتله الحاكم وصلبه وطيف برأسه

وبعد قليل اصيب الحاكم بمرض في عقله لم يفارقه حتى فارقته الحياة وتاريخه في هذه المدة من وقت اصابته بالمرض الى موته من المضحكات المبكيات وسنذكر بعضا من اخباره في هذه المدة ليطلع عليها القارىء الكريم ويقول مع القائلين أن الجنون فنون فمن ذلك. أنه يدعي أنه مسلم وله احقية الخلافة والزعامة الدينية الاسلامية فلما ظهر درار (صاحب مذهب الدرارية) واظهر مذهبه وتبعه جماعة ثم مات وقام بأمر هذا المذهب بعده حمزة بن أحمد الملقب بالهادي وسن الشرائع وعلم التعاليم المخالفة كل المخالفة لروح القرآن. افتتن الحاكم بهذا الدين الجديد وجاهر بانكار الاسلام وسب الصحابة وسعى في ابطال الديانة الاسلامية واقامة ديانة جديدة فخبطت مساعيه. فاحتقرته الرعية احتقاراً شديد ألجأه أن يتظاهر بنصرة الديانة الاسلامية فاضطهد النصارى واليهود وألزمهم أن يحملوا على ثيابهم علامة تميزهم من المسلمين. وأمرهم بشد الزنار ولبس الغيار. وأن يحمل اليهودي اذا دخل الحمام جرساً والمسيحي صليبا من الخشب طوله ذراع في مثله ووزنه خمسة ارطال وان يكون مكشوفا ليراه الناس. ومنعهم من ركوب الخيل وان يركبوا البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود وأن لا يستخدموا مسلما وأن لا يشتروا عبداً ولا أمة. وتتبع آثارهم في ذلك فاسلم منهم عدة

واغرب من ذلك اوامره المتناقضة التي تدل على اضطراب في الفكر وعدم

تعقل فترة امر بترك صلاة التراويح وقتل كل من جاهر بها ثم عاد وأمر باقامتها . وأمر بهدم كنيسة القمامة ثم عاد فبناها على نفقته الخاصة . وبنى مدارس كثيرة وجعل فيها الفقهاء والمشائخ ثم قتلهم وخربها . وأمر الناس باغلاق الاسواق نهاراً وفتحها ليلا فاطاعوا مدة ثم رجع وأمرهم باقفال الاسواق ليلا . ومنع النساء من الخروج من بيوتهن وهدم بعض الحمامات عليهن . ومنع من اكل الملوخيا وغير ذلك كثير مما لا يدخل تحت حصر ثم تمادى في الادعاء حتى ادعى الالوهية وفتح سجلا يكتب فيه اسماء الذين يسلمون له بذلك فكان عدد من كتبوا اسماءهم ١٧٠٠٠ من اهل القاهرة . فكان هذا الحاكم بأمر الله (وكان الاولى ان يقال الحاكم بهواه) حملا ثقيلا على عاتق رعيته

وفي سنة ٤١١ هـ خرج الحاكم يطوف ليلا في جبل المقطم وكان قد اعتاد ذلك ثم افتقد ولم يرجع وأقاموا أياما في انتظاره ثم خرج اعيان دولته مفتشين عليه فوجدوا حماره مقطوع اليدين واتبعوا اثره الى بركة الحبش فوجدوا ثيابه مزررة وفيها عدة طعنات بالسكاكين فايقنوا بقتله . وقيل في سبب قتله انه اوحش اخته المسماة ست الملك وتهددها بالقتل فارسلت الى قائد من قواده اسمه ابن دواس واغرته بقتله وهونته عليه ووعدته بان يكون مدبر الدولة وانها تزيد في اقطاعه مائة الف دينار فاقام رجلين واعطتهما هي الف دينار ومضيا الى الجبل حينما كان الحاكم منفرداً وقتلاه . وبعد موته امرت ست الملك خادمها بقتل ابن دواس فقتله وهو يصيح بثار الحاكم . وقيل انه قبض على رجل من بني حسين سنة ٤١٥ هـ فاقر انه قتل الحاكم في جملة اربعة انفس تفرقوا في البلاد واظهر قطعة من جلدة راسه وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل له لما قتلته . قال غيرة لله وللاسلام . فقيل له كيف قتلته . فاخرج سكينا ضرب بها فؤاده قائلا . هكذا قتلته ووقع مقتولا والله اعلم

والاغرب من ذلك ان اصحاب الحاكم ينكرون موته ويقولون انه اختفى في بستان داخل سرداب وانه لم يزل حيا وسوف يأتي في آخر الزمان . وفي وادي التيم وجبل لبنان وغيرها من بلاد الشام الى يومنا هذا قوم يدعون الدروز يعتقدون خروج الحاكم ولهم كتب يدارسونها في ما بينهم ويعتقدون انه لابد أن يعود ويمهد الارض

١٥٥ — الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله

من سنة ٤١١ — ٤٢٧ ﻫ أومن سنة ١٠٢٠ — ١٠٣٥ م

لما توفي الحاكم بامر الله قام بالامر بعده ابنه ابوالحسن علي بن منصور وتلقب الظاهر لاعزاز دين الله وكان سنه عند مبايعته لايتجاوز سبع سنين فقامت عمته ست الملك بتدبير المملكة الى أن توفيت بعد اربع سنين . فاقام بتدبير الدولة الخادم معضاد ونافر بن الوزان وولى وزارته أبا القاسم علي بن احمد الجرجراي وفي خلال ذلك تغلب صالح بن مرداس من بني كلاب على حلب وعاث بنو الجراح في نواحيه فبعث الظاهر سنة ٤٢٠ ﻫ قائده الوزيري والي فلسطين في العساكر واوقع بصالح بن مرداس وقتل صالحا وابنه وملك دمشق وملك حلب من يد شبل الدولة نصر بن صالح وقتله . وفي سنة ٤٢٧ ﻫ توفي الظاهر لاعزاز دين الله وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر واياما وكانت له مصر والشام والخطبة له بافريقية . وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية الا أنه مشتغل بلذاته محب للدعة والراحة

١٥٦ - المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله

من سنة ٤٢٧ — ٤٨٧ ﻫ أو من سنة ١٠٣٥ — ١٠٩٤ م

لما توفي الظاهر لاعزاز دين الله قام بالامر بعده ابنه ابو تميم معد ولقب المستنصر بالله وقام بامره وزير ابيه أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراى وكان بدمشق الوزيري واسمه اقوش تكين وكانت البلاد قد صلحت على يديه لعدله ورفقه وضبطه وكان الوزير الجرجراي يحسده و يبغضه وكتب اليه بابعاد كاتبه ابي سعيد فلم يجب الوزيري الى ذلك واستوحش وجاء جماعة من الجند الى مصر فى بعض حاجاتهم فداخلهم الجرجراي في التوثب به ودس معهم بذلك الى بقية الجند بدمشق فتغلبوا عليه . فخرج الى بعلبك سنة ٤٣٣ ﻫ فمنعه عاملها من الدخول فسار الى حماة فمنع أيضا فقوتل وهو في خلال ذلك ينهب فاستدعى

بعض أوليائه من كفر طاب فوصل اليه في الفي رجل وسار الى حلب فدخلها وتوفي بها في جمادى الاخرى من هذه السنة . وفسد بعده امر الشام وطمع العرب في نواحيه . وولى الجرجراي على دمشق الحسين بن حمدان فكان قصاري امره منع الشام وملك حسان بن المفرج فلسطين . وزحف معز الدولة ابن صالح الكلابي الى حلب فملك المدينة وامتنع عليه اصحاب القلعة و بعثوا الى مصر للنجدة فلم ينجدهم فسلموا القلعة لمعز الدولة بن صالح المرداسي فملكها

وفي سنة ٤٣٤ هـ ظهر بمصر رجل ادعى انه الحاكم بأمر الله قام من الاموات وساعده على هذا الادعاء ما كان بينه وبين الحاكم من المشابهة فتبعه جمع كثير ممن يعتقد رجعة الحاكم واغتنموا خلو دار الخليفة من الجند فقصدوها مع هذا المدعي ولما مثلوا امام قصر المستنصر صاحوا هو ذا الحاكم . فقاتلهم من كان باقياً من الجند في القصر حتى قتلوهم عن آخرهم وقتل المدعي أيضاً

وفي سنة ٤٤٠ هـ قطع المعز باديس صاحب افريقية خطبة المستنصر الفاطمي وخطب للقائم بأمر الله العباسي فكتب اليه المستنصر يهدده فاغلظ المعز في الجواب وكان المستنصر قد استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة فاحتقره المعز ولم يخاطبه كما كان يخاطب الوزراء قبله لانه كان قد اعتاد أن يخاطبهم بعبده فلان اما الحسن فخاطبه بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع فاغرى به المستنصر . واذ كانت الحرب قائمة بين زغبة ورياح من بطون هلال فاجتهد الحسن في اصلاح احوالهم اولا . ثم اطمعهم في افريقية واعطاهم امتيازا ترغيبا للمسير اليها أن يملكوا كلما يفتحونه فقبلوا هذا الشرط وساروا الى برقة فوجدوها خالية لان المعز بن باديس كان أباد أهلها من زناتة . فنزل العرب برقة واستوطنوها واحتقر المعز امرهم واشترى العبيد واستكثر منهم حتى اجتمع له منهم نحو ثلاثين الفا

وفي سنة ٤٤٦ هـ زحف بنو زغبة الى طرابلس فملكوها وجازت رياح و بنو عدي الى افريقية وعاثوا فيها فاحتار المعز في امرهم لانه استمالهم واكرمهم فلم يغن ذلك فتيلا فاستعد لقتالهم وجهز جيشا مؤلفا من ثلاثين الف مقاتل ومع أن العرب لم يكونوا اكثر من ثلاثة آلاف رجل لكنهم بشجاعة قائدهم مؤنس بن يحيى هزموا عساكر المعز مراراً وملكوا مدينة باجة وضيقوا على

أهل القيروان فأمرهم المعز بالانتقال الى المهدية للتحصن بها وولى عليها ابنه تميما ثم انتقل اليها هو سنة ٤٤٩ ﻫ وانطلقت ايدي العرب على القيروان بالنهب والتخريب وعلى سائر الحصون والقرى كما سنذكره في اخبارهم ان شاء الله

وفي سنة ٤٤٤ ﻫ عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلويين اصحاب مصر وانهم كاذبون في ادعائهم النسب الى الامام علي وفيها خطب علي بن محمد امير اليمن للمستنصر في الصلاة وارسل اليه الهدايا

وفي سنة ٤٥٠ ﻫ خطب البساسيري للخليفة المستنصر ببغداد . ثم قطعت الخطبة بها بملك السلجوقية لها وقتل البساسيري وكانت والدة المستنصر قد استولت في مصر على الامر فضعف أمر الدولة وصارت العبيد حزبا والترك حزبا . وكان ناصر الدولة ابن حمدان من اكبر قواد مصر فاجتمعت اليه الاتراك وجرى بينهم وبين العبيد عدة وقائع وحصر ناصر الدولة مصر وقطع الميرة عنها فغلت الاسعار بها وفرغ ما كان بخزائن المستنصر . ثم استولى ناصر الدولة على مصر وانهزمت العبيد واستبد ناصر الدولة بالحكم وقبض على والدة المستنصر وصادرها بخمسين الف دينار . وتفرق عن المستنصر أولاده وأهله حتى قعد على حصيرة . وعزم ناصر الدولة على قطع خطبة المستنصر والخطبة للخليفة القائم العباسي . فعلم بقصده قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز فاتفق مع جماعة وقتلوا ناصر الدولة واقاربه في مصر عن آخرهم وكان ذلك سنة ٤٦٥ ﻫ وبقي الامر مضطربا في مصر حتى سنة ٤٦٧ ﻫ وفيها استدعى المستنصر بدر الجمالي وكان متوليا سواحل الشام وشكى اليه حاله واختلال دولته . فقتل الدكز والوزير ابن كنيدة وغيرهما من الامراء والقواد . واقام منار الدولة وشيد ما كان قد درس واصلح الاسكندرية ودمياط وسار الى الصعيد وقهر المفسدين وعادت مصر الى احسن ما كانت عليه وسعى جهده في سعادة الاهالي لينسيهم ماقاسوه طويلا فنشط الزراعة وأباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى اغتنى الفلاح . وبقيت مصر بعد ذلك مدة عشرين سنة لم يحدث فيها ما يهم التاريخ ذكره ولا يخفى ان أقل الامم ذكراً في التاريخ أسعدها حالا . اما سوريا فان الامير يوسف الخوارزمي (اختلف المؤرخون في اسمه فقال بعضهم اتسز وقال بعضهم آفسيس وقال بعضهم النسز وقال بعضهم أقسس وهو الاصح لانه اسم تركي

وحيث انه تلقب بيوسف فسنذكره كلقبه) من أمراء ملك شاه السلجوقي اغتنم فرصة غياب بدر الجمالي عنها فتقدم اليها واستولى على دمشق سنة ٤٦٨ ﻫ وفي سنة ٤٦٩ ﻫ سار يوسف الخوارزمي من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على أهلها حتى كاد يملكها ولكن قوي المصريون عليه فهزموه وقيل عاد بغير قتال وهلك جماعة من أصحابه فوصل الى دمشق فوجد أهلها صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة. ثم سار الى بيت المقدس فرأى أهله قد أهانوا عماله فقاتلهم وفتح المدينة عنوة ونهبها وقتل من أهلها فاكثر حتى قتل من التجأ الى المسجد الاقصى. فأرسل بدر الجمالي أمير الجيوش بمصر عسكراً لطرد يوسف عن الشام. فارسل يوسف الى تتش بن الب أرسلان وكان محاصراً لحلب يستمده على المصريين فسار تتش الى دمشق فلما قرب منها رحل عنها عساكر المصريين. وركب يوسف لملتقى تتش بالقرب من المدينة فلامه تتش على تأخره عن الخروج الى القائد وقبض عليه وقتله شر قتلة وملك المدينة وذلك سنة ٤٧١ ﻫ واستولى السلجوقية على الشام أجمع. وفي سنة ٤٨٢ ﻫ زحفت عساكر مصر الى الشام فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضي عين الدولة بن أبي عقيل فولى عليها بدر الجمالي منير الدولة الجيوشي. ثم فتحوا مدينة صيدا ومدينة جميل. وفي سنة ٤٨٦ ﻫ انتقض منير الدولة عامل صور فأرسل اليه بدر الجمالي أمير الجيوش العساكر فلما علم أهل صور بقدومهم ثاروا به وسلموه لهم فبعثوه الى مصر في جماعة من أصحابه فقتلوا كلهم

وفي شهر ذي القعدة سنة ٤٨٧ ﻫ توفي بدر الجمالي امير الجيوش بمصر بعد ان حكم فيها عشرين سنة حكماً مطلقاً وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة وتولى الوزارة بعده ابنه شاهين شاه وتلقب بالافضل. وفي ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ ﻫ توفي المستنصر بالله وكانت خلافته ستين سنة واربعة اشهر وعمره سبعاً وستين سنة

١٥٧ - المستعلى بالله بن المستنصر بالله

من سنة ٤٨٧ — ٤٩٥ هـ أو من سنة ١٠٩٤ — ١١٠١ م

كان المستنصر قد عهد بالخلافة من بعده لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع ابنه الثاني احمد الملقب بابي القاسم ولقبه بالمستعلي بالله فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين . مولى بدر الجمالي فبايعه أهل الاسكندرية ولقبوه المصطفى فخطب الناس ولعن الافضل وساعده على ذلك القاضي جلال الدولة وقاضي الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهوراً . ثم جهز جيشا آخر وسار الى الاسكندرية مرة أخرى فحاصره وقاتله وأخذه أسيراً ومعه افتكين فقتله وأخذ المستعلي نزاراً وبنى عليه حائطاً فمات وبموته هدأت الاحوال بمصر . وفي سنة ٤٩١ هـ سار الافضل أمير الجيوش الى سوريا لتخليص بيت المقدس من الارتقيين الذين كانوا قد استولوا عليه . فحاصره وكاتب من به من الارتقيين لتركه فلم يقبلوا فضربه بالمنجنيق وهدم سوره وفتحه عنوة وفر الارتقيون الى شرقي سوريا . وفي هذه الاثناء كان الصليبيون قد تقدموا الى الشام وهزموا عساكر المسلمين وقصدوا بيت المقدس في سنة ٤٩٢ هـ (راجع فصل ٥٤) وبعد أن حاصروه افتتحوه عنوة واستباحوا أهله أسبوعاً . ولما بلغت هذه الاخبار الى مصر خاف المستعلي وأهل مصر من تقدم الصليبيين اليهم . فجند الفضل أمير الجيوش جيشا جراراً تحت قيادة سعد الدولة . فسار الجيش حتى التقى بالجيوش الصليبية عند عسقلان وكان الصليبيون غير مستعدين لرد هجمات هذه الحملة فانهزموا قليلاً حتى وصلهم المدد ثم هجموا على المصريين هجمة منكرة فشتتوهم شذر مذر ورجعت العساكر المصرية بالخيبة والفشل . وفي يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ توفي المستعلي بالله في القاهرة بعد أن حكم سبع سنوات وشهرين

١٥٨ - الآمر باحكام الله بن المستعلي بالله

من سنة ٤٩٥ — ٥٢٤ هـ أو من سنة ١١٠١ — ١١٣٠ م

لما توفي المستعلي بالله ولي بعده أبو علي المنصور ولقب الآمر باحكام الله. وكان عمره لا يتجاوز ست سنوات فقام بتدبير أمور المملكة الافضل أمير الجيوش مدبر دولة أبيه وفي سنة ٤٩٧ هـ سير الافضل أمير الجيوش ابنه شرف الدولة في عساكر لقتال الصليبيين فقاتلوهم واستردوا منهم الرملة. ثم وقع الاختلاف بين شرف الدولة والعساكر فعاد شرف الدولة الى مصر. فارسل الافضل في سنة ٤٩٨ هـ ابنه سناء الملك حسين في جماعة من الامراء فاتحد مع جمال الملك والي عسقلان وأرسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يستمدونه فأمدهم. وتقدمت عساكر الصليبيين لقتالهم وبعد قتال شديد لم ينهزم أحد من الفريقين المتحاربين فعادت عساكر المسلمين الى عسقلان. وفي سنة ٥٠٣ هـ استولى الصليبيون على طرابلس وبيروت وكانت الاولى تابعة للمملكة المصرية. وفي سنة ٥٠٤ هـ استولوا على مدينة صيدا أيضا فتقلص ظل الحكومة المصرية من الديار الشامية ولم يبق في الشام ملك لمصر الا عسقلان التي كان يتلاعب ولاتها على خلفاء مصر تلاعب السنور بالفار فاذا أرادوا قطع الخراج ما عليهم الا أن يراسلوا الافرنج ويطلبوا حمايتهم كما فعل شمس الخلافة في هذه السنة. فلما علم الافضل بتحيز شمس الخلافة للصليبيين أرسل الى قائد الجيوش المصرية بعسقلان باعتقاله متى حضر المعسكر فانقطع شمس الخلافة عن الحضور وجاهر بالعصيان واستمر كذلك الى آخر سنة ٥٠٤ هـ فسار عليه أهل عسقلان وقتلوه ونهبوا داره وأرسلوا بهذه البشارة الى الافضل طالبين منه أن يولي عليهم عاملا حسن السيرة

وفي سنة ٥١١ هـ خرج بدوين ملك الصليبيين بالشام لافتتاح مصر بجيش عظيم فبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد بعساكره الى أورشليم. فنجت مصر من غوائل الحروب المهلكة. وعكف الافضل على اصلاح داخلية الديار المصرية فبنى الخليج المعروف باسم

أبي المنجا وأقام مرصداً بجوار المقطم في بقعة كانت تعرف قديماً بالجرف ثم عرفت بعد ذلك بالمرصد ولكن لما اشتد ساعد الآمر باحكام الله وفهم شيئاً من الامر لم ترق أعمال الافضل في عينيه لاستئثاره بالحكم فثقلت وطأته عليه فشاور الآمر أصحابه في قتله فنهاه بعضهم وشجعه بعضهم وأخيراً وضع له من قتله سنة ٥١٥ هـ ونهب داره واعتقل أولاده . وبعد قتله استعمل مكانه أبا عبد الله بن البطائحي ولقبه المأمون فاستبد بالامر أكثر من الافضل فقتله الآمر باحكام الله سنة ٥١٩ هـ وصلبه . وكان الآمر المذكور سيء السيرة مولعا باللهو والطرب لايسمع بغانية جميلة الا استدعاها وكان له شغف خصوصي بالجواري البدويات . ومن أقاصيصه أنه بلغه أن في الصعيد جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال أنه تزيا بزيّ بداة الاعراب وصار يجول في الاحياء الى ان انتهى الى حيها وبات هناك في ضائفة وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وسرير خلافته حتى أرسل الى أهلها يخطبها فاجابوه الى ذلك وزوجوه بها . فلما دخلت قصره صعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تقبض نفسها ضمن حيطان المدينة . فبنى لها البناء الذي اشتهر في الجزيرة بالهودج وكان على شاطىء النيل بشكل غريب . الا أن البدوية كانت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح . فكتبت اليه وهي في قصر الخليفة الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي مرأ مطلقا نائلا ماشئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد لا أرى الا حبيسا ممسكا
كم تثنينا باغصان اللوا حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى حيثما شاء طليق سلكا

(فاجابها)

بنت عمي والتي غذيتها بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوي وعندي ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك لامر اليه يشتكى هالك وهو الذي قد هلكا
شأن داود غدا في عصرنا مبديا بالتيه ماقد ملكا

فبلغت الآمر فقال لولا أنه أساء الادب في البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به . وثقلت وطأة الآمر على أهل مصر حتى تحفز الباطنية لقتله. وفي ٢ ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ خرج الآمر الى منتزه له فتربص له عشرة من الباطنية وقتلوه وهو عائد الى قصره وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا وثلاثين سنة . وكان الآمر طموحا للمعالي قاعداً عنها وكان يحدث نفسه بالنهوض الى العراق في كل وقت ثم يقصر عنه . وكان يقرض الشعر قليلا ومن قوله

أصبحت لا أرجو ولا اتقي الا الهي وله الفضل
جدي نبي وامامي أبي ومذهبي التوحيد والعدل

١٥٩ — الحافظ لدين الله بن محمد

من سنة ٥٢٤ — ٥٤٤ هـ أو من سنة ١١٣٠ — ١١٤٩ م

لما توفي الامر باحكام الله لم يترك ولداً ذكراً يرث عنه الملك بل ترك جارية له كانت حاملا فأقام أهل الدولة ابن عمه عبد المجيد بن محمد مدبراً للدولة ونائب الملك فيها حتى تضع جارية الآمر حملها . فوضعت ابنه فبويع عبد المجيد هذا ولقب الحافظ لدين الله فاستوزر احمد بن الافضل بن بدر الجمالي فاستبد بامور الدولة وحجر على الحافظ ولم يدع أحداً يتما بله الا بأمره ولم يزل كذلك حتى كانت سنة ٥٢٦ هـ وفيها قتل أحمد بن الافضل فاستقام أمر الحافظ وحكم في دولته بنفسه وتمكن من دولته و بلاده

واستعمل الحافظ على وزارته أبا الفتح يانسا الحافظي فاستبد فاستوحش كل منهما بصاحبه فوضع له الحافظ سما قتله به سنة ٥٢٦ هـ . وعزم الحافظ بعد قتل يانس ان يخلي دست الوزارة ليستريح من التعب الذي عرض منهم للدولة وأجمع ان يفوض الامور الى ولده . وفوض الى ابنه سليمان ومات لشهرين فقام ابنه الآخر حسنا فحدثته نفسه بالخلافة وداخل الاجناد في ذلك فأطاعوه وعلم الحافظ بهذا الخبر فارسل خادما له قتل كل من وافق ابنه على الانتقاض من القواد . ووضع لابنه من سمه فمات وذلك سنة ٥٢٩ هـ و بعد موت حسن

استوزر الحافظ الامير تاج الدولة بهرام وكان من طائفة الارمن فاستعمل الارمن على الناس فاستذلوهم فثارت الاهالي على بهرام بقيادة رضوان بن وحليس صاحب الباب فازاحوه عن القاهرة فهرب الى الصعيد وما زال هذا حاله الى أن قتل سنة ٥٤٣ هـ قتله العبيد بأمر الحافظ وأتو اليه برأسه . فاخلى الحافظ رتبة الوزارة نهائيا وباشر كل أمور دولته بنفسه

واستراحت مصر من غوائل الصليبيين في كل هذه المدة لاشتغالهم بقتال مسلمي الشام والعراق ولكن ظهر لمصر عدو آخر هو رجار ملك جزيرة صقلية (سيسيليا) فانه بعد أن استرجعها من المسلمين طمحت نفسه في ملك بلادهم فتجهز سنة ٥٤١ هـ وسار الى طرابلس الغرب وملكها . وفي سنة ٥٤٣ هـ استولى على مدينة المهدية مهد الخلافة الفاطمية . ثم تقدم رجار من هناك قاصداً الاسكندرية فارتبك المصريون لهذا النبأ . وفي أثناء ذلك توفي الخليفة الحافظ لدين الله في جمادى الثانية بعلة القولنج وكان سن الحافظ عند موته ٨٠ سنة ومدة حكمه ١٩ سنة و٧ أشهر

١٦٠ – الظافر بأمر الله بن الحافظ لدين الله

من سنة ٥٤٤ — ٥٤٩ هـ أو من سنة ١١٤٩ — ١١٥٤ م

لما توفي الحافظ لدين الله تولى بعده ابنه أبو منصور اسماعيل بعهده اليه بذلك ولقب الظافر بأمر الله فاستوزر بن مضيال . وكان علي بن السلار واليا على الاسكندرية وابنه عباس واليا على الغربية فلم يرضيا بوزارة بن مضيال فلما علم ابن مضيال بعزامهما ضده شكى أمره للظافر فلم يجد منه تعضيداً فهرب الى الصعيد لاربعين يوما من وزارته وقدم بن السلار الى القاهرة فاستوزره الظافر مع كرهه له وأرسل ابنه عباسا لقتال بن مضيال فقاتله وقتله وأحضر رأسه . (ولم يكن عباس بن علي بن السلار بل بن امرأته فاولى ان ندعوه ربيبه وليس ابنه) .

ذكرنا قبلا انه لم يبق لمصر في الشام الا مدينة عسقلان ففي سنة ٥٤٨ هـ تقدم الصليبيون اليها وحاصروها وشددوا عليها الحصار فاستغاث أهل عسقلان

بالظافر وطلبوا منه نجدة فارسل اليهم بن السلار العساكر بقيادة ربيبه عباس

وكان عباس قد استوحش من بن السلار واتفق مع بعض قواده على قتله فلما خرج بعساكر مصر الى بلبيس قاصداً عسقلان أوصى ابنه نصيراً بقتل بن السلار فدخل عليه وهو نائم وقتله وبعث برأسه الى الظافر . ولما بلغ عباسا وهو لا يزال ببلبيس خبر قتل بن السلار رجع بالعساكر الى القاهرة فاستوزره الظافر

ولما أيس أهل عسقلان من المدد أسلموا أنفسهم وبلدهم للصليبيين بعد حصار طويل وكان ذلك كله سنة ٥٤٨ ﻫ

وكان الظافر كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الاغاني وغير ذلك من الامور التي لا تليق بالملوك . وكان نصير بن عباس الوزير من أخص ندمائه فتقول الناس في عشرتهما أقوالا كثيرة . فاستدعى عباس ابنه نصيراً وقبح عليه في شناعة الاحدوثة فيه بين الناس وأغراه بقتل الظافر ليمحو عنه ما يتحدث به الناس فقتله في المحرم سنة ٥٤٩ ﻫ سراً ولم يعلم به أحد . ولما ظهر مقتل الظافر أراد عباس أن ينفي عن نفسه وعن أبيه تهمة قتله فأحضر أخوي الظافر وهما جبريل ويوسف وقال لهما أنكما قتلتما امامنا ولا نطلب دمه الا منكما . فانكر كل الانكار ولكنه قتلهما حالا ظلما وعدوانا

١٦١ — الفايز بالله بن الظافر بأمر الله

من سنة ٥٤٩ — ٥٥٥ ﻫ أو من سنة ١١٥٤ — ١١٦٠ م

وبعد قتل الظافر وأخويه كما تقدم أحضر عباس بن الظافر أبا القاسم عيسى ثاني يوم قتل أبيه ولم يكن له من العمر الا خمس سنين فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له الناس بالخلافة . ولقب الفايز بالله .

فأخذ عباس من ذلك الحين يدبر الامور وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده يد فلم ترق أعمال عباس واستبداده بالامر في أعين نساء قصر الخلافه فكتبن الى طلائع بن رزيك وكان واليا على منية خصيب وأعمالها (مديرية المنيا) وأرسلن اليه بشعورهن طي الكتاب يستغثن به من عباس وجوره ويطلبن منه القدوم الى القاهرة ليسلمنه الامور . فجمع طلائع بن رزيك أصحابه وسار قاصداً القاهرة

ولما علم العباس بقدومه هرب بامواله وأهله الى الشام فلقيه الافرنج وقتلوه وغنموا ما معه . اما رزيك فوصل الى القاهرة واستلم منصب الوزارة وتلقب بالملك الصالح . وتكفل بالخليفة الصغير ودبر أحواله

وفي سنة ٥٥٥ هـ توفي الخليفة الفايز بالله لست سنين من خلافته وكانت مصر قد انحطت في ايامه الى مهاوي الضعف حتى انه كان يدفع مبلغا وافراً من النقود ترضية للصليبيين في بيت المقدس ليتوقفوا عن غزو مصر .

١٦٢ — العاضد لدين الله بن يوسف

من سنة ٥٥٥ — ٥٦٧ هـ أو من سنة ١١٦٠—١١٧١ م

توفي الفايز ولم يخلف ابنا ذكراً يرث عنه الملك فاهتم الملك الصالح (طلائع ابن رزيك) باقامة خليفة من عائلته فدلهم بعض الخدم الى شيخ لم يكن أولى بالخلافة منه فهم الملك الصالح بمبايعته فقال له بعض أصحابه سراً : لا يكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير وترك الكبار واستبد بالامر : فعدل الملك الصالح عن مبايعته وبايع لابي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ وهو حينذاك غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته . ولصغر سن العاضد استبد الملك الصالح بالامر والنهي وجباية الاموال ووتر الناس وفرق أعيانهم في البلاد ليأمن شرهم . فاغتاظ أعداء الملك الصالح لاستبداده بالامر . وكان من الد أعدائه عمة الخليفة العاضد فاغرت بعض كبار الدولة به وأمرتهم بقتله فوقف له بعضهم في دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على حين غفلة فجرحوه جراحا بالغة فحمل الى داخل قصره وبه رمق من الحياة وأرسل الى الخليفة العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع أثره في خلافته فاقسم العاضد أنه لا يعلم بذلك ولا يرضى به . فارسل له قائلا ان كنت بريئا فسلم عمتك الي حتى انتقم منها . فارسلها اليه فقتلها . وبعد أيام قليلة توفي الملك الصالح وكان قتله في رمضان سنة ٥٥٦ هـ وكان الملك الصالح شجاعا كريما جواداً فاضلا . وكان شديد المغالات في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه

وهو يتضمن امامة علي بن أبي طالب والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك
وله شعر كثير ومنه في اعتقاده

يا أمة سلكت ضلالا بينا حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم الى ان المعاصي لم يكن الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم منع الشريعة ان تقام حدودها
حاشا وكلا ان يكون الهنا ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

و بعد موت الملك الصالح تولى وزارة مصر وتدبير أمورها ابنه رزيك بوصاية منه بذلك و تلقب الملك العادل . وكان الصالح قد ولى الصعيد لاحد أتباعه المدعو شاور فسار في خطة مستقيمة جذب بها قلوب الاهالي وقوى أمره جدا حتى تخوف الصالح منه وعزم على اقالته من منصبه ولكنه تخوف من عصيانه ولم يفعل . فلما تولى ابنه العادل الوزارة سهل له بعضهم عزل شاور عن الصعيد وصرفه عنه وخوفوه عاقبة التقصير . فاصدر العادل أمره الى شاور بالعزل فقبض شاور على الرسول وجمع أصحابه وسار فيهم قاصداً القاهرة وذلك سنة ٥٥٨ هـ . فلما علم العادل بقدومه هرب فارسل اليه من أمسكه وقتله . ودخل شاور القاهرة فاستوزره الخليفة العاضد في شهر صفر من تلك السنة ولقبه بامير الجيوش . وكان صاحب الباب شخص يقال له ضرغام فطمع في الوزارة ونازع شاور فيها وساعده بعض مريديه وثار على شاور في شهر رمضان من السنة وألزمه بترك القاهرة فهرب شاور الى الشام ملتجئا الى نور الدين محمود بن زنكي فاستوزر العاضد ضرغام ولقبه الملك المنصور فكان مرضي السيرة

أما شاور فلما استقر به المقام عند نور الدين طلب منه تسيير العساكر الى مصر لارجاع حقه المفقود . ووعده أنه متى تم له النصر يجعل مصر تابعة لنور الدين ويكون هو نائبا له عليها . فتهيب نور الدين من هذا الامر وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى وبالاخص لوجود الصليبيين في الطريق هذا من جهة وخوفا من عدم وفاء شاور بعهوده متى تم له الامر من جهة أخرى . ولكن الحاح شاور وضعف شأن مصر في ذلك الوقت وطمع نور الدين في الاستيلاء على مصر كل ذلك كان سببا لارساله عساكره الى مصر مع شاور بقيادة أخص قواده أسد الدين شيركوه . وسار مشيعا لهم الى آخر حدود الشام خوفا من

اعتداء الافرنج عليهم . وكان مع أسد الدين شيركوه في هذه الحملة يوسف بن أخيه نجم الدين ابن أيوب (هو يوسف صلاح الدين راس الدولة الايوبية) وكان صغير السن . فساروا حتى وصلوا الى مدينة بلبيس بلا معارض . فلما علم ضرغام بقدوم شاور ومن معه أرسل اليهم أخاه ناصر الدين بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة . وتقدم أسد الدين ونزل على القاهرة أواخر جمادى الاخرى سنة ٥٥٩ هـ . فخرج اليهم ضرغام في عساكره فانهزم هزيمة قبيحة ودخل أسد الدين وشاور القاهرة فهرب ضرغام خارجا من باب زويله فصاح به الناس وشتموه وتتبعوه حتى قرب جامع السيدة نفيسة وهناك قتلوه واحتزوا رأسه سلخ جمادي الاخرى . وعادت الوزارة الى شاور . وأقام أسد الدين بعسكره خارج القاهرة . فلما استتب الامر لشاور عاد عما كان قد قرره لنور الدين وأرسل الى أسد الدين يطلب اليه الانسحاب الى الشام . فامتنع أسد الدين عن اجابة هذا الطلب وذكر شاور بعهوده وايمانه ولكن بلا فائدة . فلما رأى أسد الدين ذلك من شاور احتل مديرية الشرقية وملكها . وعلم شاور ان لا قدرة له على ازاحة هذا الجيش عن مصر فاستمد الصليبيين الذين بعد أن استولوا على الشام طمعوا في مصر وصاروا يتربصون للفرص للاغارة عليها فكانت هذه الفرصة في غاية المناسبة لمقاصدهم فاجابوا دعوته حالا وأمدوه بجيش جرار فحاصروا أسد الدين بمدينة بلبيس ثلاثة اشهر ولم يقدروا على أخذها منه ثم علم الافرنج بانهزام اخوانهم بالشام امام نور الدين محمود بن زنكي فخابروا أسد الدين شيركوه في الخروج من بلبيس الى الشام وكان قد مل جنده القتال فاجابهم الى ذلك ولم يكن يعلم بانتصار سيده على اخوانهم بالشام وانهم صالحوه مضطرين لامختارين . وبعد عقد الصلح انسحبت عساكر أسد الدين وساروا الى الشام وفي نفس أسد الدين غصة من أهل مصر لا يشفيها الا تملكه عليهم . ولما وصل أسد الدين الى الشام وجد مولاه نور الدين قد تغلب على الافرنج في عدة مواقع فاتحد معه وافتتحا عدة حصون . ثم ابتدأ أسد الدين يستحث نور الدين على فتح مصر ويعلمه بموضع الضعف فيها وما زال يحرضه على هذا الامر حتى جهز له جيشا وأرسله بقيادته سنة ٥٦٢ هـ فعاد أسد الدين الى مصر محاربا وعلم شاور بقدومه فاستمد الافرنج بالشام فأمدوه أما أسد الدين

شيركوه فما زال سائراً ومنتصراً على كل معارضيه حتى وصل الى اطفيح ومنها عبر النيل الى البر الغربي واستولى على الجيزة وكثير من بلاد الصعيد ولما وصل امداد الافرنج الى مصر اتحدت معهم عساكر شاور وساروا جميعا قاصدين الجيزة فلما علم شيركوه بتقدمهم نحوه رجع من الصعيد متهيبا لقائهم لكثرة جموعهم وقلة من معه فالتقاهم وهزمهم وأرجعهم على أعقابهم وتقدم الى مصر السفلى فاتحا جابيا الاموال حتى بلغ الاسكندرية وملكها وولاها بن أخيه يوسف صلاح الدين . ثم جاءت الامدادات للافرنج من الشام فتكاثر جيش العدو على شيركوه مع استحالة وصول الامداد اليه من نور الدين محمود بن زنكي لان الافرنج وقفوا لهم بالمرصاد . فتفضل عقد الصلح والانسحاب من الديار المصرية عن التغرير بجيوشه . فتم عقد الصلح بين الطرفين وسلم شيركوه الاسكندرية وكل البلاد التي فتحها الى شاور وانسحب الى الشام

ولكن هذا الانسحاب لم يفد شاور فائدة تذكر لانه على رأي العامة خرج من ساقية وقع في طاحون . لان الافرنج الذين أمدوه على شيركوه كانت أنظارهم دائما تطمح الى ملك مصر فوجدوا هذه فرصة مناسبة لم يضيعوها . فلما انسحبت عساكر شيركوه من أرض مصر طلبوا من شاور أن يكون لهم شحنة بالقاهرة (قنصل) وأن تكون أبوابها في أيديهم (خوفا من رجوع عساكر نور الدين الى مصر بزعمهم) واتفقوا معه على مال معلوم يحمله لهم سنويا فاجابهم الى كل ماطلبوا . ولكن لم يكن هذا حد مطامع الصليبيين في مصر بل كما ذكرنا كانت عيونهم تطمح الى أكثر من ذلك فاستمدوا اخوانهم بالشام . فأمدوهم بجيش جرار فقدم هذا الجيش ودخل الاراضي المصرية بغتة وتقدم الى بلبيس وافتتحها عنوة بعد حصار ثلاثة أيام ونهبوها وذبحوا كل من فيها وعزم جيش الصليبيين على التقدم لفتح القاهرة قوة واقتداراً فلما بلغ ذلك شاور تحير في أمره وبعد قليل بدا له ان يستنجد نور الدين من الشام فارسل اليه يستمده فأمده بجيش عظيم تحت قيادة شيركوه المتقدم ذكره . فقدم الى مصر لثالث مرة . وقبل أن يصل الى أرض مصر كان الافرنج قد حاصروا القاهرة وخاف شاور من اقتحامهم لها فاحرق الفسطاط لكي لا يبقى فيها ملجأ يعسكر فيه الصليبيون . وبعد ذلك دارت المخابرات الودية بين شاور والافرنج بشأن رفع

الحصار عن القاهرة والانسحاب من الديار المصرية (والذي ألجأ شاور على الاتفاق مع الافرنج مع علمه بقدوم مدد له من نور الدين خوفه من أن يتحد عسكر نور الدين مع الخليفة العاضد عليه) فطلب الافرنج من شاور مليون دينار يدفع منه جزءاً مقدما والباقي أقساطا مؤجلة حتى يمكنهم الانسحاب فرضى شاور بهذا الشرط ودفع لهم مئة الف ديناراً مقدما فانسحب الافرنج قبل وصول شيركوه الى القاهرة بقليل . فالتقى جيش الصليبيين المنسحب وجيش شيركوه عند بلبيس فحاربهم شيركوه وأزاحهم عن الديار المصرية . وتقدم الى القاهرة فدخلها في ربيع الثاني سنة ٥٦٤ ﻫ وسار تواً الى قصر الخليفة العاضد فترحب به وخلع عليه وأمر اليه قتل شاور . ثم رجع شيركوه الى معسكره وبقي شاور يتردد اليه وهو في ريبة منه . فدس شيركوه الى بن أخيه يوسف صلاح الدين وعز الدين خرديك بقتل شاور . فجاء شاور كعادته الى معسكر شيركوه وسأل عنه فقيل له ذهب الى قبر الامام الشافعي فسار اليه وكان صلاح الدين وعز الدين قد تربصا له في الطريق فقتلاه واحتزا رأسه وسيراه الى العاضد . ونهبت العامة دوره . واعتقل العاضد ولديه شجاعا والطازي . واستوزر العاضد شيركوه وجمله أمير الجيوش ولقبه المنصور . فاستقر له الامر وغلب على الدولة وأقطع البلاد لعساكره . ولكنه لم يهنأ بالوزارة الا قليلا حتى أتاه القضاء المبرم فتوفي في ٢٢ جمادى الاخرى سنة ٥٦٤ ﻫ لشهرين وخمسة أيام من وزارته وبعد وفاته استوزر الخليفة العاضد مكانه بن أخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر . فأبت الجيوش السورية اعتبار يوسف صلاح الدين وزيراً لصغر سنه فاسترضاهم بما يعمي العيون بصفرته فهدأوا ومالوا اليه وأقسموا على طاعته ونصرته . ثم ظهر ليوسف صلاح الدين خصم جديد هو مؤتمن الخلافة جوهر الخصي وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين ووافقه كثير من الاعيان والجنود المصرية على هذا الرأي واتفق رأيهم أن يرسلوا الى الافرنج في بلاد الساحل يدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم في القاهرة واجتمعوا مع الافرنج على اخراجه من مصر . فسيروا رجلا الى الافرنج وجعلوا كتبهم معه في نعل . فلما وصل الرجل الى البير البيضاء بقرب بلبيس قابله أحد رجال صلاح الدين فانكر أمر الرجل لانه رأى النعلين في يده وليس فيهما

أثر للمشي والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين . فتتبع خطوط الكتب حتى عرف ان الذي كتبها رجل يهودي فهم بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر . وبلغ مؤتمن الخلافة فخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج . فأغضى صلاح الدين عنه حتى ظن مؤتمن الخلافة ان الامر قد نسي فخرج الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه . فلما علم صلاح الدين أرسل اليه جماعة فأخذوه وقتلوه وأتوا برأسه . وكان ممن ساعد مؤتمن الخلافة على ارسال الرسول الى الافرنج كما قدمنا كثير من أولياء الشيعة منهم العوريش وقاضي القضاة وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي وكان متولي كبرها وغيرهم وعلم صلاح الدين بذلك وأراد الفتك بهم ولكنه ترقب الفرص الى أن أتاه أخوه طوران شاه وحكى له ان عمارة امتدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضي الى اليمن ويحمله على الاستبداد وانه تعرض فيها للجانب النبوي بما يوجب استباحة دمه وهو قوله

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به ... الى سواك واور النار في العلم
هذا بن تومرت قد كانت ولايته ... كما يقول الورى لحماً على وضم
وكان أول هذا الدين من رجل ... سعى الى أن دعوه سيد الامم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحد . واستعمل صلاح الدين على القصر خصياً له أبيض يدعى قراقوش . وغضبت عساكر المصريين لقتل مؤتمن الخلافة واجتمعوا في ٥٠ الفا وقاتلوا أجناد صلاح الدين بين القصرين وكادوا ينتصرون عليه لولا شجاعة طوران شاه أخي صلاح الدين فهزمهم شر هزيمة وأعمل فيهم قتلا وسبيا حتى طلبوا الامان فأمنهم . وكانت هذه الوقعة التي تعرف بوقعة السودان (لان معظم جيش مصر الذين قاتلوا صلاح الدين في هذه الوقعه كان من السودان) في شهر ذي القعدة سنة ٥٦٤ هـ

ولما استتب الامر لصلاح الدين وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة العاضد وصار قصره تحت تصرف صلاح الدين ونائبه قراقوش كتب اليه نور الدين بقطع الخطبة للعاضد واقامة الدعوة العباسية بمصر فامتنع صلاح الدين أولا وتخوف من هذا الامر واعتذر لنور الدين انه ربما يتسبب من هذا الامر ثورة بمصر . ولكن لم يكن هذا كل السبب الذي جعل صلاح الدين يرفض

طلب نور الدين بل انه كان يكره قطع الخطبة للعاضد ويريد بقاءه خوفا من نور الدين نفسه فانه كان يخافه ان يدخل الديار المصرية ويأخذها منه . ولكن نور الدين لم يقبل عذره هذا وأرسل اليه أمراً باتا بقطع الدعوة العاضدية ولما كان صلاح الدين في واقع الامر تابعا لنور الدين و يعتبر نائبا عنه في مصر اضطر الى اجابة طلبه فاستأذن فيه أصحابه فاشاروا به وانه لا يمكن مخالفة نور الدين . وكان قد وفد على مصر فقيه أعجمي يعرف بالامير العالم الخبشاني فلما رأى احجامهم وعدم تجاسرهم على قطع خطبة العاضد قال لهم أنا أبتدىء بقطعها وأخطب للمستضيء العباسي . فلما كان أول جمعة من المحرم سنة ٥٦٧ هـ صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء فلم ينكر عليه أحد . فامر صلاح الدين في الجمعة الثانية الخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا خطبة العاضد ويخطبوا للمستضيء العباسي ففعلوا . وكان العاضد في ذلك الوقت في شدة من المرض فلم يعلمه أحد بذلك وتوفي في عاشوراء من السنة فاستولى صلاح الدين على قصوره وما فيها من النفائس التي لاتقدر واعتقل أهله ووكل بهم من يحفظهم وبموته انقرضت الدولة الفاطمية بعد أن ملكت من سنة ٢٩٧ — ٥٦٧ هـ كما تقدم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٦٣ - الدولة المكناسية

من آل أبي العافية بمراكش

(تمهيد) كان موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول بن تافرسين بن فراديس بن نيف بن مكناس وابن عمه مصالة بن حبوس رئيسين على مواطن ملوية وكرسيف ومليلة وأعمالها واستفحل أمر المكناسيين في أيامهما وعظم سلطانهم وتغلبوا على قبائل البربر بانحاء تازا ولما استولى عبيد الله المهدي رأس الدولة الفاطمية المتقدم ذكرها على المغرب سنة ٣٠٥ هـ واستفحل أمره صاروا من أوليائه وشيعته وكان مصالة بن حبوس من أكبر قواده وولاه على مدينة تاهرت والمغرب الاوسط ولما استولى مصالة على فاس وسجلماسة بدعوة عبيد الله المهدي واستنزل يحيى بن ادريس من امارته

بفاس الى طاعة العبيدية وأبقاه أميراً على فاس عقد حينئذ لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره . ولما عاد مصالة الى المغرب الاقصى أغراه موسى بن أبي العافية بالقبض على يحيى بن ادريس الذي كان لايزال عاملا على فاس بدعوة العبيديين فقبض عليه واستصفى أمواله واستعمل مكانه على فاس ريحان الكتامي وعاد مصالة الى القيروان فتوفي في الطريق وابتدأ أمر موسى بن أبي العافية بالظهور وخصوصا بعد ظهور حسن الحجام الادريسي واستيلائه على فاس وقتله ريحان الكتامي

١٦٤ – موسى بن أبي العافية

من سنة ٣١١ — ٣٤١ هـ أو من سنة ٩٢٣ — ٩٥٢ م

كان ريحان الكتامي واليا على فاس من قبل عبيد الله المهدي الفاطمي وكان موسى بن أبي العافية والياً على باقي بلاد المغرب الاقصى من قبل المهدي المذكور أيضاً وفي سنة ٣٠٥ هـ عقب انقراض دولة الادارسة ظهر منهم شخص يدعى الحسن الحجام وتغلب على ريحان الكتامي وقتله واستولى على فاس فطمع في باقي بلاد المغرب فخرج سنة ٣١١ هـ لقتال موسى بن أبي العافية فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا وقاتله وانتصر عليه وكادت الدائرة تقع نهائيا على موسى بن أبي العافية الا أنه خانه أحد قواده المدعو حامد بن حمدان واتحد مع موسى بن أبي العافية فانهزم الحجام وأسر أسره حامد المذكور . وتم الانتصار لموسى بن أبي العافية واستولى على فاس واستتب له الامر بها . ثم شمر لطرد الادارسة عن بلاد المغرب جميعه ليصفوا له الوقت فأجلاهم عن بلادهم من شالة وآصيلا وأخيراً حاصرهم في سنة ٣١٧ هـ في قلعة النسر وكاد يفتك بهم لولا امتناع أهل المغرب عن اجابته الى هذا الطلب لان الادارسة من آل البيت كما لايخفى . فتركهم بقلعة النسر ورجع الى فاس بعد ان استخلف قائده أبا الفتح التسولي في الف فارس يمنعهم من التصرف . ولما رجع موسى الى فاس علم بسوء سيرة عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة فعزله وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ثم عزله وولى مكانه طول بن أبي يزيد .

واستعمل موسى على الغرب الاقصى ولده مدين بن موسى بن أبي العافية وأنزله بعدوة القرويين . ثم نهض الى تلمسان سنة ٣١٩ هـ فملكها وأعمالها وكانت بيد الحسن بن أبي العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخي ادريس الاكبر . وفر الحسن الى مدينة مليلة . فتعقبه موسى واستولى في طريقه على مدينة نكور وغيرها ثم عاد الى فاس وقد دوخ البلاد والاقطار وانتظم المغربان الاقصى والاوسط في ملكه . وفي كل هذه المدة كان موسى يفتح البلاد و يدوخ الاقطار باسم عبيد الله المهدي الفاطمي . فلما قوي أمره وبعد صيته راسله عبد الرحمن الناصر الاموي بالاندلس في القيام بدعوته وقطع الخطبة للشيعة ووعده الجميل على ذلك فاجابه موسى بن أبي العافية وخطب له على منابر المغربين . فلما اتصل الخبر بعبيد الله المهدي سرح اليه قائده حميد بن يصليت المكناسي في عشرة آلاف فارس فالتقي حميد وموسى بفحص مسون فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها موسى ومضي الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصن بها . وتقدم حميد الى فاس فلما قرب منها فر عنها مدين بن موسى ولحق بابيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامد بن حمدان الهمداني . وكان ذلك سنة ٣٢١ هـ . ولما اتصل ببني ادريس المحصورين بقلعة النسر خبر هزيمة موسى بن أبي العافية وفرار ابنه عن فاس قويت نفوسهم وتظاهروا على أبي الفتح التسولي فنزلوا اليه وقاتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى الفضاء بعد انحصارهم بالقلعة أربع سنين . وأقام حامد بن حمدان واليا على فاس من قبل الشيعة الى أن ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي وذلك عقب وفاة عبيد الله المهدي سنة ٣٢٢ هـ فقتل حامد بن حمدان وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبي العافية . فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة واستولى على المغرب . وعادت الدعوة به الى بني مروان . ولما اتصل الخبر بابي القاسم بن عبيد الله المهدي المتولى بعد أبيه سرح قائده ميسوراً الخصي الى المغرب فقدمه ميسور سنة ٣٢٣ هـ وخام بن أبي العافية عن لقائه واعتصم بحصن آلكاي وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها أياما الى أن خرج اليه أحمد بن بكر مستأمنا وقدم اليه هدايا نفيسة وأموالا جليلة فأخذ منه الهدايا والاموال واعتقله هو وسيره الى المهدية فلما رأى أهل فاس غدر ميسور وعدم وفائه لمن استأمن اليه خافوا على أنفسهم

وقفلوا أبواب المدينة وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصرهم ميسور سبعة أشهر ولما طال عليهم الحصار رغبوا في السلم وطلبوا الامان فأمنهم واستعمل عليهم حسن بن قاسم اللواتي ثم سار ميسور قاصداً موسى بن أبي العافية فكانت بينهم حروب كثيرة والنصر متبادل الى أن انتصر ميسور أخيراً وأسر البوري ابن موسى بن أبي العافية وغربه الى المهدية وطرد موسى عن أعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء ثم قفل الى القيروان . وبعد رجوع ميسور الى القيروان عاد موسى بن أبي العافية الى المغرب الاقصى واستولى على كثير من مدنه وبقي أميراً على المغرب الى أن توفي سنة ٣٤١ هـ

١٦٥ — بقية أخبار آل أبي العافية

من سنة ٣٤١ — ٣٦٣ هـ أو من سنة ٩٥٢ — ٩٧٣ م

لما توفي موسى بن أبي العافية ولي بعده ابنه ابراهيم الى أن توفي سنة ٣٥٠ هـ فولي بعده ابنه عبد الله ويقال عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية الى أن توفي سنة ٣٦٠ هـ فولي عمله من بعده ابنه محمد وعليه انقرضت دولة آل أبي العافية سنة ٣٦٣ هـ . وقيل انه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى ابن أبي العافية ولي بعده ابنه القاسم بن محمد المحارب للمتونة فكانت بينه وبينهم حروب الى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل شأفة ذرية موسى ابن أبي العافية بالمغرب والله أعلم والبقاء لله وحده

١٦٦ — الدولة الزيارية بجرجان

(تمهيد) لما قوي ملك السامانية وبعد صيتهم واستولوا على جرجان وطبرستان وخراسان وفارس وغيرها غير ما في أيديهم بما وراء النهر (راجع تاريخ الدولة السامانية من فصل ١٣٦ — ١٤٦) استعملوا كثيرين من الديلم قواداً ورؤساء جيوش لهم ومن أولئك القواد القائد اسفار الذي قوي أمره جداً واستولى على جرجان وطبرستان فانحرف عن دعوة السامانية الى دعوة العلوية بطبرستان

ثم لما هلك أبو علي الاطروش استقل اسفار بطبرستان وسار بكر بن محمد بن اليسع أحد قواد السامانية الى جرجان فملكها وأقام فيها دعوة نصر بن سامان . وقدم ماكان بن كالي قائد العلوية بطبرستان اليها بعد استيلاء اسفار عليها وقاتله وانتصر عليه وملك طبرستان من يده ولحق اسفار بجرجان فقام بها عند بكر بن اليسع الى أن توفي بكر سنة ٣١٥ ﻫ فولاها الامير السعيد نصر بن أحمد الساماني اسفار بن شيرويه المذكور فارسل اسفار الى مرداويج بن زيار ملك الجبل يستدعيه فحضر عنده وجعله أمير الجيش وأحسن اليه وكان اسفار المذكور ظلوماً غشوماً سيء الخلق جداً فضلاً عن سوء سريرته لانه ما لبث ان استولى على طبرستان وقوي أمره بقدوم مرداويج اليه حتى خلع طاعة السامانية مرة أخرى وملك كثيراً من البلاد وظلم العباد حتى أزهق أرواح الاهالي وتمنوا زوال ملكه . ولما تحقق مرداويج سوء سيرة اسفار أبغضه أيضاً بغضاً شديداً وصار ينتهز الفرص لخلع طاعته . واتفق أن بعثه اسفار الى صاحب سميران الطرم الذي ملك اذربيجان بعد ذلك ليدعوه الى طاعته فبدلا من أن يجتذبه الى اسفار فاوضه في سوء سيرته في الناس واتفقا على الوثوب عليه ووافقهما وزير اسفار نفسه مطرف بن محمد فسار مرداويج بن زيار وسلار (صاحب سميران الطرم) اليه . فبلغ اسفار الخبر وان أصحابه بايعوا مرداويج فاحس بالشر وهرب الى الري ومنها الى بيهق ببلاد خراسان . فارسل مرداويج الى ماكان بن كالي بطرد اسفار فسار اليه ماكان فهرب الى بست ثم دخل مفازة الري قاصداً قلعة الموت وبها أهله وذخيرته فتخلف عنه بعض أصحابه في المفازة . وعلم مرداويج بخبره فسار اليه وأسره بعض قواده وحمله الى مرداويج فاراد أن يحبسه بالري فحذره بعض أصحابه غائلته فامر بقتله .

١٦٧ - مرداويج بن زيار

من سنة ٣١٦ — ٣٢٣ ﻫ أو من سنة ٩٢٨ — ٩٣٤ م

و بعد مقتل اسفار قوي امر مرداويج وبايعه أصحاب اسفار فتنقل في البلاد يفتحها فملك قزوين والري وهمذان وكنكور والدينور ويزدجرد وقم وقاشان

وأصفهان وجرباذقان وغيرها و بعد أن استتب أمره وقوي ملكه دخلته روح الكبرياء والخيلاء فعمل له سريراً من ذهب يجلس هو عليه وعمل سريراً من فضة لاكابر دولته . وأمر أن لا يقترب منه أحد سوى من اختصه للقرب منه وكان اذا جلس على سريره الذهبي تصطف جنوده حوله على بعد معلوم منه فتزيد المكان هيبة تخافه الناس خوفاً شديداً

وكان ما كان بن كالي الذي ساعد مرداويج على اسفار أميراً على جرجان و طبرستان فلما قوي أمر مرداويج وكثرت جنوده لم يحفظ لما كان جميلا وطمع في الاستيلاء على جرجان وطبرستان وقاتل ما كان وهزمه واستولى على طبرستان وولى عليها من قبله بلقسم بن بانجين اسفهسلار عسكره (قائد جيوشه) ثم سار نحو جرجان وملكها من عامل ما كان وولى عليها سرخاب بن باوس بالنيابة عن بلقسم فجمع لبلقسم جرجان وطبرستان . وعاد مرداويج الى أصفهان ظافراً غانماً . واقبلت الديلم اليه من كل ناحية لبذله واحسانه الى جنده فعظمت جيوشه وكثرت عساكره وكثر الخرج عليه فلم يكفه ما في يده ففرق نوابه في النواحي المجاورة له فسير الى همذان سنة ٣١٩ ﻫ ابن أخت له في جيش كثيف وكان بها أبو عبد الله بن محمد بن خلف في عسكر الخليفة المقتدر العباسي فتحاربوا حروباً كثيرة وأعان أهل همذان عسكر الخليفة فظفروا بالديلم وقتلوا ابن أخت مرداويج فسار اليهم مرداويج من الري وهرب عسكر الخليفة من همذان ودخلها مرداويج عنوة فأثخن في أهلها ثم أمنهم . وزحفت اليه عساكر المقتدر مع هرون بن غريب فهزمهم مرداويج وملك بلاد الجبل وما وراء همذان وبعث قائداً من أصحابه الى الدينور ففتحها عنوة . وبلغت عساكره نحو حلوان وامتلأت أيديهم من الذهب والسبي ورجعوا

وفي سنة ٣٢٠ ﻫ أرسل مرداويج الى أخيه وشمكير ليقدم اليه وكان لا يزال في بلادهم يتعاطى الفلاحة فوصل اليه رسول أخيه مرداويج ووصف له حال أخيه وسعة ملكه وعظم سلطانه فاستبده أولا . ثم استغرب وشمكير لما علم أن أخاه بايع العباسيين (وكان أهل الجبل يتشيعون) ولم يرغب المسير اليه . فلم يزل به الرسول حتى سار به الى أخيه فخرج به الى قزوين والبسه السواد بعد المحاولة شديداً . قال الرسول . رأيت من جهل وشمكير أشياء أستحي من ذكرها ثم

أعطته السعادة ما كان له في الغيب فصار أكثر الناس معرفة بالسياسة

وفي هذه الاثناء ظهر أمر بني بويه وملكوا البلدان ودوخوا الاقطار حتى ملكوا بلاد فارس سنة ٣٢٢ هـ فلما علم مرداويج بذلك اشتد ذلك عليه فرأى أن يرسل عسكراً الى الاهواز ليستولي عليها ليمنع تقدم بني بويه . وسارت عساكر مرداويج في شهر رمضان سنة ٣٢٢ هـ حتى بلغت ايذج فخاف ياقوت (قائد جيوش الخليفة الراضي العباسي) الذي كان واليا على بعض الاعمال القريبة من الاهواز فكتب للخليفة الراضي أن يوليه الاهواز فولاها له علاوة على ما بيده فسار اليها قبل وصول عساكر مرداويج . ثم وصلت عساكر مرداويج الى الاهواز فقاتلها ياقوت لكنه انهزم واستولى مرداويج على الاهواز فلما علم عماد الدولة بن بويه خبر استيلاء . مرداويج على الاهواز كاتب نائب مرداويج يستمليه ويطلب منه أن يتوسط الحال بينه وبين مرداويج ففعل ذلك وسعى فيه فاجاب مرداويج عماد الدولة الى ما طلب على ان يطيعه ويخطب له فاستقر الحال بينهما وأهدى له بن بويه هدية جليلة وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة وخطب لمرداويج في بلاده

ولما عظم شان مرداويج أساء السيرة في الناس وخصوصا في الاتراك الذين كان يدعوهم الشياطين وأكثر من اهانتهم الى درجة لا تطاق فاتفقوا فيما بينهم على قتله وقتلوه سنة ٣٢٣ هـ وكان الذي تولى كبر ذلك تورون الذي صار بعد ذلك أمير الامراء ببغداد وبارق بن بقراخان ومحمود بن نيال الترجمان وبحكم الذي ولي امارة الامراء قبل تورون

١٦٨ - وشمكير بن زيار

من سنة ٣٢٣ — ٣٥٧ هـ أومن سنة ٩٣٤ — ٩٦٧ م

لما قتل مرداويج اجتمع أصحابه بالري وبايعوا أخاه وشمكير بن زيار فطمع فيه الامير نصر الساماني وأرسل جيشا لاستخلاص البلاد منه فارسل وشمكير جيشا بقيادة ماكان الديلمي لرد السامانية فالتقوا وتقاتلوا فانهزم جيش السامانية ورجع على الاعقاب وكان بنو بويه يرون وشمكير سداً منيعا امام

مطامعهم فاجتهد ركن الدولة وأخوه عماد الدولة صاحب فارس في تحريض أبي علي بن محتاج صاحب خراسان ليهاجم وشمكير بالري ويزيحه عنها فسار أبو علي لذلك . فلما علم وشمكير بقدومه استمد ماكان بن كالي فجاءه بنفسه و بعث ركن الدولة بن بويه مدداً لابي علي بن محتاج فالتقوا باسحق آباد و بعد قتال شديد انهزم وشمكير ولحق بطبرستان فملكها وقتل ماكان بالمعركة واستولى أبو علي على الري . ثم بعث أبو علي العساكر الى بلد الجبل فاستولى على زنكان وابهر وقزوين وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حلوان وكان ذلك سنة ٣٢٩ هـ

وكان لماكان بن كالي ابن عم يدعى الحسن بن الفيرزان فبعد أن قتل ماكان كما ذكرنا راسله وشمكير ليتحد معه ويدخل في طاعته فرفض ذلك رفضا باتا ونسب قتل ابن عمه ماكان الى وشمكير وصار يلعنه جهاراً . فقصده وشمكير وكان الحسن بمدينة سارية فسار عنها ولحق بابي علي صاحب خراسان واستنجده فسار معه أبو علي من الري وحاصر وشمكير بسارية وطال أمر الحصار فتخابروا في الصلح وتم شروطه وعاد أبو علي كما أتى وذلك سنة ٣٣١ هـ . فاغتاظ الحسن ابن الفيرزان لهذا الصلح الذي لم يكن حسب مراده وأراد الفتك بابي علي بن محتاج صاحب خراسان واتحد معه كثيرون من قواد الجيش . ولكن بلغ أبا علي الخبر فهرب قبل ان يفتكوا به واستولى الحسن على سواده . فانتهز وشمكير هذه الفرصة المناسبة لاسترجاع مدينة الري التي سلبها منه أبو علي فسار من طبرستان الى الري وملكها بلا كبير عناء . ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فان بني بويه الذين يهمهم دوام ضعف وشمكير لم يرق في أعينهم هذا الفتح فسار ركن الدولة الحسن ابن بويه الى الري وقاتل وشمكير عليها وانتصر عليه واستولى على الري . وانهزم وشمكير الى طبرستان ففارقه كثيرون من اتباعه فسار الى خراسان وكان ذلك سنة ٣٣٢ هـ . فلما وصل خراسان سار الى الامير نوح الساماني مستنجداً به فارسل معه عسكراً استطاع بهم أن يستخلص جرجان من يد الحسن بن الفيرزان فهرب الحسن ولحق بركن الدولة بن بويه ومكث عنده بالري . وفي سنة ٣٣٦ هـ سار ركن الدولة بن بويه الى بلاد وشمكير فانهزم وشمكير وملك ركن الدولة طبرستان وجرجان وعاد وشمكير الى الامير منصور بن نوح الساماني مستنصراً به على بني بويه وأطمعه فيهم وأسر اليه ان قواده

لا يناصحونه في شأنهم . فكتب الامير منصور بن نوح الى أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور صاحب خراسان بالمسير الى الري واتباع أوامر وشمكير ولما بلغ ركن الدولة قدومهم استعد لهم واستنجد ابنه عضد الدولة فلما علموا باستعداده توقفوا بالدامغان يستطلعون الاخبار . وفي هذه الاثناء خرج وشمكير يوما ما للصيد فاعترضه خنزير فرماه بحربة من يده فحمل عليه الخنزير فشب الفرس وسقط وشمكير الى الارض ومات من سقطته في محرم سنة ٣٥٧ ﻫ . وبموته انتقض جميع ما كانوا فيه ورجع جيش السامانية من حيث أتى

١٦٩ — بهستون بن وشمكير

من سنة ٣٥٧ — ٣٦٦ ﻫ أو من سنة ٩٦٧ — ٩٧٦ م

لما توفي وشمكير قام بالامر بعده ابنه بهستون وهذا لما رأى الايام تخدم بني بويه استحسن الاتحاد معهم فراسل ركن الدولة في ذلك فاجابه الى ما طلب وأمده بالعساكر والاموال وما زال في راحة وسلام حتى توفي سنة ٣٦٦ ﻫ عن ابن صغير بطبرستان مع جده لامه . فطمع جده أن يأخذ الملك و بادر الى جرجان وكان قابوس بن وشمكير أخو بهستون زائراً خاله رستم في بلد الجبل فلما بلغه خبر وفاة أخيه أسرع الى جرجان وملكها و بايعه جند أخيه وهرب من كان مع بن بهستون فاخذه عمه قابوس وكفله وجعله أسوة أولاده وتم له ملك جرجان وطبرستان

١٧٠ — قابوس بن وشمكير

من سنة ٣٦٦ — ٤٠٣ ﻫ أو من سنة ٩٧٦ — ١٠١٢ م

وتم الامر بعد بهستون لاخيه قابوس بن وشمكير وملك جرجان وطبرستان وتلقب بشمس المعالي . وفي هذه السنة توفي ركن الدولة وعهد لابنه عضد الدولة وولى ابنه فخر الدولة على همذان وأعمال الجبل وابنه موئد الدولة على أصفهان وكان بختيار بن معز الدولة ببغداد فاستولى عليه ثم سار عضد الدولة الى

أخيه فخر الدولة بهمذان فهرب الى قابوس بن وشمكير . ونزل عضد الدولة الى الري وبعث الى قابوس في طلب أخيه فخر الدولة فابى فسير اليه جيشا بقيادة أخيه موئد الدولة فقاتله وهزمه واستولى على جرجان وطبرستان وصار قابوس طريداً الى أن ظهر أمر الدولة الغزنوية بظهور سبكتكين فلحق به قابوس فوعده برده الى ملكه ولكنه مضى الى بلخ ومات بها سنة ٣٨٧ ﻫ . فلما كانت سنة ٣٨٨ ﻫ بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالي قابوس الاصبهبد الى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة فاقتتلا فانهزم رستم واستولى أصبهبد على الجبل وخطب لشمس المعالي . وكان على ناحية الاستندارية شخص يقال له باني بن سعيد وكان له ميل الى شمس المعالي فسار الى آمد وطرد عنها عسكر مجد الدولة واستولى عليها وخطب فيها لقابوس وكتب اليه بذلك . ثم كتب أهل جرجان الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار أصبهبد وباني بن سعيد اليها من مكانهما فخرج اليهما عساكر جرجان فقاتلوها فانهزم العسكر ورجعوا الى جرجان فلقوا مقدمه قابوس عندها فانهزموا ثانية وجاءت العساكر من الري لحصاره فاقاموا ودخل فصل الشتاء وتوالت عليهم الامطار وعدمت الاقوات فارتحلوا وتبعهم قابوس وقاتلهم فهزمهم وأسر جماعة من أعيانهم وملك ما بين جرجان واستراباذ . وعاد لقابوس من الملك اكثر مما كان له أولا . ثم ان الاصبهبد حدث نفسه بالملك واغتر بما اجتمع له من الاموال والذخائر فخالف على قابوس فسارت اليه العساكر من الري مع المرزبان خال مجد الدولة فهزموه وأسروه وأظهروا دعوة شمس المعالي بالجبل (لان المرزبان كان مستوحشاً من مجد الدولة) فانضافت مملكة الجبل جميعا الى مملكة جرجان وطبرستان وولى عليها قابوس ابنه منوجهر ففتح الرويان وسالوس . واتفق ظهور محمود بن سبكتكين (من الدولة الغزنوية) في هذا الوقت وعظم شأنه وافتتح كثيراً من المدن فراسله قابوس وهداه وحالفه على المعاضدة فقوي امر قابوس بهذه المحالفة

وكان قابوس مع كثرة فضائله ومناقبه شديد البطش قليل العفو يقتل على الذنب اليسير فضجر أصحابه منه واستطالوا أيامه واتفقوا فيما بينهم على قتله فقتلوه سنة ٤٠٣ ﻫ . وكان قابوس غزير الادب وافر العلم ومن شعره :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا   هل عاند الدهر الا من له خطر

أما ترى البحر يطفو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا ومسـنا من توالي صرفها ضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر

١٧١ – منوجهر بن قابوس

من سنة ٤٠٣ — ٤٢٦ هـ أو من سنة ١٠١٢ — ١٠٣٤ م

ولما قتل قابوس بن وشمكير قام بالامر بعده منوجهر وتلقب فلك المعالي وتتبع آثار قاتلي أبيه فاباده . وما زال منوجهر ملكا على بلاد أبيه لاينازع أحداً ولا أحد ينازعه الى سنة ٤٢٠ هـ التي فيها سار محمود بن سبكتكين عند ما قبض حاجبه على مجد الدولة البويهي وملك الري بدعوة محمود فهرب منوجهر ابن قابوس من جرجان و بعث اليه باربعمائة الف دينار ليصالحه وتحصن منه بجبال وعرة ثم أبعد المذهب ودخل الغياض الملتفة وأجابه محمود فبعث اليه منوجهر بالمال ونكب عنه في رجوعه الى نيسابور . ثم توفي منوجهر أثر ذلك سنة ٤٢٦ هـ

١٧٢ — أنوشروان بن منوجهر

من سنة ٤٢٦ — ٤٣٠ هـ أو من سنة ١٠٣٤ — ١٠٣٨ م

لما توفي منوجهر قام بالامر بعده ابنه أنوشروان فاقره محمود بن سبكتكين على ولايته وقرر عليه خمسمائة الف الف أميري وخطب لمحمود في بلاد الجبل الى حدود أرمينيا . ثم لما توفي محمود بن سبكتكين واستولى مسعود ابنه مكانه محا دولة الزيارية في سنة ٤٣٠ هـ واستولى على جرجان وطبرستان . والبقاء لله وحده

١٧٣ - دولة بني بويه بايران

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة العظيمة بقيام ثلاثة اخوة وهم عماد الدولة علي وركن الدولة الحسن ومعز الدولة أحمد أولاد أبي شجاع بويه وقيل في نسبهم انه

يتصل بملوك الفرس . وكان لما خرج من الديلم جماعة تقدم ذكرهم لتملك البلاد منهم ماكان بن كالي واسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار وغيرهم خرج مع كل واحد منهم جماعة من الديلم وخرج أولاد أبي شجاع بويه في جملة من خرج مع ماكان بن كالي فلما كان من أمر ماكان ماذكرناه واستيلاء مرداويج على ما بيد ماكان من طبرستان وجرجان فلما رأى أولاد أبي شجاع بويه ضعف ماكان وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة . نحن في جماعة وقد صرنا ثقلا عليك والاصلح لك أن نفارقك لتخفف عنك مؤنتنا فاذا صلح أمرنا عدنا اليك . فأذن لهما فسار الى مرداويج بن زيار واقتدى بهما جماعة من قواد ماكان وتبعوهما فلما صاروا اليه قبلهم أحسن قبول وخلع على ابني بويه وأكرمهما وقلد علياً (عماد الدولة) الكرج . وكان عليا حليما شجاعا عاقلا فلما سار الى عمله أحسن الى الاهالي أيما احسان حتى جذب قلوبهم وحلفوا على طاعته حتى آخر نسمة من حياتهم . فلما بلغ مرداويج ذلك خاف عاقبة الامر لئلا ينتقض كل في عمله فأرسل الى عماله الذين ولاهم الاعمال يستدعيهم اليه ومن ضمنهم علي بن بويه فدافعه علي واشتغل بأخذ العهود على أهل الكرج وخوفهم سطوة مرداويج فأجابوه جميعهم ثم استأمن اليه شيرزاد وهو من كبار قواد الديلم فقويت نفسه بذلك وسار من كرج الى أصفهان وبها المظفر بن ياقوت في عشرة آلاف مقاتل ولم يكن مع علي بن بويه عشر هذا العدد لكنه انتصر عليهم انتصاراً باهراً . وملك أصفهان فعظم في أعين الجميع . واغتم مرداويج عند سماعه هذا الخبر غما شديداً وندم على احسانه اليه وتوليته اياه . أما وقد بدأنا في ذكر أعمال هذه الدولة وكما لايخفى أن الثلاثة أخوة لم يتفقوا معاً ويؤلفوا دولة واحدة تحت رئاسة أحدهم بل تفرقوا في البلاد وملك كل منهم بلاداً أورثها أولاده حتى صار يحق لنا أن نقول أن دولة بني بويه ثلاث دول وان اجتمعت في النسب فقد اختلفت في المقاصد حتى حارب بعضهم بعضا كما سترى ان شاء الله . ولاجل أن يكون كلامنا واضحا ومفهوما فسنتبع هذه الطريقة الآتية في ذكر حوادث هذه الدولة وهي . (١) نذكر أعمال عماد الدولة علي بن بويه وما ملكه من البلدان وما كان في أيامه من الاحداث ومن خلفه من أولاده الى ان انقرض أمرهم . (٢) نذكر أعمال ركن الدولة الحسن وما

ملكه ومن خلفه من أولاده الى أن انقرض أمرهم. (٣) نذكر أعمال معز الدولة أحمد وما ملكه ومن خلفه من أولاده الى انقرض أمرهم وعلى الله الاتكال.

—﴿ القسم الاول ﴾—

١٧٤ – عماد الدولة علي بن بويه

من سنة ٣٢١ — ٣٣٨ هـ أو من سنة ٩٣٢ — ٩٤٩ م

لما استتب الامر لعماد الدولة علي بن بويه بالكرج واصفهان كما قدمنا وبلغ خبره الى مرداويج بن زيار اضطرب وكتب الى عماد الدولة يعاتبه ويستميله ويطلب منه اظهار دعوته ويمده بالعساكر في البلاد والاعمال ويخطب له فيها. وجهز له أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبسه وهو مطمئن الى تلك الرسالة. ولكن عماد الدولة شعر بالمكيدة فرحل عن أصفهان بعد أن جبى أموالها وسار الى ارجان وبها أبو بكر ياقوت من أصفهان والياً عليها فنزعها عنه وملكها منه وفي هذا الوقت كاتبه أهل شيراز يستدعونه اليهم وعليهم يومئذ ياقوت عامل الخليفة وثقلت وطأته عليهم وكثر ظلمه فاستدعوا عماد الدولة وخام عن المسير اليهم فأعادوا اليه الكتاب بالحث على ذلك وان مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الامر قبل ان يجتمعا. فسار اليهم سنة ٣٢٢ هـ. وعلم ياقوت بقدومه فتجهز لصده عنه لكنه انهزم أمامه وملك عماد الدولة شيراز. وكان معز الدولة أحمد بن بويه من أشد الناس بلاء في هذه الحرب وهو اذ ذاك لا يتجاوز ١٩ سنة. واستولى عماد الدولة على سائر بلاد فارس وأرشده بعضهم الى ذخائر في دار الامارة وغيره من ودائع ياقوت وبني الصفار ففتحها وفرق على الجند ما أزاح به عللهم وامتلأت خزائنه. وكانت الخلافة العباسية قد أفضت الى الراضي بالله فكتب اليه عماد الدولة والى وزيره علي بن مقلة تقرير البلاد عليه بالف الف درهم فأجيب الى ذلك وبعثوا اليه بالخلع واللواء. ولما استقام الامر لعماد الدولة بن بويه أقطع أخاه ركن الدولة أصفهان وأخاه معز الدولة كرمان واستقر هو بفارس ملكا مطاعا الى أن توفي سنة ٣٣٨ هـ. ولم يخلف ولداً ذكراً

ولكنه تبني بن أخيه ركن الدولة المدعو عضد الدولة وأحضره عنده في حياته وأكرمه واجلسه معه على سرير المملكة وأمر الجنود بطاعته وعهد اليه بالملك على فارس بعده فلما توفي عماد الدولة استولى عضد الدولة ابن أخيه ركن الدولة على بلاد فارس .

١٧٥ — عضد الدولة بن ركن الدولة

من سنة ٣٣٨ — ٣٧٢ هـ أو من سنة ٩٤٩ — ٩٨٢ م

لا يستغرب القاريء اذا جعلنا عضد الدولة مع انه ابن ركن الدولة خلفا لعماد الدولة لانه تبناه كما ذكرنا ذلك فلما توفي عماد الدولة استولى عضد الدولة بعده وأطاعته العساكر وأرباب الدولة واسم عضد الدولة (فناخسرو) وفي سنة ٣٥٧ هـ استولى عضد الدولة على كرمان والسبب في ذلك ان أبا علي بن الياس كان قد ملك كرمان بدعوة بني سامان واستبد بها الى أن توفي عن ثلاثة أولاد اليسع والياس وسليمان وكان قد عهد الولاية من بعده لابنه اليسع ثم لالياس من بعده وأمرهما باجلاء أخيهما سليمان الى أرضهم . فلم يرض سليمان بوصية أبيه وخالف على أخويه بعد موت أبيه فوثب على السيرجان وملكها فسار اليه أخوه اليسع فحبسه وهرب من محبسه واجتمع اليه العسكر وأطاعوه ومالوا اليه ثم توفي سنة ٣٥٦ هـ وصفت كرمان لليسع . وكان عضد الدولة متاخما لليسع في بعض حدود عمله . فحمل ترف الشباب وجهله اليسع على مغالبة عضد الدولة وعلم عضد الدولة بذلك فاستحكمت حلقات الخلاف بينهما . ثم هرب كثيرون من أصحاب اليسع واتحدوا مع عضد الدولة حتى بقي في قلة فهرب الى بخارا . وسار عضد الدولة الى كرمان وملكها وأقطعها ولده أبا الفوارس واستخلف عليها كورتكين بن خشتان

وفي سنة ٣٦٠ هـ انتقض أهل كرمان على عضد الدولة فسار اليهم وقتل الثائرين حتى أخلدوا الى السكينة . وكان قد توفي معز الدولة بن بويه سنة ٣٥٦ هـ بعد ان استولى على أمور الدولة العباسية ببغداد وتولى امارة الامراء وبعد موته تولى ابنه بختيار وكان سيء السيرة قليل السياسة حتى ضعف أمره

واستولى الترك على الدولة في أيامه فلما علم عضد الدولة بحال بختيار ابن عمه وضعفه وما فعله الاتراك معه (كما تجده مفصلا في ذكر بختيار) عزم على المسير اليه بعد ان كان يتربص به. فسار في سنة ٣٦٤ هـ في عساكر فارس وسار معه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه من الاهواز في عساكر الري وقصدوا مدينة واسط وبها الفتكين قائد الترك فلما علم بقدومه رجع الى بغداد وعزم ان يجعلها وراء ظهره. ووصل عضد الدولة واجتمع به بختيار ابن عمه. فسار عضد الدولة قاصداً بغداد من الجانب الشرقي وأمر بختيار أن يسير في الجانب الغربي وحاصرها من جميع الجوانب حتى غلت فيها الاقوات وقاتله عليها الاتراك قتالا شديداً انهزم في آخره الاتراك واستولى عضد الدولة وبختيار على بغداد. وكان عضد الدولة قد طمع في العراق واستضعف بختيار وانما خاف أباه ركن الدولة فاغرى جند بختيار على أن يثوروا به ويشغبوا عليه ويطالبوه بأموالهم. وكان بختيار لا يملك شيئا لا قليلا ولا كثيراً. ففعلوا ذلك وبالغوا فيه فاشار عليه عضد الدولة بعدم الالتفات اليهم وانه عازم على التنازل عن الملك فظنه بختيار ناصحاً له ففعل حسب ما أشار به اليه ودخل داره وأغلق بابه وصرف كتابه وحجابه. فلما رأى عضد الدولة حيلته نجحت أحسن الى جند بختيار وأرسل الى بختيار واخوته واعتقلهم واستولى على العراق. وكان لبختيار ابن يدعى المرزبان وكان في ذلك الوقت بالبصرة واليا عليها فلما علم بقبض عضد الدولة على أبيه أرسل الى ركن الدولة (والد عضد الدولة) يخبره الخبر فحزن ركن الدولة جداً لسماعه أفعال ابنه عضد الدولة بابن أخيه بختيار وأرسل اليه يهدده. فارسل عضد الدولة الى أبيه بان بختيار ضعيف الرأي لا يضبط الملك وانه ان ترك العراق لبختيار ربما ضاع من بني بويه كافة. فأساء أبوه الرد عليه واعتقل وزيره ابن العميد. وتصادف انتقاض الاعمال على عضد الدولة. فاحتال ابن العميد على ركن الدولة لكي يطلقه على أن يضمن له مسير عضد الدولة عن العراق ويرجع بختيار لملكه. فاطلقه ركن الدولة على هذا الشرط فسار الى بغداد وخوف عضد الدولة من أبيه حتى أطلق بختيار من محبسه وأعاده الى ملكه. وعاد عضد الدولة الى شيراز

وفي هذه الاثناء انتقضت عمان على عضد الدولة فارسل اليها جيشا بقيادة

المظفر بن عبد الله فقاتل المخالفين حتى عادت المياه الى مجاريها . ثم انتقضت كرمان أيضا فارسل اليها عضد الدولة المظفر بن عبد الله فاصلحها

وفي سنة ٣٦٥ هـ مرض ركن الدولة مرضا خيف منه على حياته وكان ساخطا على ابنه عضد الدولة فاصلح ابن العميد الحال بينهما حتى جعل ركن الدولة يعهد الى ابنه عضد الدولة بالولاية من بعده

وفي سنة ٣٦٦ هـ توفي ركن الدولة وملك ابنه عضد الدولة بعده واستخلف أخاه فخر الدولة على همذان والري نائبا عنه

وكان بختيار ببغداد في ذلك الوقت ساعيا في اجتذاب الاحزاب اليه ليقوى بهم على عضد الدولة حتى خابر أخاه فخر الدولة في الانتقاض عليه . فلما علم عضد الدولة بذلك قوي عزمه على قصد العراق واستخلاصه من بختيار فسار اليه في سنة ٣٦٦ هـ وانحدر بختيار الى واسط لمدافعته و بعد قتال شديد انهزم بختيار ولحق بواسط ثم بعث اليه ابن شاهين باموال وسلاح وهاداه وأتحفه فسار اليه الى البطيحة وأصعد منها الى واسط . واختلف أهل البصرة فمالت مضر مع عضد الدولة ور بيعة مع بختيار ثم قويت مضر عند انهزامه وكاتبوا عضد الدولة فبعث اليهم عسكراً واستولوا على البصرة . وأقام بختيار بواسط وترددت الرسل بينه و بين عضد الدولة للاتفاق ولكن بلا فائدة

وفي سنة ٣٦٧ هـ سار عضد الدولة الى بغداد ودخلها وأرسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وأن يسير عن العراق لاي جهة أرادها فضعفت نفسه جداً حتى قلع عينه و بعثها اليه وسار الى الشام . فصفت بغداد لعضد الدولة واستولى عليها وخطب له بها ولم يكن خطب لاحد قبله . وقوي أمر عضد الدولة جداً واتسع ملكه عن جميع بني بويه وملك الموصل من بني حمدان واستأمن اليه بنو حسنويه

وكان ركن الدولة بن بويه قبل وفاته عازما على جعل ولاية العهد لابنه فخر الدولة فلما توسط بن العميد في صلح ركن الدولة وابنه عضد الدولة عهد اليه بولاية العهد ثم مات وملك ابنه عضد الدولة بعده وولى أخاه فخر الدولة على همذان والري نائباً عنه كما ذكرنا . ولكن فخر الدولة لم يكن راضيا عن أعمال أخيه عضد الدولة وكان يود الانتقاض وكثيراً ما كاتب بختيار في ذلك فني

سنة ٣٦٩ هـ بعد أن فرغ عضد الدولة من بختيار واستتب له الامر بالعراق سار الى همذان والري واستولى عليها وهرب أخوه فخر الدولة ونزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير فأمنه وأواه وحمل اليه فوق ما أمله . فارسل عضد الدولة الى قابوس بتسليم أخيه اليه فامتنع فجهز اليه عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة صاحب اصفهان بالعساكر والاموال والسلاح فسار الى جرجان وبرز قابوس للقائه والتقوا بنواحي استراباذ في منتصف سنة ٣٧١ هـ فانهزم قابوس ولحق بنيسابور وجاء فخر الدولة منهزما على أثره فاستمد الامير نوحا الساماني فأمدها فهزمهم مؤيد الدولة وثبتت له جرجان . وفي ٨ شوال سنة ٣٧٢ هـ توفي عضد الدولة ببغداد ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي (رض) وكان عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأي محبا للفضائل وأهلها باذلا في مواضع العطاء مانعا في أماكن الحزم ناظراً في عواقب الامور . وكان كثيراً ما يجالس العلماء ويناظرهم في المسائل فقصدوه من كل بلد وصنفت الكتب باسمه كالايضاح في النحو والحجة في القراآت والملكي في الطب والتاجي في التواريخ . وعمل البيمارستانات وبنى القناطر وفي أيامه حدثت المكوس على المبيعات ومنع من الاحتراف ببعضها وجعلت متجراً للدولة

١٧٦ — صمصام الدولة أبو كاليجار بن عضد الدولة

من سنة ٣٧٢ — ٣٧٦ هـ أو من سنة ٩٨٢ — ٩٨٦ م

لما توفي عضد الدولة ملك بعده ابنه صمصام الدولة أبوكاليجار المرزبان فخلع على أخويه أبي الحسن أحمد وأبي ظاهر فيروز شاه وأقطعهما فارس وبعثهما اليها . وكان شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك قد ولاه أبوه عضد الدولة قبل موته كرمان . فلما بلغه خبر وفاة أبيه سار الى فارس فلكها وقتل نصر بن هرون النصراني وزير أبيه لانه كان يسيء عشرته . وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة وخطب لنفسه ووصل أخواه أبو الحسن أحمد وأبو ظاهر فيروز شاه اللذان أقطعهما صمصام الدولة بشيراز . فبلغهما خبر استيلاء شرف الدولة على فارس

فعاد الى الاهواز . ولما علم صمصام الدولة بخبر أخيه شرف الدولة أرسل اليه جيشا بقيادة بن تنش حاجب أبيه فالتقى بعساكر شرف الدولة بقيادة أبي الاغر دبيس بن عفيف الاسدي بظاهر قرقوب وبعد قتال شديد انهزم عسكر صمصام الدولة وأسر بن تنش الحاجب واستولى حينئذ الحسين بن عضد الدولة على الاهواز بدعوة أخيه شرف الدولة . وولى شرف الدولة على فارس أستاذ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصام الدولة وخطب له بعمان فبعث اليه شرف الدولة عسكراً فهزموا أستاذ هرمز وأسروه وحبس ببعض القلاع وطولب بالاموال وعادت عمان الى شرف الدولة وكان صمصام الدولة سيء السيرة في أهل بغداد وكان يجدد عليهم كثيراً من الرسوم حتى كادوا أن يثوروا عليه . وعلم شرف الدولة بعدم رضا أهل بغداد وجنده عليه فسار في سنة ٣٧٦ ﻫ من الاهواز الى واسط فملكها . فاتسع الخرق على صمصام الدولة وشغب عليه الجند وعزم هو أن يذهب الى أخيه شرف الدولة بواسط ليصطلحا على ما يرضي الطرفين فنهاه أصحابه عن ذلك وأشار عليه بأن يرده قوة واقتداراً فخالفهم وسار في طيار الى أخيه شرف الدولة في خواصه فلقيه وطيب قلبه فلما خرج من عنده قبض عليه وأرسل الى بغداد من يحتاط على دار المملكة وسار فوصل الى بغداد في شهر رمضان سنة ٣٧٦ ﻫ فنزل بالشفيعي وأخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال . وكانت امارة صمصام الدولة بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهراً

١٧٧ — شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك بن عضد الدولة

من سنة ٣٧٦ - ٣٧٩ ﻫ أو من سنة ٩٨٦ - ٩٨٩ م

و بعد أن أعتقل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة دخل الى بغداد واستولى على الملك وخطب له بها . وكان معه حين دخوله بغداد ١٥٠٠٠ من الديلم فاستطالوا على الاتراك الذين ببغداد وكان عددهم لايتجاوز ٣٠٠٠ رجل فجرت منازعة بينهم في دار واسطبل ثم اتسع الخرق حتى تقاتلوا فانتصر الديلم طبعا لكثرتهم فنادوا باعادة صمصام الدولة الى الملك فارتاب بهم شرف الدولة ووكل

بصمصام الدولة من يقتله ان هموا بذلك ثم اتيحت الكرة للاتراك على الديلم وفتكوا فيهم حتى تشتت شملهم واعتصم بعضهم بشرف الدولة فأصلح شرف الدولة بين الطائفتين وحلف بعضهم لبعض وحمل صمصام الدولة الى فارس فاعتقل في قلعه هناك . و بعد ان انتهت هذه الفتنة صرف شرف الدولة نظره الى أحوال المملكة لاصلاح ما كان قد اختل من توالي الفتن فرد على الشريف محمد بن عمر و الكوفي جميع املاكه وكانت تغل في السنة ٢٥٠٠ الف درهم على ما يقال ورد على النقيب أبي احمد والد الراضي جميع املاكه واقر الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات ولم يقبلها فامنوا وسكنوا ووزر له منصور ابن صالحان . وكان قائد جنود شرف الدولة شخصا يدعى قراتكين وكان قد افرط في الدولة والضرب على ايدي الحكام حتى صار ثقلا على شرف الدولة فأراد ان يخرجه في بعض الوجوه وكان حنقا على بدر بن حسنويه لميله مع عمه فخر الدولة فبعثه اليه في العساكر سنة ٣٧٧ ﻫ فهزمه بدر بوادي قرميسين ونجا قراتكين في قليل من عسكره الى جسر النهروان حتى انتهى اليه المنهزمون فرجع بهم الى بغداد . واستولى بدر على اعمال الجبل ولما رجع قراتكين زاد ادلاله وتجنبه واغرى العسكر بالشغب والتوثب على الوزير منصور بن صالحان . فلقوه بما يكره فلاطفهم ودفعهم واصلح شرف الدولة بين الوزير و بين قراتكين . وشرع في اعمال الحيلة على قراتكين فلم تمض غير ايام حتى قبض عليه وعلى جماعة من اصحابه واستصفى اموالهم فشغب الجند لاجله فقتله شرف الدولة فسكنوا وقدم عليهم مكانه طغان الحاجب فصلحت طاعته .

وفي سنة ٣٧٩ ﻫ مرض شرف الدولة ابو الفوارس ولما اشتدت علته بعث ابنه أبا علي الى بلاد فارس بالخزائن والعدد مع امه وجواريه في جماعة عظيمة من الاتراك . ولما رأى اصحاب شرف الدولة شدة المرض سألوه أن يعهد لاحد بعده فقال لهم . انا في شغل عن ذلك . فسألوه نيابة اخيه بهاء الدولة ليسكن الناس الى ان يتم له الشفاء فولاه نيابته ثم توفي شرف الدولة في منتصف سنة ٣٧٩ ﻫ بعد ان سمل عيني اخيه صمصام الدولة بالحاح نحرير الخادم الذي كان كثيراً ما يقول له . الدولة مع وجود صمصام الدولة في خطر فان لم تقتله فاسمله . وكانت مدة ملك شرف الدولة سنتين وثمانية اشهر .

١٧٨ – بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة

من سنة ٣٧٩ — ٤٠٣ ﻫ أو من سنة ٩٨٩ — ١٠١٢ م

لما توفي شرف الدولة وكان على نيابته اخوه بهاء الدولة كما تقدم استولى على الملك بعده وعزاه الطائع لله في اخيه وخلع عليه خلع السلطنة . وأقر بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته

قد تقدم معنا أن شرف الدولة اعتقل صمصام الدولة بقلعة ببلاد فارس وانه سير ولده أبو علي بالاموال والزخائر اليها . فلما بلغ أبو علي ومن معه البصرة اتاهم الخبر بموت شرف الدولة فسير ما معه في البحر الى ارجان وسار هو مجدا الى ان وصل اليها واجتمع معه من بها من الاتراك وساروا نحو شيراز وكاتبهم متوليها وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن بالوصول اليها . ليسلمها لهم وكان المحافظون في القلعة التي بها صمصام الدولة واخوه أبو طاهر اطلقوهما ومعهما فولاذ وساروا الى سيراف . واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم . وسار الامير أبو علي الى شيراز ووقعت الفتنة ما بين الاتراك والديلم . وهم الديلم بتسليم أبي علي الى صمصام الدولة فوجدوه اتحد مع الاتراك فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرى بينهم قتال انهزم فيه الديلم ونهب الاتراك اموالهم ثم سار أبو علي والاتراك الى (نسا) فاستولوا عليها وأخذوا ما بها وقتلوا من بها من الديلم واخذوا اموالهم وسلاحهم فقووا بذلك . وسار أبو علي الى ارجان وعاد الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم وعادوا الى أبي علي بارجان واقاموا معه . ثم وصل رسول من بهاء الدولة الى أبي علي وأدى الرسالة وطيب قلبه ووعده . ثم راسل بهاء الدولة الاتراك سراً واستمالهم الى نفسه وأطمعهم فحسنوا لابي علي المسير الى بهاء الدولة . فسار اليه فلقيه بواسط منتصف جمادى الاخرى سنة ٣٨٠ ﻫ فانزله واكرمه وتركه عدة ايام ثم قبض عليه وقتله . وتجهز بهاء الدولة للمسير الى الاهواز لقصد بلاد فارس . فسار اليها في هذه السنة (٣٨٠ ﻫ) من بغداد بعد ان استخلف أبا نصر خواشاذه ببغداد

فوصل الى ارجان واستولى عليها وأخذ ما فيها من الاموال وكان شيئا كثيراً فشغب عليه الجند ولم يهدأوا حتى فرق فيهم تلك الاموال . ثم سير مقدمته بقيادة أبي العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عساكر صمصام الدولة فهزمهم وبث اصحابه في نواحي فارس . فسير اليهم صمصام الدولة جيشا بقيادة فولاذ فانهزم جيش بهاء الدولة وعاد أبو العلاء مهزوما الى ارجان ثم ترددت بينهما الرسل في الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق فتم الصلح بينهما على ذلك . وعاد بهاء الدولة الى الاهواز فعلم بالفتن التي وقعت ببغداد من العيارين وبين الشيعة واهل السنة وكيف نهبت الاموال فسار الى بغداد ودخلها واصلح ما قد فسد في غيابه . ثم شغب الجند على بهاء الدولة لقلة الاموال فاغراه أبو الحسن بن المعلم (وكان نافذ الكلمة عنده) بالقبض على الطائع واطمعه في امواله . فارسل بهاء الدولة الى الخليفة الطائع في الحضور عنده فجلس على العادة ودخل بهاء الدولة في جمع كبير وجلس على كرسيه . وكان قد أوصى بعض الديلم بالقبض على الطائع بكيفية أراهم اياها فتقدم بعض الديلم الى الخليفة الطائع وأظهروا لتقبيل يده فمدها لهم فجذبوه عن سريره وهو يستغيث ويقول . « إنا لله وإنا اليه راجعون » واستصفيت خزائن دار الخلافة فمشى بها الحال أياما . ونهب الناس بعضهم بعضا ثم أشهد على الطائع بالخلع ونصب للخلافة عمه القادر أبا العباس أحمد المقتدر استدعوه من البطيحة وكان فر اليها امام الطائع كما تقدم ذكر ذلك في أخبار الخلفاء وهذا كله سنة ٣٨١ هـ

وفي سنة ٣٨٢ ارسل بهاء الدولة جيشا بقيادة أبي جعفر الحجاج بن استاذ هرمز الى الموصل فملكوها وخطب فيها لبهاء الدولة . وكان أبو القاسم وأبو نصر ابنا بختيار محبوسين فخدعا المتوكل عليهما وخرجا من السجن والتف حولهما جند كثير فحاربا صمصام الدولة وقتلاه وملكا فارس فلما استوليا على فارس بعثا الى أبي علي بن استاذ هرمز يستميلانه ويأمرانه بأخذ العهد لهما على الذين معه من الديلم ومحاربة بهاء الدولة . وفي الوقت نفسه كتب بهاء الدولة يستميله ويؤمنه ويؤمن الديلم الذين معه ويرغبهم . فاضطرب رأي أبي علي لخوفه من ابني بختيار ومال عنهما . ومال الديلم عن بهاء الدولة خوفا من الاتراك الذين

معه . فما زال أبو علي بهم حتى بعثوا جماعة من اعيانهم الى بهاء الدولة واستوثقوا يمينه و نزلوا الى خدمته وساروا الى الاهواز ثم الى (رامهرمز) و (ارجان) واستولى بهاء الدولة على سائر بلاد خوزستان ثم بعث وزيره أبا علي بن اسماعيل الى فارس فنزل بظاهر شيراز وبها ابنا بختيار فحاربهما وهزمهما واستولى على شيراز وهرب أبو نصر بن بختيار الى بلاد الديلم ولحق اخوه أبو القاسم ببدر بن حسنويه بالبطيحة . وكتب الوزير أبو علي الى بهاء الدولة بالفتح فسار الى شيراز وأمر بنهب قرية الرودمان فملكها . وأقام بهاء الدولة بالاهواز واستخلف ببغداد أبا علي بن جعفر المعروف باستاذ هرمز ولقبه عميد العراق . وبقي ملوك الديلم بعد ذلك يقيمون بفارس الاهواز ويستخلفون على العراق مدة طويلة . ولما سار أبو نصر بن بختيار الى بلاد الديلم اجتمع اليه جند كثير فاغار بهم على كرمان وملكها فسير اليها بهاء الدولة جيشا بقيادة وزيره الموفق أبي علي بن اسماعيل فقاتل أبا نصر ومن معه وهزمه واستولى على كرمان وهرب أبو نصر فارسل من تعقبه وقتله وذلك سنة ٣٩٠ هـ

وفي سنة ٤٠١ هـ توفي عميد العراق أبو علي بن استاذ هرمز نائب بهاء الدولة ببغداد . فاستعمل بهاء الدولة مكانه أبا غالب ولقبه فخر الملك

وفي جمادي الاخرى سنة ٤٠٣ هـ توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه وكان موته بارجان فحمل الى بغداد ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي . وكان عمره ٤٢ سنة وتسعة أشهر وملكه ٢٤ سنة

١٧٩ — سلطان الدولة ابو شجاع بن بهاء الدولة

ومشرف الدولة ابو علي بن بهاء الدولة

من سنة ٤٠٣ — ٤١٦ هـ أو من سنة ١٠١٢ — ١٠٢٥ م

لما توفي بهاء الدولة ملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع وسار من ارجان الى شيراز وولى أخاه جلال الدولة أبا ظاهر على البصرة وأخاه أبا الفوارس على كرمان . وفي سنة ٤٠٦ هـ قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر

الملك أبي غالب وقتله سلخ ربيع الاول . واستعمل سلطان الدولة مكانه أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش . وفي سنة ٤٠٧ هـ ثار أبو الفوارس بن بهاء الدولة على اخيه سلطان الدولة لانه لما ولاه كرمان اجتمع اليه الديلم وحسنوا اليه محاربة أخيه وأخذ البلاد منه فتجهز وتوجه الى شيراز فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخل أبو الفوارس شيراز فجمع عساكره وسار اليه وحاربه فانهزم أبو الفوارس وعاد الى كرمان فتتبعه اليها فخرج منها هاربا الى خراسان ولحق بمحمود بن سبكتكين ببست فاكرم وفادته ووعده النصرة على اعدائه ثم سير معه عسكراً بقيادة أبي سعد الطائي وهو من اعيان قواده فسار الى كرمان فملكها وقصد بلاد فارس (وكان سلطان الدولة قد فارقها الى بغداد) فدخل شيراز واستولى عليها فلما سمع سلطان الدولة عاد الى فارس فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم أبو الفوارس وقتل كثيرين من أصحابه وعاد باسوأ حال وملك سلطان الدولة بلاد فارس . وهرب أبو الفوارس سنة ٤٠٨ هـ الى كرمان فسير سلطان الدولة العساكر في أثره فأخذوا كرمان منه فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة صاحب همذان ولم يتمكن من الرجوع الى محمود بن سبكتكين لانه أساء السيرة مع أبي سعد الطائي . ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة صاحب البطيحة فاكرم وفادته وانزله داره . ثم ترددت الرسل بين أبي الفوارس وسلطان الدولة في الصلح فاعاد اليه كرمان وسيرت اليه الخلع والتقليد بذلك

وفي سنة ٤١١ هـ شغب الجند ببغداد على سلطان الدولة ونادوا بولاية مشرف الدولة اخيه فهم بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك . ثم اراد الانحدار الى واسط فطلب الجند ان يستخلف فيهم أخاه مشرف الدولة فاستخلفه ورجع من واسط الى بغداد . ثم عزم على قصد الاهواز فاستخلف أخاه مشرف الدولة ثانيا على العراق بعد أن تحالفا أن لا يستخلف احد منهما بن سهلان . فلما انحدر سلطان الدولة ووصل الى تستر استوزر بن سهلان فاستوحش مشرف الدولة . فأنفذ سلطان الدولة وزيره بن سهلان ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق . فجمع مشرف الدولة جيشا كثيفا بينهم أتراك واسط والتقى بابن سهلان عند واسط وبعد حرب شديدة انهزم بن سهلان وتحصن بواسط فحاصره مشرف الدولة وضيق عليه حتى غلت الاسعار وأكل الناس الكلاب . فلما أيقن بن

سهلان بالهزيمة سلم البلد . فعظم أمر مشرف الدولة وخوطب حينئذ بشاهنشاه وكان ذلك في آخر ذي الحجة سنة ٤١١ ﻫ . فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الاهواز الى أرجان وقطعت خطبته من العراق وخطب لاخيه . ثم تراسل سلطان الدولة ومشرف الدولة في الصلح وسعى فيه بينهما أبو محمد بن مكرم صاحب سلطان الدولة ومؤيد الملك الرجحي وزير مشرف الدولة على أن يكون العراق لمشرف الدولة . وفارس وكرمان لسلطان الدولة وتم ذلك بينهما سنة ٤١٣ ﻫ

وفي سنة ٤١٥ ﻫ توفي سلطان الدولة أبو شجاع صاحب فارس بشيراز وكان وزيره محمد بن مكرم وكان هواه مع ابنه أبي كاليجار وهو يومئذ امير الاهواز فارسل اليه بوفاة ابيه وطلب اليه الحضور للاستيلاء على الملك . وكان هوى الاتراك مع عمه أبي الفوارس صاحب كرمان فاستقدموه فدخل شيراز قبل أبي كاليجار فخشي محمد بن مكرم جانبه وفرعنه أبو المكارم الى البصرة . فلما علم أبو كاليجار ذلك ارسل عساكره الي فارس فجهز لهم أبو الفوارس جيشا بقيادة أبي منصور الحسن بن علي فالتقوا به وهزموه وغنموا معسكره وهرب أبو الفوارس الى كرمان وملك أبو كاليجار شيراز . ثم زحف اليه أبو الفوارس في عشرة آلاف من الاكراد فاقتتلوا بين البيضاء واصطخر فانهزم أبو الفوارس ولحق بكرمان واستولى أبو كاليجار على فارس واستقر ملكه بها سنة ٤١٧ ﻫ

وفي ربيع اول سنة ٤١٦ ﻫ توفي مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة سلطان بغداد لخمس سنين من ملكه . ولما توفي خطب ببغداد لاخيه جلال الدولة وهو بالبصرة واستقدم فلم يقدم وانتهى الى واسط وأقام بها ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب لابن اخيه الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة فلما سمع جلال الدولة بذلك صعد الى بغداد فانحدر عسكرها ليردوه عنها فقاتلهم ودخلها واستولى عليها .

١٨٠ – جلال الدولة بن بهاء الدولة

وأبو كاليجار بن سلطان الدولة

من سنة ٤١٦ – ٤٤٠ هـ أو من سنة ١٠٢٥ – ١٠٤٨ م

قد تقدم معنا أنه لما توفي سلطان الدولة بن بهاء الدولة سنة ٤١٥ هـ ملك بعده ابنه أبو كاليجار ولما توفي مشرف الدولة بن بهاء الدولة سنة ٤١٦ هـ ملك بعده أخوه جلال الدولة بن بهاء الدولة .

وفي سنة ٤١٩ هـ شغب الجند ببغداد على جلال الدولة وطالبوه بارزاقهم وحصروه في داره حتى منعوا عنه الماء فشرب أهله ماء البئر فباع جلال الدولة صياغات نسائه وملبوسه وفرق ثمنه فيهم ولكنهم ثاروا ثانية بعد أيام فعزل وزيره أبا علي واستوزر أبا طاهر ثم عزله بعد أربعين يوما واستعمل سعيد بن عبد الرحيم

وكان جلال الدولة لما صعد الى بغداد استخلف على البصرة ابنه الملك العزيز أبا منصور فحدث بين الترك والديلم فتنة فانهزم فيها الديلم وانتصر الترك فانتصر الملك العزيز أبو منصور للديلم وحارب الترك فهزموه ونادوا بشعار أبي كاليجار ابن سلطان الدولة وهو بالاهواز . فبلغ أبا كاليجار هذا الخبر فارسل جيشا الى البصرة لنصرة الترك واخراج الملك العزيز عنها فقاتلوا الملك العزيز وأخرجوه فلحق بواسط وملكوا البصرة ونهبوا أسواقها سنة ٤١٩ هـ . وهم جلال الدولة بالمسير اليهم فأقعده قلة الاموال . وبلغ خبر استيلاء أبي كاليجار على البصرة الى كرمان وكان بها عمه قوام الدولة أبو الفوارس وقد تجهز لقصد بلاد فارس فأدركه أجله فمات . فنادى أصحابه بشعار أبي كاليجار واستدعوه فسار وملك بلاد كرمان

وفي سنة ٤٢٠ هـ استولى أبو كاليجار على واسط فسار اليه جلال الدولة وقاتله وهزمه وأجلاه عنها واستولى عليها وأنزل ابنه الملك العزيز بها ورجع .

وفي سنة ٤٢١ هـ استولى عسكر جلال الدولة على البصرة من يد أصحاب أبي كاليجار فأرسل أبو كاليجار اليها أسطولا مؤلفا من ٤٠٠ مركب فاستولى

عليها واستخلصها من يد أصحاب جلال الدولة . وفي سنة ٤١٣ ﻫ شغب الجند ببغداد على جلال الدولة فدخل قصره وأغلق بابه فجاءت الاتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا اسحق السهلي فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد . وخرج جلال الدولة الى عكبرا في شهر ربيع الآخر . وخطب الاتراك ببغداد للملك أبي كاليجار وأرسلوا اليه يطلبونه وهو بالاهواز فمنعه وزيره العادل بن مافنة عن الاصعاد الى أن يحضر بعض قوادهم . فلما رأوا امتناعه من الوصول اليهم أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا اليه وسألوه العود الى بغداد واعتذروا عما فرط منهم . فعاد اليها بعد ٤٣ يوما ووزر له أبو القاسم بن ماكولا ثم عزله لفتنة الاتراك به واطلاق بعض المصادرين من يده . وضعف أمر السلطنة ببغداد فكثر المفسدون وشغب الجند على جلال الدولة مراراً وهان على سكان بغداد ان يفارقوها ان وجدوا الى ذلك سبيلا لعدم الامن فيها . وفي سنة ٤٢٨ ﻫ ترددت الرسل بين جلال الدولة وأبي كاليجار ابن أخيه في الصلح وتولى ذلك القاضي أبو الحسن الماوردي وأبو عبد الله المردوستي فانعقد بينهما الصلح والصهر لابي منصور ابن أبي كاليجار على ابنة جلال الدولة وكان الصداق ٥٠ الف دينار قاسانية

وفي ٦ شعبان سنة ٤٣٥ ﻫ توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة وكان ملكه ببغداد ١٦ سنة و١١ شهراً . ومن عَلِم سيرته وضعفه وشغب الجند عليه مراراً واستيلاء النواب على ملكه يستغرب دوام ملكه هذه المدة و يؤكد أن الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء

ولما توفي كان ولده الاكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط فكاتبه الاجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة فتأخر عنهم . وعلم أبو كاليجار بموت جلال الدولة فكاتب الجند ورغبهم في المال وكثرته فمالوا اليه وقطعوا خطبة الملك العزيز وخطبوا لابي كاليجار . وسار أبو كاليجار الى بغداد فدخلها سنة ٤٣٦ ﻫ . وكان الملك العزيز صاعداً اليها أيضا فوجد أبا كاليجار قريبا منها فشغب عليه جنده ورجعوا الى واسط وخطبوا لابي كاليجار فهرب الملك العزيز وتنقل من بلدة الى بلدة وعزم مراراً على جمع العساكر واستخلاص ملك أبيه من يد أبي كاليجار فلم يتمكن الى أن توفي بميافارقين سنة ٤٤١ ﻫ وحمل الى بغداد ودفن بها

واستتب الامر لابي كاليجار بدون منازع

وفي سنة ٤٣٥ ه أرسل أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه (من ملوك بني بويه بالقسم الثاني) عسكراً الى كرمان وكانت لابي كاليجار فملكوا منها حصنين وغنموا ما فيهما فارسل الملك أبو كاليجار اليه في اعادتهما وازالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكراً وسيره الى ابرقوه فحصرها وملكها فانزعج أبو منصور فرامرز لذلك وجمع جيشا كثيفا وسيره اليهم و بعد قتال شديد انهزم أصحاب أبي منصور فرامرز واستولى أصحاب أبي كاليجار على ما كانوا أخذوه من كرمان

وفي هذه الاثناء ظهرت الدولة السلجوقية وانتزعت البلاد من يد بني بويه أولاد ركن الدولة فلما رأى أبو كاليجار استيلاء طغرلبك السلجوقي على البلاد وأخذه الري وأصفهان وهمذان من قومه وازالة ملكهم راسله في سنة ٤٣٩ ه في الصلح فاجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى اخيه ينال يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما أن يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الامير منصور ابن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك وجري العقد في شهر ربيع الآخر من تلك السنة

وفي سنة ٤٤٠ ه سار الملك أبو كاليجار من بغداد قاصداً كرمان لانتزاعها من يد عامله بهرام الديلمي الذي كان قد نزع طاعته واستولى عليها . فلما وصل الى مدينة جناب طرقه المرض ووافاه القضاء المحتوم فلبي دعوة باري النسم في ٤ جمادى الاولى من هذه السنة وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة ٤ سنين وشهرين ونيفا وعشرين يوما ولما توفي نهب الاتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب

١٨١ — الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز بن أبي كاليجار

من سنة ٤٤٠ — ٤٤٧ ه أو من سنة ١٠٤٨ — ١٠٥٥ م

لما توفي الملك أبو كاليجار كان ابنه أبو نصر خره فيروز ببغداد فلما بلغه الخبر أحضر الجند واستحلفهم وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة

وتلقيبه بالملك الرحيم فاجابه الى الخطبة ورفض تلقيبه بالملك الرحيم قائلا . لايجوز أن تلقب بأخص صفات الله . ولكن أصحابه أبوه بهذا اللقب رغم ارادة الخليفة . فاستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة . وكان الملك أبو كاليجار اصطحب ابنه فلاستون معه في سفرته الى كرمان فلما توفي كما ذكرنا استولى ابنه أبو منصور فلاستون على شيراز فسير اليه الملك الرحيم أخاه أبا سعد في عسكر فلكوا شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على أبي منصور فلاستون ووالدته

وفي سنة ٤٤١ هـ سار الملك الرحيم الى الاهواز (خوزستان) ثم عاد منها الى رامهرمز في ذي القعدة فلما وصل الى وادي الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالا شديداً فغدر بالملك الرحيم بعض عساكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل الى بصنى ومعه أخواه أبو سعد وأبو طالب وسار منها الى واسط . وسار عسكر فارس الى الاهواز فملكوها وفي سنة ٤٤٢ هـ شغب جند فارس بالاهواز على صاحبهم الامير أبي منصور وتركه كثيرون منهم واتحدوا مع الملك الرحيم وهو بواسط . فارسل الملك الرحيم الى بغداد يأمر العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم الى فارس . فجاءوا وسار بهم فلما وصل الى الاهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة وأخبروه بطاعة عساكر فارس وانهم ينتظرون قدومه فدخل الاهواز في شهر ربيع الآخر ثم سار عنها الى عسكر مكرم فلكها وأقام بها . وفي سنة ٤٤٣ هـ سير الملك الرحيم أخاه الامير أبا سعد في العساكر فملك اصطخر وشيراز وهرب الامير أبو منصور منها والتجأ الى الملك طغرلبك السلجوقي فانجده وسير العساكر معه . وكان الملك الرحيم قد انتقل من عسكر مكرم الى الاهواز لحصانتها فحاربوه عليها فانهزم ولحق بواسط بعد مشقة عظيمة . وملك أبو منصور الاهواز وجميع فارس وخطب فيها للسلطان طغرلبك . وفي سنة ٤٤٧ هـ سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب اصطخر الى شيراز فدخلها واستولى عليها وخطب فيها للملك الرحيم وقطع خطبة طغرلبك . وهرب أبو منصور فلاستون الى فيروز آباد وأقام بها . وكاتب فولاذ الملك الرحيم ببغداد وأخاه أبا سعد بارجان في معنى الطاعة لهما فعلما انه يخدعهما . فسار اليه أبو سعد في العساكر من ارجان واتحد معه اخوه أبو منصور

بطاعة أخيها الملك الرحيم فتوجها الى شيراز وحاصرا فولاذ بها وطال الحصار الى أن عدم القوت وتعذر على فولاذ الاقامة فيها فهرب مع بعض خواصه الى نواحي البيضاء وقلعة اصطخر . ودخل الامير أبو سعد والامير أبو منصور شيراز وعساكرها وملكوها وأقاموا بها

وفي هذه السنة كان طغرلبك غازيا ببلاد الروم فبعد أن أثخن فيهم رجع الى الري فاصلح فسادها ثم وصل همذان مظهراً للحج وان يمر بالشام ويزيل دولة العلوية بمصر . وتقدم الى أهل الدينور وقرميسين وغيرها باعداد العلوفات والزاد في طريقه . وعظم الارجاف بذلك في بغداد وكثر شغب الاتراك وقصدوا ديوان الخلافة يطلبون القائم بامر الله في الخروج معهم للمدافعة وعسكروا بظاهر البلد ولما علم الملك الرحيم بقرب طغرلبك السلجوقي صعد الى بغداد . ولكن الاهالي كانوا قد ملوا سياسة الديلم وتمنوا زوال ملكهم . وكاتب طغرلبك الخليفة القائم بطاعته وللجنود الاتراك بالمواعيد الجميلة . فخطب له في بغداد ثم دخل طغرلبك بغداد يوم الخميس ٢ رمضان سنة ٤٤٧ هـ وانتشر عسكره في المدينة وأسواقها فثار بهم العامة ظنا منهم ان الملك الرحيم أمر بقتالهم . وتمادى العامة في ثورتهم وخرجوا الى معسكر طغرلبك ودخل الملك الرحيم باعيان أصحابه الى دار الخلافة تفاديا من الظنة به . وركبت عساكر طغرلبك وقاتلوا العامة وهزموهم ونهبوا بعض الدروب حتى دروب الخلفاء والرصافة ودرب الدروب وكانت هذه الدروب قد نقل اليها الناس أموالهم ثقة باحترامها . وفشا النهب واتسع الخرق فارسل طغرلبك من الغد الى الخليفة القائم بالعتب على ما وقع ونسبه للملك الرحيم ويطلب حضوره وأعيان أصحابه فيكون براءة لهم . فامرهم الخليفة بالركوب اليه وبعث معهم رسوله ليبرئهم فساروا في ذمامه . وكان طغرلبك قد أمر أصحابه بالقبض عليهم عند وصولهم . فقبضوا عليهم ثم حمل الملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها لست سنين من ولايته وانقرض أمر بني بويه والملك لله وحده

القسم الثاني

١٨٢ – ركن الدولة الحسن بن بويه

من سنة ٣٢١ — ٣٦٦ هـ أو من سنة ٩٣٣ — ٩٧٦ م

ذكرنا فيما تقدم ان بني بويه وأكبرهم عماد الدولة لما استولوا على البلاد واستتب لهم الامر فيها اقتسموها هكذا : عماد الدولة في فارس وركن الدولة في أصفهان ومعز الدولة في كرمان ـ راجع فصل (١٧٤) . فكان نصيب ركن الدولة الذي نحن بصدده الآن بلاد أصفهان فسار اليها ومكث بمدينة اصفهان عاصمتها

وفي سنة ٣٢٧ هـ كان مرداويج بن زيار قد توفي وقام بالامر بعده أخوه وشمكير كما تقدم ذكر ذلك (فصل ١٦٨) . فلما استتب الامر لوشمكير بعث في هذه السنة جيشاً كثيفاً الى أصفهان فاستولوا عليها من يد ركن الدولة وخطبوا فيها لوشمكير . ثم سار وشمكير الى قلعة الموت وملكها ثم رجع . أما ركن الدولة فلحق باصطخر وهناك جاءه رسول أخيه معز الدولة من الاهواز بان ابن البريدي أنفذ جيشاً الى السوس وقتل قائدها من الديلم فسار ركن الدولة الى السوس وهرب عساكر ابن البريدي بين يديه ثم سار الى واسط ليستولي عليها لانه قد خرج عن أصفهان وليس له ملك يستقل به فنزل بالجانب الشرقي وسار الراضي وبجكم من بغداد لحربه فاضطرب أصحابه واستأمن جماعة منهم لابن البريدي فعاد ركن الدولة عن الاهواز ورجع الى الاهواز . ومنها سار الى أصفهان فهزم عسكر وشمكير وملكها من يده ولحق وشمكير بطبرستان ثم سار بعساكره الى بلد الجبل فافتتحها واستولى على زنجان وابهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حدود حلوان ورتب فيها العمال وجبى أموالها . ثم وقع خلاف بين وشمكير والحسن بن الفيرزان بن عم ماكان واستنجد الحسن بابي علي بن محتاج فانجده وبعد قتال وقع بينهما صلح وعاد أبو علي الى خراسان وصحبه الحسن بن الفيرزان ولقيه في طريقه رسل السعيد بن سامان وأمر أبا علي بن محتاج سنة

٣٣٣ هـ بغدر الحسن بابي علي ونهب سواده وعاد الى جرجان فملكها وملك معها الدامغان وسمنان . وسار وشمكير من طبرستان الى الري فاستولى عليها أجمع وكان في قل من العساكر لفناء رجاله في حروبه مع أبي علي بن محتاج والحسن ابن الفيرزان . فتطاول حينئذ ركن الدولة الى الاستيلاء على الري . وسار الى الري وقاتل وشمكير وهزمه فلحق بطبرستان واستولى ركن الدولة على الري . وفي سنة ٣٣٦ هـ سار ركن الدولة الى بلاد وشمكير وقاتله وهزمه واستولى على طبرستان وجرجان فقوي أمره ثم رجع الى أصفهان

ولما سار ركن الدولة الى بلاد فارس بعث الامير نوح بن سامان سنة ٣٣٩ هـ جيشاً بقيادة منصور بن قراتكين الى الري وكان بها علي بن كثامة بالنيابة عن ركن الدولة ففارقها الى أصفهان وملك منصور الري وبث سراياه في البلاد فملكوا الجبل الى قرميس واستولوا على همذان . فبعث ركن الدولة من فارس الى أخيه معز الدولة بانفاذ العساكر الى مدافعتهم فبعث سبكتكين الحاجب في جيش كثيف من الديلم والاتراك والعرب فكبسهم وأسر مقدمهم فلحقوا بهمذان . ثم سار اليهم سبكتكين ففارقوها وملكها وفي هذه الاثناء وصل ركن الدولة الى همذان فخالفهم منصور بن قراتكين الى أصفهان وملكها . وسار اليها ركن الدولة وعلى مقدمته سبكتكين وحاصروا منصوراً باصفهان فطال أمد الحصار جداً حتى عزم ركن الدولة على تركها لولا وزيره ابن العميد الذي كان يثبته فصبر . ولما طال الحصار على منصور بن قراتكين شغب عليه جنده فهرب من أصفهان واستولى على معسكر منصور . وكان لما استولى ركن الدولة على طبرستان وجرجان هرب وشمكير والتجأ الى بني سامان بخراسان فمده الامير نوح بعسكر استولى به على طبرستان وجرجان فسار اليه ركن الدولة وأصلح أمرها ثم سار الى جرجان فخرج عنها وشمكير واستولى عليها ركن الدولة واستأمن اليه من عسكر وشمكير ٣٠٠٠ رجل فازداد بهم قوة

وفي سنة ٣٦٦ هـ توفي ركن الدولة الحسن بن بويه وخلفه في الملك بعده ابنه عضد الدولة ولاننا قد ذكرنا ملك عضد الدولة وأولاده في القسم الاول لان عماد الدولة كان قد تبناه كما تقدم فيجدر بنا الآن أن نذكر باقي أولاد ركن الدولة الذين آل اليهم الملك من بعده

١٨٣ - فخر الدولة بن ركن الدولة

من سنة ٣٦٦ — ٣٨٧ هـ أو من سنة ٩٧٦ — ٩٩٧ م

لما استولى عضد الدولة بن ركن الدولة على ملك أبيه استعمل أخاه فخر الدولة على همذان والري ولما كان أبوه حيا كان يرغب في أن يعهد اليه لولا وساطة وزيره ابن العميد الذي حمله على العهد لعضد الدولة فطمع فخر الدولة في الملك بعد موت أبيه واستقر بهمذان واستقل فيها فارسل اليه عضد الدولة يعاتبه وكان الرسول خواشاده من أكبر أصحاب عضد الدولة فاستمال أصحاب فخر الدولة وضمن لهم الاقطاعات وأخذ عليهم العهود . ولما رأى عضد الدولة أن العتاب لايفيد وأن فخر الدولة عزم على الاستقلال أزمع على المسير الى الري وهمذان . فسار الى هناك بجيش عظيم فلما علم فخر الدولة بقربه هرب الى بلاد الديلم واستولى عضد الدولة على الري وهمذان وأعمالها واستعمل عليها أخاه مؤيد الدولة . واستمر مؤيد الدولة عاملا لاخيه عضد الدولة على الري وهمذان الى سنة ٣٧٣ هـ وحاول فخر الدولة أن ينتزعها منه فلم يقدر فلما كانت سنة ٣٧٣ هـ توفي مؤيد الدولة واجتمع اهله للشورى في من يولونه فاشار الصاحب اسماعيل بن عباد باعادة فخر الدولة الى ملكه لكبر سنه وتقدم إمارته بجرجان وطبرستان فبعثوا اليه في ذلك فقدم اليهم واستولى على الري وأصفهان وجرجان واستوزر الصاحب أبا القاسم اسماعيل بن عباد

وفي سنة ٣٧٩ هـ توفي مشرف الدولة وملك بعده أخوه بهاء الدولة ونازعه الملك صمصام الدولة كما تقدم ذكر ذلك فطمع الصاحب بن عباد في ملك بغداد وكان يتمنى السكنى فيها لحضارتها فدس الى فخر الدولة من يرغبه في امتلاكها ويسهل عليه ذلك . فتجهز فخر الدولة في هذه السنة وسار الى الاهواز وملكها ولكنه أساء السيرة في الجند وضيق عليهم ولم يبذل لهم الاموال فخيب ظنون الناس واستشعر منه أيضا عسكره فتخاذلوا . ولما علم بهاء الدولة باستيلاء فخر الدولة على الاهواز أرسل اليه عسكراً قاتله عليها وهزمه وأزاحه فتكدر فخر الدولة جداً لهذه الهزيمة وكان قد استبد برأيه فاستشار الصاحب بن عباد فيما يفعله

فاشار ببذل المال وعدم مضايقة الجند فلم يفعل . فتفرق عنه عسكره واتسع الخرق عليه وضاقت الامور به فعاد الى الري واستولى بهاء الدولة على الاهواز

وفي سنة ٣٨٧ ﻫ توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بقلعة طبرك وكانت مفاتيح الخزائن بالري عند أم ولده مجد الدولة فطلبوا له كفنا فلم يجدوه حتى كفنه قيم الجامع ودفن بعد ما أنتن

١٨٤ – مجد الدولة بن فخر الدولة

وشمس الدولة بن فخر الدولة

من سنة ٣٨٧ – ٤٢٠ ﻫ أومن سنة ٩٩٧ – ١٠٢٩ م

ولما توفي فخر الدولة اجتمع الامراء و بايعوا لابنه مجد الدولة وكان عمره أربع سنين وقامت أمه بتدبير الامر بالوصاية عليه . وأقطعوا أخاه شمس الدولة همذان وقرميس الى حدود أصفهان . واستمر الحال على ذلك الى سنة ٣٩٧ ﻫ حتى كبر مجد الدولة فاستوزر أبا علي بن علي بن القاسم فلم يرق في عينيه استيلاء أم مجد الدولة على الامور فاستمال الامراء عنها وخوف مجد الدولة منها فاسترابت وخرجت من الري الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فاعملت الحيلة حتى لحقت ببدر بن حسنويه مستنجدة به وجاءها ابنها شمس الدولة في عساكر همذان وسار معهما بدر فحاصروا أصفهان وملكوها عنوة وعاد اليها الامر فاعتقلت مجد الدولة ونصبت شمس الدولة للملك ورجع بدر الى بلده . ثم بعد سنة استرابت بشمس الدولة فأعادت مجد الدولة الى ملكه . وفي هذه الاثناء ظهر علاء الدولة أبو حفص بن كاكويه ابن خال هذه المرأة وكانت قد استعملته على أصفهان فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة ثم لما عادت والدة مجد الدولة الى ابنها بالري جاء أبو حفص اليها فاعادته الى اصفهان واستقر فيها قدمه وعظم شأنه كما سيأتي بيان ذلك مفصلا ان شاء الله

ذكرنا ان شمس الدولة بن فخر الدولة كان قد ملك همذان وأخوه مجد الدولة ملك الري بنظر أمه . وكان بدر بن حسنويه أمير الاكراد بينه و بين ولده

هلال فتنة وحروب نذكرها في أخبارهم ان شاء الله واستولى شمس الدولة على كثير من بلادهم وأخذ ما فيها من الاموال ثم سار الى الري سنة ٤٠٥ ﻫ يروم ملكها ففارقها أخوه مجد الدولة ومعه والدته الى دنباوند وخرجت عساكر الري الى شمس الدولة مزعنة بالطاعة وملك الري ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى شغب عليه جنده وطالبوه بارزاقهم فعاد الى همذان وأرسل الى اخيه ووالدته يامرهما بالعود الى الري فعادا

ثم توفي شمس الدولة واستولى مكانه ابنه سماء الدولة فاغار على فرهاد بن مرداويج بقطع يزدجرد وحاصره فاستنجد هذا بعلاء الدولة بن كاكويه فانجده وازاح سماء الدولة عنه ثم طمع في امتلاك ما بيد سماء الدولة فسار اليه بهمذان وانتصر عليه وملكها منه ثم ملك باقي البلاد التي بيد سماء الدولة

وكان مجد الدولة تاركا تدبير الدولة لامه متشاغلا عن ذلك بملاهيه الصبيانية حتى طمع فيه جنده فكتب الى محمود بن سبكتكين الغزنوي يشكوا اليه فبعث اليه عسكراً مع حاجبه وأمره بالقبض عليه فركب مجد الدولة لتلقيه فقبض عليه وعلى ابنه أبي دلف وطير الخبر الى محمود فجاء الى الري ودخلها وأخذ ما بها من أموال بني بويه وكان شيئا كثيراً . ثم ملك الى حدود أرمينية وخطب له علاء الدولة بن كاكويه باصفهان . ثم عاد الى بلاد غزنة بعد أن استخلف ابنه مسعوداً فافتتح زنجان وابهر ثم ملك أصفهان من يد علاء الدولة

١٨٥ – علاء الدولة بن كاكويه

من سنة ٤٢٠ – ٤٣٣ ﻫ أو من سنة ١٠٢٩ – ١٠٤١ م

قد ذكرنا فيما تقدم ابتداء امر علاء الدولة بن كاكويه وكيف ملك أصفهان من يد سماء الدولة بن شمس الدولة وان مسعود بن محمود استولى على أصفهان من يد علاء الدولة ولم يمكث بها طويلا حتى ظهر السلجوقيون وأزاحوه عنها وساروا الى أذربيجان فلما ساروا اليها عاد علاء الدولة الى الري واستولى عليها وعلى أصفهان أولا بدعوة مسعود بن محمود ثم قطع خطبته وخطب لنفسه وكان مسعود في شغل بمحاربة السلجوقيين ولم ينتبه الى علاء الدولة فلما

انتهى منهم وفارق السلجوقيون همذان سار هو الى أصفهان فهرب منها علاء الدوله الى أبي كاليجار يستنجده وكان أبو كاليجار مشغولا بقتال عمه جلال الدولة فلم يتمكن من نجدته فاصطلح علاء الدولة مع مسعود فولاه بلاده بالنيابة عنه . ثم فسد حاله مع بعض نواب مسعود حتى التزم مسعود أن يجرد عليه جيشا فازاحه عن أصفهان

وبعد قليل أغار طغرلبك السلجوقي على مسعود بن محمود بن سبكتكين فانتهز علاء الدولة الفرصة وعاد الى اصفهان وملكها وأقام بها الى أن توفي سنة ٤٣٣ ﻫ

١٨٦ — ظهير الدين أبو منصور فرامرد بن علاء الدولة وابو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة

من سنة ٤٣٣ — ٤٤٣ ﻫ أو من سنة ١٠٤١ — ١٠٥١

ولما توفي علاء الدولة بن كاكويه قام بالامر بعده ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرد باصفهان وسار ولده الآخر أبو كاليجار كرشاسف الى نهاوند فملكها وضبط البلد

ولم تكن أيامهما أيام راحة وسلام بل فتن وحروب وقلاقل شأن جميع البلدان بين سقوط دولة وقيام أخرى . فدامت هذه المنازعات عشر سنوات بين بني بويه من جهة والدولة الغزنوية من جهة أخرى والدولة السلجوقية من جهة ثالثة حتى خربت البلاد لتوالي هذه الفتن وانتهى الحال باستيلاء طغرلبك السلجوقي على الري سنة ٤٤١ ﻫ ثم سار الى أصفهان فحاصرها في محرم سنة ٤٤٢ ﻫ وبث سراياه في الجهات حتى بلغت البيضاء . وأقام محاصرها حولا كاملا حتى عدموا الاقوات وحرقوا السقوف لوقودهم حتى سقوف الجوامع ثم استأمنوا وخرجوا اليه وملك أصفهان سنة ٤٤٣ ﻫ وأقطع صاحبها أبا منصور وأجناده في بلاد الجبل ونقل أمواله وسلاحه من الري اليها وجعلها كرسيا لملكه وانقرضت دولة فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه من الري وأصفهان والبقاء لله وحده

القسم الثالث

١٨٧ - معز الدولة بن بويه

من سنة ٣٢١ — ٣٥٦ ﻫ أو من سنة ٩٣٣ — ٩٦٦ م

قد تقدم أن بني بويه ثلاثة اخوة عماد الدولة اكبرهم وركن الدولة ثانيهم ومعز الدولة أصغرهم وقلنا أيضا انهم لما استولوا على البلاد كان نصيب معز الدولة بلاد كرمان فسار اليها في العسكر سنة ٣٢٤ ﻫ واستولى على السيرجان . وكان ابراهيم ابن سيجور الدواني قائد ابن سامان يحاصر محمد بن الياس بن اليسع في قلعته هنالك فلما بلغه خبر معز الدولة سار من كرمان الى خراسان . وخرج محمد بن الياس من القلعة التي كان محاصراً بها الى مدينة قم على طرف المفازة بين كرمان وسجستان فسار معز الدولة الى جيرفت وهي قصبة كرمان . فلما قارب جيرفت أتاه رسول علي بن الزنجي المعروف بعلي ابن كلونة (وهو رئيس القفص والبلوص وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الناحية الا أنهم يجاملون كل سلطان يرد البلاد و يطيعونه ويحملون اليه مالا معلوما ولا يطؤن بساطه) فبذل لابن بويه ذلك المال فامتنع معز الدولة من قبوله الا بعد دخول جيرفت . فتأخر علي بن كلونة نحو عشرة فراسخ ونزل بمكان صعب المسلك . ودخل معز الدولة جيرفت واصطلح هو وعلي وأخذ رهنه على الخطبة . فلما استقر الصلح وانفصل الامر أشار بعض أصحاب معز الدولة عليه بان يكبس عليا و يغدر به ففعل ذلك . وكان لعلي بن كلونة عيون على معز الدولة أتته بهذا الخبر . فارصد جماعة لمعز الدولة بمضيق في طريقه فلما مر بهم هجموا عليه وقتلوا من أصحابه وأسروا وأصابته هو جراح كثيرة وقطعت يده من نصف الذراع وسقط بين القتلى . و بلغ الخبر الى جيرفت فهرب أصحابه منها . وجاء علي بن كلونة فحمله من بين القتلى الى جيرفت وأحضر الاطباء لعلاجه وكتب الى أخيه عماد الدولة يعتذر و يبذل الطاعة فاجابه . ثم بعث عماد الدولة الى أخيه معز الدولة واستقدمه اليه بفارس فاقام عنده باصطخر الى أن قدم اليه أبو عبد الله البريدي منهزما من ابن رائق

وبحكم (أو بجكم) المتغلبين على الخلافة ببغداد فبعث عماد الدولة أخاه معز الدولة وجعل له ملك العراق عوضا عن ملك كرمان . فسار معز الدولة سنة ٣٢٦ ﻫ فانتهى الى ارجان والتقى هناك بيحكم الذي جاء لصد هجماته وبعد قتال انهزم بحكم وسار الى الاهواز وأقام بها وأنزل بها عسكره بعد أن ترك حامية في عسكر مكرم لحمايتها فتقدم معز الدولة الى عسكر مكرم وقاتل من بها ١٣ يوما وهزمهم فلحقوا بتستر وملك معز الدولة عسكر مكرم وبعد أن استراح بها جيشه أياماسار الى الاهواز وملكها بلا كبير عناء وبينما هم مقيمون فيها خالف عليه ابن البريدي وهرب منه فعلم باختلافهم بحكم فارسل عسكراً واستولى على كثير من البلاد التي كانوا قد استولوا عليها فاستنجد معز الدولة أخاه عماد الدولة فبعث اليه مدداً من العسكر فعاد واستولى على الاهواز . وسار بحكم من واسط فاستولى على بغداد وقلده الراضي امارة الامراء

ولما هرب ابن البريدي من معز الدولة أقام بالبصرة ومن هناك كاتب بحكم أمير الامراء ببغداد وحرضه على المسير الى الجبل ليرجعها من يد ركن الدولة بن بويه ثم يسير الى الاهواز ليسترجعها من معز الدولة . واستمد بحكم فأمده بخمسمائة رجل وسار الى حلوان في انتظاره وأقام ابن البريدي يتربص به وينتظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها لان تلك كانت بغيته فعلم بحكم بذلك فرجع عن عزمه وعاد الى بغداد . وحدث بعد ذلك في بغداد فتن يطول شرحها عقبها استيلاء توزون التركي على بغداد وولاه الخليفة امرة الامراء . وفي هذه الاثناء كان معز الدولة مقيما بالاهواز مطلا على بغداد وأعمال الخليفة يروم التغلب عليها فانتهز فرصة مسير المتقي من الرقة الى توزون الذي حالما وصل اليه الخليفة خلعه وسمله ونصب المستكفي بالله . وتقدم معز الدولة الى واسط سنة ٣٣٣ ﻫ فسار توزون والمستكفي لدفاعه ففارقها وعاد الى الاهواز . ثم اشتد الحال ببغداد جداً حتى ضاقت الجبايات على العمال وامتدت الايدي الى أموال الرعايا وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل وأخذ الناس في الجلاء عن بغداد فخلع توزون عن امارة الامراء وتولاها ابن شيرزاد فلم تتحسن الاحوال . ثم كاتب أحد القواد المدعو ينال كوشه معز الدولة بالاهواز يطمعه في ملك بغداد فانتهز معز الدولة هذه الفرصة وأسرع نحوها في عساكر الديلم ولقيه ابن

شيرزاد والاكراد فهزمهم ولحقوا بالموصل واختفى المستكفي . وقدم معز الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبي الى بغداد فدخلها وظهر الخليفة من الاختفاء وحضر عند المهلبي فبايع له عن معز الدولة أحمد بن بويه وعن أخويه عماد الدولة وركن الدولة وولاهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب ورسمها على سكته . ثم جاء معز الدولة الى بغداد فملكها وصرف الخليفة في حكمه واختص باسم السلطان . ثم استأمن اليه أبو القاسم البريدي من البصرة وضمن له واسط واعمالها فعقد له عليها وكان كل ذلك سنة ٣٣٤ هـ وبعد قليل استراب معز الدولة من الخليفة المستكفي وظن أنه ساع في ازالة ملكه واعادة حقوق الخلافة فاجتمع به لثمان بقين من جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ هـ في محفل حافل وبينما هم جلوس تقدم اثنان من الديلم يصيحان فتناولا يد الخليفة المستكفي بالله فظنهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه . ونهض معز الدولة واضطرب الناس ونهبت الاموال . وساق الديلميان المستكفي بالله ماشيا الى دار معز الدولة فاعتقل بها . وبايع معز الدولة للفضل بن المقتدر ولقبه المطيع لله وأحضر المستكفي فاشهد على نفسه بالخلع وسلم على المطيع بالخلافة . وسلب الخليفة من الامر والنهي وصيرت الوزارة الى معز الدولة يولي فيها من يرى . وبمعنى آخر نال معز الدولة ببغداد كل ما كان تمناه وصار صاحب الامر والنهي في كل شيء لا يشاركه أحد في ذلك . ولما بلغ استيلاء معز الدولة على بغداد وخلعه المستكفي الى ناصر الدولة بن حمدان اغتاظ لذلك جداً وسار في شعبان سنة ٣٣٤ هـ فسير اليه معز الدولة عساكره الى عكبرا فاوقع بها بن حمدان بعكبرا . فلما علم معز الدولة بانهزام عساكره تقدم هو بنفسه ومعه الخليفة المطيع لله لمدافعته . فلما خرجوا من بغداد لحق ابن شيرزاد بناصر الدولة بن حمدان واستحثه الى بغداد . فامده ناصر الدولة ببعض عسكره فعاد بهم ابن شيرزاد الى بغداد واستولى عليها وأقام بها يدبر أمورها نيابة عن ناصر الدولة . وناصر الدولة في هذه الاثناء يحارب معز الدولة فلما كان عاشر يوم رمضان سار ناصر الدولة من سامرا الى بغداد وخالفه معز الدولة الى تكريت فنهبها لانها كانت من أعمال ناصر الدولة . ثم تقدم الى بغداد والخليفة معه فنزلوا بالجانب الغربي منها وكان ناصر الدولة نازلا بالجانب الشرقي وتمكن ناصر الدولة من قطع الميرة

عن معسكر معز الدولة حتى غلت بينهم الاقوات غلاء فاحشا وضاق الامر بمعز الدولة فعزم على العود الى الاهواز ثم تجلد قليلا وأرسل جيشاً بقيادة أبي جعفر الصيمري وأمرهم بالعبور لقتال ابن حمدان فعبروا وبعد قتال شديد انتصر الصيمري وغنم الديلم أموال ناصر الدولة ونهبوا معسكره فلحق ابن حمدان بعكبرا . ودخل معز الدولة بغداد واعاد المطيع الى داره في محرم سنة ٣٣٥ هـ

وفي سنة ٣٣٥ هـ انتقض أبو القاسم بن البريدي بالبصرة فارسل اليه معز الدولة جيشا الى واسط وهناك لقيهم جيش ابن البريدي فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم اصحاب ابن البريدي وأسر من أعيانهم جماعة

وفي سنة ٣٣٦ هـ سار معز الدولة ومعه المطيع لله الى البصرة لاستنقاذها من يد أبي القاسم بن البريدي وسلكوا البرية اليها . فارسل القرامطة الى معز الدولة ينكرون عليه مسيره الى البرية بغير أمرهم وهي لهم فلم يجبهم عن كتابهم وقال للرسول قل لهم : من أنتم حتى تستأمروا وليس قصدي من أخذ البصرة غيركم وستعلمون ما تقولون مني . ولما وصل معز الدولة الى الدرهمية استأمن اليه عساكر ابن البريدي وهرب هو ولحق بالقرامطة والتجأ بهم وملك معز الدولة البصرة وعاد الى بغداد ظافراً

وبعد قليل أظهر معز الدولة أنه يريد أن يسير الى الموصل ويملكها من يد ناصر الدولة ابن حمدان فراسله هذا في الصلح وحمل اليه المال فسكت عنه

وفي سنة ٣٤٥ هـ انتقض روزبهان (من كبار قواد الديلم) وخالف على معز الدولة وتبعه كثيرون من الديلم حتى كاد أن يظفر بما تمنى ولكن جيوش معز الدولة شتتت شمله

وفي سنة ٣٥٠ هـ مرض معز الدولة مرضا شديداً خاف منه على نفسه فاحضر وزيره المهلبي والحاجب سبكتكين وكان بينهما منافرة فاصلح بينهما وأوصاهما بابنه بختيار . ثم عوفي وعزم على المسير الى الاهواز لانه اعتقد ان سبب مرضه رداءة هواء بغداد فلما بلغ كلواذي قاصداً الاهواز أشار اليه أصحابه بعدم مفارقة بغداد خوفا من ضياع ملكه وأن يبني بها له داراً في مرتفعاتها لتكون أرق هواء واصفى ماء ففعل وشرع في بناء داره في موضع المسناة المعزية وأنفق عليها الف الف دينار فالتزم الى مصادرة جماعة من أصحابه

وفي سنة ٣٥٥ هـ أرسل معز الدولة عسكراً واستولى على عمان بعد حروب يطول شرحها . وفي سنة ٣٥٦ هـ جهز معز الدولة الجيوش لمحاربة ابن شاهين وسار قاصده فلما وصل الى واسط أصيب بالذرب فترك أصحابه بواسط وسار الى بغداد بعد ان وعدهم بانه سيعود اليهم قريبا لانه رجا العافية . فلما اشتد مرضه اصبح لا يثبت شيء في معدته فلما احس بالموت عهد الى ابنه عز الدولة بختيار وأظهر التوبة وتصدق باكثر ماله واعتق مماليكه ورد شيئاً كثيراً على اصحابه ثم توفي ثالث عشر ربيع الاخر من السنة وكان حليما كريماً عاقلا

١٨٨ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة

من سنة ٣٥٦ — ٣٦٧ هـ او من سنة ٩٦٦ — ٩٧٧ م

لما توفي معز الدولة أحمد بن بويه قام بالامر بعده ابنه عز الدولة بختيار وكان ابوه قد اوصاه بطاعة عمه ركن الدولة واتباع نصائحه وابن عمه عضد الدولة لانه اكبر منه سنا وتقدمه في معرفة السياسة وان يحفظ كاتبيه ابا الفضل العباس بن الحسين وابا الفرج محمد بن العباس بعلمهما وامانتهما . واوصاه بالديلم والاتراك وبالحاجب سبكتكين فخالف هذه الوصايا جميعها واشتغل باللهو واللعب ومعاشرة النساء والمغنين وغض النظر عن كاتبيه وعن سبكتكين فاستوحشوا وانقطع سبكتكين عنه فلم يحضر داره . ثم طرد كبار الديلم عن مملكته طمعا في اقطاعاتهم فشغب عليه الصغار منهم واقتدى بهم الاتراك في ذلك وطلبوا الزيادات . وركب الديلم الى الصحراء وطلبوا اعادة من اسقط من كبارهم فلم يجد بختيار بداً من اجازتهم لانحراف سبكتكين عنه فاضطربت اموره وكان الكاتب ابو الفرج العباس في عمان مذ استولى عليها معز الدولة فلما بلغه موته خشي ان ينفرد عنه صاحبه ابو الفضل العباس بن الحسين بالدولة فسلم عمان لعضد الدولة وبادر الى بغداد فوجد ابا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شيء

وتوالت الفتن ببغداد في ايام بختيار لضياع هيبته ليس فقط من الاهالي بل ومن الجند أيضا . وكان جند بختيار وأبيه معز الدولة طائفتين من الديلم عشيرتهم والاتراك المستنجدين عندهم وعظمت الدولة وكثرت عطاياها في أيام معز الدولة

فلما تولى بختيار قلت الاموال عنده وكثر شغب الجند عليه وساروا الى الموصل لسد ذلك فلم يقع لهم ما يسده فتوجهوا الى الاهواز صحبة بختيار فحمل اليهم عاملها مالا جزيلا سد عوزهم على نوع ما وبينما هم في الاهواز حصلت فتنة بين الاتراك والديلم أصحاب بختيار وحصلت بينهم مواقع دموية. فاشار بعضهم على بختيار بالقبض على الاتراك فاحضر رؤساءهم واعتقلهم. وانطلقت أيدي الديلم على الاتراك فافترقوا ونودي بالبصرة باباحة دمائهم

واستولى بختيار على أقطاع سبكتكين الذي كان موجوداً في ذلك الوقت ببغداد. ثم أغرى بختيار أصحابه بان يذيعوا خبر وفاته ليأتي سبكتكين للعزاء فيه فيقبضوا عليه. ففعلوا ولما علم سبكتكين بالخبر ارتاب وعلم انها مكيدة. فسار في الاتراك وحاصر دار بختيار يومين ثم احرقها ودخلها وأخذ أبا اسحق وأبا طاهر ابنى معز الدولة ووالدتهما ومن كان معهما فسألوه أن يمكنهم من الانحدار الى واسط ففعل. وانحدروا وانحدر معهم المطيع لله في الماء فانفذ اليه سبكتكين ورده الى داره وذلك تاسع ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ. واستولى سبكتكين على ما كان لبختيار جميعه ببغداد واستطال الاتراك على الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها وانقسم أهل بغداد الى فريقين السنية نصروا سبكتكين لانه كان سنياً والشيعة خذلوه وحاربوه وبعد قتال دام أياما انتصر أهل السنة وأحرقوا دور الشيعة

ولما علم بختيار بما تم استنجد ابن عمه عضد الدولة فانجده وحارب معه واستولى على بغداد ولكنه عوضا عن اعادتها لبختيار اعتقل بختيار وخطب فيها لنفسه. فعلم أبوه بذلك فارسل اليه يهدده ان لم يترك العراق لابن عمه بختيار واتفق انتقاض بعض الاعمال على عضد الدولة فاعاد بختيار الى ملكه وسار هو عن بغداد

ثم توفي بعد ذلك ركن الدولة والد عضد الدولة واستولى هذا على ملكه كما تقدم ذكر ذلك فازداد قوة وطمعا في ملك العراق. وكان بختيار يكاتب أصحاب الاطراف للتضافر على عضد الدولة فحركه ذلك لطلب العراق فسار الى هناك وانحدر بختيار الى واسط لمدافعته وبعد قتال انهزم بختيار وعاد الى بغداد. فلما دخلت سنة ٣٦٧ هـ سار عضد الدولة الى بغداد وأرسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وأن يسير عن العراق الى أي جهة أراد فضعفت نفسه وخرج متوجها

الى الشام ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها نهائيا وتولاها هو وأولاده من بعده كما تقدم ذكر ذلك في القسم الاول من تاريخ بني بويه الى أن انقرض أمرهم باستيلاء السلجوقيين على العراق والدوام لله وحده

١٨٩ - الدولة الاخشيدية بمصر

(تمهيد) لما استولى الخليفة المكتفي على مصر من يد الطولونية (راجع فصل ١٣٤ و ١٣٥) جعل عليها عيسى النوشري سنة ٢٩٢ هـ فاقام واليا عليها الى سنة ٢٩٥ هـ فتنحى عنها الى محمد بن الخليج وهذا لم يلبث الا قليلا حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشري فعاد فتولاها الى أن توفي في شعبان سنة ٢٩٧ هـ. فولي المقتدر عليها تكين الخزري أبا منصور و بقي الى سنة ٣٠٢ هـ فأقيل وأقيم مكانه زكاه الرومي أبو حسن الاعور فتولى مصره سنوات وتوفي في ربيع أول سنة ٣٠٧ هـ فأعيد تكين ثانية فاقام بها الى أن توفي سنة ٣٢١ هـ عن ولد يدعى محمد وهذا وضع يده على حكومة مصر بدون اذن الخليفة. فاراد القاهر بالله أن يقاص محمد بن تكين على جسارته فولى على مصر أبا بكر محمد بن طفج الاخشيد وكان هذا في ذلك الوقت حاكما في دمشق وأصله من أولاد ملوك فرغانة وكان المعتصم بالله بن هرون الرشيد قد جاب اليه من فرغانة جماعة كثيرة ووصفوا له جف (جد محمد أبي بكر) وغيره بالشجاعة والتقديم في الحروب فاحضرهم المعتصم وبالغ في اكرامهم وأقطعهم قطائع في سر من رأى. فاقام بها وخلف أولاداً وتوفي جف في بغداد سنة ٢٤١ هـ. وخرج أولاده الى البلاد في طلب المعاش واتصل طفج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طفج الى جملة أصحاب اسحق بن كنداج فلم يزل معه الى أن مات أحمد ابن طولون وجري الصلح بين خمارويه بن أحمد بن طولون وبين اسحق بن كنداج. فرأى خمارويه طفج بين أصحاب ابن كنداج فأعجب به وأخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وولاه دمشق ولم يزل كذلك حتى قتل خمارويه فسار طفج الى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وكان وزير الخليفة يومئذ العباس ابن الحسن فلم يتزلف اليه طفج كعادة القوم في تلك الايام فاغرى به الخليفة

المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر محمد بن طغج . وتوفي طغج بالسجن وبقي ابنه أبو بكر محبوسا مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل بالعباس بن الحسن الوزير حتى أخذ ثأر أبيه منه وهرب الى الشام وأقام متغربا في البادية سنة . ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري ولم يزل بصحبته الى سنة ٣١٦ هـ ثم فارقه وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ٣١٨ هـ فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في رمضان سنة ٣٢١ هـ لكنه لم يذهب الى مصر لاستلام مركزه المشار اليه ولم يلقب به الا مدة شهر فقط ثم عين الخليفة مكانه أحمد بن كيغلغ وفي سنة ٣٢٢ هـ عزل القاهر بالله من الخلافة وتولاها الراضي بالله وحال توليته عزل ابن كيغلغ عن مصر وولى مكانه محمد بن طغج فقدم لاستلام امارة مصر فامتنع ابن كيغلغ من تسليمه فقاتله محمد بن طغج وانتصر عليه وهرب أحمد بن كيغلغ بمن معه من ذويه ولحق ببرقة ثم سار منها الى القيروان والتجأ الى أبي القاسم القائم بامر الله الخليفة الفاطمي وحرضه على المسير الى مصر فجهز جيشا عظيما وعلم محمد بن طغج ذلك فحصن الحدود الغربية لمصر وجعل فيها حامية قوية ولكن جيوش القائم بأمر الله وصلت الى الحدود وانتصرت على عساكر محمد بن طغج واستولت على الاسكندرية وتقدمت الى الفسطاط واحتلت قسما كبيراً من الصعيد ثم رأى القائم بامر الله ان جنده ربما لايقوون على فتح العاصمة فأجل ذلك الى وقت آخر منتظراً قرب انحلال الدعوة العباسية فيتم له مايريد على أهون سبيل

١٩٠ — محمد بن طغج الاخشيد

من سنة ٣٢٣ — ٣٣٤ هـ أو من سنة ٩٣٤ — ٩٤٥ م

وكانت الخلافة العباسية قد أدبرت أحوالها وقلت سطوتها فطمع أصحاب الاعمال كل في عمله كما تقدم ذكر ذلك وسيأتي أيضا فطمع محمد بن طغج في ولاية مصر وصرح باستقلاله سنة ٣٢٤ هـ فاضطر الخليفة الى تثبيته وأضاف اليه ملك سوريا مع انها لم تكن بيده . وفي سنة ٣٢٧ هـ أنعم عليه بلقب الاخشيد

وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم ومفاد هذه اللفظة في لغتهم ملك الملوك وفي سنة ٣٢٨ ﻫ قلد الراضي بالله محمد بن رائق أمير الامراء ببغداد أعمال حران والرها وماجاورهما وجند قنسرين والعواصم فسار اليها واستقر بها ثم طمحت نفسه الى ملك الشام فسار الى مدينة حمص فملكها . وكان على دمشق بدر بن عبد الله عاملا عن الاخشيد . فتقدم ابن رائق اليها وحارب عليها وملكها منه وهرب بدر . ثم تقدم ابن رائق قاصداً مصر حتى اذا بلغ العريش التقى بعساكر الاخشيد التي كانت قادمة لقتاله ودار بين الفريقين قتال شديد كاد ينهزم فيه أصحاب الاخشيد لولا الكمين الذي أعده لمثل هذه الساعة فانتصر انتصاراً باهراً ونجا ابن رائق في فل من أصحابه الى دمشق فبعث اليه الاخشيد أخاه أبا نصر بن طفج في العسكر فبرز اليهم ابن رائق وهزمهم وقتل أبو نصر في المعركة . وفضلا عما بين بن رائق والاخشيد من العداوة والحرب فحالما علم بموت أبي نصر بعث ابنه مزاحما الى مصر وكتب الى الاخشيد بالعزاء والاعتذار وان مزاحما في فدائه . فالتقاه الاخشيد أحسن ملتقى وأكرم وفادته وخلع عليه ورده الى أبيه . وتم الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق ومصر للاخشيد والتخم بينهما الرملة . وبعد أن تم الصلح بينهما بهذه الكيفية عادت عساكر الاخشيد الى مصر في سنة ٣٢٩ ﻫ وفي سنة ٣٣٠ ﻫ اتصل بالاخشيد أن محمد بن رائق قتل بسيف بني حمدان فاغتنم الفرصة لاسترجاع الشام فسار اليها مسرعا ولم يعد الى مصر الا بعد أن استولى على دمشق وما جاورها

وفي سنة ٣٣٣ ﻫ أغار سيف الدولة بن حمدان على حلب وملكها وتقدم الى حمص فارسل اليه الاخشيد جيشا بقيادة كافور مولاه فقاتله سيف الدولة وانتصر عليه وملك حمص وسار الى دمشق فحاصرها وامتنع عليه أهلها . وكان الاخشيد قد خرج من مصر الى الشام وسار خلف سيف الدولة فالتقيا بقنسرين وبعد قتال شديد ثبت الفريقان ولم ينهزم أحد فرجع سيف الدولة الى الجزيرة والاخشيد الى دمشق . ثم عاد سيف الدولة الى حلب وملكها . وفي سنة ٣٣٤ ﻫ توفي محمد ابن طفج الاخشيد في دمشق وكان سنه ٦٠ سنة ومدة حكمه ١١ سنة و٣ أشهر ويومين ودفن بالقدس الشريف .

١٩١ - أبو قاسم انوجور بن الاخشيد

من سنة ٣٣٤ — ٣٤٩ هـ أو من سنة ٩٤٥ — ٩٦٠ م

لما توفي محمد الاخشيد تولى بعده ابنه أبو القاسم انوجور وكان صغيراً فقام كافور بتدبير الدولة وسار من دمشق الى مصر. وعلم سيف الدولة بموت الاخشيد وسفر ابنه الى مصر فاغتنم الفرصة وقدم دمشق واستولى عليها فعلم كافور بذلك فاسرع بجيش عظيم فلاقى سيف الدولة بالرملة قادما من دمشق لملاقاته فالتحم الجيشان وبعد قتال شديد انهزم سيف الدولة الى الرقة واستولى كافور على دمشق

وفي سنة ٣٦٩ هـ توفي انوجور بن محمد الاخشيد بعد أن حكم ١٤ سنة وعشرة أيام

١٩٢ - أبو الحسن على بن الاخشيد

من سنة ٣٤٩ — ٣٥٥ هـ أو من سنة ٩٦٠ — ٩٦٥ م

لما توفي انوجور بن محمد الاخشيد تولى بعده أخوه الملقب بابي الحسن علي ابن الاخشيد وقام كافور بتدبير الدولة في أيامه كما كان في أيام أخيه

ثم توفي علي بن الاخشيد سنة ٣٥٥ هـ بعد أن حكم ٥ سنوات وشهرين ويومين

١٩٣ - كافور الاخشيدي

من سنة ٣٥٥ — ٣٥٧ هـ أو من سنة ٩٦٥ — ٩٦٧ م

ولما توفي علي بن الاخشيد استقل كافور بمصر وكتب له المطيع بعهدة على مصر والشام والحرمين وكناه الدالي بالله. فلم يقبل الكنية وتلقب الاخشيدي واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات. وكان كافور جواداً ممدوحا سيوسا كثير الخشية لله والخوف منه. وكان يداري المعز الفاطمي صاحب المغرب ويهاديه

ثم توفي كافور في ١٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٧ هـ بعد أن حكم سنتين وأربعة اشهر

١٩٤ - أبو الفوارس بن علي

من سنة ٣٥٧ — ٣٦٢ ﻫ أو من سنة ٩٦٧ — ٩٧٢ م

وقام بالامر بعد كافور أحمد أبو الفوارس بن علي بن محمد الاخشيد وكان عمره ١١ سنة فقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبد الله بن طغج وكانت الدولة الفاطمية التي قامت بالمغرب من زمن ليس ببعيد تنظر الى مصر بعين الناقد البصير وتأكد خلفاؤها انهم أن ملكوا مصر ثبت أمرهم فلذا هاجموها مراراً كما تقدم ذكر ذلك في الدولة الفاطمية . فلما ضعف أمر الاخشيدية بمصر انتهز المعز لدين الله الخليفه الفاطمي وأرسل جيشا كثيفا بقيادة وزيره جوهر الصقلي الى مصر فاستولى عليها سنة ٣٥٩ ﻫ ودخل العاصمة . وما زال يقاتل الاخشيدية حتى أجلاهم عن مصر سنة ٣٦٢ ﻫ . وانقرض بهذه الحادثة حكم الدولة الاخشيدية والله غالب على أمره

١٩٥ - الدولة الادريسية الثانية

بريف مراكش

(تمهيد) قد ذكرنا في فصل (٢٠٠) عند انقراض الدولة الادريسية الاولى انه ظهر لهم دولة ببلاد الريف من المغرب الاقصى واليك بيان الاسباب التي أدت الى ذلك . لما استولى موسى بن أبي العافية على المغرب الاقصى وحصر العائلة الادريسية بقلعة النسر أقاموا فيها حتى تقدم ميسور الخصي من أفريقية وأجلى موسى بن أبي العافية الى الصحراء فحين ذاك خرج بنو ادريس من معتقلهم وأقاموا بريفهم يتداولون رئاسته ولكن ليس على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت دولتهم الاولى بفاس والمغرب وانما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب تحت نظر الشيعة تارة وتحت نظر المروانيين بالاندلس تارة أخرى الى أن انقرضت دولتهم وذهبت رئاستهم .

١٩٦ – القاسم كنون بن محمد

من سنة ٣٢٣ — ٣٣٧ ه أو من سنة ٩٣٤ — ٩٤٨ م

هو القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس أخو الحسن الحجام (راجع فصل ١٠٠) . فلما فر موسى بن أبي العافية امام ميسور الى الصحراء اجتمع بنو ادريس و بايعوا القاسم المذكور. فملك بلاد المغرب الا فاساً فانه لم يملكها وكان سكناه بقلعة حجر النسر . واستمر على امارته مقيما دعوة الشيعة الى أن توفي سنة ٣٣٧ ه .

١٩٧ – أبو العيش أحمد بن القاسم

من سنة ٣٣٧ — ٣٤٨ ه أو من سنة ٩٤٨ — ٩٥٩ م

لما توفي القاسم كنون بن محمد تولى الامر بعده ابنه أبو العيش أحمد . وكان أبو العيش فقيها ورعا حافظا للسير عارفا باخبار الملوك وأيام الناس شجاعا جواداً حتى لقب بأحمد الفاضل . وكان يكره الشيعة و يميل الى بني مروان بالاندلس فلما ولي بعد أبيه قطع دعوة العبيديين في جميع عمله وبايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله . فلما بايع له اقترح عليه ان ينزل له عن طنجة ليضيفها الى سبتة التي كان استولى عليها من قبل . فامتنع أبو العيش من اجابة طلبه . فبعث اليه الناصر أسطولا عظيما فحاصره وضيق عليه حتى اذا رأى انه لا طاقة له بحربه أجابه الى ماسأل و نزل عن طنجة . و بقي أبو العيش مع اخوته و بني عمه من الادارسة بمدينة البصرة وآصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته وتحت رعايته . واستمر أبو العيش على هذا الحال حتى جال في خاطره أن يذهب الى الاندلس بقصد الجهاد . فاستأذن الناصر في ذلك فاذن له . فذهب الى الاندلس وأكرم الناصر وفادته حتى أمر بان يبنى له قصر في كل مدينة ينزلها . ولكنه ما لبث الا قليلا حتى توفي شهيد الجهاد سنة ٣٤٨ ه

١٩٨ — الحسن بن القاسم كنون

من سنة ٣٤٨ — ٣٧٥ هـ أو من سنة ٩٥٩ — ٩٨٥ م

لما خرج أبو العيش الى الاندلس بقصد الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن فلما توفي أبو العيش تولى الامر بعده أخوه الحسن واستمر متمسكا بدعوة المروانيين ولما علم المعز لدين الله الخليفة الفاطمي العبيدي غلبة الناصر الاموي المرواني على بلاد المغرب الاقصى بعث قائده جوهر بن عبد الله في العساكر اليها فقاتل المخالفين واعاد الدعوة الفاطمية الى المغرب و بايعه الامير الحسن بن القاسم في من بايع العبيديين وعاد جوهر سنة ٣٤٩ هـ فنكث الحسن العهد وخلع بيعة العبيديين وعاد الى المروانيين فتمسك بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكم المستنصر . وذلك ليس لمحبته لهم ولكن خوفا منهم لقربهم منه واستمر على ذلك الى أن قدم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من أفريقية الى المغرب . فملكه وقطع دعوة الامويين منه وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للمعز لدين الله الفاطمي . فكان أول من سارع الى بيعته ونصرته وقتال اولياء المروانيين معه الحسن بن كنون الادريسي

واتصل الخبر بالحكم المستنصر صاحب الاندلس فحقد على الحسن بن كنون لذلك فلما انصرف بلكين بن زيري الى افريقية بعث الحكم المستنصر صاحب الاندلس قائده محمد بن القاسم في جيش كثيف لقتال الحسن بن كنون . فقاتله الحسن وانتصر عليه وقتل محمد بن القاسم وتشتت شمل جيوشه . فبعث الحكم غالبا مولاه المشهور في جيش عظيم فخرج من قرطبة في آخر شوال سنة ٣٦٢ هـ فلما علم الحسن بن كنون بقدومه خاف جداً وأخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمه وأمواله وذخائره الى قلعة حجر النسر القريبة من سبتة واتخذها معقلا يتحصن بها . واجاز غالب البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصمودة فلقيه الحسن ابن كنون هناك في جموع البربر وقاتله أياما . واستعمل غالب الاصفر الوهاج في استمالة أصحاب الحسن فنجح في ذلك وكيف لاينجح فانفض كثير من أصحاب الحسن عنه حتى لم يبق معه الا القليل منهم . فلما رأى ذلك سار الى

قلعة حجر النسر وتحصن فيها . واتبعه غالب فحاصره ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المدد وأمد الحكم غالبا مولاه بجيش آخر وصله سنة ٣٦٣ هـ فاشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب من غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله وأن ينزل اليه و يسير معه الى قرطبة فيكون بها . فاجابه غالب الى ما أراد . فنزل الحسن وأهله وأسلم الحصن الى غالب فملكه . واستنزل غالب جميع العلويين الذين بالمغرب الاقصى من معاقلهم وأخرجهم عن أوطانهم ولم يترك بالمغرب رئيسا منهم . وسار الى مدينة فاس فملكها واستعمل عليها محمد بن أبي علي بن قشوش . وعاد غالب الى الاندلس واصطحب معه الحسن بن كنون وكتب الى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه و بقدوم من معه . فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم . وركب هو فى جمع عظيم من وجوه دولته فتلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوما مشهوداً وذلك أول يوم من المحرم سنة ٣٦٤ هـ . وأكرم الحكم وفادة الحسن وأوسع له ولرجاله في العطاء وأسكنه قرطبة فاقام بها قرير العين مرتاح البال الى سنة ٣٦٥ هـ فكان مانذكره .

كان للحسن بن كنون قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحجم ظفر بها في بعض غزواته فسواها منشورة يتوسدها و يرتفق بها فبلغ الحكم المستنصر بالله خبرها فسأله حملها اليه فامتنع الحسن من ذلك فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله وسلبه القطعة أيضا وأمر باخراجه واخراج عشيرته من قرطبة واجلائهم الى المشرق . فركبوا البحر من المرية الى تونس سنة ٣٦٥ هـ ومنها الى مصر فنزلوا بها على الخليفة الفاطمى وهو يومئذ العزيز بالله . فاقتبلهم وبالغ في اكرامهم ووعد الحسن النصرة والاخذ بثاره ممن غلبه على ملك سلفه . وأقام الحسن بمصر الى سنة ٣٧٣ هـ في أيام هشام المؤيد بالله الاموي . فكتب العزيز بالله للحسن بعهده على المغرب وأمر عامله على أفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يمده بالجيوش . فسار الحسن الى بلكين فاعطاه عسكراً يشتمل على ٣٠٠٠ فارس فاقتحم بهم بلاد المغرب وسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة فشرع في اظهار دعوته واتصل خبره بالمنصور بن أبي عامر المتغلب على هشام المؤيد بالاندلس بملكه فبعث اليه ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر في جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن بن كنون . فركب البحر الى سبتة

وخرج الى حرب الحسن فأحاط به وحاصره أياما . ثم أجاز المنصور بن أبي عامر ولده عبد الملك في أثر الوزير أبي الحكم في جيش كثيف ممداً له . فلما رأى ذلك الحسن بن كنون لم يجد حيلة سوى طلب الامان . فطلب الامان على نفسه على أن يسير الى الاندلس كحالته الاولى . فاعطاه الوزير أبو الحكم من ذلك ما وثق به وكتب الى ابن عمه المنصور يخبره بذلك . فأمر بتعجيله الى قرطبة موكلا به . فبعث به اليه ولما انتهى الخبر الى المنصور بقدوم الحسن لم يمض أمان ابن عمه وبعث اليه من قتله في طريقه وأتاه برأسه . وكان مقتله في جمادى الاولى سنة ٣٧٥ هـ . وانقرضت بقتله دولة الادارسة والبقاء لله وحده .

١٩٩ - الدولة المسافرية

(من الديلم) باذربيجان

(تمهيد) كانت أذربيجان في ذلك الوقت الذي استولت عليها فيه هذه الدولة (سنة ٣٣٠) بيد ديسم الذي استولى عليها بتقربه الى يوسف بن أبي الساج وكان معظم جيوشه من الاكراد الا نفراً يسيراً من الديلم . فتحكم الاكراد عليه وتغلبوا على بعض قلاعه وأطراف بلاده فرأى أن يستظهر عليهم بالديلم فاستكثر منهم وكان بينهم صعلوك بن محمد بن مسافر وعلي بن الفضل وغيرهما . فاكرمهم ديسم وأحسن اليهم وانتزع من الاكراد ما تغلبوا عليه من بلاده . وكان وزيره أبا القاسم علي بن جعفر وهو من أهل أذربيجان فسعى به أعداؤه فخافه ديسم فهرب الى محمد بن مسافر صاحب الطرم . فلما وصل اليه رأى أن ابنيه وهشودان والمرزبان قد عصيا على أبيهما محمد بن مسافر لسوء معاملته لهما فقبضا عليه وسلباه ماله . فرأى علي بن جعفر أن يتقرب الى المرزبان فتقرب اليه وخدمه وأطمعه في أذربيجان وضمن له تحصيل أموال كثيرة فقلده وزارته وكاتب علي بن جعفر من يعلم انه يستوحش من ديسم ويستميله الى أن أجابه أكثر أصحابه وفسدت قلوبهم على ديسم . وسار المرزبان الى أذربيجان وسار ديسم لملتقاه فلما التقيا للحرب عادت الديلم (الذين مع ديسم) الى المرزبان وتبعهم كثير من الاكراد فانتصر المرزبان واستولى على أذربيجان بلا كبير عناء

وهرب ديسم الى أرمينية والتجأ الى حاجيق بن الديراني لمودة بينهما .
واستأنف ديسم يؤلف الاكراد ليعود بهم الى أذر بيجان

٢٠٠ — المرزبان بن محمد بن مسافر

من سنة ٣٣٠ — ٣٤٦ ﻫ أو من سنة ٩٤١ — ٩٥٧ م

واستقام أمر المرزبان باذر بيجان ولكنه لم يلبث طويلا حتى فسد الحال بينه وبين وزيره علي بن جعفر والسبب في ذلك أن علي بن جعفر أساء السيرة مع أصحاب المرزبان فتضافروا عليه فاحس بذلك فاحتال على المرزبان وأطمعه في أموال كثيرة يأخذها من مدينة تبريز فجند له جنداً من الديلم وسيرهم اليها . ولما وصلوا اليها أغرى علي بن جعفر أهل تبريز بالديلم وأفهمهم أن المرزبان أرسلهم اليهم ليأخذوا أموالهم وحسن لهم قتلهم ومكاتبة ديسم ليقدم عليهم . فاجابوه الى ذلك وكاتب هو ديسم ووثب أهل البلد بالديلم فقتلوهم . وسار ديسم فيمن اجتمع عليه الى تبريز . وكان المرزبان قد أساء الى من استأمن اليه من الاكراد فلما سمعوا بديسم ساروا اليه . واتصل الخبر بالمرزبان فجمع عسكره وسار الى تبريز فتحارب هو وديسم بظاهر البلد فانهزم ديسم والاكراد وعادوا فتحصنوا بتبريز وحصرهم المرزبان وأخذ في اصلاح علي بن جعفر فراسله وبذل له الامان فاجابه الى ما طلب وحلف له . ولما اشتد الحصار على ديسم سار من تبريز الى اردبيل وخرج علي بن جعفر الى المرزبان واتحد معه فساروا الى اردبيل وحصروا ديسم الى أن طلب الامان . فأمنه المرزبان وسيره الى قلعة الطرم فاقام فيها هو وأهله . وفي سنة ٣٣٢ ﻫ تقدمت جنود الروس الى مدينة بردعة من أعمال أذربيجان وأغاروا عليها فخرج عامل المرزبان عليها بجنوده اليهم لردهم عنها فهزموه وشتتوا شمله وملكوا بردعة وأمنوا أهلها وأحسنوا السيرة فيهم . واتصل الخبر بالمرزبان فجمع كل ماقدر على جمعه من العساكر وأتاه المسلمون أفواجا لقتال الروس فحاصرهم ببردعة وضيق عليهم . فلما اشتد عليهم الحصار وعلموا أن لافائدة من المقام في وسط بلاد الاسلام خرجوا من بردعة ليلا بدون أن يشعر بهم أحد وعادوا لبلادهم

وفي سنة ٣٣٧ ﻫ اتصل بالمرزبان أن عساكر خراسان قصدت الري وأن ذلك يشغل ركن الدولة بن بويه عنه . وكان المرزبان يكره بني بويه لانه أرسل رسولا لمعز الدولة فحلق معز الدولة لحيته وسب صاحبه وكان سفيها فعظم ذلك للمرزبان فطمع المرزبان في الاستيلاء على الري من يد بني بويه وساعده بعض خواصه على فكره واستأمن اليه بعض قواد ركن الدولة فقوي بهم . وراسله ناصر الدولة ابن حمدان يستحثه لذلك ويشير عليه ان يبتدىء ببغداد قبل الري فخالفه وقصد الري وقبل مبارحته أحضر أباه وأخاه وهشوذان واستشارهما في ذلك فنهاه أبوه عن قصد الري فلم يطعه وقال له : لا تراني بعد الان الا على امارة الري أو بين القتلى :

ولما علم ركن الدولة بن بويه بقدومه كتب الى أخويه يستنجدهما واستعمل الحيلة مع المرزبان كي يماطله حتى يصله المدد فكتب اليه يتواضع له ويعظمه ويسأله ان ينصرف عنه على شرط أن يسلم اليه زنجان وابهر وقزوين وترددت الرسل بينهما حتى وصله المدد واتحد معه محمد بن عبد الرازق فسار الى قزوين والتقى هناك بالمرزبان ودارت رحى الحرب بينهما فلم يكن الا قليلا حتى انهزم جيش المرزبان ووقع هو أسيرا وحمل الى سميرم وحبس بها . وعاد ركن الدولة ونزل محمد بن عبد الرازق بنواحي اذربيجان . واما اصحاب المرزبان فانهم اجتمعوا على أبيه محمد بن مسافر وولوه امرهم فهرب منه ابنه وهشوذان الى حصن له . وأساء محمد بن مسافر السيرة مع العسكر فارادوا قتله فهرب الى ابنه وهشوذان فقبض عليه ابنه وضيق عليه حتى مات . ثم استدعى ديسم الكردي من مكانه بقلعة الطرم حيث انزله المرزبان عند ظفره به وسيره لقتال محمد بن عبد الرازق فالتقيا وانهزم ديسم وقوي ابن عبد الرازق فاقام بنواحي اذربيجان يجبي اموالها ثم رجع الى الري سنة ٣٣٨ ﻫ وكاتب الامير نوحا الساماني واهداه وسأله الصفح عنه فقبل عذره . ولما عاد محمد بن عبد الرازق من اذربيجان استولى ديسم عليها الى ان كان ما سنذكره

قد ذكرنا خبر أسر المرزبان وحبسه بقلعة سميرم . فلما حبس بها اقام فيها يتحايل في الخروج منها الى سنة ٣٤٢ ﻫ وفيها كانت حيلة المرزبان قد نجحت

وكانت الرسل بينه وبين والدته لا تنقطع فاتفق مع بعض الرسل الذين كانوا يأتونه في زي التجار على قتل حارس السجن في يوم معلوم فقتلوه وخرج المرزبان من محبسه واستولى على سميرم واجتمعت اليه الديلم فسار بهم الى اذربيجان لاستخلاصها من يد ديسم فقاتله وانتصر عليه واستولى على اذر بيجان . وهرب ديسم متجولا في البلاد يستنجد أهل الهمم فلم ينجده أحد الى أن امسكه المرزبان وسمله وسجنه فاقام بسجنه الى أن توفي المرزبان فقتله بعض اصحابه خوف غيلته

وفي رمضان سنة ٣٤٦ ھ توفي المرزبان وعهد بالملك الى أخيه وهشودان وبعده لابنه خستان . وكان المرزبان قد اوصى نوابه بالقلاع أن يسلموها بعده الى ولده خستان فان مات فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه ناصر فان لم يبق منهم أحد فالى أخيه وهشودان . فلما عهد الى اخيه عرفه علامات بينه وبين نوابه في قلاعه ليتسلمها منهم . فلما مات المرزبان انفذ اخوه وهشودان خاتمه وعلاماته اليهم فاظهروا وصيته الاولى . فظن وهشودان اخاه خدعه بذلك فاقام مع اولاد اخيه ثم هرب من اردبيل الى قلعة الطرم . وجاء القواد الى خستان بن المرزبان وبايعوه .

٢٠١ – خستان بن المرزبان

من سنة ٣٤٦ — ٣٤٩ ھ او من سنة ٩٥٧ — ٩٦٠ م

ولما استولى خستان على ملك ابيه عكف على اللهو واللعب ومداعبة النساء وترك أمور الدولة فطمع فيه اصحابه فانتقض عامله على ارمينية وطمع في الاستيلاء عليها واتفق قبض خستان على وزيره النعيمي فسار الى عامل ارمينية المنتقض واطمعه في ملك اذربيجان فقصدوا مراغة واستولوا عليها فلما علم خستان بذلك راسل عامله بارمينية المنتقض وصالحه ولكنه أخذ حذره منه . وكان بين خستان واخيه ابراهيم منافرة فاتحد عقب هذه الحادثة

وفي سنة ٣٤٩ ھ ظهر باذر بيجان عيسى بن المكتفي بالله وبايع للرضا من آل محمد ولبس الصوف وأظهر العدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وكثر

اتباعه وكاتبه النعيمي وزير خستان واطمعه في الخلافة وان يجمع له الرجال ويملك اذربيجان فاذا قوي قصد العراق فوافقه . واتصل بخستان خبرهم فسار هو واخوه ابراهيم اليهم قاصدين قتالهم فلما التقوا انهزم اصحاب المستجير بالله واخذ هو اسيراً وقتل

وكان وهشودان ينظر الى اولاد اخيه بعين الناقد البصير حتى اذا راى منهم عدم الميل وان كل واحد منهم قد انطوى على غش صاحبه . راسل ابراهيم بعد وقعة المستجير واستزاره فزارهفاكرمه ووصله بما ملأ عينه وكاتب ناصراً ابن اخيه واستغواه ففارق اخاه خستان وصار الى موقان واتبعه كثيرون من جند اخيه فقوي بهم واستولى على اردبيل . ثم طالبته الجنود بارزاقها فعجز عن ذلك وقعد عمه وهشودان عن نصرته فعلم انه كان يغويه فراسل اخاه خستان وتصالحا . وازداد امر خستان ادباراً وقلت معه الاموال وتغلب عليه اصحاب الاطراف حتى اضطر ان يسير هو واخوه ناصر ووالدتهما الى عمه وهشودان . فراسله في ذلك واخذ عليه العهود . وساروا اليه فلما حضروا عنده نكث وغدر بهم وقبض عليهم واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل وسلم اليه اكثر قلاعه واخرج الاموال وارضى الجند

٢٠٢ – وهشودان بن محمد بن مسافر

من سنة ٣٤٩ – ٣٥٥ هـ اومن سنة ٩٦٠ – ٩٦٥ م

ولما استولى وهشودان على اعمال خستان ابن اخيه كان ابراهيم بن المرزبان اخو خستان بارمينية فتأهب لمنازعة اسمعيل بن وهشودان واستنقاذ اخويه من حبس عمهما وهشودان فلما اتصل هذا الخبر بوهشودان ورأى اجتماع الناس على ابراهيم بادر فقتل خستان وناصراً ابني اخيه وأمهما وكاتب خستان بن شرمزن بارمينية وطلب اليه ان يقصد ابراهيم وأمده بالجند والمال ففعل ذلك واضطر ابراهيم الى الهرب والعود الى ارمينية واستولى ابن شرمزن على معسكره وعلى مدينة مراغة مع ارمينية . ولما استقر ابراهيم بارمينية اجتهد في جمع الاحزاب اليه وراسل خستان بن شرمزن واصلحه فاتاه خلق كثير واتفق ان

اسمعيل ابن عمه وهشودان توفي فسار ابراهيم الى اردبيل وملكها وانصرف عنها
أبو القاسم بن مسيكي عامل وهشودان اليه . وتقدم ابراهيم الى عمه وهشودان طالبا
اخذ ثار اخويه فخافه عمه وهشودان وسار هو وابن مسيكي في الجيوش لقتال
ابراهيم . فلقيهم ابراهيم واقتتلوا قتالا شديداً وانهزم ابراهم وتعقبه بعضهم فلم
يدركه . ولحق ابراهيم بالري ملتجئا الى ركن الدولة بن بويه لصهر بينهما فاكرم
وفادته ثم جهز له العساكر بقيادة ابي الفضل بن العميد ليرده لولايته فسار معه
اليها واستولى عليها واصلح له خستان بن شرمزن وقاده الى طاعته واستتب
الامر لابراهيم بن المرزبان سنة ٣٥٥ ﻫ .

٢٠٣ – ابراهيم بن المرزبان

من سنة ٣٥٥ ﻫ — غير محقق . أو من سنة ٩٦٥ م غير محقق

ولما استتب الامر لابراهيم بن المرزبان بواسطة ابن العميد في اذربيجان
عكف على شرب الخمر ومداعبة النساء وراى ابن العميد كثرة دخل البلاد
وسعة مياهها وراى ان ما يحصله ابراهيم منها قليل جداً بالنسبة لثروة البلاد
وذلك لسوء تدبيره وطمع الناس فيه . فكتب الى ركن الدولة يعرفه الحال وان
يعطيه ملكها لانها ان دامت مع ابراهيم فلا يمضي وقت طويل حتى تؤخذ
منه . فامتنع ركن الدولة من قبول ذلك وقال لا افعل ذلك بمن استجار بي وامر
ابا الفضل بالعود عنه وتسليم البلاد اليه ففعل وعاد . ولم اقف لابراهيم بن
المرزبان هذا على اخبار بعد الآن وكيف انتهى حكمه فارجوا القارىء المعذرة

٢٠٤ – بقية أخبار الدولة المسافرية

الدولة المسافرية هذه تدعى الدولة السلارية أيضالان المرزبان بن محمد بن مسافر
يدعى السلار فنسبت اليه وانقطعت أخبارها من سنة ٣٥٥ — ٤٢٠ ﻫ ولم يعلم
عنها في هذه المدة شيء . وفي سنة ٤٢٠ ﻫ كان ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل
ابن وهشودان بن محمد بن مسافر متوليا على شهرخان وزنجان وابهر وشهر زور
وغيرها وهي ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة بن بويه ولما ملك محمود

ابن سبكتكين الري بعث أحد قواده الى ابراهيم بن المرزبان فقصد بلاده ولكنه لم يفعل سوى استمالة الديلم اليه وعاد محمود الى خراسان . فسار السلار ابراهيم الى قزوين فملكها وقتل من بها من عساكر محمود فسير اليه محمود ابنه مسعوداً في العساكر فحاصره سنة ٤٢٦ هـ وأسره وانقرض أمر الدولة المسافرية أو السلارية والدوام لله وحده .

٢٠٥ — دولة الكلبيين بصقلية (سيسيليا)

(تمهيد) كانت جزيرة صقلية (سيسيليا) مذ فتحها الاغالبة الى انقراض أمرهم تحت تصرفهم يرسلون اليها العمال من رجالهم وقد تقدم ذكر ذلك في اخبارهم . فلما انقرضت دولة الاغالبة بظهور الدولة الفاطمية دخلت جزيرة صقلية في طاعة هذه الدولة الجديدة وقد تقدم ذكر ذلك ايضا . ولم يزل الخلفاء الفاطميون يرسلون العمال الى جزيرة صقلية حتى استولت عليها دولة الكلبيين هذه . ولم تكن هذه الدولة مستقلة تمام الاستقلال انما كانت مستقلة استقلالا اداريا تحت نظر الدولة الفاطمية . وكان المنصور (الفاطمي) قد ولى على جزيرة صقلية سنة ٣٢٩ هـ شخصا يقال له عطاف . وكان عطاف هذا ضعيف الرأي سيء السيرة فاستضعفه الافرنج بها وامتنعوا من اعطاء مال الهدنة . وكان بصقلية بنو الطبري من أعيان المسلمين لهم اتباع كثيرون فوثبوا بعطاف أيضا وأعانهم أهل المدينه عليه وذلك يوم الفطر سنة ٣٣٥ هـ وقتلوا جماعة من رجاله وأفلت عطاف منهم الى حصن له . فاخذوا أعلامه وطبوله وانصرفوا الى ديارهم . فارسل عطاف الى المنصور يعلمه الحال ويطلب المدد . فلما علم المنصور بما كان استعمل على ولاية صقلية الحسن بن علي الكلبي وكان قد وقع عنده موقعا حسنا عقب حرب أبي يزيد الخارجي

٢٠٦ — الحسن بن علي الكلبي

من سنة ٣٣٦ — ٣٤٧ هـ أو من سنة ٩٤٧ — ٩٥٨ م

فركب الحسن البحر الى صقلية ووصل مازر ونزل بها فلم يلق أحداً في

انتظاره (لان بني الطبري كان قد سافر منهم جماعة الى المنصور فأوصوا الباقين بعدم قبول وال عليهم حتى يرجعوا) ولكن أتاه جماعة في الليل من كتامة واعتذروا اليه بخوفهم من بني الطبري . وبعث بنو الطبري عيونهم عليه فوجدوه في قلة فاستضعفوه وخادعوه وخادعهم ثم عادوا الى المدينة وقد وعدهم ان يقيم بمكانه الى أن يعودوا اليه . فلما فارقوه جد السير الى المدينة قبل ان يجمعوا أصحابهم ويمنعوه فلما انتهى الى البيضاء اجتمعت اليه الناس وارباب الدولة فأكرمهم وسألهم عن أحوالهم . فلما سمع اسمعيل بن الطبري بخروج هذا الجمع اليه اضطر الى الخروج ومقابلته فلقيه الحسن وأكرمه ثم عاد الى داره ودخل حسن البلد ومال اليه كل منحرف عن ابن الطبري ومن معه . فلما رأى ابن الطبري ذلك أمر رجلا من أتباعه فدعا بعض عبيد الحسن وكان موصوفا بالشجاعة فلما دخل بيته خرج الرجل يستغيث ويصيح ويقول : أن هذا الرجل دخل بيتي واراد اغتصاب امرأتي بحضرتي : (وكانت هذه مكيدة من اسمعيل بن الطبري ضد الحسن وأصحابه كما لا يخفى) فاجتمع اليه الناس وهو يزداد صياحا فأحضره الحسن عنده وسأله عن سبب صياحه فاعاد عليه ما قاله للناس فاستحلفه على صحة ما يقول فحلف (زوراً) فاخذ الحسن عبده وقتله فسر أهل البلد لهذا الفعل وزاد اعجابهم بالحسن وكرههم لبني الطبري فانعكست حيلة اسمعيل عليه . واستتب الامر للحسن وهابته الناس ولم يبق له معارض الا بني الطبري ولكنه استراح منهم كما ستراه ان شاء الله

قد ذكرنا مسير بعض بني الطبري الى المنصور فلما وصلوا اليه قبض عليهم واعتقلهم وأرسل الى الحسن يعرفه انه قبض عليهم ويطلب منه القبض على اسمعيل ابن الطبري وأصحابه فتخوف الحسن في بداءة الامر ولكنه احتال عليهم وقبض عليهم واعتقلهم وأخذ جميع أموالهم . وعظم أمر الحسن حتى هابه الافرنج سكان الجزيرة وأعطوه مال ٣ سنين مقدما بعد أن كانوا قد قطعوا دفع هذا المال مدة

وطمع ملك الروم الشرقية في الاستيلاء على الجزيرة واستخلاصها من أيدي المسلمين عند ما تحقق اختلافهم وأرسل أسطولا عظيما لهذا الغرض . فكتب الحسن الى المنصور يستمده فارسل المنصور اليه أسطولا فيه ٧٠٠٠

فارس و٣٥٠٠ راجل ماعدا البحرية وجمع الحسن من الجزيرة أيضا جمعاً كثيراً فقوي أمره وسار براً وبحراً الى مسيني وعدت العساكر الاسلامية الى ريو وبث الحسن سراياه في أرض قلورية وحاصر مدينة جراجة لكنه لم يتم حصارها حتى أتاه الخبر بتقدم الافرنج اليه فصالح أهل جراجة على مال أخذه منهم وسار الى لقاء الروم والتقوا يوم عرفة سنة ٣٤٠ هـ فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزمت الروم هزيمة شنعاء وتعقبهم المسلمون قتلا وسبياً

وفي سنة ٣٤١ هـ تقدم الحسن الى مدينة جراجة وحاصرها فارسل اليه قسطنطين ملك الروم الشرقية يطلب منه الهدنة فهادنه وعاد الحسن الى مدينة ريو وبني جامعا وأقام الحسن واليا على جزيرة صقلية الى سنة ٣٤٧ هـ وكان المنصور قد توفي وقام بعده المعز فسار اليه الحسن تاركا امارة الجزيرة لابنه أحمد

٢٠٧ - أحمد بن الحسن

من سنة ٣٤٧ — ٣٥٩ هـ أو من سنة ٩٥٨ — ٩٦٩ م

وقام أحمد بعد مسير أبيه بامر الجزيرة أحسن قيام حتى هابته الاعداء . ثم أرسل اليه المعز أن يتقدم الى القلاع التي ما زالت في ايدي الافرنج ويفتحها فغزاها وفتح طرمين سنة ٣٥١ هـ وحاصر رمطة فطلب أهلها الامداد من ملك القسطنطينية فامدهم بجيش عظيم . فاستمد أحمد المعز أيضا فارسل اليه المدد بالعساكر والاموال مع ابيه الحسن . ووصل مدد الروم الى مسيني فزحفوا الى رمطة وكان الجيش المحاصر لها بقيادة الحسن بن عمار (وهو ابن أخي الحسن بن علي الكلبي) فاحاط الروم بهم وخرج أهل البلد اليهم فاشتد الامر على المسلمين جداً حتى أيقنوا بالهلاك . فلما أيسوا من حياتهم فضلوا الموت بالسيف عن عار الاسر وحملوا حملة رجل واحد فقتلوا منويل قائد جيوش الروم فانهزم الروم واضطربت صفوفهم وتتبعهم المسلمون بالقتل وامتلأت أيديهم من الغنائم والاسرى والسبي ثم فتحوا رمطة عنوة وغنموا ما فيها وأسرع من بقي من الروم الى الهروب في أسطولهم الراسي بالميناء وتعرف هذه الواقعة بواقعة المجاز وكانت سنة ٣٥٤ هـ . ومات الحسن أثر هذه الوقعة فحزن عليه أهل الجزيرة وقام ابنه أحمد نهائيا مقامه . فاستمر أحمد واليا عليها حتى توفي سنة ٣٥٩ هـ

٢٠٨ - أبو القاسم بن الحسن

من سنة ٣٥٩ - ٣٧٢ هـ أو من سنة ٩٦٩ - ٩٨٢ م

لما توفي أحمد بن الحسن تولى بعده أخوه أبو القاسم وكان محبا للسلم غير مغرم بالجهاد فاستمر مدة طويلة لا يناوش أحداً ولا أحد يناوشه حتى كانت سنة ٣٧١ هـ وفيها زحف جيش الروم بقيادة بردويل الى صقلية لحصر قلعة رمطة وملكها فرأى أبو القاسم ضرورة الحرب لصد هجمات الروم عنه فجمع جيشه وسار اليهم ولكنه لم يصل اليهم حتى خانته امياله وخام عن اللقاء فرجع من حيث أتى. وعلم الروم بخوف المسلمين من لقائهم فلحقوا بهم في ٢٠ محرم سنة ٣٧٢ هـ. فتعبى المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم وحمي وطيسها فانتصر الافرنج أولا وقتلوا أبا القاسم وكثيرين من أمراء المسلمين ثم هاجت عوامل حب الجهاد في منهزمي المسلمين فعادوا مفضلين النار على العار وحملوا على الروم حملة شديدة فهزموهم هزيمة شنعاء وأخذوا بثار قتلاهم وهرب من بقي من الروم وكانت ولاية أبي القاسم على صقلية اثني عشرة سنة وخمسة اشهر وخمسة أيام وكان عادلا حسن السيرة كثير الشفقة على رعيته والاحسان اليهم

٢٠٩ - جابر بن أبي القاسم

من سنة ٣٧٢ — ٣٧٣ هـ أو من سنة ٩٨٢ — ٩٨٣ م

وقام بالامر بعده ابنه جابر الا أن مدته لم تطل لان ابن عمه جعفر بن محمد ابن علي الكلبي كان من ندماء العزيز بالله الفاطمي فطلب اليه ولايتها فولاه عليها سنة ٣٧٣ هـ

٢١٠ - جعفر بن محمد

من سنة ٣٧٣ — ٧٣٥ هـ أو من سنة ٩٨٣ — ٩٨٥ م

لما تولى جعفر بن محمد بن علي بن أبي الحسن الكلبي جزيرة صقلية استقامت

أمورها وتحسنت أحوالها .. وكان يحب أهل العلم ويجزل لهم العطاء الى أن توفي سنة ٣٧٥ هـ

٢١١ — عبد الله بن محمد

من سنة ٣٧٥ — ٣٧٩ هـ أو من سنة ٩٨٥ — ٩٨٩ م

لما توفي جعفر بن محمد قام بالامر بعده أخوه عبد الله واتبع خطوات أخيه وسيرته فساد الامن في ايامه الى أن توفي سنة ٣٧٩ هـ

٢١٢ — ثقة الدولة ابو الفتوح يوسف بن عبد الله

من سنة ٣٧٩ — ٣٨٨ هـ أو من سنة ٩٨٩ — ٩٩٨ م

ولما توفي عبد الله بن محمد تولى بعده ابنه ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف فزادت فضائله ومحاسنه على من سبقه واستمر مدة حكمه سعيداً مهيباً مطاعا الى أن أصابه الفالج وعطل نصفه الايسر سنة ٣٨٨ هـ

٢١٣ — تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة

من سنة ٣٨٨ — ٤١٠ هـ أو من سنة ٩٩٨ — ١٠١٩ م

لما اصاب ثقة الدولة الفالج خلفه ابنه تاج الدولة فقام بأمر الدولة احسن قيام وخالف عليه أخوه علي سنة ٤٠٥ هـ واجتمع معه البربر والعبيد فزحف اليه جعفر فظفر به وقتله ونفى البربر والعبيد واستقامت احواله ثم استوز حسن ابن محمد الباغاني فاساء السيرة وانقلبت الاحوال على تاج الدولة بسببه وثار عليه الناس والتفوا حول قصره فأخرج اليهم أبو الفتوح في محفة فتلطف بهم وسلم اليهم الباغاني فقتلوه . ثم خلع أبو الفتوح ابنه تاج الدولة سنة ٤١٠ هـ فرحل الى مصر

٢١٤ - أسد الدولة بن تاج الدولة

من سنة ٤١٠ - ٤١٧ هـ أو من سنة ١٠١٩ - ١٠٢٦ م

ولما خلع أبو الفتوح ابنه تاج الدولة ولى مكانه حافده أسد الدولة بن تاج الدولة فهدأت الاحوال نوعا ولكن أساء أسد الدولة السيرة وتحامل على أهل صقلية ومال لاهل افريقية فضج الناس منه وشكوا أمرهم الى الخليفة الفاطمي في ذلك الوقت فارسل اليهم اسطولا حاصروا به أسد الدولة (وكان يعرف بالاكحل وقتلوه في سنة ٤١٧ هـ وسيروا رأسه الى افريقية

٢١٥ - الصمصام بن تاج الدولة

من سنة ٤١٧ - ٤٣١ هـ أو من سنة ١٠٢٦ - ١٠٣٩ م

ثم ندم أهل صقلية على ما فعلوه بالاكحل وثاروا باهل افريقية وقتلوا منهم ثلثمائة رجل . وولوا عليهم الصمصام أخا الاكحل واضطربت الامور وغلب السفلة على الاشراف واختلط الحابل بالنابل واستمر الحال كذلك الى سنة ٤٣١ هـ وفيها ثار أهل بليرم على الصمصام. واخرجوه وقدموا عليهم أحد القواد المعروف بابن الثمنة ولقبوه القادر بالله وانقرض أمر الكلبيين والبقاء لله وحده

ولما كانت اخبار جزيرة صقلية بعد انقراض الكلبيين الى أن انقرض أمر الاسلام منها سنة ٤٦٤ هـ قليلة ولم تستول عليها دولة تعرف بها أخبارها وجب علينا ذكر هذه الحوادث فنقول

لما استولى القادر بالله بن الثمنة على جزيرة صقلية سنة ٤٣١ هـ قبض على الصمصام وقتله حتى لا ينازعه أحد عليها . واستمر واليا عليها الى أن كان بينه وبين ابن جراس فتنة لاسباب عائلية فحشد كل منهما لصاحبه وتقاتلوا فانهزم القادر بالله فاستنجد الافرنج فانتهز الافرنج هذه الفرصة المناسبة وأنجدوا القادر بالله بجيش عظيم واستولوا على عدة مدن ولكنهم عوضا عن تسليمها للقادر بالله رفعوا عليها أعلامهم وأضافوها الى أملاكهم ولم يستطع القادر بالله ردعهم

لضعفه وركب أكثر مسلميها البحر الى تونس تاركها للمتنصرين . ولم يبق بيد المسلمين فيها الا عدة معاقل غير حصينة بيد ابن جراس فلما علم عجزه عن المقاومة خرج باهله وماله سنة ٤٦٤ هـ واستولى رجار عليها جميعها وانقطعت كلمة الاسلام منها

٢١٦ - الدولة الشاهينية بالبطيحة

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور عمران بن شاهين مؤسسها وهو من أهل الجامدة وكان اتصل ببعض الوزراء لجبي له جبايات وهرب بها الى البطيحة خوفا منه واقام بين القصب والاجام واقتصر على ما يصيده من السمك وطيور الماء قوتا ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطيحة . واجتمع اليه جماعة من الصيادين واللصوص فقوي بهم . ثم استأمن الى أبي القاسم البريدي فقلده حماية الجامدة ونواحي البطائح فعز جانبه وكثر جمعه وسلاحه واتخذ معاقل على البطائح وغلب على تلك النواحي . ولما استولى معز الدولة على بغداد وقام بكفالة الخلافة والنظر في أمورها اهمه شأن عمران هذا وامتناعه في معاقله في نواحي بغداد فجهز اليه وزيره أبا جعفر الصيمري في العساكر ودارت بينهما الحروب فانهزم عمران بن شاهين واختفى ثم سار الصيمري الى شيراز كطلب معز الدولة في سنة ٣٣٨ هـ فظهر عمران من استتاره وعاد الى أمره وجمع من تفرق من أصحابه

٢١٧ - عمران بن شاهين

من سنة ٣٣٨ - ٣٦٩ هـ أو من سنة ٩٤٩ - ٩٧٩ م

لما عاد الصيمري عن طلب عمران ظهر عمران من مختباه وقوي امره كما ذكرنا فارسل اليه معز الدولة في سنة ٣٣٩ هـ جيشا بقيادة روزبهان (من كبار قواد الديلم) . فسار اليه ونازله فتحصن منه في مضايق البطائح وطاوله فضجر روزبهان وأقدم عليه واستعجل قتاله فهزمه عمران وغنم جميع ما معه من مال وسلاح فتضاعفت قوته وقوي أمره وأفسد السابلة وكان أصحابه يطلبون من

أصحاب السلطان مالا باسم الخفارة فمن أعطاهم نجا والا وقع في ما يكره حتى انقطع الطريق الى البصرة فشكا الناس ذلك الى معز الدولة فكتب هذا الى المهلبي بالبصرة يأمره بالمسير الى واسط لهذا السبب وأمده بالعساكر والقواد. فزحف الى البطيحة وضيق على عمران وسد المذاهب عليه حتى انتهى الى المضايق التي لا يعرفها الا عمران وأصحابه فاشار عليه روزبهان بالهجوم فلم يفعل فكتب الى معز الدولة بذلك. فأرسل اليه معز الدولة يستبطئه ويطلب منه سرعة مناجزة عمران. فهجم عليه في مضايقه وكان عمران قد أكمن لهم فلما تجاوزوا الكمناء قاموا عليهم وركبوا أقفيتهم وتلقاهم باقي أصحاب عمران بالمثل فانهزموا شر هزيمة ونجا المهلبي بنفسه سباحة في البحر. فلما رأى معز الدولة ان قتال عمران لا يأتي بالغاية المطلوبة صالحه وقلده امارة البطائح فاستتب له الامر

وفي سنة ٣٥٤ هـ مرض معز الدولة فأرجف الناس بموته واتصل هذا الخبر بعمران بن شاهين فمر عليه مال محمود الى معز الدولة صحبة كثيرين من التجار فانقض عليهم وأخذ المال منهم ولما شفي معز الدولة طالب عمران بما أخذه فرده اليه ولكن انفسخ الصلح الذي بينهما. وأرسل معز الدولة العساكر مراراً لقتال عمران ولكن بلا نتيجة. ثم توفي معز الدولة وتولى مكانه ابنه بختيار فعقد مع عمران صلحا. ولكن هذا الصلح لم يستمر طويلا بل انفسخ ايضا. وسار بختيار في سنة ٣٥٩ هـ قاصداً البطيحة لاخذها من عمران فنزل بواسط واقام بها شهرين ثم بتصعيد أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر الى الجامدة فانحدر اليها وسد مجاري المياه وحول مجراها الى دجلة ولكن اتفق زيادة الدجلة فانسدت الجسور التي بنوها لهذا الغرض. ولما طال الامد على عساكر بختيار ضجروا وثاروا بأبي الفضل وطلبوا الرجوع الى بغداد لانهم لم يألفوا حر وبق وضفادع جهة البطائح فاضطر بختيار الى عقد الصلح مع عمران على مال يحمله اليه. وعاد بختيار وقد زالت هيبته ودخل بغداد سنة ٣٦١ هـ

واستمر عمران أميراً على البطيحة لا يقدر الملوك ولا القواد على هزيمته الى أن طرقته منيته فجأة في محرم سنة ٣٦٩ هـ

٢١٨ - الحسين بن عمران

من سنة ٣٦٩ — ٣٧٢ هـ أو من سنة ٩٧٩ — ٩٨٢ م

لما توفي عمران بن شاهين تولي بعده ابنه الحسين بن عمران فطمع عضد الدولة بن بويه في الاستيلاء على البطيحة وأرسل جيشا بقيادة وزيره المطهر بن عبد الله فهزمه الحسين بن عمران. ولم يكن المطهر هزم قبلا فخاف سقوط منزلته عند عضد الدولة فقتل نفسه. وصالح عضد الدولة الحسين على مال يأخذه منه.

واستتب الامر للحسين بن عمران وأحسن السيرة فأحبته الناس فحسده أخوه أبو الفرج على هذه النعمة وتمنى زوالها وتربص باخيه واتفق أن مرضت أخت لهما سنة ٣٧٢ هـ. فدعى أبو الفرج أخاه الحسين لزيارتها فسار معه وهو لا يدري ما قدر له في الغيب. وكان أخوه أبو الفرج قد رتب بعض الخدم بمنزل أخته لمساعدته على قتله. فلما دخل الحسين الدار تخلف عنه اصحابه ودخل أبو الفرج معه وسيفه بيده فلما خلا به قتله. ثم خرج واعلم العسكر بذلك ووعدهم الاحسان فسكتوا.

٢١٩ - أبو الفرج محمد بن عمران

من سنة ٣٧٢ — ٣٧٣ هـ أو من سنة ٩٨٢ — ٩٨٣ م

ولما قتل أبو الفرج أخاه الحسين تولي مكانه وقدم الذين ساعدوه على قتله في الدولة بدون نظر لمعارف أولئك الاشخاص فافضت الرتب لغير مستحقيها. وكان المظفر بن علي حاجب عمران بن شاهين غير راض عن اعمال أبي الفرج فجمع اكابر القواد وحذرهم عاقبة الامر فقر رأيهم على قتل أبي الفرج فقتله المظفر سنة ٣٧٣ هـ

٢٢٠ - أبو المعالي بن الحسين

سنة ٣٧٣ هـ أو سنة ٩٨٣ م

ولما قتل المظفر أبا الفرج اجلس مكانه أبا المعالي ابن أخيه الحسين وكان

صغيراً فقام بتدبير امره . ثم طمع المظفر في الملك فقتل كل من خافه من القواد وزور كتابا عن لسان صمصام الدولة بن بويه اليه يتضمن التعويل عليه في ولاية البطيحة وسلمه الى ركابي غريب وامره أن يأتيه به متى اجتمع عنده القواد واعيان الدولة ففعل ذلك واتاه وعليه اثر الغبار وسلم اليه الكتاب فقبله وفتحه وقرأه بمسمع الحضور واجاب بالسمع والطاعة وعزل أبا المعالي واستبد بالامر

٢٢١ – المظفر بن علي

من سنة ٣٨٣ — ٣٧٦ ﻫ أومن سنة ٩٨٣ — ٩٨٦ م

وتسلم المظفر بن علي ولاية البطيحة من مولاه وقام بها احسن قيام واحسن السيرة في الاهالي فساد الامن . واذ لم يكن له ولد ذكر عهد بولاية العهد من بعده الى ابن أخته أبي الحسن علي بن نصر الملقب بمهذب الدولة وكان يلقب حينئذ بالامير المختار و بعده الى أبي الحسن علي بن جعفروهوابن أخته الاخرى ثم توفي المظفر بن علي سنة ٣٧٦ ﻫ

٢٢٢ — مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر

من سنة ٣٧٦ – ٤٠٨ ﻫ أومن سنة ٩٨٦ – ١٠١٧ م

لما توفي المظفر بن علي قام بالامر بعده ابن أخته مهذب الدولة علي بن نصر بعهد منه وكتب الى شرف الدولة بن بويه يبذل له الطاعة ويطلب التقليد فاجيب الى ذلك فاحسن السيرة واتسى بفضائله من قبله وبذل الخير والاحسان فقصده الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة في ايامه معقلا لكل من قصدها واتخذها الاكابر وطنا و بنوا فيها الدور الحسنة . وقوي امر مهذب الدولة وكاتبته ملوك الاطراف وصاهره بهاء الدولة بن بويه بابنته . وعظم شأنه واستجار به القادر عند ما خاف من الطائع فاجاره وبقي عنده الى أن اتته الخلافة سنة ٣٨١ ﻫ فعاد الى بغداد

وفي سنة ٣٩٤ ﻫ عصي على مهذب الدولة أحد قواده المعروف بابي العباس

ابن واصل . وكان مهذب الدولة سيره لحرب لشكرستان حين استولى على البصرة فهزمه أبو العباس واستولى عليها ومضى الى سيراف واخذ ما بها لابي محمد ابن مكرم من سفن ومال ورجع الى اسافل دجلة فتغلب عليها . فلما قوي امره خلع طاعة مهذب الدولة فارسل اليه مائة سميرية (مركب صغيرة) مشحونة بالمقاتلة ففرق بعضها واستولى ابن واصل على الباقي وعاد الى الابلة . فبعث اليه مهذب الدولة أبا سعيد بن ماكولا فهزمه ابن واصل وغنم ما معه وقصد البطيحة فخرج منها مهذب الدولة الى شجاع بن مروان وابنه صدقة فغدروا به وأخذوا امواله فلحق بواسط . واستولى ابن واصل على البطيحة وعلى اموال مهذب الدولة لكنه لم يلبث بها كثيراً حتى اضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه وعاد الى البصرة وترك البطائح فوضى . واتصل خبر أبي العباس بن واصل ببهاء الدولة بن بويه فخافه على البلاد فسار من الاهواز لتلافي امره واحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكراً كثيفا وسيرهم الى أبي العباس . فهزمهم أبو العباس فلحق عميد الجيوش بواسط واقام بها يجمع العساكر عازما على العود الى البطائح . ثم بلغه أن نائب ابن واصل بالبطائح اجفل وخرج منها فاستدعى مهذب الدولة وبعثه في العساكر في السفن الى البطيحة سنة ٣٩٥ ﻫ فاستولى عليها واجتمع أهل البطيحة على طاعته . واما ما كان من خبر ابن واصل فما زال بهاء الدولة يرسل اليه الجيوش ويقاتله حتى ظفر به أخيراً سنة ٣٩٦ ﻫ وقتله .

ثم توفي مهذب الدولة علي بن نصر في جمادى سنة ٤٠٨ ﻫ وكان ابن أخته أبو عبد الله محمد بن نسي قائما باموره ومرشحا للولاية مكانه وقد اجتمع اليه الجند واستحلفهم لنفسه . وكان بلغه قبل وفاة خاله أن ابنه أبا الحسن أحمد داخل بعض الجند في البيعة له بعد أبيه فاستدعاه وحمله اليه الجند فقبض عليه . وعلم مهذب الدولة بذلك قبل وفاته بيوم فازداد اسفه لعدم تمكنه من عمل شيء وهو في هذه الحالة ثم توفي من الغد .

٢٢٣ - محمد بن نسى

سنة ٤٠٨ هـ أو سنة ١٠١٧ م

لما توفي مهذب الدولة ولي بعده ابن أخته محمد بن نسي واول عمل باشره انه قتل أبا الحسن ابن خاله لثلاث من وفاة أبيه ولكنه نال جزاء ماجنت يداه فانه لم يلبث واليا الا ثلاثة أشهر ثم مات بالذبحه . وكان يقول قبل موته : رأيت مهذب الدولة في منامي فامسك حلقي وخنقني وقال لي قتلت ابني أحمد وقابلت نعمتي عليك بذلك : ثم مات وبموته انقرض ملك الدولة الشاهينية ومواليها واجتمع أهل البطيحة من بعده علي السرابي من خواص مهذب الدولة ثم تولى بعده صدقة المزياري الى أن توفي سنة ٣١٢ هـ فولي بعده سابور بن المرزبان ثم عزل وولي أبو نصر وما زالت البطيحة في يده الى ان استولى عليها أبو كاليجار سنة ٤٣٩ هـ

٢٢٤ - الدولة الحسينية بكردستان

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور حسنويه بن الحسين الكردي وكان اميراً على جيش من البرزيكان يسمون البرزينية وكان خالاه ونداد وغانم اميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية وغلبا على اطراف نواحي الدينور وهمذان ونهاوند والصامغان وبعض اطراف اذربيجان وتوفي غانم سنة ٣٥٠ هـ فاستولى مكانه ابنه أبو سالم ديسم بن غانم الى أن أزاله أبو الفتح بن العميد واستصفى قلاعه المسماة قسنان وغانم اباذ وغيرها . وتوفي ونداد سنة ٣٤٩ هـ فقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب الى أن أسره الشاذنجان وسلموه الى حسنويه فاستولى على قلاعه واملاكه حسنويه بن الحسين رأس هذه الدولة .

٢٢٥ – حسنويه بن الحسين

من سنة ٣٥٠ – ٣٦٩ هـ أو من سنة ٩٦١ – ٩٧٩ م

ولما استولى حسنويه على املاك ابن خاله احسن السيرة في الرعية وضبط أمور الدولة ومنع اصحابه من التلصص . و بنى قلعة سرماج بالدبش المنحوت و بنى بالدينور جامعا بالدبش المنحوت ايضا . وكان كثير الصدقة والاحسان للناس فعاش سعيداً ومات مأسوفا عليه سنة ٣٦٩ هـ

٢٢٦ – بدر بن حسنويه

من سنة ٣٦٩ – ٤٠٥ هـ أو من سنة ٩٧٩ – ١٠١٤ م

لما توفي حسنويه بن الحسين اختلف اولاده وهم أبو العلاء وعبد الرازق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك فانحاز بعضهم الى فخر الدولة و بعضهم الى عضد الدولة . وكان بختيار بقلعة سرماج فاستولى على أموال أبيه وكاتب عضد الدولة ورغب في طاعته ثم تلون عنه وتغير فسير عضد الدولة اليه جيشا فحصره واخذ قلعته واستولى عضد الدولة على باقي القلاع التي بيد بني حسنويه واختص من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه فولاه على اعمال أبيه وكان عاقلا فاستقام امره . فحسده أخوته واتفق عاصم وعبد الملك فشقا العصا وخرجا عن طاعته . واستمال عاصم جماعة الاكراد المخالفين فاجتمعوا اليه . فسير اليه عضد الدولة عسكراً فاوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا وأسر عاصم وأدخل همذان على جمل ولم يعرف له خبر بعد ذلك اليوم . وقتل جيش عضد الدولة جميع اولاد حسنويه سوى بدر فانه ترك على حاله فاستتب أمره ولما توفي عضد الدولة وملك ابنه صمصام الدولة ثار عليه أخوه شرف الدولة بفارس ثم ملك بغداد كما تقدم ذكر ذلك مفصلا فلما استتب الامر لشرف الدولة جهز عسكراً بقيادة قراتكين وسيره لقتال بدر بن حسنويه سنة ٣٧٧ هـ وذلك لانحرافه عنه وميله لعمه فخر الدولة فلقيه على وادي قرميسين وانهزم بدر حتى

توارى ولم يلقوه ونزلوا في خيامه ثم كر بدر راجعا عليهم فأعجلهم عن الركوب وفتك فيهم وغنم مامعهم ونجا قراتكين في قليل من العساكر . واستولى بدر على اعمال الجبل وقويت شوكته وعظم امره حتى نال لقب ناصر الدين من ديوان الخلافة سنة ٣٨٨ هـ .

وفي سنة ٣٩٧ هـ اتحدت جيوش بدر بن حسنويه مع جيوش أبي جعفر على حصار بغداد ولكن بلا نتيجة فلما انفضت جموعهم سار ابن حسنويه الى ولاية رافع بن معن من بني عقيل وعاث فيها . والسبب في ذلك لان رافعا كان أوى أبا الفتح بن عنان حين أخرجه بدر من حلوان وقرميسين واستولى عليها فارسل بدر الى رافع يذكره مودة أبيه وحقوقه عليه ويعتب عليه لانه آوى خصمه ويطلب اليه أن يبعده ليدوم له العهد والود القديم فلم يفعل رافع ذلك فارسل بدر جيشا الى أعمال رافع بالجانب الشرقي من دجلة فنهبها واحرقوا داره . فسار أبو الفتح بن عنان الى عميد الجيوش ببغداد فا كرم وفادته ووعده النصر

وكان لبدر بن حسنويه ولدان احدهما يسمى هلالا وهذا ربي بعيداً عن أبيه وآخر يدعى أبا عيسى وهذا كان محبوباً من بدر . اما هلال الذي ربي بعيداً عن أبيه فلم تكن هيبة أبيه عنده مما يعتد به حتى خافه أبوه فاقطعه الصامغان ليبعد عنه . فلما كانت سنة ٤٠٠ هـ اساء هلال مجاورة ابن الماضي عامل شهر زور فارسل اليه أبوه يهدده فكان جوابه انه جمع عسكراً واستولى على شهر زور وقتل ابن الماضي . فقلق أبوه جداً لما سمع هذه الاخبار واستوحش كل منهما من الآخر وجمع احدهما الجيوش لقتال الآخر والتقيا عند باب الدينور فهزم هلال أباه بدراً وأسره وحبسه في قلعة واستولى على البلاد فارسل بدر الى أبي الفتح بن عنان وأبي عيسى شاذي بن محمد وغيرهما يستنجدهم ويحثهم على قتال ابنه . فاجابوه واستولوا على كثير من بلاد هلال ولكنه لم يضعف حاله ولا قدر أحدهم على أسره وقتله فارسل بدر الى بهاء الدولة بن بويه يستمده فارسل اليه جيشا عظيما قاتلوا هلالا وأسروه واعادوا البلاد الى أبيه بدر كما كانت وطلب هلال منهم أن لا يسلموه الى والده فاجابوا طلبه . وكان بدر قد تنازل عن شهر زور لعميد الجيوش ببغداد فلما كانت سنة ٤٠٤ هـ سار حافده ظاهر ابن هلال الى شهر زور وقاتل عساكر فخر الملك وملكها من ايديهم .

وفي سنة ٤٠٥ ﻫ سار بدر بن حسنويه الى الحسين بن مسعود الكردي للاستيلاء على بلاده وحاصره بحصنه فطال الحصار حتى ضجر عسكر بدر واجمعوا على قتله ليستريحوا من هذه الحروب المتوالية فقتلوه ودخلوا في طاعة شمس الدولة ابن بويه

٢٢٧ - هلال بن بدر

سنة ٤٠٥ ﻫ أو سنة ١٠١٤ م

ولما قتل بدر بن حسنويه كان ابنه هلال معتقلاً عند سلطان الدولة ببغداد فاطلقه وجهزه بالعساكر ليستعيد بلاده من شمس الدولة . فسار ولقيه شمس الدولة فهزمه وأسره ثم قتله ورجعت عساكره منهزمة الى بغداد

٢٢٨ - ظاهر بن هلال

من سنة ٤٠٥ — ٤٠٦ ﻫ أو من سنة ١٠١٤ — ١٠١٥ م

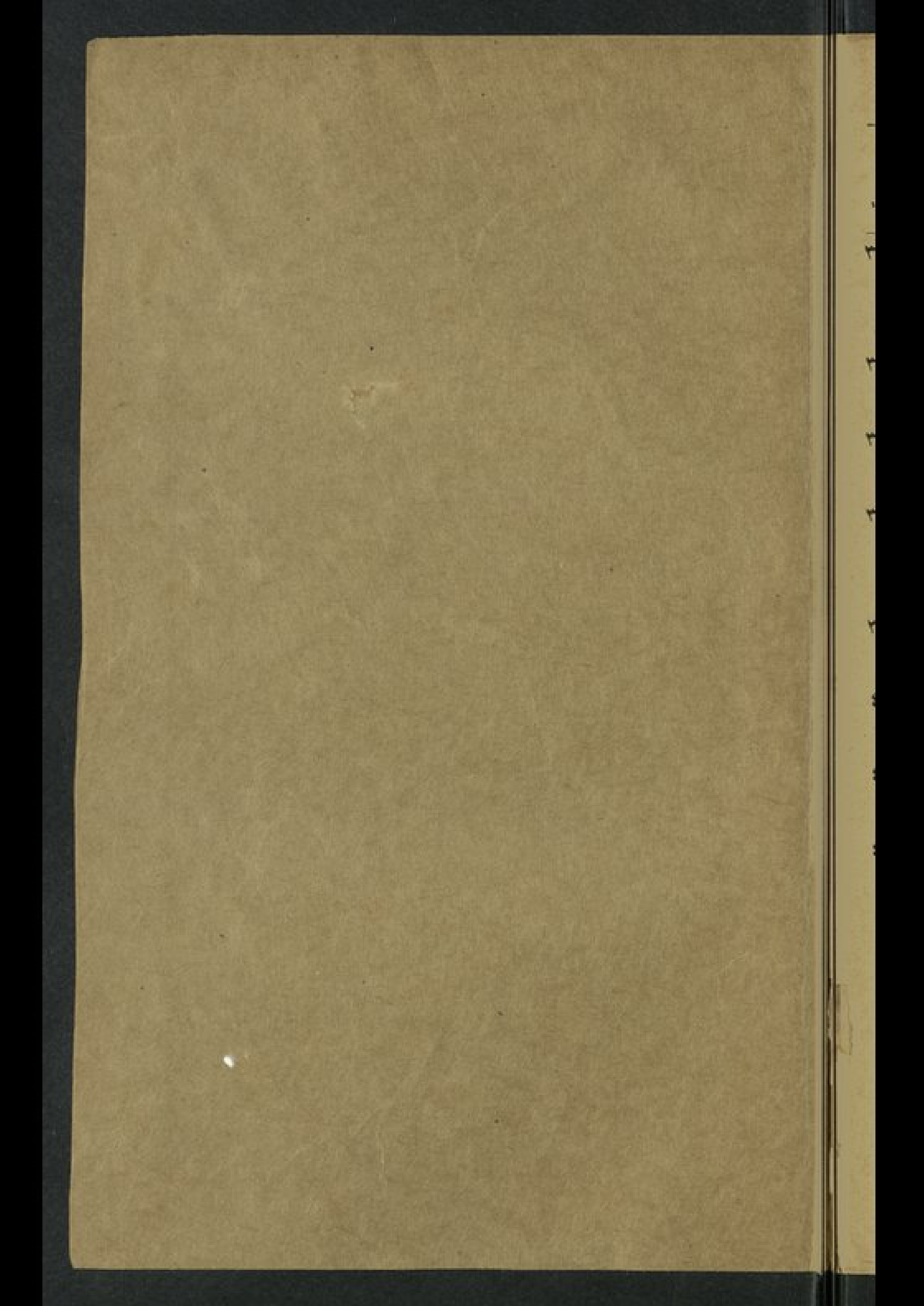
وكان ظاهر بن هلال هاربا من جده ومقيما بنواحي شهر زور فلما بلغه قتله سنة ٤٠٥ ﻫ قدم للاستيلاء على بلاده فقاتله شمس الدولة وأسره وحبسه . وفي هذه الاثناء استولى شخص من الاكراد يدعى أبا الشوك بن محمد . فلما اتصل هذ الخبر بشمس الدولة اخرج ظاهراً من معتقله سنة ٤٠٦ ﻫ وأمده بالعساكر لقتال أبي الشوك . فسار ظاهر وقاتل أبا الشوك وهزمه مراراً واستولى على البلاد ثم صالح أبا الشوك وتزوج أخته . فلما أمن أبو الشوك جانبه قام عليه في سنة ٤٠٦ ﻫ وقتله واستولى على البلاد . وانقرضت بموته الدولة الحسينية الكردية والملك لله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم

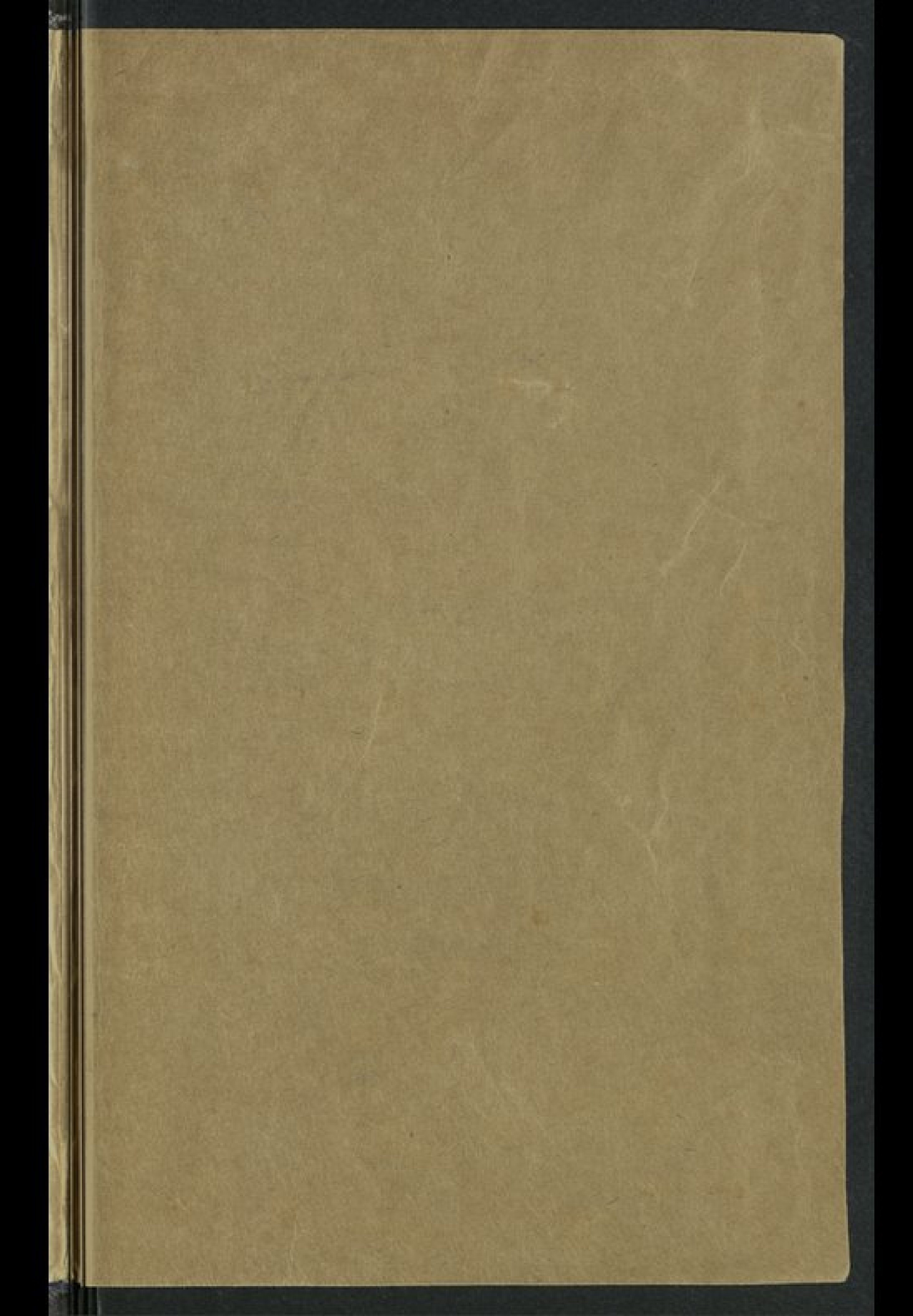
تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله الدولة الغزنوية بافغانستان والهند

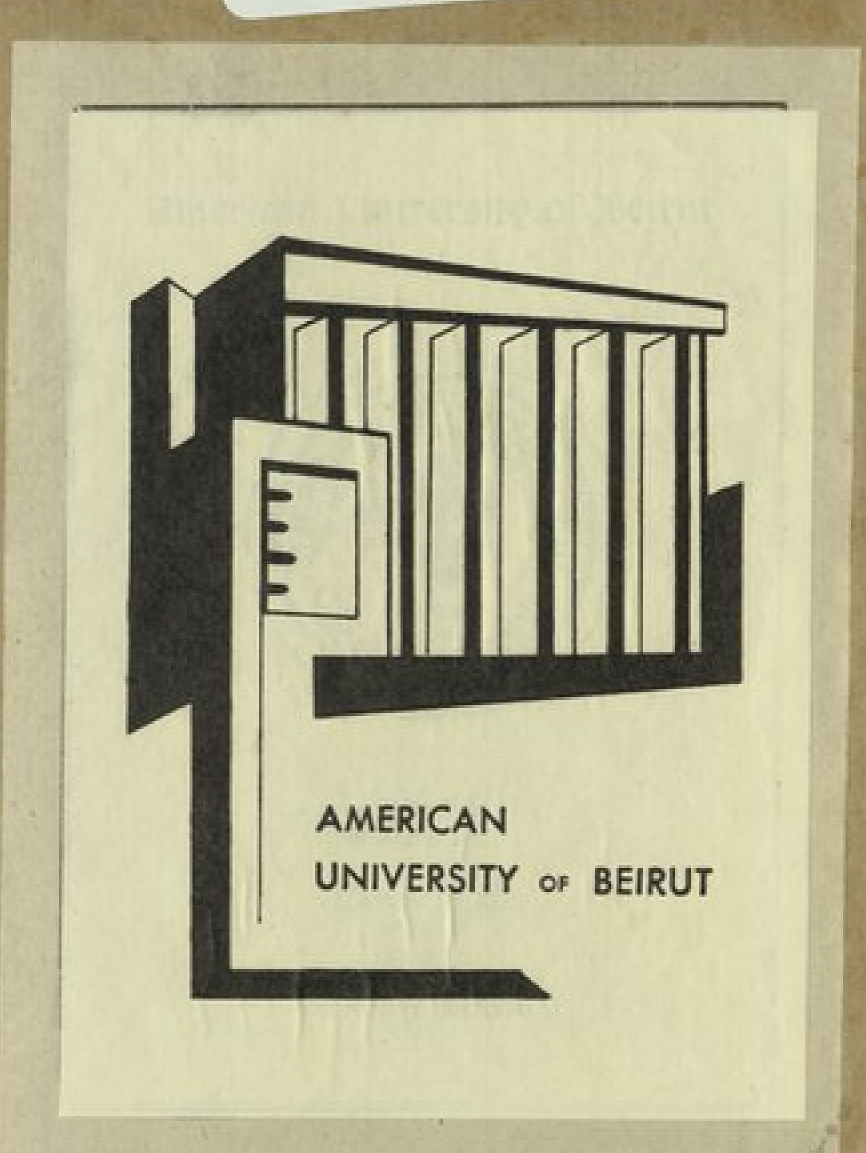
وكان الفراغ من طبعه في شهر مايو سنة ١٩٠٧ م

﴿ تم الفهرست ﴾








AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

